مجالس وفيّات ومواليد المعصومين عليهم السلام

مثير الأحزان في أحوال الأئمة الإثني عشر عليهم السلام

أمناء الرحمن

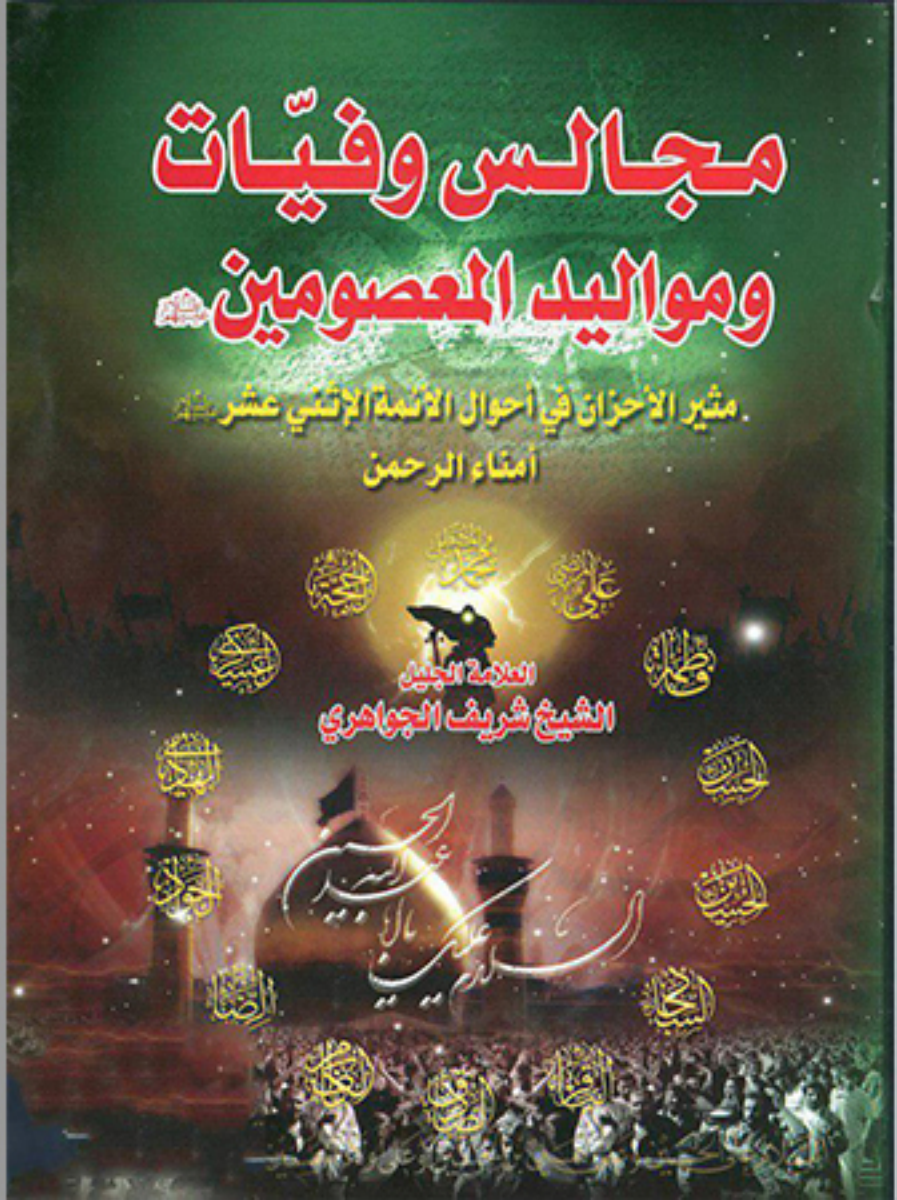

العلامة الجليل
الشيخ شريف الجواهري

مجالس
وفيات ومواليد المعصومين

المسمَّى:

مثير الأحزان
في أحوال الأئمة الإثنا عشر

تأليف
العلامة الشيخ شريف الجوهري

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

لبنان - بيروت - حارة حريك - شارع سليم - ت:٠٠٩٦١٧١٤٤٢٠٤٨
أرضي : ٠٠٩٦١١٥٤٣٥١٨
aljwadin14@yahoo.com

الجزء الأول: في واقعة الطف

المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي امتحن للتقوى قلوب أوليائه؛ وخصهم ببلاء عم فادحه فرضوا بقدره وقضائه، وجعل مناياهم إظهار المحبة لهم بأيدي أعدائه، وصلى الله على نبينا محمد المرسل للعالمين رحمة، وآله الذين أودعهم وثقل الكتاب عند تلك الأمة، فضيعت ما أوجب حفظه وما رعت له ﷺ إلاً ولا ذمة، وفرقت عترته الذين لم يجتمعوا إلا على الحق في كل صعب ومهمة.

وبعد: فلما كانت قارعة الطف مما تفتح لها المسامع وأن أصمت، ورزية الغاضرية مما أورث بدماء الشهداء النواويس العاطشة وأن أصمت، عمدت إلى ما جمعه واحد أولى المفاخر العالم المهتدى سواء السبيل بكوكب فضله الزاهر والفاضل الذي بمثله شمخت أعواد المنابر، المحقق الذي رتبة فخره التقديم وإن جاء في الزمن الآخر شيخنا المرحوم الشيخ شريف آل العلامة المغفور صاحب الجواهر قدس الله سريهما وروَّح بنسيم الغفران روحيهما فنقلت ما اختاره ورتبه وانتقاه وهذبه من مجالس ورتبها عشرة في عشر المحرّم ملحوظة من عيون أخبار صحاح عن نقلها أو لا يترجم فهي تصور الواقعة، فكأنما الغائب عنها شاهد وتبرز تلك المصارع عياناً فيجدها المحب بعين القلب المواجد وسميتها «مثير الأحزان في أمناء الرحمن» نفعه الله بترتيبها يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنون.

المجلس الأول (من مقتل الحسين عليه السلام)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ما انتَضارُ الدَّمع أن لا يَستهَلاّ ... أوَما تنظُرُ عاشوراءَ هلاّ
هَلَّ عاشُورٌ فقُم جَدّد بهِ ... ماتمَ الحُزن ودَع شُرباً وأكلا
كيفَ لا تحزَنُ في شَهرٍ بهِ ... أصبَحت آلُ رسُولِ اللهِ قتلى
كيفَ لا تحزنُ في شَهر بهِ ... أصبَحت فاطمةُ الزهراءُ ثَكلى
كيفَ لا تحزنُ في شَهر بهِ ... ألبس الإسلامُ ذُلا ليسَ يبلى
كيف لا تحزَن في شَهر بهِ ... رأسُ خيرِ الخلق في رُمحٍ يُعلّى
وإذا عايَنتَ أهليهِ تَرى ... نِوبَاً فيها رزَايا الناس تُسلى
من عليلٍ وسدتهُ حَلساً ... وقتيل وَسّدتهُ البيدُ رملى

إخبار النبي ﷺ بشهادة الحسين عليه السلام

رَوى فُراتُ بنُ إبراهيم في تفسيره، عن جعفر بن محمد الفزاري، مُعنعناً عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان الحسين عليه السلام مع أمه تحمله فأخذه النبي ﷺ وقال: لعن الله قاتلك ولعن الله سالبك، وأهلك الله المتوازرين عليك وحكم الله بيني وبين من أعان عليك.

قالت فاطمة عليها السلام: يا أبة أي شيء تقول لابني؟ قال: يا بنتاه ذكرت ما يصيبه بعدي وبعدك من الأذى والظلم والغدر والبغي، وهو يومئذ في عصبة كأنهم نجوم السماء يتهاوون إلى القتل، وكأني أنظر إلى معسكرهم وإلى موضع رحالهم وتربتهم.

قالت: يا أبة وأين هذا الموضع الذي تصف؟ قال: موضع يقال له: كربلاء وهي دار كرب وبلاء علينا وعلى الأمة، يخرج عليهم شرار أمتي، لو أن أحدهم شفع له من في السماوات والأرضين ما شفعوا فيه، وهم المخلدون في النار، قالت: يا أبة فيقتل؟ قال: نعم يا بنتاه، وما قتل قتلته أحد كان قبله، وتبكيه السماوات والأرضون والملائكة والوحش والحيتان في البحار والجبالُ، ولو يؤذَن لها ما بقي على الأرض متنفس، ويأتيه قوم من محبّينا ليس في الأرض أعلم بالله ولا أقوم بحقنا منهم، وليس على ظهر

الأرض أحد يلتفت إليه غيرهم، أولئك مصابيح في ظلمات الجور، وهم الشفعاء وهم الواردون حوضي غداً، أعرفهم إذا وردوا عليّ بسيماهم، وكل أهل دين يطلبون أئمتهم وهم يطلبوننا لا يطلبون غيرنا، وهم قوام الأرض وبهم ينزل الغيث.

فقالت فاطمة الزهراء عليها السلام: يا أبتِ إنا للهِ وبكت، فقال لها: يا بنتاه إن أفضل أهل الجنان هم الشهداء في الدنيا، بذلوا أنفسهم وأموالهم بأن الجنة لهم يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون، وعداً عليه حقاً، فما عند الله خير من الدنيا وما فيها قتلةُ أهون من ميتة من كتب عليه القتل خرج إلى مضجعه، ومن لم يقتل فسوف يموت؟

يا فاطمة بنت محمداً، ما تحبين أن تأمري غداً فتطاعي في هذا الخلق عند الحساب؟

أما ترضين أن يكون ابنك من حملة العرش؟

أما ترضين أن يكون أبوك يأتونه ويسئلونه الشفاعة؟

أما ترضين أن يكون بعلك يذود الخلق يوم العطش عن الحوض فيسقي منه أولياؤه ويذودُ عنه أعدائه؟

أما ترضين أن يكون بعلك قسيم الجنة والنار، يأمر النار فتطيعه، يخرج منها من يشاء؟

أما ترضين أن تنظري إلى الملائكة على أرجاء السماء ينظرون إليك وإلى ما تأمرين به، وينظرون إلى بعلك قد أحضر الخلائق وهو يخاصمهم عند الله؟

فما تَرينَ الله صانعاً بقاتل ولدك وقاتليكِ وقاتلِ بعلك إذا أفلجت حجّته على الخلائق وأمرت النار أن تطيعه؟

أما ترضين أن تكون الملائكة تبكي لابنكِ ويأسفُ عليه كل شيء؟

أما ترضين أن يكون من أتاه زائراً في ضمان الله، ويكون من أتاه بمنزلة من حج بيت الله واعتمر ولم يخل من الرحمة طرفة عين، وإذا مات مات شهيداً، وإن بقي لم تزل الحفظة تدعو له ما بقي ولم يزل في حفظ الله وأمنه حتى يفارق الدنيا؟

قالت: يا أبة سلمت ورضيت وتوكلت على الله.

فمسح الله قلبها وقال: إني وبعلكِ وأنتِ وابنيكِ في مكان تقرّ بهِ عيناكِ ويفرح قلبكِ.

يزيد يأمر الوليد بأخذ البيعة من الحسين عليه السلام

روى الفاضل المجلسي (رحمه الله) قال: روى الشيخ المفيد، والسيد ابن طاوُوس

وغيرهما: أنه لما مات معاوية في النصف من رجب سنة ستين من الهجرة تولّى الأمر بعده ابنه يزيد، فكتب إلى الوليد بن أبي سفيان وكان على المدينة والياً أن يأخذ له البيعة من أهل المدينة وخاصة على الحسين عليه السلام ولم يرخّص له في التأخير، وقال: وإن أبى عليك فاضرب عنقه وابعث إليَّ برأسه، فأحضر الوليد مروان بن الحكم واستشاره فقال: إنه لا يقبل ولو كنت مكانك لضربت عنقه، فقال الوليد: ليتني لم أكُ شيئاً مذكوراً، وأنفذ الوليد إلى الحسين عليه السلام في الليل فاستدعاه فعرف الحسين عليه السلام الذي أراد، فدعا جماعة من مواليه وأمرهم بحمل السلاح، وقال لهم: إن الوليد قد استدعاني في هذا الوقت، ولست آمن أن يكلفني فيه أمراً لا أجيبه إليه، وهو غير مأمون، فكونوا معي، فإذا دخلت فاجلسوا على الباب، فإن سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليه لتمنعوهُ عني.

فصار الحسين عليه السلام إلى الوليد فوجد عنده مروان بن الحكم فنعى إليه الوليد معاوية فاسترجع الحسين عليه السلام، ثم قرأ عليه كتاب يزيد وما أمره فيه من أخذ البيعة منه له، فقال الحسين عليه السلام: إني لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سرّاً حتى أبايعه جهراً فيعرف الناس ذلك، فقال الوليد: أجل فقال الحسين عليه السلام: فتصبح وترى رأيك في ذلك، فقال له الوليد: أنصرف على اسم الله تعالى حتى تأتينا مع جماعة الناس.

فقال له مروان: لئن فارقك الحسين عليه السلام الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه، فوثب الحسين عليه السلام عند ذلك وقال: أنت يابن الزرقاء تقتلني أم هو؟ كذبت والله وأثمت.

قال: ثمّ اقبل الحسين عليه السلام على الوليد فقال: أيها الأمير: إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، وبنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون، أينا أحق بالبيعة والخلافة؟ وخرج يمشي ومعه مواليه حتى أتى منزله.

فقال مروان للوليد: عصيتني لا والله لا يمكنك مثلها من نفسه أبداً فقال الوليد: ويح غيرك يا مروان إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني ودنياي، والله ما أحبُّ أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وإني قتلت حسيناً، سبحان الله أقتل حسيناً أن قال لا أبايع، والله اني لأظن أنَّ امرءاً يحاسب بدم الحسين عليه السلام خفيف الميزان عند الله يوم القيامة.

فقال مروان: فإذا كان هذا رأيك فقد أصبت فيما صنعت، يقول هذا وهو غير الحامد له على رأيه.

قال محمد بن أبي طالب: وخرج الحسين عليه السلام من منزله تلك الليلة، وأقبل إلى قبر جدّه صلى الله عليه وآله فقال: السلام عليك يا رسول الله أنا الحسين بن فاطمة فرخك وأبن فرختك، وسبطك الذي خلفتني في أمتك، فاشهد عليهم يا نبي الله أنهم خذلوني، وضيعوني، ولم يحفوظني، وهذه شكواى اليك حتى ألقاك، ثم صف قدميه فلم يزل راكعاً وساجداً.

وأرسل الوليد إلى منزل الحسين عليه السلام لينظر أخرج من المدينة أم لا؟ فلم يصبه في منزله، فقال: الحمد لله الذي خرج ولم يبتلني بدمه، قال: ورجع الحسين عليه السلام الى منزله عند الصبح.

في رؤيا الحسين عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله في المنام

فلما كانت الليلة الثانية، خرج إلى القبر أيضاً وصلى ركعات، فلما فرغ من صلاته جعل يقول: اللهم هذا قبر نبيك محمد صلى الله عليه وآله، وأنا ابن بنت نبيك، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم اني أحب المعروف، وأنكر المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والاكرام بحق القبر ومن فيه الا اخترت لي ما هو لك رضى، ولرسولك رضي.

ثم جعل يبكي عند القبر حتى اذا كان قريباً من الصبح، وضع رأسه على القبر فأُغفى، فاذا هو برسول الله صلى الله عليه وآله قد أقبل في كتيبة من الملائكة عن يمينه وعن شماله وبين يديه حتى ضم الحسين عليه السلام إلى صدره وقبل ما بين عينيه، وقال: حبيبي يا حسين كأني أراك عن قريب مرملاً بدمائك، مذبوحاً بأرض كرب وبلاء، من عصابة من أمتي، وأنت مع ذلك عطشان لا تسقى، وظمآن لا تروى، وهم مع ذلك يرجون شفاعتي، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة، حبيبي يا حسين ان أباك وأمك وأخاك قدموا عليَّ وهم مشتاقون اليك، وان لك في الجنان لدرجات لن تنالها الا بالشهادة.

فجعل الحسين عليه السلام في منامه ينظر إلى جدّه ويقول: جدّاه لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا فخُذني إليك وادخلني معك في قبرك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لا بد لك من الرجوع إلى الدنيا حتى ترزق الشهادة، وما قد كتبَ الله لك فيها من الثواب العظيم، فإنك وأباك وأخاك وعمك وعم أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة، حتى تدخلوا الجنة.

فانتبه الحسين عليه السلام من نومه فزعاً مرعوباً، فلما رجع إلى منزله وقصّ رؤياه على أهل بيته وبني عبد المطلب، فلم يكن في ذلك اليوم في مشرق الأرض ومغربها قوم أشد غماً من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ولا أكثر باك ولا باكية منهم.

الإمام الحسين عليه السلام يخرج من المدينة

وتهيأ الحسين عليه السلام للخروج من المدينة، ومضى في جوف الليل إلى قبر أمّه فودّعها، ثم مضى إلى قبر أخيه الحسن عليه السلام ففعل مثل ذلك، ثم رجع إلى منزله وقت الصبح، وأقبل إليه أخوه محمد بن الحنفية فقال: يا أخي؟ أنت أحب الخلق إليّ وأعزّهم عليّ ولستُ والله أدخر النصيحة لأحد من الخلق، وليس أحد أحقّ بها منك لأنك مزاج مائي ونفسي وروحي وبصري، وكبير أهل بيتي، ومن وجبت طاعته في عنقي، لأن الله قد شرفك عليَّ، وجعلك من سادات أهل الجنة.

تنح عن يزيد وعن الأمصار ما استطعت، ثم ابعث رسلك إلى الناس وادعُهم إلى نفسك، فإن بايعك الناس وبايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن اجتمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك، ولا تذهب به مروّتك ولا فضلك، إني أخاف أن تدخل مصراً من هذه الأمصار، فتختلف الناس بينهم، فطائفة معك وأخرى عليك فيقتتلوا، فتكون لأول الأسنة غرضاً، فإذا خير هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأماً أضيعها دماً وأذلها أهلا.

فقال الحسين عليه السلام: فأين أنزل يا أخي قال: أنزل مكة فإن اطمأنت بك الدار بها فذاك، وإن تكن الأخرى خرجت إلى اليمن، فإنهم أنصار جدك وأبيك عليهما السلام، وهم أرأف الناس وأرقهم قلوباً، وأوسع الناس بلاداً، فإن اطمأنت بك الدار وإلا لحقت بالرمال وشعوب الجبال، وجزت من بلد إلى بلد، حتى تنظر ما يؤل إليه أمر الناس، ويحكم الله بيننا وبين القوم الفاسقين.

فقال الحسين عليه السلام: يا أخي والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ، ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية، فقطع محمد بن الحنفية الكلام، وبكيا جميعاً ساعة، ثم قال: يا أخي جزاك الله خيراً، فقد نصحت وأشرت بالصواب، وأنا عازم على الخروج إلى مكة، وقد تهيأت لذلك أنا وأخوتي وبنو أخي وشيعتي، وأمرهم أمري ورأيهم رأيي، وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة، فتكون لي عيناً لا تخفي عني شيئاً من أمورهم.

وصية الإمام الحسين عليه السلام إلى محمد بن الحنفية

ثم دعى الحسين عليه السلام بدواة وبياض، وكتب هذه الوصية لأخيه محمد:

«بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به حسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه

محمد المعروف بابن الحنفية: أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبى علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليَّ أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين، وهذه وصيتي يا أخي إليك وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب».

ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى أخيه محمد، ثم ودعه وخرج في جوف الليل.

قال محمد بن علي عليه السلام: وأقبلت نساء بني عبد المطلب فاجتمعن للنياحة لما بلغهن أن الحسين عليه السلام يريد الشخوص من المدينة، حتى مشى فيهن الحسين عليه السلام فقال: أنشدكن الله، أن لا تبدينَ هذا الأمر معصية لله ولرسوله، قالت له نساء بني عبد المطلب: فلمن نستبقي النياحةَ والبُكاء، فهو عندنا كيوم مات فيه رسول الله وعلي وفاطمةُ والحسن عليهم السلام ورقيةَ وزينب وأم كلثوم، فننشدكَ جعلنا الله فداك من الموت يا حبيب الأبرار من أهل القبور.

وأقبلت بعض عمّاته تبكي وتقول: أشهد يا حسين سمعتُ الجن ناحت بنوحك وهم يقولون:

وإنَّ قتيل الطف من آل هاشم أذلّ رقاباً من قريش فَذلّت

قال المجلسي عليه الرحمة: وأتته أم سلمة فقالت: يا بني لا تحزني بخروجك إلى العراق، فإني سمعت جدك يقول: يقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها: كربلا.

فقال لها: يا أماه وأنا والله أعلم ذلك، وأني مقتول لا محالة، وليس لي من هذا بدُ، وإني والله لأعرف اليوم الذي فيه أقتل، وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعةَ التي أدفنُ فيها، وأني أعرف من يقتلُ من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي، وإن أردت يا أماه أريك حفرتي ومضجعي.

ثم أشار عليه السلام إلى جهة كربلا، فانخفضت الأرض حتى أراها مضجعه ومدفنه وموضع عسكره، وموقفه ومشهده، فعند ذلك بكت أم سلمة بكاء شديداً، وسلمت أمرها إلى الله تعالى.

فقال لها: يا أماه قد شاء الله أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن

يرى حرمي ورهطي ونسائي مشرّدين، وأطفالي مذبوحين مأسورين، مظلومين مقيدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا معيناً.

قال المفيد رحمه الله: وخرج عليه السلام من تحت ليلته متوجهاً إلى مكة ليومين بقيا من رجب، ومعه بنوه وبنو أخيه وأخوته، وجل أهل بيته وهو يقرء: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢١]، ولزم الطريق الأعظم فقال له أهل بيته: لو تنكبت الطريق، كيلا يلحقك الطلب فقال: «لا والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاضٍ».

قال شيخنا المفيد، بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: لما سار أبو عبدالله من المدينة لقيه أفواج من الملائكة المسوّمين في أيديهم الحراب على نجب من نجب الجنة، فسلموا عليه، وقالوا: يا حجة الله على خلقه بعد جده وأبيه وأخيه، إن الله سبحانه أمدّ جدك بنا في مواطن كثيرة، وأن الله أمدك بنا.

فقالَ لهم: الموعد حفرتي وبقعتي التي فيها استشهد وهي كربلاء، فإذا وردتها فأتوني، فقالوا: يا حجة الله! مرنا نسمع ونطع، فهل تخشى من عدو يلقاك فنكون معك؟

فقال: لا سبيل لهم عليَّ ولا يلقوني بكريهة، أو أصل إلى بقعتي.

وأتته أفواج مسلمي الجن، فقالوا: يا سيدنا نحن شيعتك وأنصارك، فمُرنا بأمرك، وما تشاء، فلو أمرتنا بقتل كل عدو لك وأنت بمكانك لكفيناك ذلك، فجزاهم الحسين خيراً وقال لهم: أو ما قرأتم كتاب الله المنزل على جدي: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨] وقال سبحانه: ﴿لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤] وإذا أقمتُ مكاني فبماذا يبتلى هذا الخلق المتعوس؟ وبماذا يختبرون؟ ومن ذا يكون ساكن حفرتي بكربلاء؟ وقد أختارها الله يوم دحى الأرض، وجعلها معقلاً لشيعتنا، وتكون لهم أماناً في الدنيا والآخرة ولكن تحضرون يوم السبت، وهو يوم عاشوراء الذي في آخره أقتل، ولا يبقى بعدي مطلوب من أهلي ونسبي وأخوتي وأهل بيتي، ويسار برأسي إلى يزيد لعنه الله.

فقالت الجن: نحن والله يا حبيب الله وابن حبيبه، لولا أن أمرك طاعة وأنه لا يجوز لنا مخالفتك، قتلنا جميع أعدائك قبل أن يصلوا إليك، فقال عليه السلام: نحن والله أقدر عليهم منكم، ولكن ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

ودخل مكة لثلاث مضين من شعبان وهو يقرأ: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢]، وجعل أهلها ومن بها من المعتمرين يترددون إليه.

فيا كربلا ظلت السماء وربما تناول عفواً حظ ذي السعي قاعد
لأنت وإن كنت الوضيعة نلت من جوارهمُ ما لم تَنله الفراقدُ
سررتُ بهمُ مذ آنسوك وساءني محاريب منهم أوحشت ومساجدُ
بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائبُ قوم عندَ قوم فوائِدُ
ليهنك أن أمسى ثراك لطيبه تعطر منه في الجنان الخرائد

رسائل أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام

وبلغ أهل الكوفة هلاك معاوية، فأرجفوا بيزيد وعرفوا خبر الحسين عليه السلام وامتناعه من بيعته: وخروجه إلى مكة، فاجتمعت الشيعة بالكوفة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي، فذكروا هلاك معاوية فحمدوا الله وأثنوا عليه، فقال سليمان: إن معاوية قد هلك، وأن حسيناً قد نقض على القوم بيعته، وقد خرج إلى مكة؛ وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدوا عدوه، فاكتبوا إليه، وإن خفتم الفشل والوهن فلا تغروا الرجل في نفسه، قالوا: لا، بل نقاتل عدوه، ونقتل أنفسنا دونه، فاكتبوا إليه.

فكتبوا إليه: «بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن علي عليه السلام من سليمان بن صرد، والمسيب بن نجبة، ورفاعة بن شداد البجلي، وحبيب بن مظاهر، وشيعته المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة، سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد: فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد، الذي انتزى على هذه الأمة، فابتزها أمرها، وغصبها فيئها، وتأمر عليها بغير رضى منها، ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين أغنيائها وجبابرتها، فبعداً له كما بعدت ثمود.

ثم إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعلَّ الله أن يجمعنا بك على الحق، والنعمان بن بشير في قصر الأمارة، لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إنشاء الله تعالى.

ثم سرحوا بالكتاب مع عبدالله ابن مسمع الهمداني وعبدالله بن وأل، وأمروهما بالنجا، فخرجا مسرعين وقدما على الحسين عليه السلام بمكة، لعشر مضين من شهر رمضان.

ثم لبثوا يومين بعد تسريحهم الكتاب، وأنفذوا قيس بن مُسْهِرٍ الصيداوي، وعبدالله بن شدّاد، وعمارة بن عبدالله السّلولي، ومعهم نحو من مائة وخمسين صحيفة من الرجل والاثنين والأربعة.

قال السيد (رحمه الله): وهو مع ذلك يتأبى ولا يجيبهم، حتى ورد عليه في يوم واحد ستمائة كتاب، وتواترت الكتب حتى اجتمع عنده في نوب متفرقة اثنى عشر ألف كتاب.

قال المفيد (رحمه الله): ثم لبثوا يومين آخرين وسرحوا إليه هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبدالله الحنفي، وكتبوا إليه:

«إلى الحسين بن علي عليه السلام، من شيعته المؤمنين والمسلمين، أما بعد: فحيّ هلا فإن الناس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل، ثم العجل العجل، والسلام».

ثم كتب شبث بن ربعي وحجار بن أبجر، ويزيد بن الحارث، وعروة بن قيس، وعمرو بن الحجاج، ومحمد بن عمرو التميمي.

أما بعد: «فقد أخضر الجناب وأينعت الثمار، فإذا شئت فأقبل على جند لك مجنّدة، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى أبيك من قبلك».

وتلاقت الرسل كلها عنده فقرأ الكتب وسأل الرسل عن الناس، ثم كتب مع هاني بن هاني، وسعيد بن عبدالله وكانا آخر الرسل:

«بسم الله الرحمنِ الرحيمِ من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين.

أما بعد: «فإنّ هانياً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلكم: أنه ليس علينا إمام فأقبل، لعل الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى، وأنا باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، فإن كتب إلي أنه قد اجتمع رأي ملائكم، وذوي الحجى منكم، على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم، فإني أقدم إليكم وشيكاً إنشاء الله، فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذلك والسلام».

قد بايعوا السبط طوعاً منهم ورضى ... وسيروا صحفاً بالنصر تبتدرُ
أقبل فإنا جميعاً شيعة تبع ... وكلنا ناصر والكل منتصر
أقبل وعجل قد اخضر الجناب وقد ... زهت بنضرتها الأزهار والثمر
أنت الإمام الذي نرجو بطاعته ... فوز الجنانِ إذا النيران تستعر
وأثموه إذا لم يأتهم فأتى ... قوماً لبيعتهم بالنكث قد خفروا
فعاد نصرهم خذلا وخذلهم ... قتلا له بسيوف للعدى ادخروا

المجلس الثاني (من مقتل الحسين عليه السلام)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رسول الله صلى الله عليه وآله يخبر عما يقع مع الإمام الحسين عليه السلام

روى الصدوق في أماليه، عن أبي الجارود، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان النبي صلى الله عليه وآله في بيت أم سلمة فقال لها: لا يدخل عليَّ أحد، فجاء الحسين عليه السلام وهو طفل، فما مكثت معه شيئاً حتى دخل على النبي صلى الله عليه وآله، فدخلت أم سلمة على أثره فإذا الحسين على صدره وإذا النبي يبكي وبيده شيء يقلبه.

فقال النبي: يا أم سلمة هذا جبرئيل يخبرني أن ابني هذا مقتول، وهذه التربة التي يقتل عليها فضعيها عندك، فإذا صارت دماً عبيطاً فقد قتل حبيبي، فقالت أم سلمة: يا رسول الله سل الله أن يدفع ذلك عنه، قال: قد فعلت، فأوحى الله عزّ وجل إليّ أن له درجة لا ينالها أحد من المخلوقين، وأن له شيعة يشفعون فيشفعون، وأن المهديَّ من ولده، فطوبى لمن كان من أولياء الحسين، وشيعته هم والله الفائزون يوم القيامة.

ولما أراد عليه السلام الخروج أتته أم سلمة فقالت: يا بنيَّ لا تحزنّي بخروجك إلى العراق، فإني سمعت جدك يقول: يقتل ولدي الحسين بأرض يقال لها: كربلاء.

فقال: وأنا والله أعلم ذلك يا أماه، وإني مقتول لا محالة، وليس لي من هذا بدّاً، وإني والله لأعرف اليوم الذي أقتل فيه، وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي أدفن فيها، ومن يقتل من أهل بيتي وشيعتي.

ثم أشار عليه السلام إلى جهة كربلاء فأراها مضجعه ومدفنه وموضع عسكره، فعندها بكت أم سلمة بكاء شديداً، وسلمت لله أمرها، ثم قال لها: يا أماه قد شاء الله أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرى حرمي ونسائي مشردين مأسورين مقيدين وأطفالي مذبوحين مظلومين.

وفي المنتخب، عن ابن عباس قال: عطش المسلمون في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله في بعض السنين عطشاً شديداً، فجاءت فاطمة عليها السلام بولديها الحسنين عليهما السلام إلى رسول الله وقالت: يا أبتي أن أبنيّ الحسن والحسين صغيران لا يتحملان العطش، فدعا

النبي صلى الله عليه وآله الحسن، فأعطاه لسانه فمصه حتى روي، ثم دعا الحسين عليه السلام فأعطاه لسانه فمصه حتى روي، فلما رويا أجلسهما على ركبتيه، وجعل يقبل هذا مرة وهذا أخرى، ثم يلثم هذا لثمة وهذا أخرى، ثم يضع لسانه الشريف في أفواههما، وهو معهما في نعمة وغبطة.

إذ هبط الأمين جبرئيل بالتحية من الرب الجليل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد ربك يقرؤك السلام ويقول: إن هذا ولدك الحسن يموت مظلوماً مسموماً، وهذا ولدك الحسين يموت عطشاناً مذبوحاً فقال: يا أخي جبرئيل ومن يفعل ذلك؟ قال قوم من بني أمية يزعمون أنهم من أمتك، يقتلون أبناءَ صفوتك ويشردون ذريتك فقال يا جبرئيل: هل تفلح أمة تفعل هذا بذريتي قال: لا والله، بل يبليهم الله تعالى في الدنيا بمن يقتل أبنائهم ويسفك دمائهم ويستحي نسائهم ولهم في الآخرة عذاب أليم، طعامهم الزقوم وشرابهم الصديد، ولهم في درك الجحيم عذاب نكيد، ويقال لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد، قال: فجعل النبي صلى الله عليه وآله تارة ينظر إلى الحسن، وتارة ينظر إلى الحسين عليه السلام وعيناه تهملان دموعاً وهو يقول: لعن الله قاتلكما ولعن الله من غصبكما حقكما، ولعن الله المتوازرين عليكما من الأولين والآخرين:

فكأنني يوم الحساب بأحمد ... بالرسل يقدم حاسراً عن معصم
فيقول ويلكم هتكتم حرمتي ... وتركتم الأسياف تقطر من دمي
تدرون أي دم أرقتم في الوغى ... أم أي أسرى سقتموا في المغنم
أمن العدالة صونكم فتياتكم ... وعقائلي تسبون سبي الديلم
تالله لو ظفرت عتاة الشرك في ... حرمي لما ارتكبوا لذاك المعظم
هذا جزائي منكم فلطالما ... ضيعتموا عهدي ببنتي وابنمي

الإمام الحسين عليه السلام يرسل مسلم بن عقيل إلى الكوفة

قال الفاضل المجلسي أعلى الله مقامه: لما بلغت رسل أهل الغدر الغاية، وتجاوزت صحف ذوي المكر النهاية، دعى الحسين عليه السلام ابن عمّه مسلم بن عقيل أعلى الله درجته، وكان متبرزاً من بين أقرانه بالشجاعة والسخاوة، ومميزاً بمزيد العلم ووفور العقل وحسن التدبير، وأرسله إلى الكوفة، ليأخذ له البيعة عليهم.

فروى المفيد: أنه سرحه مع قيس بن مسهر الصيداوي وعمارة بن عبدالله السلولي وعبد الرحمن بن عبدالله الأزدي، وأمره بالتقوى وكتمان أمره واللطف فإن رأى الناس مجتمعين مستوثقين عجل إليه بذلك.

فأقبل مسلم حتى أتى المدينة فصلى في مسجد رسول الله ﷺ وودع من أحب من أهله، واستأجر دليلين من قيس أقبلا به ينكبان الطريق، فضلّ، وأصابهما عطش شديد فعجزا عن السير، فأومآ له إلى سنن الطريق بعد أن لاح لهما ذلك، فسلك مسلم ذلك السنن، ومات الدليلان عطشاً.

فكتب مسلم من الموضع المعروف بالمضيق مع قيس بن مسهر الصيداوي.

أما بعد: «فإني أقبلت من المدينة مع دليلين فحادا عن الطريق وضلّا، واشتد علينا العطش فلم يلبثا أن ماتا، وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا، وذلك المكان يدعى بالمضيق من بطن الخبت، وقد تطيرت من توجهي هذا، فإن رأيت بعثت غيري والسلام».

فكتب إليه الحسين: أما بعد: «فقد خشيت أن لا يكون حملك على الكتاب إليّ في الاستعفاء من الوجه الذي وجهتك له إلا الجبن، فامض لوجهك الذي وجهتك فيه والسلام».

فلما قرأ مسلم الكتاب قال: أما هذا فلست أتخوفه على نفسي، فأقبل مسلم حتى دخل الكوفة فنزل في دار المختار، وأقبلت الشيعة تختلف إليه، وكلما اجتمع إليه جماعة، قرأ عليهم كتاب الحسين وهم يبكون، فبايعه الناس حتى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً، فكتب مسلم إلى الحسين عليه السلام يخبره ببيعة ثمانية عشر ألفاً ويأمره بالقدوم، وكثر اختلاف الشيعة حتى ظهر أمر مسلم.

فبلغ النعمان بن بشير ذلك وكان والياً على الكوفة، فصعد المنبر وقال:

أما بعد: «فاتقوا الله عباد الله، ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فإن فيها تهلك الرجال، وتسفك الدماء، وتغصب الأموال إني لا أقاتل من لا يقاتلني، ولا آتي على من لم يأتِ عليَّ، ولا أنبه نائمكم ولا أتحرش بكم، ولا آخذ بالظنة، ولا التهمة، ولكنكم إن أبديتم صفحتكم، ونكثتم بيعتكم، وخالفتم إمامكم، فوالله الذي لا إله إلا هو، لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن لي ناصر، أما إني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرديه الباطل».

فقام إليه عبدالله الحضرمي، حليف بني أمية، فقال له: إنه لا يصلح ما ترى إلا الغشم، وهذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأي المستضعفين، فقال النعمان: أكون من المستضعفين في طاعة الله، أحب إلي من أن أكون من الأعزين في معصية الله، ثم نزل.

وخرج عبدالله وكتب إلى يزيد:

أما بعد: «فإن مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة، وبايعه الشيعة، فإن يكن لك في الكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوك، فإن النعمان رجل ضعيف أو هو يتضعف».

وكتب إليه عمر بن سعد مثل ذلك.

فلما وصلت الكتب استشار سرجوناً في ذلك فقال له سرجون: لو نشر معاوية حياً لما عدى عبيدالله بن زياد، وهذا كتابه له على الكوفة، فضم الكوفة إلى البصرة فقال يزيد: أفعل، ابعث بعهد عبيدالله إليه.

فدعا يزيد مسلم بن عمرو الباهلي وكتب إلى عبيدالله:

أما بعد: «فإنه كتب إليَّ شيعتي من أهل الكوفة يخبروني، أن ابن عقيل يجمع الجموع ليشق عصا المسلمين، فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي الكوفة، فتطلب ابن عقيل طلب الخرزة حتى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه والسلام».

وسلم إليه عهده على الكوفة، فلما قدم على عبيدالله البصرة وأوصله الكتاب والعهد، تجهز وتهيأ من وقته للمسير في الكوفة، وخرج في غد، واستخلف أخاه عثمان.

وأقبل ابن زياد إلى الكوفة، ومعه مسلم بن عمرو الباهلي، وشريك بن الأعور الحارثي وحشمه وأهل بيته، حتى دخل الكوفة مما يلي النجف، وعليه عمامة سوداء وهو متلثم، فقالت امرأة: الله أكبر ابن رسول الله ورب الكعبة، فتصايح الناس وقالوا: إنا معك أكثر من أربعين ألفاً، وازدحموا حتى أخذوا بذنب دابته، وكان الناس قد بلغهم إقبال الحسين عليه السلام إليهم، وهم ينتظرونه فظنوا أنه الحسين، فأخذ لا يمر على جماعة من الناس إلا وسلموا عليه؛ وقالوا: مرحباً بك يابن رسول الله، قدمت خير مقدم، فرأى من تباشيرهم بالحسين عليه السلام ما ساءه فقال: مسلم الباهلي لما أكثروا: تأخروا، هذا الأمير عبيدالله ابن زياد، وسار حتى وافى القصر ليلاً، ومعه جماعة قد التفوا به، لا يشكون أنه الحسين عليه السلام، فأغلق النعمان بن بشير القصر عليه وعلى خاصته، فناداه بعض من كان ليفتح لهم الباب، فاطلع عليه النعمان وهو يظنه الحسين عليه السلام فقال: أنشدك الله إلاّ تنحيت. وما أنا بمسلم إليك أمانتي، ومالي في قتالك من إرب، فجعل لا يكلمه، ثم إنه دنا وتدلى النعمان من شرف القصر فجعل يكلمه، فقال: افتح لا فتحت فقد طال ليلك. فسمعها إنسان من خلفه، فنكص إلى القوم فقال: يا قوم! ابن مرجانة والذي لا إله غيره، ففتح النعمان فدخل وضربوا الباب في وجوه الناس وانفضوا.

فلما أصبح نادى في الناس. الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فخرج إليهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد: «فإن أمير المؤمنين ولاّني مصركم وثغركم وفيئكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم، وإعطاء محرومكم، والإحسان إلى سامعكم ومطيعكم كالوالد البر، وسوطي وسيفي على من ترك أمري وخالف عهدي، فليتق امرء على نفسه، الصدق ينبي عليك لا الوعد».

ثم نزل وأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً.

ولما سمع مسلم بمجيء عبيدالله إلى الكوفة ومقالته، خرج من دار المختار، ودخل دار هاني بن عروة، وأخذت الشيعة تختلف إليه على تستر واستخفاء من عبيدالله، وتواصوا بالكتمان.

قال ابن نما: حتى بايعه خمسة وعشرون ألفاً، وكان شريك بن الأعور قد نزل دار هاني أيام وروده من البصرة فقال لمسلم: إني مريض، وإن عبيدالله ابن زياد يعودني وأنا مطاوله الحديث، فأخرج إليه بسيفك فاقتله، وعلامتك أن أقول: «أسقوني ماء»، ونهاه هاني عن ذلك، فلما دخل ابن زياد على شريك، وسأله عن وجعه وطال سؤاله، ورأى أن أحداً لا يخرج فخشي أن يفوته فأخذ يقول:

ما الانتظار بسلمي أن يحيّها كأس المنية بالتعجيل أسقوها

فتوهم ابن زياد فخرج.

قال أبو الفرج: فلما خرج مسلم قال له شريك: ما منعك من قتله؟ قال: خصلتان: كراهية هاني أن يقتل في داره، وحديث سمعته عن رسول الله: «أن الإيمان قيد الفتك، فلا يفتك مؤمن».

فقال له هاني: لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً.

وقيل: تعلقت به امرأة هاني وقالت: نشدتك الله أن قتلت ابن زياد في دارنا، وبكت في وجهه، فقال هاني: يا ويلها قتلتني وقتلت نفسها والذي فرت منه وقعت فيه.

ابن زياد يتجسس على مسلم

قال المفيد: ولما طال ليل ابن زياد من مسلم، دعى معقلاً مولاه فقال: خذ ثلاثة آلاف درهم، واطلب مسلم بن عقيل والتمس أصحابه، فإذا ظفرت بهم فاعطهم هذه الدراهم، وقل لهم: استعينوا بها على حرب عدوكم، واعلمهم أنك منهم، فإن فعلت ذلك اطمأنوا بك ووثقوا، فاغدُ عليهم ورح حتى تعلم مستقر مسلم بن عقيل.

فجاء معقل حتى جلس إلى مسلم بن عوسجة في المسجد الأعظم فقال: يا عبدالله إني امرؤ من أهل الشام، أنعم الله عليّ بحب أهل البيت وتباكى له، ومعي هذه الدراهم، وأردت لقاء رجل منهم بلغني أنه قدم الكوفة يبايع للحسين، فكنت أريد لقائه فلم أجد أحداً يدلني عليه، ولا أعرف مكانه، وأني لجالس في المسجد إذ سمعت نفراً من المؤمنين يقولون: هذا رجل له علم بأهل هذا البيت، فأتيتك لتقبض مني هذا المال وتدخلني على صاحبك، فإني أخ من إخوانك، وثقة عليك، وإن شئت أخذت البيعة له مني قبل لقائه.

فقال له ابن عوسجة: أحمد الله على لقائك، فقد سرني ذلك، لتنال الذي تحب، ولينصر الله بك أهل بيت نبيه، ولقد ساءني معرفة الناس إياي بهذا الأمر قبل أن يتم، مخافة هذا الطاغية وسطوته، فقال له معقل: لا يكون إلا خيراً خذ البيعة عليّ! فأخذ بيعته وأخذ عليه المواثيق المغلظة ليناصحن ويكتمن، فأعطاه ذلك، ثم قال: اختلف إلي أياماً في منزلي فإني طالب لك الإذن، فاختلف إليه أياماً، فادخله على مسلم، وأخذ عليه البيعة، وأمر أبا ثمامة الصائدي بقبض المال منه، وكان هو الذي يقبض المال، وما يعين به بعضهم بعضاً، ويشتري لهم السلاح، وكان من وجوه الشيعة وفرسانها.

فجعل معقل يختلف إليهم فهو أول داخل وآخر خارج، حتى فهم ما احتاج إليه ابن زياد، وكان يخبره وقتاً فوقتاً.

حبس ابن زياد لهاني بن عروة

وخاف هاني ابن زياد على نفسه، فانقطع عن حضور مجلس ابن زياد وتمارض، فقال ابن زياد: مالي لا أرى هانياً؟ فقالوا: هو شاك، فقال: لو علمت بمرضه لعدته، فدعا محمد بن الأشعث، وأسماء بن خارجة، وعمرو بن الحجاج الزبيدي، فقال لهم: ما يمنع هانياً من إتياننا؟ فقالوا: ما ندري وقد قيل إنه يشتكي؛ قال: قد بلغني أنه بريء وهو يجلس على باب داره، فالقوه ومروه أن لا يدع ما عليه من حقنا، فإني لا أحب أن يفسد عندي مثله من أشراف العرب.

فأتوه حتى وقفوا عليه عشية وهو جالس على بابه، وقالوا له: ما يمنعك من لقاء الأمير؟ فإنه قد ذكرك وقال: لو أعلم أنه شاك لعدته، فقال لهم: الشكوى تمنعني فقالوا: قد بلغه أنك تجلس كل عشية على باب دارك وقد استبطأك والإبطاء والجفاء لا يحتمله السلطان، أقسمنا عليك إلا ركبت معنا، فدعا بثيابه فلبسها ثم دعا ببغلته

فركبها، حتى إذا دنى من القصر أحست نفسه ببعض الذي كان، فقال لحسان: يابن الأخ إني والله لخائف من هذا الرجل، فما ترى؟ فقال: يا عم! والله ما أتخوف عليك شيئاً، ولم تجعل على نفسك سبيلاً؟ ولم يكن حسان علم في أي شيء بعث إليه ابن زياد.

فجاء هاني حتى دخل على بن زياد وعنده القوم، فلما طلع قال عبيدالله:

أتتك بخائن رجلاه تسعى يقود النفس معها للهوان

فلما دنا من ابن زياد وعنده شريح القاضي، التفت نحوه وقال:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مرادِ

فقال هاني: وما ذاك أيها الأمير؟ قال: إيه يا هاني، ما هذه الأمور التي تربص في دارك لأمير المؤمنين وعامة المسلمين؟ جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك، وظننت أن ذلك يخفى علي؟ قال: ما فعلت ذلك، وما هو عندي، قال: بلى قد فعلت، فلما كثر بينهما الكلام، وأبى هاني إلاّ مجاحدته ومناكرته، دعا ابن زياد معقلا، فجاء حتى وقف بين يديه وقال: أتعرف هذا؟ قال: نعم، وعلم هاني أنه كان عيناً عليهم، وأتاه بأخبارهم، فأسقط في يده ساعة.

ثم راجعته نفسه، فقال: اسمع مني وصدق مقالتي، فوالله ما دعوته إلى منزلي، ولا علمت بشيء من أمره، حتى جاءني يسألني النزول فاستحييت من رده، وداخلني من ذلك ذمام فضيفته وآويته، وقد كان من أمره ما بلغك، فإن شئت أن أعطيك موثقاً مغلظاً أن لا أبغيك سوءاً ولا غائلة، ولأتيتك حتى أضع يدي في يدك، وإن شئت أعطيتك رهينة، فأنطلق إليه وآمره أن يخرج من داري حيث شاء، فاخرج من ذمامه وجواره حتى آتيك.

فقال ابن زياد لعنه الله: والله لا تفارقني أبداً حتى تأتيني به قال: لا والله لا أجيئك به أبداً أجيئك بضيفي تقتله؟ قال: لا والله لتأتيني به قال: والله لا آتيك به.

فلما كثر بينهما الكلام قام مسلم بن عمرو الباهلي فقال: أصلح الله الأمير خلني وإياه حتى أكلمه، فقام فخلا به ناحية، وهما منه بحيث يراهما، وإذ رفعا أصواتهما سمع ما يقولان.

فقال له مسلم: يا هاني أنشدك الله أن لا تقتل نفسك، وأن لا تدخل البلاء في عشيرتك، فوالله إني لأنفس بك عن القتل، إن هذا ابن عم القوم، وليسوا قاتليه ولا ضائريه، فادفعه إليهم فإنه ليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة، إنما تدفعه إلى السلطان.

فقال هاني: والله إن عليَّ في ذلك الخزي والعار، أن أدفع جاري وضيفي وأنا حي صحيح أسمع وأرى، شديد الساعدين؟ والله لو لم يكن لي أحد وناصر ولا معين لم أدفعه حتى أموت دونه، فأخذ يناشده وهو يقول: والله لا أدفعه إليه أبداً.

فسمع ابن زياد ذلك فقال: أدنوه مني، فأدنوه منه، فقال: والله لتأتيني به أو لأضربن عنقك، فقال هاني: إذاً والله تكثر البارقة حول دارك، فقال ابن زياد لعنه الله: والهفاه عليك! أبالبارقة تخوفني؟ وهاني يظن أن عشيرته يسمعونه؛ فقال ابن زياد: أدنوه مني، فأدني منه، فاستعرض وجهه بالقضيب فلم يزل يضرب به أنفه وجبينه وخده حتى كسر أنفه، وسال الدماء على وجهه ولحيته، ونثر لحم جبينه وخده على لحيته، حتى كسر القضيب. وضرب هاني يده على قائم سيف شرطي، فجاذبه الرجل ومنعه.

فقال ابن زياد: أحروريَّ سائر اليوم؟ قد حلّ دمك، جرُّوه، فجرَّوه وألقوه في بيت من بيوت الدار، وأغلقوا عليه بابه، فقال: اجعلوا عليه حرساً، ففعل ذلك به، فقام إليه حسان بن أسماء وقال: أرُسُلُ غدر سائر اليوم؟ أمرتنا أن نجيئك بالرجل فجئناك به فهشمت وجهه، وأسيلت دماءه على لحيته، وزعمت أنك تقتله.

فقال ابن زياد: وإنك لههنا، فأمر به فلهز وتعتع وأجلس ناحية فقال محمد بن الأشعث: قد رضينا بما رأى الأمير، لنا كان أم علينا، إنما الأمير مؤدب.

وبلغ عمرو بن الحجاج أن هانياً قتل، فأقبل في مذحج حتى أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم، وقال: أنا عمرو بن الحجاج، وهذه فرسان مذحج ووجوهها، لم نخلع طاعة، ولم نفارق جماعة، بلغهم أن صاحبهم قتل فأعظموا ذلك.

فقيل لعبيدالله: هذه مذحج بالباب؟ فقال لشريح: أدخل على صاحبهم فانظر إليه، ثم أخرج فأعلمهم أنه حي لم يقتل. فدخل شريح فنظر إليه، فقال: يالله! يا للمسلمين! أهلكت عشيرتي؟ أين أهل الدين؟ أين أهل المصر؟ والدماء تسيل على لحيته، إذ سمع الضجة فقال: إني لأظنها أصوات مذحج وشيعتي، إنه إن دخل عليَّ عشرة أنقذوني.

فلما سمع كلامه شريح خرج إليهم فقال: إن الأمير أمرني بالدخول على صاحبكم، فأتيته ونظرت إليه، فأمرني أن ألقاكم وأعرّفكم أنه حي، وأن الذي بلغكم من قتله باطل، فقال له عمرو بن الحجاج وأصحابه: أما إذا لم يقتل فالحمد لله، ثم انصرفوا.

وخرج عبيدالله وصعد المنبر، ومعه أشراف الناس وشرطه وحشمه، فقال:

أما بعد: «أيها الناس فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم، ولا تفرقوا فتهلكوا وتذلوا وتقتلوا وتجفوا وتحرموا، أن أخاك من صدقك، وقد أعذر من أنذر».

ثم ذهب لينزل فما نزل عن المنبر حتى دخلت النظارة المسجد، وهم يقولون: قد جاء ابن عقيل. فقام عبيدالله ودخل القصر مسرعاً وأغلق أبوابه.

سعدَ الفائزون بالنصر يوماً ... عز فيهِ النصير لابن البتولِ
صبروا للنزال ضحوة يوم ... ثم باتوا بمنزل مأهول
وأصيبوا بقرب ورد ظماء ... فأصابوا الورود من سلسبيل
فهنيئاً لهمُ بحظٍ عظيم ... جنةُ الخلد تحت ظلٍ ظليل

المجلس الثالث (من مقتل الحسين عليه السلام)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

في إخبار النبي صلى الله عليه وآله بقتل الحسين عليه السلام

قال الفاضل المجلسي: وروي عن عبدالله بن يحيى قال: دخلنا مع عليٍّ عليه السلام إلى صفين، فلما حاذى نينوى نادى: صبراً أبا عبدالله، ثم قال: دخلت على رسول الله وعيناه تفيضان دموعاً، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسولَ الله ما لعينيك تفيضان؟ أأغضبك أحد؟ قال: لا، بل كان عندي جبرئيل، فأخبرني أن الحسين يقتل بشاطىء الفرات، وهذه قبضة من تربته أشمنيها، فلم أملك عيني أن فاضتا، واسم الأرض كربلاء بشط الفرات التي يقتل فيها، وكأني أنظر إليه، وإلى مصرعه ومدفنه، وكأني أنظر إلى السبايا على أقتاب المطايا ويهدى رأسه إلى يزيد.

ثم صعد المنبر مغموماً مهموماً كئيباً باكياً، وأصعد معه الحسن والحسين، ووضع يده اليمنى على رأس الحسن، واليسرى على رأس الحسين، وقال: اللهم إن محمداً عبدك ورسولك، وهذان أطائب عترتي، وخيار أرومتي، وأفضل ذريتي ومن أخلفهما في أمتي، وقد أخبرني جبرئيل أن ولدي هذا مخذول مقتول بالسم، والآخر شهيد مضرج بالدَّم، أللهم فبارك له في قتله، واجعله من سادات الشهداء، اللهم ولا تبارك في قاتله وخاذله، وأصله حرّ نارك واحشره في أسفل درك الجحيم.

قال: فضج الناس بالبكاء والعويل، فقال لهم النبي: أيها الناس أتبكونه ولا تنصرونه؛ اللهم فكن أنت له ولياً وناصراً. ثم قال: يا قوم إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي وأرومتي ومزاج مائي، وثمرة فؤادي، ومهجتي، لن يفترقا حتى يردا عليَّ

الحوض، ألا وإني لا أسألكم في ذلك إلا ما أمرني ربي أن أسألكم عن المودة في القربى، واحذروا أن تلقوني على الحوض غداً، وقد آذيتم عترتي، وقتلتم أهل بيتي وظلمتموهم.

ألا أنكم سترِدون يوم القيامة في رايات ثلاث:

الأولى: راية سوداء مظلمة تفزع منها الملائكة.

والأخرى: مثلها فأقول لهم: من أنتم؟ فينسون ذكري، ويقولون: نحن أهل التوحيد من العرب، فأقول: أنا أحمد نبي العرب والعجم، فيقولون: نحن أمتك، فأقول: كيف خلفتموني في أهل بيتي وعترتي وكتاب ربي؟ فيقولون: أما الكتاب فضيعناه. وأما عترتك فحرصنا أن نبيدهم عن جديد الأرض، ومزقناهم كل ممزق، فأعرض عنهم بوجهي، فيصدرون عطاشاً مسودّة وُجوههم.

والرّايةُ الثالثةُ: تَلمعُ وجوه أهلها نُوراً فأقول: من أنتم؟ فيَقولون: نحنُ أهلُ كلمةِ التوحيدِ والتقوى من أمةِ محمد المصطفى، ونحنُ بقيّةُ أهلِ الحقّ، حملنا كتاب رَبّنا، وأحببنا ذُريّةِ نبيّنا محمد ﷺ، ونصرنا بهِ أنفسنا وقاتلنا معهم وتحملنا فيهم فأقول: إبشروا أنا نبيكم محمد ولقد كنتم في الدنيا كما قلتم، ثمّ أسقيهم من حوضي، فيصدرونَ مروِيين مستبشرين، ثمَّ يدخلون الجنة خالدينَ فيها أبدَ الآبدينَ.

أبا حسن إن الذينَ نماهُم ... أبو طالب بالطفّ ثارِ لطالبِ
تَعاوت عليهم من بني صخر عصبة ... لثارات يوم الفتح حرى الجوانب
فهاهُم على الغبراء مالت رقابُهم ... ولما تمل من ذلة في الشواغب
أصيبوا ولكن مقبلينَ دماؤهم ... تسيل على الأقدام دونَ العراقبِ

روى الصدوق عليهِ الرحمة في الأمالي، عن ابن عباس قال: قالَ علي عليه السلام: لرسول الله ﷺ إنك لتحب عقيلاً، قال: أي والله إني لأحبه حبين. حباً له وحباً لأبي طالب، وإن ولده لمقتول في محبة ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين وتصلي عليه الملائكة المقرّبون، ثم بكى رسول الله حتى جرت دموعه على صدره ثم قال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي:

يا رسول الله لو عاينتهم ... وهم ما بين قتلٍ وأسى

ابن زياد يرد الناس عن مبايعة مسلم بن عقيل

قال المفيد عليه الرحمة، روى عبدالله بن حازم قال: أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر لانظر ما فعل هاني، فلما حبس وضرب، ركبتُ فرسي فكنت أول داخل الدار

على مسلم بالخبر، وإذا بنسوة لمراد مجتمعة ينادينَ: يا عبرتاه! يا ثكلاه! فأمرني أن أنادي في أصحابه وقد ملأ بهم الدور حوله، وكانوا أربعة آلاف رجل، فقال: «ناد يا منصور أمت»، فناديت، فتنادى أهل الكوفة واجتمعوا عليه، وتداعى الناس، فما لبثوا إلا قليلاً حتى امتلأ المسجد من الناسِ والسوق، وما زالوا يتواثبون حتى المساء، فضاق بابن زياد أمره، وكان أكثر عمله أن يمسك باب القصر وليس معه إلا ثلاثون رجلاً من الشرط وعشرون رجلاً من أشراف الناس وأهل بيته وخاصته، وجعلَ الناس يشرفون عليهم ويرمونهم بالحجارة ويفترونَ على ابن زياد وأمه.

فدعا ابن زياد كثير بن شهاب وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج، فيسير في الكوفة، ويخذل الناس ويخوّفهم من الحرب، ويحذرهم عقوبة السلطان، وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعهُ من كندة، فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس، وقال لشبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، وشمر بن ذي الجوشن مثل ذلك.

فخرجوا يردون الناس عن مسلم، ويخوّفونهم السلطان، حتى اجتمع إليهم عدد كثير من قومهم وغيرهم، فصاروا إلى ابن زياد.

فقال كثير بن شهاب: أصلح الله الأمير! معك في القصر ناس كثير من أشراف الناس وغيرهم، فبعث عبيدالله إلى الأشراف فجمعهم، ثم أشرفوا على الناس فمنّوا أهل الطاعة بالزيادة والكرامة، وخوفوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة وأهل الشام.

وتكلم كثير بن شهاب حتى كادت الشمس أن تغيب فقال: أيها الناس الحقوا بأهاليكم، ولا تعجلوا الشر، وهذه جنود الشام قد أقبلت، وقد أعطى الله الأمير العهد لئن أقمتم على حربه ولم تنصرفوا عشيتكم، أن يحرم ذرّيتكم العطاء، وأن يأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتى لا يبقى بقية من أهل المعصية، وبال ما جنت أيديها، وتكلم الأشراف بنحو ذلك.

فلما سمع الناس ذلك أخذوا يتفرقون، وكانت المرأة تأتي ابنها أو أخاها فتقول: انصرف! الناس يكفونك، فما زالوا يتفرقونَ حتى أمسى ابن عقيل، وصلى المغرب وما معه إلا ثلاثون نفراً في المسجد.

فلما رأى ذلك خرج متوجهاً إلى أبواب كندة، فلم يبلغ الأبوابَ إلا ومعهُ عشرة، فلما خرج من الباب وإذا ليس معه إنسان يدله على الطريق، ولا على منزله.

فمضى على وجهه متلدداً في أزقةِ الكوفة لا يدري إلى أين يذهب؟ حتى وقف على باب امرأة يقال لها: طوعة أمّ ولد كانت للأشعث بن قيس، فأعتقها، فسلم عليها ابن عقيل فردّت عليه السلام، فقال لها: يا أمة الله اسقيني ماء، فسقتهُ وجلس مسلم ودخلت،

ثم خرجت فقالت: يا عبدالله ألم تشرب؟ قال: بلى، قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكت، ثم أعادَت مثل ذلك، فسكت، ثم قالت في الثالثة: يا سبحانَ الله! يا عبدالله قم إلى أهلك عافاك الله، فإنه لا يصلح لك الجلوس على باب داري، ولا أحله لك.

فقام مسلم وقال: يا أمة الله مالي في هذا المصر أهل ولا عشيرة، فهل لك في أجر ومعروف، ولعلي مكافيك بعد اليوم قالت: يا عبدالله وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل كذبني هؤلاء القوم وغرّوني وأخرجوني، قالت: أنت مسلم؟ قال: نعم، قالت: أدخل.

فدخل إلى بيت في دارها غير البيت الذي تكون فيه، وفرشت له وعرضت عليه العشاء فلم يتعش.

ولم يكن بأسرعَ من أن جاء ابنها، فرآها تكثر الدّخول والخروج إلى ذلك البيت، فألح عليها فأعلمتهُ بعد أن أخذت عليه العهود بالكتمان.

فلما أصبح وشى بالخبر من طريقه، إلى ابن زياد فقال ابن زياد لابن الأشعث: قم فأتيني به الساعة، فقام وبعث معه قومه، وبعث معه عبيدالله بن العباس السلمي في سبعين رجلاً من قيس، حتى أتوا الدّار التي فيها مُسلم، فلما سمع وقع حوافر الخيل، علم أنه قد أتى، فخرج إليهم بسيفه، واقتحموا عليه الدار، فشدّ عليهم يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار، ثم عادوا إليه فشدّ عليهم يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار، ثم عادوا إليه فشد عليهم كذلك، فاختلف هو وبكر بن حمران الأحمري بضربتين، فضرب بكر فم مسلم، فقطع شفتهُ العليا وأسرع السيف في السفلى، وفصلت له ثنيتاه، وضرب مسلم رأسهُ ضربة منكرة، وثناهُ بأخرى على حبل العاتق، حتى كادت تطلع إلى جوفهِ.

فلما رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق البيت، وأخذوا يرمونهُ بالحجارة ويلهبون النارَ في أطنان القصب، ثم يرمونها عليه من فوق البيت، فلما رأى ذلك خرج إليهم مصلتاً سيفهُ في السكّة، وكان من قوَّتهِ أنه يأخذ الرجل بيده فيرمي به فوق البيت.

قال محمد بن أبي طالب: فلما قتل مسلم منهم جماعة كثيرة، وبلغ ابن زياد ذلك، أرسل إلى محمد بن الأشعث أرسلناك إلى رجل واحد، فثلم في أصحابك ثلمة عظيمة، فكيف إذا أرسلناك إلى غيره؟ فأرسل ابن الأشعث إليه: أتظن أنّك بعثتني إلى بقال من بقاقلة الكوفة؟ أو إلى جرمقاني من جرامقة الحيرة؟ أو لم تعلم أنك بعثتني إلى أسد ضرغام، وسيف حسام، في كف بطل همام، من آل خير الأنام، فأرسل إليه أن أعطه الأمان، فقال محمد بن الأشعث: لك الأمان لا تقتل نفسك.

فلم يلتفت مسلم إلى ذلك، ولم يزل يقاتل، وهو يقول:

أقسمتُ لا أقتلُ إلاّ حُراً وإن رأيتُ الموتَ شيئاً نُكرا
أخاف أن أكذب أو أغرى

فقال له ابن الأشعث: إنك لن تكذب، ولن تُغرَّ، ولم تخدع، إن القوم بنو عمكَ، وليسوا بقاتليك ولا ضاربك، وكان قد أثخن بالحجارة، فقال مسلم (رض): وأي أمان للغدرة الفجرة، وتكاثروا عليه بعد أن أثخن بالجراح وعجز عن القتال، فأسند ظهره إلى جنب تلك الدار، فأعاد ابن الأشعث: لك الأمان يا مسلم، فقال: آمنٌ أنا؟ قال نعم: فقال للقوم الذين معه: أليَ الأمان؟ فقالوا: نعم، إلا عبيدالله بن العباس السلمي فإنه قال: «لا ناقة لي فيها ولا جمل»، ثم تنحى.

فقال مسلم: لو لم تأمنوني ما وضعت يدي في أيديكم.

فأتي ببغلة فحمل عليها، واجتمعوا حوله ونزعوا سيفه، فكأنه عند ذلك يئس من نفسه، فدمعت عيناه وقال: هذا أول الغدر، أين أمانكم؟ إنا لله وإنا إليه راجعون! ثم بكى، فقال له عبيدالله السلمي: إن من يطلب مثل الذي تطلب لم يبك، إذا نزل به مثل ما نزل بك. قال: والله ما لنفسي بكيت، ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لا أحبّ لها طرفةَ عين تلفاً، ولكن أبكي لأهلي المقبلين عليّ، أبكي لحسين وآل حسين عليهم السلام.

ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال: يا عبدالله إني أراك والله ستعجز عن أماني، فهل عندك خير؟ تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً على لساني أن يبلغ حسيناً ما جرى؟ فإني لا أراه إلا وقد خرج اليوم، أو هو خارج غداً ومعه أهل بيته، ويقول له: أن ابن عقيل بعثني إليك وهو أسير في يد القوم لا يرى أنه يمسي حتى يقتل، وهو يقول: ارجع فداك أبي وأمي وأهل بيتك ولا يغروك أهلَ الكوفة، فإنهم أصحاب أبيك الذين كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل، إن أهل الكوفة قد كذبوك وليس للكذوب رأي، فقال ابن الأشعث: والله لافعلنّ ولاعلمن ابن زياد قد أمنتك.

وانتهى بابن عقيل إلى باب القصر، وقد اشتد به العطش، وعلى باب القصر قوم جلوس، وإذا قلة ماء باردة موضوعة على الباب.

فقال مسلم (رض): اسقوني من هذا الماء! فقال له مسلم بن عمرو الباهلي: أتراها؟ ما أبردها! لا والله لا تذوق منها قطرة أبداً حتى تذوق الحميم في نار جهنم، فقال له مسلم: ويحك من أنت؟ قال: أنا الذي عرف الحق إذ نكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وأطاعه إذ خالفته، أنا مسلم بن عمرو الباهلي، فقال مسلم: ما أجفاك وأقطعك وأقسى قلبك! أنت يابن الباهلة أولى بالحميم والخلود في الجحيم.

ثم جلس وتساند إلى حائط وبعث عمرو بن حريث غلاماً له، فأتاه بقلة عليها منديل وقدح فصبَّ فيه ماء فقال له: اشرب فأخذ كلما شرب امتلأ القدح دماً من فمه، ولا يقدر أن يشرب، ففعل ذلك مرتين، فلما ذهب في الثالثة ليشرب سقطت ثناياه في القدح، فقال: الحمد لله، لو كان من الرزق المقسوم لشربته، وخرج رسول ابن زياد فأمر بإدخاله.

فلما دخل لم يسلم عليه بالأمرة، فقال له الحرسي: ألا تسلم على الأمير؟ فقال له: اسكت ويحك، والله ما هو لي بأمير، فقال له ابن زياد: لا عليك سلمت أو لم تسلم فإنك مقتول، فقال له مسلم: إن قتلتني فلقد قتل من هو شر منك من هو خير مني.

ثم قال ابن زياد: يا عاق يا شاق، خرجت على إمامك وشققت عصا المسلمين، والقحتَ الفتنة.

فقال مسلم: كذبت يابن زياد: إنما شقا عصى المسلمين معاوية وابنهُ يزيد، وأما الفتنة فإنما ألقحها أنت وأبوك زياد بن عبيد عبد بني علاج، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يدي شر بريته.

ثم نظر مسلم إلى جلساء ابن زياد وفيهم عمر بن سعد، فقال يا عمر: إن بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة وهي سرّ، فامتنع عمر أن يسمع منه، فقال له عبيدالله: لم تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمك؟ فقام معه فقال له: إن عليّ بالكوفة ديناً استدنتهُ مذ قدمت سبعمائة درهم، فبع سيفي ودرعي فاقضها عني، فإذا قتلتُ فاستوهب جثتي منه فوارها، وابعث إلى الحسين عليه السلام من يردّه، فإني قد كتبتُ إليه اعلمه أنَّ الناس معه ولا أراهُ إلا مقبلاً.

فقال عمر لابن زياد: أتدري أيها الأمير ما قال لي؟ إنه قال لي: كذا وكذا، فقال ابن زياد: إنه لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن، ثم قال: أما ماله فهو له، ولسنا نمنعك أن تصنع به ما أحب، وأمّا جثته فإنا لا نبالي إذا قتلناه ما صنع بها، وأما حسين إن لم يردنا لم نردهُ.

ثم قال ابن زياد: أيه ابن عقيل، أتيت الناس وهم جمع فشتتت أمرهم، وفرقت كلمتهم، وحملت بعضهم على بعض، قال: كلاّ لست أتيت لذلك، ولكن أهل المصر زعموا أنَّ أباك قتل خيارهم، وسفك دمائهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم نأمر بالعدل، وندعوا إلى الكتاب.

فقال له ابن زياد: وما أنت وذاك يا فاسق؟ ولم لا تعمل فيهم ذلك بالمدينة وأنت تشرب الخمر؟

قال مسلم: أنا أشرب الخمر؟! أما والله أن الله ليعلم، وإنك لتعلم أنك غير صادق، وأنت أحق بالشرب مني، وأولى بها من يلغ في دماء المسلمين ولغاً، فقال ابن زياد: إن نفسك منتك أمراً حال الله بينك وبينه، ولم يرك له أهلاً.

فقال مسلم: من أهله إذا لم نكن نحن أهله؟

فقال ابن زياد: أمير المؤمنين يزيد.

فقال: الحمد لله على كل حالٍ، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم.

فقال له ابن زياد: قتلني الله إن لم أقتلك شرها قتلة، لم يقتلها أحد في الإسلام.

فقال له مسلم: أما إنك أحق أن تحدث في الإسلام ما لم يكن، وإنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة، وخبث السريرة ولؤم الغلبة، ولا أحد أولى بها منك.

فأقبل ابن زياد يشتمه ويشتم الحسين عليه السلام وعلياً وعقيلاً، وأخذ مسلم لا يكلمه.

ثم قال ابن زياد: أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف؟ فدعى بكر بن حمران، فقال له: اصعد فلتكن أنت الذي تضرب عنقه، فصعد به، وهو يكبر الله ويستغفره، ويصلي على رسول الله صلى الله عليه وآله ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا وخذلونا.

وأشرفوا به على موضع الحذائين، فضرب عنقه واتبع رأسه جثته من أعلى القصر.

قال المفيد (ره): وقام محمد بن الأشعث وكلم عبيدالله في هاني، وقال له: إنك قد عرفت موضعه من المصر، وبيتهُ في العشيرة، وقد علم قومه أني وصاحبي جئناك به وسقناه إليك، وأنشدك الله لما وهبته لي، فإني أكره عداوة المصر وأهله، فوعده أن يفعل، ثم بدا له، وأمر بهاني في الحال فقال: أخرجوه إلى السوق فاضربوا عنقه، فأخرج هاني حتى أُتي إلى مكان من السوق يباع فيه الغنم، وهو مكتوف فجعل يقول: وامذحجاه! ولا مذحج لي اليوم، يا مذحجاه! يا مذحجاه! أين مني مذحج؟

فلما رأى أن أحداً لا يجيبه جذب يده من الكتاف فنزعها، وقال: أما من عصاً أو سكين أو حجرة أو عظيم يحاجز به رجل عن نفسه؟ فوثبوا إليه فشدوه وثاقاً، ثم قيل له: أمدد رقبتك فقال: ما أنا بها سخي، وما أنا بمعينكم على نفسي، فضربه مولى لعبيدالله بن زياد (لع) يقال له: رشيد بالسيف فلم يصنع شيئاً، فقال له هاني: إلى الله المعاد، اللهم إلى رحمتك ورضوانك، ثم ضربه أخرى فقتله.

وكان خروج مسلم عليه السلام بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة، وقتل يوم الأربعاء لتسع مضين منه.

ثم بعث ابن زياد(لع) برأسيهما إلى يزيد(لع)، وكتب له بخبرهما، فلما بلغه الكتاب مع الرأسين فرحَ فرحاً شديداً، وأمر أن يُصلبا على باب دمشق، وعاد له الجواب يشكره على فعاله وسطوته، وكتب إليه أنه قد بلغني أن حسيناً توجه نحو العراق، فضع المناظر والمراصد واحترس واحبس على الظنة، واقتل على التهمة، واكتب إليَّ في كلِّ يوم ما يحدث من خبر إنشاء الله.

وقد ابتلى زمانك به من بين الأزمان، وبلدك من بين البلدان، وابتليت أنتَ من بين العمال.

فعلى مُسلم وهاني سَلام ... يَتتالى من السّلام الجليلِ
نصر طيّب يفوح شَذاهُ ... كلّ يَوم ببكرة وأصيل
رَضي اللهُ عنهما برضاهُ ... لرضاء الرسول وابن البتولِ

المجلس الرابع (من مقتل الحسين عليه السلام)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عدَّة الأخبار عن قتل الإمام الحسين عليه السلام

وفي عيون الأخبار، عن الهرَوي قال: قلت للرضا عليه السلام: إن في الكوفة قوماً يزعمون أن الحسين عليه السلام لم يقتل، وأنهُ ألقي شبهه على حنظلةِ بن سعد الشامي، وأنه رفع إلى السماء كما رفع عيسى بن مريم عليه السلام، ويحتجون بهذه الآية: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

فقال عليه السلام: كذبوا عليهم لعنة الله وغضبه، وكفروا بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وآله في أخباره بأن الحسين سيقتل، والله لقد قتل الحسين، وقتل من كان خيراً من الحسين أمير المؤمنين، والحسن بن علي عليهما السلام، وما منا إلا مقتولٌ أو مسموم، وأنا والله لمقتول بالسم باغتيال من يغتالني، أعرف ذلك بعهد معهود إلي من رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرهُ به جبرئيل عليه السلام عن رب العالمين.

وأما قول الله عزوجل: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ فإنه يقول: ولن يجعل الله لكافر على مؤمن حجة، ولقد أخبر الله عزوجل عن كفار قتلوا النبيين بغير الحق، ومع قتلهم إياهم لم يجعل الله على أنبيائه سبيلاً من طريق الحجة.

وفي البحار: عن كعب الأحبار، حين أسلم في أيام خلافة عمر بن الخطاب، وجعل الناس يسألونه عن الملاحم والفتن التي تصدر إلى أن قال: وأعظمها فتنة وأشدّها مصيبة لا تنسى إلى أبد الآبدين مصيبة الحسين عليه السلام وهي: الفساد الذي ذكره الله تعالى في كتابه حيث قال: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]. أوَلا تعلمون أنه يفتح يوم قتله أبواب السماوات، ويؤذنُ للسماء بالبكاء فتبكي دماً، فإذا رأيتم الحمرة في السماء قد ارتفعت، فاعلموا أن السماء تبكي حسيناً.

فقيل: يا كعب لم لا تفعل السماء كذلك ولا تبكي دماً لقتلِ الأنبياء؟ فقال: ويحكم إن قتل الحسين عليه السلام أمر عظيم، وأنه ابن سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، وأنهُ يقتلُ علانية مبارزة ظلماً وعدواناً، ولا تحفظ فيه وصيةُ جدهِ رسول الله، وهو مزاج مائه وبضعة لحمه، يذبح بعرصة كربلاء، فوالذي نفس كعب بيده لتبكيه زمرة من الملائكة في السماوات السبع، لا يقطعون بكائهم إلى آخر الدهر.

وإنّ البقعة التي يدفن فيها خير البقاع، وما من نبي إلا ويأتي إليها ويزورها، ويبكي على مصابه.

ولكربلاء في كل يوم زيارة من الملائكة والجن والإنس، فإذا كانت ليلة الجمعة ينزل إليها تسعون ألف ملك يبكون على الحسين عليه السلام، ويذكرون فضله، وأنهُ يُسمى في السماء: حسيناً المذبوح، وفي الأرض: أبا عبدالله المقتول، وفي البحار: الفرخَ الأزهر، وإنهُ يوم قتلهِ تنكسف الشمس، وينخسف القمر، وتدوم الظلمةُ على الناس ثلاثة أيام، وتمطر السماء دماً، وتدكدك الجبال وتغطمط البحار، ولولا بقية من ذريته وطائفة من شيعته الذين يطلبون بدمه، ويأخذون بثاره، لصبّ الله عليهم ناراً من السماء أحرقت الأرض ومن عليها.

ولقد أخبر الله آدم والأنبياء عليهم السلام بذلك الفساد، ومثّل لآدم أمة محمد، فنظر آدم عليه السلام إليهم فرأى بعضهم مسودة وجوههم فقال: ما لهذه الأمة الزكية على هذه الحالة وهم أفضل الأمم؟ فقال الله عزوجل: إنهم سيظهرون الفساد في الأرض بقتل فرخ حبيبي محمد، ثم مثل له مقتل الحسين عليه السلام فدعا عليهم، ولعنهم، وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

بكاك آدم حُزناً يوم تَوبتهِ ... وكنت نوراً بساق العرش قد سطعا
ونوح أبكيتهُ شجواً وقل بأن ... يبكي بدمع حكى طوفانهُ دمعا
ونار فقدك في قلبِ الخليل بها ... نيران نمرودَ عنه الله قد دفعا
كلمتَ قلبَ كليم الله فانبجست ... عيناهُ دمعاً جرى كالغيثُ منهمعا

ولو رآك بيوم الطف منفرداً عيسى لما اختار أن ينجو ويرتفعا

روى في المنتخب: أن يزيد بن معاوية أنفذ عمرواً بن سعد بن العاص في عسكر عظيم، وولاه أمر الموسم، وأمره على الحاج، وأمره أن يقبض الحسين سراً، وإن لم يتمكن منه قتله غيلة، ودس مع الحاج في تلك السنة ثلاثين رجلاً من شياطين بني أمية، وأمرهم بقتل الحسين بن علي عليه السلام، فلما علمَ عليه السلام بذلك، أحلّ من إحرامه وجعلها عمرة مفردة فأتمها.

قال المفيد (ره): كان توجهُ الحسين عليه السلام إلى العراق وخروجهُ من مكة، يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة وهو يوم التروية.

خطبة الإمام الحسين عليه السلام قبل مغادرته لمكة

وقال السيد (رحمه الله): إنه يوم قتل مسلم عليه السلام فلما عزم على الخروج قام خطيباً في أصحابه فقال: الحمد لله، ما شاء الله، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، وصلى الله على رسوله وسلم، خطَّ الموت على ولد آدم مخطَّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف عليه السلام، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلانُ الفلوات، بين النواويس وكربلا، فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خطّ بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفّينا أجور الصابرين؛ لن تشذَّ عن رسول الله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقر بهم عينه، وينجز لهم وعده، من كان فينا باذلاً مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني راحل مصبحاً إنشاء الله.

وروى المجلسي (ره): بسند معتبر، عن أبي عبدالله عليه السلام: قال: جاء محمد بن الحنفية إلى الحسين عليه السلام، في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها من مكة فقال: يا أخي إن أهل الكوفة قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وأخاف أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم في الحرم، فأنت أعز من في الحرم وأمنعه.

فقال: يا أخي قد خفت أن يغتالني يزيد في الحرم، فأكون الذي يستباح حرمة هذا البيت.

فقال محمد: فإن خفت ذلك فسر إلى اليمن أو بعض نواحي البرّ فإنك أمنع الناس به، ولا يقدر عليك أحد.

فقال: أنظر فيما قلت.

فلما كان وقت السحر، إرتحل الحسين عليه السلام، فبلغ ذلك ابن الحنفية، فأتاهُ وأخذَ بزمام ناقتهِ وكان قد ركبها فقال: يا أخي ألم تعدني في النظر فيما سألتك؟ قال: بلى.

قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟

قال: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتك، فقال: يا حسين أخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلا.

فقال محمد: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟

فقال: إن الله قد شاء أن يراهن سبايا.

وجاءه عبدالله بن العباس، وعبدالله بن الزبير، فأشارا عليه بالإمساك فقال لهما: إن رسول الله قد أمرني بأمر، وأنا ماض فيه، فخرج ابن عباس وهو يقولُ: واحسيناه.

وروى المفيد(ره): عن الفرزدق أنه قال: حججت بأمي في سنة ستين، فبينما أنا أسوق بعيرها في الحرم، إذ لقيتُ الحسين بن علي عليه السلام خارجاً من مكة، معه أسيافه وأتراسه فقلتُ: لمن هذا القطار؟ فقيل: للحسين عليه السلام، فأتيته وسلمت عليه، وقلت له: أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحب، بأبي أنت وأمي يابن رسول الله، ما أعجلك عن الحج؟ قال: لو لم أُعجل لأخذت. ثم قال لي: من أنت؟ قلت: رجل من العرب، فلا والله ما فتشني عن أكثر من ذلك.

ثم قال: أخبرني عن الناس خلفك؟ فقلت: الخبير سألت قلوب الناس معك وأسيافهم عليك، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء.

قال: صدقت لله الأمر من قبل ومن بعد، وكل يوم ربنا هو في شأن إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء، فلم يبعد من كان الحق نيته، والتقوى سيرته، فقلت له: أجل، بلغك الله ما تحبّ وكفاك ما تحذر، وسألته عن أشياء من نذور ومناسك فأخبرني بها، وحرّك راحلته وقال: السلام عليك ثم افترقا ولحقه عبدالله بن جعفر بابنيه عون ومحمد، وكتب على أيديهما كتاباً يقول فيه:

أما بعد: فإني أسألك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي هذا، فإني مشفق عليك من هذا التوجه الذي توجهت له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، وإن هلكت اليوم طفيء نور الأرض، فإنك علم المهتدين، ورجاء المؤمنين، ولا تعجل بالمسير فإني في أثر الكتاب والسلام.

وصار عبدالله إلى عمرو بن سعيد، فسأله أن يكتب إلى الحسين عليه السلام أماناً ويمنيه ليرجع عن وجهه، فكتب إليه عمرو بن سعيد بن العاص كتاباً يمَّنيه في الصلة، ويؤمنهُ على نفسه، وأنفذه مع يحيى بن سعيد وعبدالله ابن جعفر، فدفعا إليه الكتاب وجهدا في الرجوع، فقال: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام وأمرني بأمر أنا ماض له، فلما يئس منه عبدالله بن جعفر أمر ابنيه عوناً ومحمداً، بلزومه، والمسير معه، والجهاد بين يديه، ورجع مع يحيى بن سعيد إلى مكة.

ومضى الحسين عليه السلام، ولقيهُ بشر بن غالب الأسدي وارداً من العراق، فسأله عن أهلها فقال: خلفت القلوب معك، والسيوف مع بني أمية.

فقال الحسين عليه السلام: صدق أخو بني أسد! إنّ الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

ثم سار عليه السلام حتى نزل الثعلبية وقت الظهيرة، فوضع رأسه، فرقد ثم استيقظ، فقال: قد رأيت هاتفاً يقول: أنتم تسرعون، والمنايا تسرع بكم إلى الجنة! فقال له ابنهُ عليّ: يا أبة أفلسنا على الحق؟ قال: بلى يا بني والذي إليه مرجعُ العباد، فقال: يا أبة إذن ما نبالي بالموت، فقال له الحسين عليه السلام: جزاك الله يا بني خير ما جزى ولداً عن والده، ثم بات في الموضع.

فلما أصبح وإذا برجل من أهل الكوفة يكنى: أبا هرة الأزدي، قد أتاه فسلم عليه ثم قال: يابن رسول الله ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرم جدك؟ فقال الحسين عليه السلام: ويحك أبا هرة إنّ بني أمية أخذوا مالي فصبرت، وشتموا عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربتُ، وأيم الله لتقتلني الفئة الباغية، وليلبستهم الله ذلاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وليسلطن الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذلّ من قومِ سَبأ.

الإمام الحسين عليه السلام يتوجه إلى العراق

قال المجلسي (ره): واتصلَ خبر توجه الحسين عليه السلام إلى العراق بالوليد ابن عتبة أمير المدينة، فكتب إلى ابن زياد (لع).

أما بعد: فإنّ الحسين قد توجهَ إلى العراق وهو ابن فاطمة، وفاطمة بنتُ رسول الله، فاحذر يابن زياد أن تأتي إليه بسوء، فتهيج على نفسك وقومك أمراً في هذه الدنيا لا يصده شيء، ولا تنساه الخاصة والعامة أبداً ما دامت الدنيا.

قال السيد ابن طاووس (ره): وكتب الحسين عليه السلام كتاباً إلى جماعة من أشرافِ البصرة مع رسول له اسمه: سليمان، ويكنى: أبا رزينَ، يدعوهم إلى نصرته ولزوم

طاعته، منهم: يزيد بن مسعود النهشلي، فجمع يزيد بن مسعود بني تميم، وبني حنظلة، وبني سعد، فلما حضروا قال: يا بني تميم، كيف ترون موضعي فيكم وحسبي منكم؟

فقالوا: بخ بخ أنت والله فقرةُ الظهر، ورأس الفخر، حللتَ في الشرف وسطاً، وتقدمت فيه فرطاً.

قال: فإني قد جمعتكم لأمر أريد أن أشاوركم فيه، وأستعين بكم عليه.

فقالوا: إن والله نمنحك النصيحة، ونحمد لك الرأي، فقل: نسمع.

فقال: إن معاوية قد مات فأهون به والله هالكاً ومفقوداً، ألا وإنه قد انكسر باب الجور والإثم، وتضعضعت أركان الظلم، وقد كان أحدث بيعة عقد بها أمراً ظنّ أنه قد أحكمه، وهيهاتَ والذي أراد، اجتهد والله ففشل، وشاور فخذل، وقد قام يزيد شارب الخمور، ورأس الفجور، يدّعي الخلافة على المسلمين، ويتأمر عليهم مع قصر حلم وقلة علم، لا يعرف من الحقّ موطىء قدمه.

فأقسم بالله قسماً مبروراً لجهاده على الدين، أفضلُ من جهاد المشركين، وهذا الحسين بن علي عليه السلام، ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ذو الشرف الأصيل، والرأي الأثيل، له فضل لا يوصف، وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر؛ لسابقته وسنّه وقرابته، يعطف على الصغير، ويحنو على الكبير، فأكرم به راعي رعية، وإمام قوم وجبت لله به الحجة، وبلغت به الموعظة، فلا تعشوا عن نور الحق، ولا تسكعوا في وهدة الباطل، وقد كان صخر بن قيس انخذل بكم يوم الجمل، فاغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ونصرته، والله لا يقصّر أحد عن نصرته إلا أورثه الله الذلّ في ولده، والقلة في عشيرته، وأنا قد لبست للحرب لامتها، وأدرعت لها بدرعها، من لم يقتل يمت، ومن يهرب لم يفت، فأحسنوا رحمكم الله ردّ الجواب.

فتكلمت بنو حنظلة وقالوا: أبا خالد نحن نبلُ كنانتك، وفرسان عشيرتك، إن رميت بنا أصبت، وإن غزوت بنا فتحت، لا تخوض والله غمرة إلا خضناها، ولا تلقى والله شدة إلا لقيناها، ننصرك بأسيافنا، ونقيك بأبداننا إذا شئت.

وتكلمت بنو سعد فقالوا: يا أبا خالد! إن أبغض الأشياء إلينا خلافك والخروج من رأيك، وقد كان صخرُ بن قيس أمرنا بترك القتال فحمدنا أمرنا وبقي عزّنا فينا، فأمهلنا نرجع المشورة ويأتيك رأينا.

وتكلمت بنو عامر بن تميم فقالوا: يا أبا خالد نحن بنو أبيك وحلفاؤك لا نرضى إن غضبت، ولا نقطن إن ظعنت، والأمر إليك فادعنا نجبك، ومرنا نطعك، والأمر إليك إذا شئت.

فقال: والله يا بني سعد لأن فعلتموها لا رفع الله السيف عنكم أبداً، ولا زال سيفكم فيكم.

رسالة يزيد بن مسعود إلى الإمام الحسين عليه السلام

ثم كتب إلى الحسين عليه السلام:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أما بعد: «فقد وصل إليّ كتابك وفهمت ما ندبتني إليه من الأخذ بحظي من طاعتك، والفوز بنصيبي من نصرتك، وأن الله لم يخل الأرض قط من عامل عليها بخير أو دليل على سبيل نجاة، وأنتم حجة الله على خلقه، ووديعته في أرضه، تفرعتم من زيتونة أحمدية، هو أصلها وأنتم فرعها، فاقدم سعدت بأسعد طائر، فقد ذللت لك أعناق بني تميم، وتركتهم أشد لك تتابعاً من الإبل الظماء لورود الماء يوم خميسها وقد ذللت لك رقاب بني سعد، وغسلت درن صدورها بماء سحابة مزن حين استهل بارقها فلمع».

فلما قرأ الحسين عليه السلام الكتاب قال: «مالك آمنك الله يوم الخوف وأعزك وأرواك يوم العطش، فلما تجهز ابن مسعود للخروج إليه عليه السلام بلغه أنهُ قد استشهد، فجزع عن انقطاعه عنه.

قال المفيد (ره): ولما بلغ عبيدالله إقبال الحسين عليه السلام من مكة إلى الكوفة، بعث الحصين بن نمير صاحب شرطه، حتى نزل القادسية، ونظم الخيل ما بين القادسية إلى خفان، وما بين القادسية إلى القُطْقُطانية، وقال للناس: هذا الحسين يريد العراق.

ولما بلغ الحسين عليه السلام الحاجر من بطن الرمة، بعث قيساً ابن مصهر الصيداوي وقيل: إنه بعث أخاه من الرضاعة عبدالله بن يقطر إلى أهل الكوفة ولم يكن له علم بخبر مسلم عليه السلام وكتب معه إليهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي عليه السلام إلى إخوانه المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو:

أما بعد: فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني بحسن رأيكم، واجتماع ملائكم على نصرنا والطلب بحقنا، فسألت الله أن يحسن لنا الصنيع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصتُ إليكم من مكة يوم الثلاثاء، لثمان مضين من ذي الحجة يوم

التروية، فإذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم وجدّوا، فإني قادم إليكم في أيامي هذه والسلام عليكم ورحمةُ الله وبركاته.

فأقبل قيس بالكتاب حتى إذا انتهى إلى القادسية.

قال السيد: فاعترضهُ الحصين بن نمير ليفتشه فأخرج قيس الكتابَ ومزقه، فحمله الحصين إلى ابن زياد (لع)، فلما مثل بين يديهِ قال له: من أنت؟ قال: أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وابنهِ عليه السلام قال: فلماذا خرقت الكتاب؟ قال: لئلا تعلم ما فيه، قال: وممن الكتاب؟ وإلى من؟ قال: من الحسين بن علي عليه السلام إلى جماعة من أهل الكوفة لا أعرف أسماءهم، فغضب ابن زياد (لع)، وقال: والله لا تفارقني حتى تخبرني بأسماء القوم، أو تصعد المنبر، وتلعن الحسين بن علي وأباه وأخاه، وإلا قطعتك إرباً إرباً.

فقال قيس: أما القوم فلا أخبرك بأسمائهم، وأما اللعن فأفعل، فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وأكثر من الترحيم على علي وولده صلوات الله عليهم، ثم لعن عبيدالله بن زياد (لع)، ولعن عتاة بني أمية عن آخرهم، ثم قال: أيها الناس: أنا رسول الحسين عليه السلام إليكم، وقد خلفته بموضع كذا فأجيبوه.

قال المفيد (ره): فأمر به عبيدالله بن زياد (لع) أن يرمى من فوق القصر، فرمى به وتقطع.

وروى أنه وقع إلى الأرض مكتوفاً فتكسرت عظامهُ وبقي فيه رمق، فأتاه عبد الملك اللخمي، فذبحه فعيب عليه في ذلك، فقال اللعين: أردت أن أريحه.

ثم أقبل الحسين عليه السلام من الحاجز يسيرُ نحو الكوفة، فانتهى إلى ماء من مياه العرب، فإذا عليه عبدالله بن مطيع العدوي، فلما رأى الحسين عليه السلام قام إليه فقال: بأبي أنت وأمي يابن رسول الله ما أقدمك واحتملك وأنزله، فقال له الحسين عليه السلام: كتب إليّ أهلُ العراق يدعونني إلى أنفسهم.

فقال له عبدالله بن مطيع: أذكّرك الله يابن رسول الله وحرمة الإسلام أن تنهتك، أنشدك الله في حرمة قريش، أنشدك الله في حرمة العرب، والله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلونك، ولئن قتلوك لا يهابوا بعدك أحداً أبداً، والله إنها لحرمة الإسلام تنهتك، وحرمة العرب، فلا تفعل، ولا تأتِ الكوفة، ولا تعرض نفسك لبني أمية.

قال: وكان عبيدالله بن زياد (لع) أمر فأخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام، وإلى طريق البصرة فلا يدعون أحداً يخرج، ولا أحداً يلج.

ثم سار الحسين عليه السلام، فلقي الإعراب فسألهم، فقالوا: لا والله لا ندري بشيء، غير أنّا لا نستطيع أن نلج ولا نخرج.

وفي المناقب: أنه لما نزل الخزيمية أقام بها يوماً وليلة، فلما أصبح أقبلت إليه أخته زينب بنت علي عليها السلام فقالت: يا أخي ألا أخبرك بشيء سمعتهُ البارحة؟ فقال الحسين عليه السلام: وما ذاك يا أختاه؟ قالت: خرجت في بعض الليل فسمعت هاتفاً يهتف وهو يقول:

ألا يا عَين فاحتفلي بجهد ... فمن يبكي على الشهداء بعدي
على قومٍ تسوُقهم المنايا ... بمقدارٍ إلى إنجازِ وَعد

فقال لها الحسين عليه السلام يا أختاه: كل الذي قضى فهو كائن.

أفدى الذين غدت تسري ركائبهم ... والموت خلفهمُ يسري على الأثرِ
ما أبرقت في الوغى يوماً سيوفهم ... إلا وفاض سحاب الهام بالمطرِ
ثاروا ولولا قضاء الله يمسكهم ... لم يتركوا لبني سفيان من أثرِ
سل كربلا كم حوت منهم هلال دجى ... كأنها فلك للأنجم الزهرِ

المجلس الخامس (من مقتل الحسين عليه السلام)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

في الإمام الحسين عليه السلام يرسل إلى زهير بن القين

عن الكامل، عن عبدالله الأصم، عن عبدالله بن مسكان، عن أبي بصير قال: كنت عندَ أبي عبدالله عليه السلام أحدثه، فدخل عليه ابنهُ فقال له: مرحباً، وضمه وقبله، وقال: حقّر الله من حقركم، وانتقم ممن وتركم، وخذل الله من خذلكم، ولعن الله من قتلكم، وكان الله لكم ولياً وحافظاً وناصراً، فقد طال بكاء نسائنا وبكاء الأنبياء والصديقين والشهداء وملائكة السماء.

ثم بكى وقال: يا أبا بصير نظرت إلى ولد الحسين عليه السلام أتاني ما لا أملكه بما أتى إلى أبيهم وإليهم، يا أبا بصير إن فاطمة عليها السلام لتبكيه وتشق فتزفر جهنم زفرة لولا أن الخزنةَ يسمعون بكائها، وقد استعدوا لذلك مخافة أن يخرج منها عنق، أو يشرذ دخانها فيحرق أهل الأرض فيكبحونها ما دامت باكية، ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة

على أهل الأرض، فلا تَسكن حتى يسكن صوت فاطمة عليها السلام.

وأن البحار تكاد أن تنفلق فيدخل بعضها على بعض، وما منها قطرة إلا بها ملك موكل، فإذا سمع الملك صوتها أطفأ ثوراتها بأجنحته، وحبس بعضها مخافة على الدنيا ومن فيها ومن على الأرض، ولا تزالُ الملائكة يبكونَ مشفقين، لبكائها، ويدعونَ الله ويتضرعون إليه، ويتضرع إليه أهل العرش ومن حوله، وترتفع أصوات الملائكة بالتقديس لله مخافة على أهل الأرض، ولو أن صوتاً من أصواتهم يصلُ إلى الأرض لصعق أهل الأرض، وتقلعت الجبال، وزلزلت الأرض بأهلها.

قلت: جعلت فداك إن هذا الأمر عظيم، قال: غيره أعظم منه مما لم تسمعه ثم قال: يا أبا بصير أما تحب أن تكون ممن يسعدُ فاطمة على ولدها؟ فبكيت حين قالها وما قدرت على النطق من البكاء، ثم قام إلى المصلى يدعو، وخرجت من عنده على تلك الحال فما انتفعت بطعام، وأصبحت صائماً وجلا حتى أتيته، فلما رأيته قد سكن سكنت وحمدت الله تعالى.

أو ما علمت الماجدين غداة جدوا في الرحيل
عشقوا العلى ففنوا بها والغصن يرمى بالذبول
عقدوا على البينِ النكاحَ وطلقوا سنن القفول
هيهاتَ ما الصبرُ الجميلُ هناكَ بالصبرِ الجميلِ
آلُ الرسول ونعم أكفاءُ العلى آل الرسول
خير الفروع فروعهم وأصولهم خيرُ الأصول
ركبوا إلى العزّ المنونَ وجانبوا عيشَ الذليلِ
يابنَ الذين توارثوا العليا قبيلا عن قَبيلِ
إن تمسِ منكسر اللوى ملقى على وجه الرمول
فلقد قُتلت مهذباً عن كل عيب في القتيل
جمّ المناقبِ لم تكن تعطى العدى كفّ الذليل
كلا ولا أقررتَ إقرار العبيد على الخمولِ
يهدي لكَ الذكر الجميلُ على الزمان المستطيلِ

وحدّث جماعة من فزارة وبجيلة قالوا: كنا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا

من مكة، وكنا نسايرُ الحسين عليه السلام فلم يكن شيء أبغضُ علينا من أن ننازله في منزل، وإذا سار الحسين عليه السلام ونزل في منزل لم نجد بدّاً من أن ننازله فيهِ إذا نزل هو وأصحابه في جانب، وننزل في جانب، فبينما نحن نتغذى من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسين عليه السلام حتى سلم ودخل ثم قال: يا زهير بن القين إنَّ أبا عبدالله الحسين بعثني إليك لتأتيه. فطرح كل إنسان منّا ما في يده، حتى كأنما على رؤوسنا الطير، فقالت له امرأته ديلم بنت عمرو: سبحان الله، أيبعث إليك الحسين ابن رسول الله ثم لا تأتيه، لو أتيته فسمعت كلامه ثم انصرفت.

فأتاه زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشراً، قد أشرق وجهه، فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه، فقوض وحمل إلى الحسين عليه السلام، ثم قال لامرأته: أنت طالق، الحقي بأهلك، فإني لا أحب أن يصيبك بشيء إلا خير.

وقد عزمت على صحبة هذا الرجل لأفديه بروحي، وأقيه بنفسي، ثم أعطاها مالها وسلمها إلى بعض بني عمها ليوصلها إلى أهلها، فقامت إليه وبكت وودعته، وقالت: خار الله لك أسألك أن تذكرني في القيامة عند جدّ الحسين.

ثم قال لأصحابه: من أحب منكم أن يتبعني، وإلا فهو آخر العهد، إني سأحدثكم حديثاً: إنّا غزونا البحر ففتح الله علينا وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان(رض): أفرحتم بما فتح الله عليكم، وأصبتم من الغنائم؟ فقلنا: نعم، فقال: إذا أدركتم سيد شباب آل محمد فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معه مما أصبتم اليوم من الغنائم. فأما أنا فاستودعكم الله.

خبر قتل مسلم يصل إلى الإمام الحسين عليه السلام

قال المفيد عليه الرحمة: وروى عبدالله بن سليمان والمنذر بن المشمعلُ الأسديان، قالا: لما قضينا حجنا، لم تكن لنا همة إلا اللحاق بالحسين عليه السلام في الطريق لينظر ما يكونُ من أمره، فاقبلنا ترقل بنا ناقتانا حتى لحقناهُ بزرود، فلما دنونا منه إذا نحن برجل من الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين عليه السلام، فوقف الحسين كأنه يريده ثم تركه ومضى، فمضينا نحوه، وقال أحدنا لصاحبه: اذهب بنا إليه لنسأله فإن عندهُ خبر الكوفة، فمضينا إليه حين انتهينا إليه فقلنا: السلام عليك، فقال: وعليكم السلام، قلنا: ممن الرجل؟ قال: أسدي، قلنا له: ونحن والله أسديان، فمن أنت؟ فقال: أنا بكر بن فلان، فانتسبنا له ثم قلنا له: أخبرنا عن الناس خلفك؟ قال: نعم، لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، ورأيتهما يُجران بأرجلهما في الأسواق.

فأقبلنا حتى لحقنا بالحسين عليه السلام فسايرناه حتى نزل الثعلبية ممسياً، فجئناه حين نزل فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا له: يرحمك الله، إن عندنا خبراً إن شئت حدثناك به علانية، وإن شئت سراً، فنظر إلينا وإلى أصحابه ثم قال: «ما دون هؤلاء سر، فقلنا له: رأيت الراكب الذي استقبلتهُ عشاءَ أمس؟ قال: «نعم، وأردت مسألته، فقلنا: قد والله استبرأنا لك خبره، وكفيناك مساءلته، وهو امرء منا ذو رأي وصدق وعقل، وأنه حدَّثنا أنه لم يخرج من الكوفة حتى قتل مسلم وهاني ورآهما يجرّان بأرجلهما في الأسواق فقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمة الله عليهما» يردد ذلك مراراً».

فقلنا له: ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوف عليك أن يكونوا عليك. فنظر إلى بني عقيل وقال: «ما ترون؟ فقد قتل مسلم» فقالوا: والله لا نرجع أو نصيب ثارنا أو نذوق ما ذاق، فأقبل علينا ثم قال: لا خير في العيش بعد هؤلاء، فعلمنا أنه قد عزم على المسير، فقلنا له: خار الله لك، فقال يرحمكم الله».

ثم إنه سار من منزله فلقيه الفرزدق، فسلم عليه قال: يابن رسول الله كيف تركن إلى أهل الكوفة؟ وهم الذين قتلوا ابن عمك مسلماً بن عقيل وشيعته؟ فاستعبر الحسين عليه السلام باكياً، ثم قال: رحم الله مسلماً فقد صار إلى روح الله وريحانه، وتحيته ورضوانه، أما أنه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا.

فلما انتهى إلى زبالة أتاه خبر عبدالله بن يقطر، فاستعبر باكياً، وقال: اللهم اجعل لنا ولشيعتنا منزلاً كريماً، واجمع بيننا وبينهم في مستقر من رحمتك إنك على كل شيء قدير.

ثم إنه جمع أصحابه فقال: «إنه قد أتانا خبر فظيع قتل مسلم، وهاني بن عروة، وعبدالله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا، فمن أحب منكم الانصراف، فلينصرف في غير حرج ولا ذمام.

فتفرق الناس عنه وأخذوا يميناً وشمالاً، حتى بقي في أصحابه الذين جاؤا معه من المدينة، ونفر يسير ممن انضموا إليه، حتى إذا كان السحر أمر أصحابه: فاستقوا ماءً وأكثروا، ثم سار حتى مرّ ببطن العقبة فنزل عليها، فلقيهُ شيخ من بني عكرمةَ يقال له: عمرو بن بوذان قال: أين تريد يابن رسول الله؟ فقال له الحسين عليه السلام: «الكوفة»، فقال الشيخ: أنشدك الله لما انصرفت، فوالله ما تقدم إلا على الأسنّة وحدّ السيوف، وإن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطؤا لكَ الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً، فأما على هذه الحال التي تذكر فإني لا أرى لك أن تفعل. فقال: يا عبدالله ليس يخفى عليّ الرأي، ولكن الله تعالى لا يغلب على أمره.

ثم قال: والله لا يدعونني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم من يذلهم، حتى يكونوا أذل فرق الأمم.

ثم سارَ من بطن العقبة حتى نزل شراف، فلما كان السحر أمر فتيانه فاستقوا من الماء وأكثروا، ثم ساروا حتى انتصف النهار، فبينما هو يسير إذ كبر رجل من أصحابه، فقالَ الحسين عليه السلام «الله أكبر لم كبرت؟» فقال: رأيت النخل، قال جماعة ممن صحبهُ: والله إنّ هذا المكان ما رأينا فيه نخلة قط، فقال الحسين عليه السلام: فما ترونه؟ فقالوا: والله نراه أسنّة الرماح وآذان الخيل، فقال: وأنا والله أرى ذلك.

ثم قال: ما لنا ملجأ نلجأ إليه ونجعلهُ في ظهورنا ونستقبل القوم بوجه واحد؟ فقلنا له: بلى هذا ذو جشم إلى جنبك، فإن سبقتَ إليه فهو كما تريد.

فأخذ إليه ذات اليسار وملنا معه، فما كانَ بأسرع من طلعت علينا هوادي الخيل فتبيناها وعدلنا، فلما رأونا عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا كأن أسنتهم اليعاسيب، وكأن راياتهم أجنحة الطير، فاستبقنا إلى ذي جشم فسبقناهم إليه، وأمر الحسين عليه السلام بأبنيته فضربت.

الحر يعترض الإمام الحسين عليه السلام

وجاء القوم زهاء ألف فارس مع الحرّ بن يزيد التميمي حتى وقف وخيله مقابل الحسين عليه السلام في حرّ الظهيرة، والحسين عليه السلام وأصحابهُ معتمونَ متقلدون أسيافهم.

فقال الحسين عليه السلام لفتيانه: إسقوا القوم وارووهم من الماء، ورشفوا الخيلَ ترشيفاً، ففعلوا وأقبلوا يملؤنَ القصاع والطساس من الماء، ثم يدنونها من الفرس فإذا عبَّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنهُ، وسقى آخر، حتى سقوها عن آخرها.

قال علي بن الطعان المحاربي: كنتُ مع الحرّ يومئذ، فجئت في آخر من جاء من أصحابه، فلما رأى الحسين عليه السلام ما بي وبفرسي من العطش قال: «أنخ الراوية». والراوية عندي السّقاء، ثم قال: «يابن الأخ أنخ الجمل» فأنخته فقال: «اشرب» فجعلتُ كلما شربت سال الماء من السقاء، فقال الحسين عليه السلام: «إخنث السقاء» أي إعطفه، فلم أدر كيف أفعل، فقام فخنثه بيدهِ فشربت وسقيت فرسي.

ثم قال الحرّ: السلام عليك يابن رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال الحسين عليه السلام: وعليك السلام، من أنت يا عبدالله؟ فقال: أنا الحر بن يزيد، فقال: يا حر ألنا أم علينا؟ فقال الحر: والله يابن رسول الله لقد بعثت لقتالك، وأعوذ بالله أن

أحشر من قبري، وناصيتي مشدودة إلى رجلي، ويدي مغلولة إلى عنقي، وأكبّ على حرّ وجهي في النار يابن رسول الله، إرجع إلى حرم جدّك، أين تذهب؟ فإنك مقتول؟ فقالَ عليه السلام:

سأمضي وما بالموتِ عارٌ على الفتى إذا ما نَوى حَقاً وجاهدَ مُسلما
فإن متّ لم أندم وإن عشتُ لم أُلم كفى بكَ ذلاً أن تعيشُ وترغما

ثم سار الحسين عليه السلام حتى نزل القطقطانية فنظر إلى فسطاط مضروب، فقال: لمن هذا الفسطاط؟ فقيل لعبدالله بن الحر الجعفي، فأرسل إليه الحسين عليه السلام، فلما أتاه رسول الحسين عليه السلام فقال عبدالله: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله ما خرجتُ من الكوفة إلا كراهية أن يدخلها الحسين عليه السلام وأنا فيها، والله ما أريد أن أراه ولا يراني.

فأتاه الرسول، فأخبره، فقام إليه الحسين عليه السلام فجاء حتى دخل عليه وسلم ثم جلس، فقال: أيها الرجل إنك مذنب خاطىء، وأن الله عزوجل آخذك بما أنت صانع إن لم تتب إلى الله تعالى في ساعتك هذه، وتنصرني، ويكون جدّي شفيعك يوم القيامة بين يدي الله تبارك وتعالى، فقال: يابن رسول الله لو نصرتك لكنتُ أول مقتول بين يديك، ولكن هذه فرسي خذه إليك، فوالله ما ركبته قط، وأنا لا أروم شيئاً إلا بلغته، ولا أرادني أحد إلا نجوتُ عليه فدونك فخذه، فأعرض عنه الحسين عليه السلام بوجهه، ثم قال: لا حاجة لنا فيك، ولا في فرسك، ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١].

ولكن فر، فلا لنا ولا علينا، فإنه من سمع واعيتنا أهل البيت ثم لم يجبنا، أكبه الله على وجهه في نار جهنم.

فقال: أما هذا فلا يكون أبداً إنشاء الله.

في صد الحر الطريق بالحسين عليه السلام

قال المفيد عليه الرحمة: ولم يزل الحر موافقاً للحسين عليه السلام حتى حضرت صلاة الظهر، فأمر الحسين عليه السلام الحجاج بن مسروق أن يؤذن، فلما حضرت الإقامة خرج الحسين في إزارٍ ورداءٍ ونعلين، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس، إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم وقدمت عليَّ رسلكم: أن أقدم علينا فليس لنا إمام، لعل الله أن يجمعنا وإياكم على الهدى والحق»؛ فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم، فاعطوني ما أطمأن إليه في عهودكم ومواثيقكم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين، انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منهُ إليكم، فسكتوا ولم يتكلم أحدُ منهم بكلمةٍ.

فقال للمؤذن: «أقم» فأقام الصلاة فقال للحر: «أتريد أن تصلي بأصحابك؟»

فقال: لا، بل تصلي أنت ونصلي بصلاتك. فصلى بهم الحسين عليه السلام واجتمع عليه أصحابهُ، وانصرف الحر إلى مكانه الذي كان فيه، فدخل خيمةً قد ضربت له، واجتمع إليه خمسمائة من أصحابه، وعاد الباقون إلى صفهم الذي كانوا فيه، ثم أخذ كل رجل منهم بعنان فرسه وجلس في ظلها.

فلما كان وقتُ العصر أمر الحسين عليه السلام فتيانه أن يتهيؤوا للمسير ففعلوا، ثم أمر مناديه فنادى بالعصر فأقام، فاستقدم الحسين فصلى بالقوم، فلما سلم انصرف إليهم بوجهه، الشريف فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد: أيها الناس فإنكم أن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى لله عنكم، ونحن أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان، فإن أبيتم إلا الكراهة لنا والجهل بحقنا، وكان رأيكم الآن غير الذي أتتني به كتبكم وقدمت به عليّ رُسلكم، انصرفتُ عنكم».

فقال الحر: أنا والله ما أدري ما هذه الكتب؟ وما هذه الرسل التي تذكرها، فقال الحسين عليه السلام: «يا عقبة بن سمعان، أخرج الخرجين اللذين فيهما كتب القوم إليّ»، فأخرج خرجين مملوين صحفاً فنثرت بين يديه، فقال له الحر: لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أمرنا أنا إذا لقيناك، ألا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيدالله بن زياد.

فقال الحسين عليه السلام: «الموت أدنى إليك من ذلك» ثم قال لأصحابه: «قوموا فاركبوا» فركبوا وانتظر حتى ركب نساؤه، فقال لأصحابه: «انصرفوا» فحالَ القوم بينهم وبين الانصراف، فقال الحسين عليه السلام للحر: «ثكلتك أمك ما تريد؟» فقال له الحر: أما لو غيرك يقولها لي من العرب وهو على مثل الحال التي أنتَ عليها، ما تركت ذكر أمه بالثكل كائناً من كان، ولكن والله مالي من ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما نقدر عليه.

فقال عليه السلام: «فما تريد؟» قال: أريد أن أنطلق بك إلى عبيدالله بن زياد، فقال: «إذاً والله لا أتبعك» فقال الحر: «إذاً والله لا أدعك. فترادا القول ثلاثاً، فلما كثر الكلام بينهما، قال الحر: إني لم أؤمر بقتالك، إنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة، فإذا أبيتَ فخذ طريقاً لا يدخلك الكوفة ولا يردك إلى المدينة، يكون بيني وبينك نصفاً، حتى أكتبَ إلى الأمير عبيدالله بن زياد، فلعل الله أن يرزقني العافيةَ من أن أبتلى بشيء من أمرك فخذها هنا.

فتياسر عن طريق العذيب والقادسية، وسارَ الحسين وسار الحر وأصحابه يسايره وهو يقول: يا حسين إني أذكرك الله في نفسك.

ثم قال الحسين لأصحابه: هل فيكم من يعرف الطريق غير الجادة؟ فقال الطّرماح: أنا أخبر بالطريق، فقال له: سر بين أيدينا فسار الطرماح واتبعه الحسين عليه السلام وأصحابه.

وكان الحسين يسير بأصحابه في ناحيةٍ، والحر يسير بأصحابه في ناحيةٍ أخرى، حتى انتهوا إلى عذيب الهجانات فنزل قصر بن مقاتل.

ولما كان آخر الليل أمر فتيانه بالاستقاء من الماء، ثم ارتحل من قصر بني مقاتل.

قال عقبة بن سمعان: فسرنا معهُ ساعةً فخفق وهو على فرسه خفقةً ثم انتبه وهو يقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون الحمد لله رب العالمين» ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً، فأقبل إليه ابنه علي بن الحسين عليه السلام فقال: يا أبة مم حمدت الله واسترجعت؟

قال: «يا بني خفقت خفقة فعنَّ لي فارس على فرسٍ وهو يقول: القوم يسيرون، والمنايا تسير بهم، فعلمت أن أنفسنا نعيت إلينا» فقال: يا أبت لا أراك الله سوءً، أفلسنا على الحق؟ قال: «بلى، والذي مرجع العباد إليه» فقال: فإننا إذاً فلا نبالي أن نموت محقين، فقال له الحسين عليه السلام: جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده».

الإمام الحسين عليه السلام يصل كربلاء

فلما أصبح نزل وصلى بهم صلاة الغداة، ثم عجل الركوب، وأخذ يتياسر بأصحابه، فيأتيه الحر فيرده، فجعل إذا ردهم نحو الكوفة ردّاً شديداً امتنعوا عليه وارتفعوا، فلم يزالوا يتسايرون كذلك حتى انتهى إلى نينوى، فإذا راكب على نجيبٍ عليه سلاحه متنكباً قوساً مقبلاً من الكوفة، فوقفوا جميعاً ينتظرونه، فلما انتهى إليهم سلم على الحر وأصحابه، ولم يسلم على الحسين عليه السلام، ودفع إلى الحر كتاباً من زيادٍ فإذا فيه:

أما بعد: فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي هذا ويقدم عليك رسولي، ولا تنزله إلا بالعراء على غير ماء ولا كلاء، وقد أمرت رسولي أن لا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري، والسلام.

فأخذهم الحر بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا في قريةٍ، فقال له الحسين عليه السلام: «دعنا ويحك ننزل هذه القرية أو هذه، يعني نينوى والغاضرية. قال: لا والله لا أستطيع ذلك، هذا رجل قد بعث عيناً عليَّ، فقال له زهير بن القين: والله إني لا أرى أن يكون بعد الذي ترون إلا أشدّ مما ترون، يابن رسول الله: إن قتال هؤلاء القوم الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم، فلعمري ليأتينا ما لا قبل لنا به.

فقال الحسين عليه السلام : «ما كنت لأبدأهم بقتال».

فقال زهير: فسِرْ بنا يابن رسول الله حتى ننزل كربلاء، فإنها على شاطىء الفرات، فنكون هنالك، فإن قاتلونا قاتلناهم، واستعنّا الله تعالى عليهم، قال: فدمعت عينا الحسين عليه السلام ، ثم قال: «أللهم إني أعوذ بك من الكرب والبلاء»، ثم أقبلَ على أصحابه فقال: «الناس عبيد الدنيا والدينُ لعق على ألسنتهم، يحوطونهُ ما درت معايشهم، فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون».

ثم قال أهذه كربلاء؟

قالوا: نعم يابن رسول الله.

فقال: «هذا موضع كرب وبلاء، هاهنا مناخ ركابنا، ومحط رحالنا، ومقتل رجالنا، وسفك دمائنا».

ثم أمر بالنزول فنزلوا وذلك في يوم الخميس الثاني من المحرم سنة إحدى وستين.

فضربوا أبنيتهم، ونزل الحر بأصحابه حذائه، ثم جمع الحسين عليه السلام ولده وأخوتهُ وأهل بيته، ثم نظر إليهم فبكى ساعة، ثم قال: «اللهم إنا عترة نبيك محمد صلى الله عليه وآله ، وقد أزعجنا وطردنا وأخرجنا عن حرم جدّنا وتعدت بنو أمية علينا، أللهم فخذ لنا بحقنا، وانصرنا على القوم الظالمين.

ثم قام خطيباً في أصحابه: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وأن الدنيا قد تغيرت وتنكرت، وأدبر معروفها، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربه حقاً محقاً، فإني لا أرى الموتَ إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً».

فقام إليه زهير بن القين فقال: قد سمعنا هداك الله مقالتك يابن رسول الله ولو كانت الدنيا لنا باقية، وكنا فيها مخلدين، لآثرنا النهوض معك على الإقامةِ فيها.

ووثب هلال بن نافع البجلي فقال: والله ما كرهنا لقاء ربنا، وإنا على نياتنا وبصائرنا، نوالي من والاك، ونعادي من عاداك.

وقام برير بن خضير فقال: والله يابن رسول الله لقد منّ الله بك علينا أن نقاتل بين يديك تقطع فيك أعضاؤنا، ثم يكون جدّك شفيعنا يوم القيامة.

ثم دعى الحسين عليه السلام بداوة وبياض وكتب إلى أشراف الكوفة ممن كان يظن أنهُ على رأيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى سليمان بن صرد، والمسيب بن نجبة، ورفاعة بن شدّاد، وعبدالله بن وال، وجماعة المؤمنين.

أما بعد: فإنكم تعلمون أني أحق بهذا الأمر لقرابتي من رسول الله ﷺ وقد أتتني كتبكم وقدمت على رسلكم ببيعتكم، أنكم لا تسلمونني ولا تخذلونني، فإن وفيتم لي ببيعتكم فقد أصبتم حظكم ورشدكم، ونفسي مع أنفسكم وأهلي وولدي مع أهاليكم وولدكم، ولكم بي أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهودكم وخلعتم بيعتكم، فلعمري ما هي منكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي، والمغرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم والسلام.

ثم طوى الكتاب وختمه.

فقال هلال بن نافع البجلي (ره): من نكث عهده وخلعَ بيعته، فلن يضر إلا نفسه، والله مغن عنه، فسر بنا راشداً معافاً مشرقاً إن شئت أو مغرّباً، فوالله ما أشفقنا من قدرِ الله، ولا كرهنا لقاء ربنا، وإنا على نياتنا وبصائرنا، نوالي من والاك، ونعادي من عاداك.

بنفسي كراماً سخت بالنفوس ... بيوم سمت فيه أمثالها
وخفوا سراعاً لنصر الحسين ... وقد أبدت الحربُ أثقالها
إلى أن أبيدوا بسيف العدى ... ونال السعادة من نالها

المجلس السادس (من مقتل الحسين عليه السلام)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

في عظمة البكاء على الإمام الحسين عليه السلام

روى في الكامل: عن عبدالله الأصم، عن أبي يعقوب، عن أبان بن عثمان، عن زرارة، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام:

يا زرارة إن السماء بكت على الحسين عليه السلام أربعين صباحاً بالدم، وأن الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد، وأن الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، وأن الجبال تقطعت وانتثرت، وأن البحار تفجرت، وأن الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين عليه السلام، وما اختضبت منا امرأة ولا ادهنت، ولا اكتحلت ولا رجلت حتى

أتانا رأس عبيدالله بن زياد (لع)، وما زلنا في عبرة، وكان جدي عليه السلام إذا ذكره بكى حتى تملأ عيناه لحيته، وحتى يبكي لبكائه رحمة له من رآه.

وأن الملائكة الذين عند قبره ليبكون، فيبكي لبكائهم كل من في الهواء، والسماء من الملائكة، ولقد خرجت نفسه صلى الله عليه وآله، فزفرت جهنم زفرة كادت الأرضُ تنشق لزفرتها، ولقد خرجت نفسُ عبيدالله ويزيد لعنهم الله، فشهقت جهنم شهقة لولا أن الله حبسها بخزانها لأحرقت من على ظهر الأرض من فورها، ولو يؤذن لها ما بقي شيء إلا ابتلعته. ولكنها مأمورة مصفودة، ولقد عتت على الخزّان غير مرة حتى أتاها جبرائيل عليه السلام فضربها بجناحه فسكنت، وإنها لتبكيه وتندبهُ وأنها لتتلظى على قاتله، ولولا من على الأرض من حجج الله لنقضت الأرض واكفأت ما عليها.

وما عين أحبَ إلى الله ولا عبرة من عين بكت ودمعت على الحسين عليه السلام، وما من باك يبكيه إلا وقد وصل فاطمة وأسعدها عليه، ووصل رسول الله صلى الله عليه وآله وأدّى حقنا، وما من عبد يحشر إلا وعيناهُ باكية إلا الباكين على جدي فإنه يحشر وعينه قريرة، والبشارة تلقاه، والسرور على وجهه، والخلق في الفزع وهم آمنون، والخلق يعرضون وهم حداث الحسين تحت العرش لا يخافون سوء الحساب، ويقال لهم: ادخلوا الجنة فيأتون ويختارون مجلسهُ وحديثه.

وأن الحور لترسل إليهم أنا قد اشتقنا إليكم مع الولدان المخلدين، فما يرفعون رؤسهم إليهم لما يرون في مجلسهم من السرور والكرامة، وأن الملائكة لتأتيهم بالبشارة من أزواجهم، ومن خزانهم على ما أعطوا من الكرامة، فيقولون: نأتيكم إنشاء الله، فيرجعون إلى أزواجهم بمقالاتهم، فيزدادون شوقاً إليهم إذا هم خبروهم بما هم فيه من الكرامة وقربهم من الحسين عليه السلام، فيقولون: الحمد لله الذي كفانا الفزع الأكبر وأهوالَ القيامة، ونجانا مما كنا نخاف، ويؤتون بالمراكب والرحال على النجائب، فيستوون عليها وهم في الثناء على الله والصلاة على محمد وآله حتى ينتهوا إلى منازلهم:

يا يومَ عاشوراء كم لكَ لوعة ... تترقّص الأحشاء من إيقادها
ما عدتَ إلا عاد قلبي غلّة ... حرى ولو بالغتُ في إبرادها
مثل السليم مضيضة آناتهُ ... خزرُ العيون تعوده بعدادها
يا جد لا زالت كتائبُ حسرة ... تغشى الضمير بكرّها وطرادها
أبداً عليك وأدمع مسفوحة ... إن لم يراوحها البكاء يغادها
كانت مآتمُ بالعراق تعدّها ... أموية بالشام من أعيادها
ما راقبت غضب النبي وقد غدى ... زرع النبيّ مظنة لحصادها

نسل النبي على صعاب مطيّها ودم النبي على رؤوس صعادها
والهفتاهُ لعصبة علوية تسبعت أمية بعد ذلّ قيادها
جعلت عرانَ الذلِ في آنافها وعلاط وسم الضيف في أجيادها

روى في الكامل: عن أبي جعفر عليه السلام قال: كتب الحسين بن عليّ إلى أخيه محمد ابن علي عليه السلام من كربلاء: «بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين ابن علي إلى محمد بن علي، ومن قبله من بني هاشم أما بعد: فكأن الدنيا لم تكن وكأن الآخرة لم تزل والسلام.

مجيء عمر بن سعد

وروى: أنه كتب الحر إلى ابن زياد (لع) يخبره بنزول الحسين بكربلاء، فكتب ابن زياد (لع) إلى الحسين عليه السلام أما بعد: يا حسين فقد بلغني نزولك بكربلاء، وقد كتب إليّ أمير المؤمنين (لع)، أن لا أتوسّد الوثير ولا أشبع من الخمير، أو ألحقك باللطيف الخبير، أو ترجع إلى حكمي وحكم يزيد ابن معاوية والسلام.

فلما ورد كتابهُ على الحسين عليه السلام قرأه ورماهُ من يده، وقال: ما أفلح قوم اشتروا مَرضات المخلوق بسخط الخالق، فقال لهُ الرسول: الجواب أبا عبدالله! فقال: ما له عندي جواب لأنه قد حقت عليه كلمةُ العذاب، فلما رجع الرسول وأخبرهُ بذلك، غضب عدو الله من ذلك أشد الغضب.

والتفت إلى عمر بن سعد(لع) وأمره بالخروج إلى قتال الحسين عليه السلام، وقد كان ولاه الريّ، فاستعفى عمر بن سعد من ذلك، فقال ابن زياد (لع): فاردد إلينا عهدنا، فاستمهله ثم قبلَ بعد يوم.

فلما كانَ من الغدِ خرج عمر بن سعد من الكوفة في أربعةِ آلاف فارس، فنزل نينوى، فبعث إلى الحسين عليه السلام عروة بن قيس فقال له: إئته وسله ما الذي جاء به وماذا يريد؟ وكان عروة ممن كتب إلى الحسين عليه السلام، فاستحيى منه فعرض ذلك على الرؤساء وكلهم أبوا ذلك لأنهم كاتبوه.

فقامَ إليه كثير بن عبدالله الشعبي، وكان فارساً شجاعاً فقال له: أنا أذهبُ إليه، ووالله لئن شئت لأفتكن به، فقال له عمر بن سعد: ما أريد أن تفتك به، فأقبل كثير، فلما رآه أبو ثمامة الصيداوي (ره) قال للحسين عليه السلام: أصلحك الله يا أبا عبدالله! قد جاءك شرّ أهل الأرض وأجرأهُ على دم وأفتكه، وقام إليه فقال له: ضع سيفك قال لا والله ولا كرامة إنما أنا رسول إن سمعتم كلامي بلّغتكم، وإن أبيتم إنصرفت عنكم قال: فإني آخذ بقائم سيفك ثم تكلم قال: لا والله لا تمسّهُ، فقال: أخبرني بما جئت به، وأنا

أبلّغه عنك ولا أدعكَ تدنو منه، فإنك فاجر، فاستبا وانصرف راجعاً إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر.

فدعى عمر بن سعد قرّة بن قيس، فقال: ويحك إلق حسيناً فسلهُ ما جاء به؟ وماذا يريدُ؟ فأتاه قرة فلما رآه الحسين عليه السلام مقبلاً قال: أتعرفون هذا؟ فقال حبيب بن مظاهر: هذا رجل من حنظلة، وهو ابن أختنا، وقد كنت أعرفه بحسن الرأي، وما كنت أراه يشهد هذا المشهد، فجاء حتى سلم على الحسين عليه السلام، وأبلغه رسالة عمر بن سعد إليه.

فقال له الحسين: «كتب إليَّ أهل مصركم هذا أن أقدم، فأما إذا كرهتموني فأنا أنصرف عنكم»، فقالَ له حبيب: ويحك يا قرة أين تذهب؟ إلى القوم الظالمين؟! انصر هذا الرجل، فقال له قرة: أرجعُ إلى صاحبي بجواب رسالته وأرى رأيي، فانصرفَ إلى عمر بن سعد وأخبره الخبر، فقال عمر بن سعد: أرجو أن يعافيني الله من حربه وقتاله.

في إرسال عبيد الله العسكر إلى كربلاء

وكتب ابن سعد إلى ابن زياد (لع):

أما بعد: فإني حيث نزلت بالحسين عليه السلام بعثت إليه رسولي فسألتهُ عما أقدمه، وماذا يطلب؟ فقال: قد كتب إليَّ أهل هذه البلاد، وأتتني رسلهم يسألونني القدوم ففعلت، فأما إذا كرهتموني، وبدا لهم غير ما أتتني به الرسل، فأنا منصرف عنهم.

فلما قرأ الكتاب قال:

الآن وقد علقت مخالبنا به يرجو النجاة ولات حين مناصِ

قال: ثم جمع الناس ابن زياد (لع) في جامع الكوفة، ثم خرج فصعدَ المنبر ثم قال:

أيها الناسُ إنكم بلوتم آل أبي سفيان فوجدتموهم كما تحبون، وهذا أمير المؤمنين يزيد، قد عرفتموه حسن السيرة محمود الطريقة، محسناً إلى الرعية، يعطي العطاء في حقه، قد أمنت السبل على عهده، يكرم العباد، ويغنيهم بالأموال، وقد زادكم في أرزاقكم مائة مائة، وأمرني أن أوفرها عليكم وأخرجكم إلى حرب عدوه الحسين فاعملوا له وأطيعوا.

ثم نزل عن المنبر ووفر العطاء، فأول من خرج شمر بن ذي الجوشن في أربعة آلاف، فصار ابن سعد في تسعةِ آلاف، ثم أتبعه بيزيد بن ركاب الكلبي في ألفين،

والحصين بن نمير السكوني في أربعة آلاف، والمازني في ثلاثة آلاف، ونصر في أحد عشر ألفاً، فذلك عشرون ألفاً.

ثم أرسل إلى شبث بن ربعي أن أقبل إلينا فإنا نريد أن نوجه بك إلى حرب الحسين، فتمارض شبث، فأرسل إليه:

أما بعد: فإن رسولي أخبرني بتمارضك، وأخاف أن تكون من الذين إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن، إن كنت في طاعتنا فاقبل إلينا مسرعاً.

فأقبل إليه شبث بن ربعي بعد العشاء لئلا ينظر إلى وجهه فلا يرى عليه أثر العلة، فلما دخل رحب به وقرب مجلسه، وقال: أريد أن تشخص إلى قتال الحسين عوناً لابن سعد، فقال: أفعل أيها الأمير، فما زال يرسل إليه بالعساكر حتى تكامل عنده ثلاثون ألفاً ما بين فارس وراجل، ثم كتب إليه ابن زياد (لع): إني لم أجعل لك علة في كثرة الخيل والرجال، فانظر لا أصبح ولا أمسي إلا وخبرك عندي غدوة وعشية، وكان ابن زياد يستحث عمر بن سعد لستة أيام مضين من المحرم.

ورجعت خيل ابن سعد حتى نزلوا على شاطىء الفرات، فحالوا بين الحسين عليه السلام وأصحابه وبين الماء، وأضر العطش بالحسين وأصحابه، فأخذ الحسين عليه السلام فأساً، وجاء وراء خيمة النساء، فخطى في الأرض تسع عشرة خطوة نحو القبلة، ثم حفر هناك، فنبعت نه عين من الماء العذب، فشرب الحسين عليه السلام وشرب الناس بأجمعهم، وملؤوا أسقيتهم، ثم غارت العين، فلم ير لها أثر، فأرسل ابن زياد إلى ابن سعد (لع).

أما بعد: فلقد بلغني أن الحسين يحفر الآبار، ويصيبُ الماء فيشرب هو وأصحابه، فانظر إذا ورد عليك كتابي فامنعهم من حفر الآبار ما استطعت وضيق عليهم غاية التضييق، ولا تدعهم يذوقوا الماء، وافعل بهم كما فعلوا بالزكي عثمان، فعندها ضيق ابن سعد عليهم غاية التضييق.

فلما اشتد العطش بالحسين عليه السلام دعى أخاه العباس، وضم إليه ثلاثون فارساً، وعشرين راجلاً، وبعث معهُ عشرين قربة، فأقبلوا في جوف الليل حتى دنوا من الفرات، فقال عمرو بن الحجاج: من أنتم؟ فقال هلال بن نافع البجلي: ابن عم لك جئت أشرب من هذا الماء، فقال: اشرب هنيئاً.

فقال هلال: ويحك كيف تأمرني أن أشرب، والحسين بن علي عليه السلام، ومن معه وعياله يموتون عطشاً فقال عمرو بن الحجاج: صدقت، ولكن أمرنا بأمر لا بد أن ننتهي إليه، فصاح هلال بأصحابه فدخلوا الفراتَ، وصاح عمرو بن الحجاج بالناس فاقتتلوا

قتالاً شديداً، فكان قوم يقاتلون، وقوم يملؤن القرب حتى ملؤها ولم يقتل من أصحاب الحسين عليه السلام أحد.

ثم رجع القوم إلى معسكرهم، فشرب الحسين عليه السلام ومن كان معه، ولذلك سمي العباس: السقاء.

ثم أرسل الحسين إلى ابن سعد: «إني أريد أن أكلمك فالقني الليلة بين عسكري وعسكرك» فخرج إليه عمرو بن سعد (لع) في عشرين، وخرج إليه الحسين عليه السلام في مثل ذلك، فلما التقيا أمر الحسين عليه السلام أصحابه فتنحوا عنه، وبقي معه أخوه العباس وابنه علي الأكبر، وأمر ابن سعد أصحابه فتنحوا عنه، وبقي معه ابنه حفص وغلام له.

فقال له الحسين عليه السلام: «ويلك يابن سعد أما تتقي الله الذي إليه معادك؟ تقاتلني وأنا ابن من علمت؟ ذر هؤلاء القوم وكن معي، فإنهُ أقرب لك إلى الله تعالى»؟

فقال ابن سعد: أخاف أن تُهدم داري.

فقال الحسين عليه السلام: «أنا أبنيها لك».

فقال: أخافُ أن توخذ ضيعتي.

فقال الحسين عليه السلام: «أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز».

فقال: لي عيال وأخاف عليهم، ثم سكت ولم يجبه إلى شيء، فانصرف عنه الحسين عليه السلام، وهو يقول: «مالك، ذبحك الله على فراشك عاجلاً، ولا غفر لك يوم حشرك، فوالله لأرجو أن لا تأكل من برّ العراق إلا يسيراً».

فقال ابن سعد: في الشعير كفاية مستهزءاً بذلك القول.

قال المفيد (ره): ونادى عبدالله حصين الأزدي (نع) بأعلى صوته: يا حسين! ألا تنظرون إلى الماء كأنه كبد السماء، والله لا تذوقون منه قطرة واحدة حتى تموتوا عطشاً، فقال الحسين عليه السلام: «اللهم اقتله عطشاً ولا تغفر له أبداً».

قال حميد بن مسلم: والله لعدتهُ في مرضه بعد ذلك فوالله الذي لا إله غيره، لقد رأيته يشرب الماء حتى يبغر ثم يقيئه، ويصيح العطش ثم يعود ويشربُ، حتى يبغر ثم يقيئه ويتلظى عطشاً، فما زال ذلك دابه حتى لفظ نفسه.

رسالة عبيد الله إلى عمر ابن سعد

وبلغ ابن زياد (لع): أن ابن سعد يسامر الحسين ويحدثهُ ويكرهُ قتاله، فكتب إلى عمر بن سعد:

إذا أتاك كتابي هذا فلا تمهلنّ الحسين بن علي، وخذ بكظمه، وحل بينه وبين الماء كما حيلَ بين عثمان يوم الدار.

فلما وصل الكتاب إلى عمر بن سعد (لع)، أمر مناديه فنادى: أما قد أجلنا حسيناً وأصحابه ليلتهم ويومهم.

قال الشيخ المفيد عليه الرحمة: لما رأى الحسين نزول العساكر مع عمر بن سعد (لع) بنينوى ومددهم لقتله أنفذ إلى عمر بن سعد: «أنني أريد أن ألقاك»، فاجتمعا ليلاً وتناجيا طويلاً، ثم رجع عمر إلى مكانه وكتب إلى عبيدالله بن زياد (لع).

أما بعد: فإن الله قد أطفىء النائرة، وجمع الكلمة، وأصلح أمر الأمة، هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى، وأن يسير إلى ثغر من الثغور، فيكوّن رجلاً من المسلمين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، أو أن يأتي أمير المؤمنين يزيد فيضع يده في يده، فيرى فيما بينه وبينه رأيه، وفي هذا لك رضاً وللأمة صلاح.

فلما قرأ ابن زياد الكتاب قال: هذا كتاب ناصح مشفق على قومه، فقام إليه شمر لعنه الله، فقال: أتقبل هذا منه، وقد نزل بأرضك وأتى جنبك؟ والله لئن رحل عن بلادك ولم يضع يده في يدك، ليكونن أولى بالقوة، ولتكونن أولى بالعجز والضعف، فلا تعطه هذه المنزلة فإنها من الوهن، ولكن لينزل الحسين وأصحابه على حكمك، فإن عاقبت فأنتَ أولى بالعقوبة، وإن عفوت كان ذلك لك.

فقال ابن زياد (لع): نعم ما رأيت! الرأي رأيك أخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد ليعرض على الحسين، وأصحابه النزول على حكمي، فإن فعلوا فليبعث بهم إليّ سلماً، وإن هم أبوا فليقاتلهم، فإن فعل فاسمع له وأطع، وإن أبى أن يقاتلهم فأنت أمير الجيش، فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه.

وكتب إلى ابن سعد (لع): «أني لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه، ولا لتطاوله، ولا لتمنيه السلامة والبقاء، ولا لتعتذر عنه، ولا لتكون له عندي شفيعاً، انظر فإن نزل حسين وأصحابهُ على حكمي واستسلموا، فابعث بهم إليّ سلماً، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم، فإنهم لذلك مستحقون، فإن قتلت حسيناً فأوطىء الخيل صدره وظهره فإنه عات ظلوم، ولستُ أرى أن هذا يضر بعد الموت شيئاً، ولكن عليّ قول قد قتلهُ لو قد قتلته لفعلت هذا به، فإن أنت مضيت لأمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع، وإن أنت أبيت فاعتزل عملنا وجندنا، وخلّ بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر، فإنا قد أمرناه بأمرنا والسلام».

فأقبل شمر بن ذي الجوشن بكتاب عبيدالله بن زياد إلى عمر بن سعد، فلما قدم

عليه وقرأه، قال له عمر: مالك ويلك؟! لا قرَّب الله دارك، وقبَّح الله ما قدمت به عليَّ، والله إنّي لأظنك نهيته عما كتبت به إليه، وأفسدت علينا أمراً قد كنا رجونا أن يصلحَ، لا يستسلم والله حسين، إن نفس أبيه بين جنبيه.

فقال شمر: أخبرني ما أنت صانع؟ أتمضي لأمر أميرك وتقاتل عدوه؟ وإلا فخلّ بيني وبينه وبين الجند والعسكر؛ فقال: لا ولا كرامة لك، ولكن أنا أتولى ذلك فدونك فكن أنت على الرّجالة.

ونهض عمر بن سعد إلى حرب الحسين عليه السلام عشية الخميس لتسع مضين من المحرم.

وجاء شمر (لع) حتى وقف على أصحاب الحسين عليه السلام وقال: أين بنو أختنا؟ فخرج جعفر والعباس وعثمان بنو علي عليه السلام فقالوا: ما تريد؟ فقال: أنتم يا بني أختي آمنون، فقال له الفئةُ: لعنك الله ولعن أمانك أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له يا عدوّ الله؟! أتأمرنا أن نترك أخانا وسيدنا الحسين عليه السلام، وندخل في طاعة اللّعناء وأولاد اللّعناء، فرجع شمر إلى عسكره مغضباً.

ثم نادى عمر: يا خيل الله اركبي وابشري بالجنة! فركب الناس ثم زحف نحوهم بعد العصر، والحسين عليه السلام جالس أمام بيته مُحتبيء بسيفهُ إذ خفقَ برأسه خفقة على ركبتيه.

فسمعت أختهُ الصيحة، فدنت من أخيها وقالت: يا أخي أما تسمعُ الأصوات قد اقتربَ العدو؟ فرفعَ الحسين عليه السلام رأسه فقال: «إني رأيت رسول الله الساعة في المنام وهو يقول لي: يا حسين إنك تروح إلينا عن قريب، فلطمت زينب وجهها، ونادت بالويل والثبور، فقال لها الحسين عليه السلام: ليس لك الويل يا أختاه، اسكتي يرحمك الله، لا يشمت القوم بنا.

وقال العباس بن علي: يا أخي أتاك القوم:

فنهض صلوات الله عليه ثم قال: اركب أنتَ يا أخي حتى تلقاهم وتقولُ لهم: مالكم؟ وما بدا لكم؟ فأتاهم العباس في نحو من عشرين فارساً فيهم: زهير بن القين، وحبيب بن مظاهر، فقال لهم العباس: ما بدا لكم؟ وما تريدون؟

قالوا: قد جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم النزول على حكمه، أو نناجزكم الحرب.

قال: فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبدالله عليه السلام فأعرض عليه ما ذكرتم.

فانصرف العباس راجعاً يركض إلى الحسين عليه السلام يخبره الخبر، ووقف أصحابه يخاطبون القوم، ويعظونهم ويكفونهم عن قتال الحسين عليه السلام.

فلما أخبره بما قال القوم، قال: يا أخي إرجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غد، وتدفعهم عنا هذه العشية لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أني أحبّ الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار.

فمضى العباس إلى القوم، فسألهم ذلك، فتوقف ابن سعد (لع)، فقال له عمرو بن الحجاج: لو أنهم من الترك والديلم وسألونا مثل ذلك لأجبناهم، فكيف وهم آل محمد؟ فأجابوهم إلى ذلك.

في مناجزة القوم مع الحسين عليه السلام وأصحابه

قال المفيد (ره): ورجع العباس من عندهم، ومعه رسول من عمر بن سعد يقول: إنا قد أجلناكم إلى غد، فإن استسلمتم سرّحنا بكم إلى عبيدالله بن زياد، وإن أبيتم فلسنا بتاركيكم. وجمع الحسين عليه السلام أصحابهُ عند قرب المساء.

قال علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم، وأنا إذ ذاك مريض، فسمعت أبي يقول لأصحابه:

أثني على الله أحسن الثناء وأحمدهُ في السراء والضراء، أللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوّة، وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، فاجعلنا من الشاكرين.

أما بعد: فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ وأوصلَ من أهل بيتي، فجزاكم الله عني خيراً، ألا وإني لأظنّ أن لنا يوماً من هؤلاء ألا وإني قد أذنت لكم، فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم حرج مني ولا ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً. وتفرقوا في سواده، فإن القوم إنما يطلبونني ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري.

فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابنا عبدالله بن جعفر: لم نفعل؟ ذلك لنبقى بعدك؟ لا أرانا اللهُ ذلك أبداً، بدأهم بهذا القول العباس بن علي عليه السلام واتبعته الجماعةُ.

فقال الحسين عليه السلام: يا بني عقيل حسبكم من القتل بمسلم فاذهبوا أنتم فقد أذنتُ لكم؟ فقالوا: سبحان الله! ما يقول الناس؟ وما نقول: إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني

عمومتنا خير الأعمام، ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندري ما صنعوا، لا والله لا نفعل ذلك ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلنا، ونقاتل معك حتى نرد موردك، فقبّح الله العيش بعدك أبا عبدالله!

وقام إليه مسلم ابن عوسجة، وقال: أنحن نخلّي عنك؟ وبما نعتذر إلى الله في أداء حقك؟ لا والله حتى أطعن في صدورهم برمحي، واضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن لي سلاح قاتلتهم به لقذفتهم بالحجارة، والله لا نخليك حتى يعلم الله إنّا قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله فيك.

أما والله لو علمت أني أقتل ثم أحيى، ثم أحرق ثم أذرى، يفعل بي ذلك سبعين مرة، ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك، وإنما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً.

وقام زهير بن القين فقال: والله لوددت إني قتلتُ، ثم نشرت، ثم قتلت، حتى أقتل هكذا ألف مرة، وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك، وعن أنفس هؤلاء الفتية الصفوة من أهل بيتك.

وتكلم جماعة من أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً. فجزاهم الحسين عليه السلام خيراً.

وقال علي بن الحسين: كنت مع أبي في الليلة التي قتل في صبيحتها فقال لأصحابه: «هذا الليل فاتخذوه جنة، فإن القوم إنما يريدونني، ولو قتلوني لم يلتفتوا إليكم، وأنتم في حل وسعة، فقالوا: والله لا يكون هذا أبداً.

فقال: إنكم تقتلون غداً كلكم ولا يفلت منكم رجل.

قالوا: الحمد لله الذي شرفنا بالقتل معك.

فدعا عليه السلام وقال: ارفعوا رؤوسكم وانظروا، فجعلوا ينظرون إلى مواضعهم، ومنازلهم من الجنة، وهو يقول لهم: هذا منزلك يا فلان، فكان الرجل يستقبل الرماح والسيوف بصدره وبوجهه، ليصل إلى منزلته من الجنة.

وقيل لمحمد بن بشر الحضرمي في تلك الحال: قد أسر ابنك بثغر الري، فقال عند الله احتسبه ونفسي، ما أحب أن يؤسر وأنا أبقى بعده، فسمع الحسين عليه السلام قوله، فقال: «رحمك الله أنت في حل من بيعتي فاعمل في فكاك ابنك».

فقال: أكلتني السّباع حياً أن فارقتك.

قال: «فاعط ابنك هذه الأثواب والبرود يستعين بها في فداء أخيه».

فأعطاه خمسة أثواب قيمتها ألف دينار.

وبات الحسين عليه السلام وأصحابه تلك الليلة، ولهم دوي كدوي النحل، ما بين راكع وساجد، وقائم وقاعد.

قالت فاطمة بنت الحسين عليه السلام: وأما عمتي زينب فإنها لم تزل قائمة في تلك الليلة في محرابها تستغيث إلى ربها، والله فما هدأت لنا عين ولا سكنت لنا رنة.

سمة العبيد من الخشوع عليهم لله إن ضَمتهمُ الأسحارُ
وإذا ترجلت الضحى شهدت لهم بيض القواضب أنهم أحرارُ

المجلس السابع (من مقتل الحسين عليه السلام)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

في إخبار النبي صلى الله عليه وآله بقتل الحسين عليه السلام

في الكامل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما أُسري بالنبي صلى الله عليه وآله قيل له: إن الله يختبرك في ثلاث لينظر كيف صبرك قال: أسلم لأمرك يا رب ولا قوة لي على الصبر إلا بك، فما هن؟ قيل:

أولهن: الجوع والأثرة على نفسك لأهل الحاجة قال: قبلت يا رب ورضيت وسلمتُ، ومنك التوفيق والصبر.

وأما الثانية: فالتكذيب والخوف الشديد، وبذلك مهجتك فيّ، ومحاربة أهل الكفر بمالك، ونفسك، والصبر على ما يصيبك منهم من الأذى، ومن أهل النفاق، والألم في الحرب والجراح قال: يا رب قبلت ورضيت وسلمتُ، ومنك التوفيق والصبر.

وأما الثالثة: فما يلقى أهل بيتك من بعدك من القتل.

أما أخوك علي: فيلقى من أمتك الشتم، والتعنيف، والتوبيخ، والحرمان، والجهد، والظلم وآخر ذلك القتل، فقال: يا رب قبلتُ وسلمت ورضيت، ومنك التوفيق والصبر.

وأما ابنتك: فتظلم وتحرم، ويؤخذ حقها غصباً الذي تجعله لها وتضرب وهي حامل، ويدخل على حريمها بغير إذن، ثم يمسها هوان وذلّ، ولا تجد مانعاً وتطرح ما في بطنها من الضرب وتموت من ذلك الضرب، قلت: إنا لله قبلت يا رب وسلمت ورضيت، ومنك التوفيق والصبر.

فقيل: ويكون لها من أخيك ابنان يقتل أحدهما غدراً ويسلب ويطعن، قال: قبلت يا رب وإنا لله وإنا إليه راجعون وسلمت، ومنك التوفيق والصبر.

وأما ابنها الآخر: فتدعوهُ أمتك للجهاد، ثم يقتلونه ويقتلونَ ولده ومن معه من أهل بيته، ثم يسلبون حريمه فيستعين بي، وقد مضى القضاء مني بالشهادة له ولمن معه، ويكون قتله حجة على من بقطريها، فتبكيه أهل السماوات وأهل الأرضين جزعاً عليه، وتبكيه ملائكة لم يدركوا نصرته، ثم أخرج ذكراً من صلبه انتصر به له، وإن شبحه عندي تحت العرش يملأ الأرض بالعدل، ويطفيها بالقسط، يسير معه الرعب، يقتل حتى يشك فيه، قلت: إنا لله فقيل: ارفع رأسك، فنظرت إلى رجل من أحسن الناس صورة وأطيبهم ريحاً، والنور يسطع من فوقه ومن تحته، فدَعوته فأقبل إليّ وعليه ثياب النور، وسيماء كل خير، حتى قبّل ما بين عيني، ونظرت إلى ملائكة قد حفوا به لا يحصيهم إلا الله عزوجل، فقلت: يا رب لمن يغضب هذا؟ ولمن أعددتَ هؤلاء؟ وقد وعدتني فيهم، وأنا أنتظر منك، فهؤلاء أهل بيتي، وقد أخبرتني بما يلقون من بعدي ولو شئت لأعطيتني النصر فيهم على من بغى عليهم، وقد سلمت وقبلت ورضيت، ومنك التوفيق والرّضاء، والعون على الصبر.

فقيل له: أما أخوك: فجزاؤه عندي جنة المأوى نزلاً بصبره، أفلح حجته يوم البعث، وأوليه حوضك يسقي منه أوليائكم، ويمنع أعدائكم، واجعل جهنم عليه برداً وسلاماً يدخلها، فيخرج من كان في قلبه مثقال ذرّة من المودة، واجعل منزلتكم في درجة واحدة من الجنة.

وأما ابنك المقتول المخذول، وابنك المغرور المقتول صبراً: فإنهما مما ازّين بهما عرشي، ولهما مني الكرامة سوى ذلك مما لا يخطر على قلب بشر لما أصابهما من البلاء، فعليّ فتوكّل، ولكل من أتى قبره من الخلق الكرامة، لأن زوارهُ زوّارك، وزوارك زواري، وعلى كرامة زواري، وأنا أعطيه ما سأل، وأجزيه جزاء يغبطه من نظر إلى عظمتي إياه، وما أعددت له من كرامتي.

وأما ابنتك: فأوقفها عند عرشي فيقال لها: إنّ الله قد حكمك في خلقه فمن ظلمك وظلم ولدك، فاحكمي فيه بما أحببت، فإني أجيز حكومتك فيهم، فتشهد العرصة إلى أن قال: فأول من يحكم فيه محسن بن علي في قاتله، ثم في قنفذ فيؤتيان هو وصاحبه، ويضربان بسياط من نار، لو وقع سوط منها على البحار لغلت من مشرقها إلى مغربها، ولو وضعت على جبال الدنيا لذابت، ثم يجثو أمير المؤمنين للخصومة مع الرابع، وتدخلُ الثلاثة في جب فيطبق عليهم لا يراهم أحد، ولا يرون أحداً، فيقول الذين كانوا

في ولايتهم: ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩]

يا واعظاً معشراً ضلّوا الطريق بما ... على قلوبهم من غيّهم رانا
وزاجراً فئة ضلت بما كسبت ... بالسيف حيناً وبالتنزيل أحياناً
ما هنتُ قدراً على الله العظيم ولم ... يحجب فديتكَ عنك النصر خذلانا
لكنما شاء أن يبديك للملأ ... الأعلى ويجعل منك الصبر عنوانا
فعزَّ أن تتلظى بينهم عطشاً ... والماء يصدر منه الوحش ريّانا

في مكالمة الحسين عليه السلام مع أخته زينب

قال المفيد عليه الرحمة: قال علي بن الحسين عليه السلام: إني لجالس في الليلة التي قتل أبي في صبيحتها، وعندي عمتي زينب تمرضني، إذ اعتزل أبي في خباءٍ له وعنده جون مولى أبي ذر الغفاري وهو يعالج سيفه ويصلحهُ وأبي يقول:

يا دهرُ أفٌ لك من خليلِ ... كم لكَ بالإشراقِ والأصيْلِ
من طالب وصاحب قتيل ... والدهرُ لا يقنعُ بالبديْلِ
وإنما الأمرُ إلى الجليل ... وكل حي سالك سَبيْلي

فأعادها مرتين أو ثلاثاً حتى فهمتها وعلمت ما أراد، فخنقتني العبرةُ، فرددتها ولزمت السكوت، وعلمت أن البلاء قد نزل، وأما عمتي زينب فلما سمعت ما سمعت وهي إمرأة ومن شأن النساء الرقة والجزع، فلم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها وهي حاسرة حتى انتهت إليه، وقالت: واثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة، اليومَ ماتت أمي فاطمة، وأبي عليّ، وأخي الحسنُ، يا خليفة الماضين، وثمال الباقين.

فنظر إليها الحسين عليه السلام وقال: يا أختاه لا يذهبنَّ بحلمك الشيطان، وترقرقت عيناهُ بالدموع، قالت: يا أخي ردنا إلى حرم جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: «لو ترك القطا لنام» فقالت: يا ويلتاه! أفتغتصبُ نفسك اغتصاباً؟! فذلك أقرحُ لقلبي وأشدَّ على نفسي.

ثم لطمت وجهها، وأهوت إلى جيبها فشقته وخرت مغشياً عليها.

فقام إليها الحسين عليه السلام فصب على وجهها الماء وقال لها: يا أختاه! اتقي الله وتعزي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون، وأن كل شيءٍ هالك إلا وجهه تعالى، الذي خلق الخلق بقدرته، ويبعثُ الخلق ويعودون، وهو

فرد وحده، وكان أبي خيراً منّي، وأمي خيراً منّي، وأخي خيراً منّي، ولي ولكلّ مسلم برسول الله أسوة، فعزاها بهذا ونحوه، ثم قال: يا أختاه إني أقسمت عليك فأبريّ قسمي، إذا أنا هلكت، فلا تشقي عليَّ جيباً، ولا تخمشي عليَّ وجهاً، ولا تدعي بالويل والثبور، ثم جاء بها حتى أجلسها عندي.

فلما سمعت زينب ذلك. قالت: يا أخي هذا كلام من أيقن بالقتل.

فقال: «نعم يا أختاه»:

فقالت زينب: واثكلاه هذا الحسين، ينعي إليّ نفسه وبكت، وبكت النسوة ولطمن الخدود، وشققن الجيوب، وجعلت أم كلثوم تنادي: وامحمداه واعلياه! واأماه! واأخاه! واحسناه! واأخاه! واحسيناه! واضيعتنا بعدك أبا عبدالله.

ثم خرج صلوات الله عليه إلى أصحابه فأمرهم أن يقربوا البيوت بعضها من بعض، وأن يدخلوا الأطناب بعضها في بعض، وأن يكونوا بين البيوت، فيقاتلوا القوم في وجه، والبيوت من ورائهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم قد حفّت بهم.

ثم أمر الحسين عليه السلام بحفر حفيرة وراء البيوت شبه الخندق فحشيت حطباً وقصباً.

فلما كان وقت السحر خفق الحسين عليه السلام برأسه خفقة، ثم استيقظ فقال: رأيت كأنَّ كلاباً قد شدت عليّ لتنهشني، وفيها كلب أبقع رأيته أشدها عليَّ، وأظن أن الذي يتولى قتلي رجل أبرص، ثم إني رأيت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه جماعة من أصحابه وهو يقول: يا بنيَّ أنت شهيد آل محمد، وقد استبشر بك أهلُ السماوات وأهل الصفيح الأعلى فليكن إفطارك عندي الليلة عجل ولا تتأخر! فهذا ملك قد نزل من السماء ليأخذ دمك في قارورة خضراء، فهذا ما رأيت وقد أنف الأمر، واقترب الرحيل من هذه الدنيا ولا شك في ذلك.

وأمر الحسين عليه السلام بفسطاط فضرب، وأمر بحفنة فيها مسك كثير، فجعل فيها نورة، ثم دخل ليطلى فروى أن برير بن الخضير الهمداني وعبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري وقفاً على باب الفسطاط ليطليا بعده، فجعل برير يضاحك عبد الرحمن، فقال عبد الرحمن: يا برير أتضحك؟ ما هذه ساعة باطل، يا برير لقد علم قومي أنني ما أحببت الباطل كهلاً ولا شاباً وإنما أفعل ذلك استبشاراً بما نصير إليه، فوالله ما هو إلا أن نلقى القوم بأسيافنا نعالجهم ساعة، ثم نعانق الحور العين.

عانقوا الحورَ دون شبل علي ... مثلَ ما عانق الشقيقَ شقيقُ
برزت للكفاح تفترُ شوقاً ... تُبصر الموت والمحيّا طليقُ

احتجاج الإمام الحسين عليه السلام

قال المفيد عليه الرحمة: روى عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: لما أصبحت الخيل ورآها أبي الحسين عليه السلام رفع يديه وقال:

اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدةٍ، وأنت لي في كل أمرٍ نزل بي ثقة وعدة، كم من كرب يضعف عنه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوته إليك، رغبةً مني إليك عمن سواك، ففرجته وكشفته، وأنت وليّ كل نعمةٍ، وصاحب كل حسنةٍ، ومنتهى كل رغبةٍ.

فأقبل القوم يجولون حول بيت الحسين عليه السلام، فيرون الخندق في ظهورهم والنار تضطرم في الحطب، فنادى شمر بأعلى صوته: يا حسين أتعجلت بالنار قبل يوم القيامة؟ فقال الحسين عليه السلام: من هذا؟ «كأنه شمر بن ذي الجوشن؟» قالوا: نعم.

قال له: «يابن راعية المعزى! أنت أولى بها صليا».

ورام مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهمٍ، فمنعه الحسين عليه السلام من ذلك وقال: إني أكره أن أبدأهم بقتال.

وعبأ الحسين عليه السلام أصحابه، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً، وأربعون راجلاً، فجعل زهير بن القين في ميمنة أصحابه، وحبيباً ابن مظاهر في ميسرة أصحابه، وأعطى رايتهُ أخاه العباس، وجعلوا البيوت في ظهورهم.

وجعل عمر بن سعد على ميمنته: عمرو بن الحجاج، وعلى ميسرته: شمر بن ذي الجوشن، وعلى الخيل: عروة بن قيسٍ، وعلى الرجالة: شبثاً بن ربعي، وأعطى الراية دريداً مولاه.

فعن الصادق عليه السلام: أنهم كانوا ثلاثين ألفاً، وقيل: أكثر من ذلك.

فعند ذلك دعى الحسين عليه السلام براحلته، فركبها ونادى بأعلى صوته: «يا أهل العراق» وجلّهم يسمعون ثم قال: «أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما يحق لكم عليَّ وحتى أعذر فيكم، فإن أعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد، وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١] ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

ثم حمد الله وأثنى عليه وذكره بما هو أهله، وصلى على النبي وعلى الملائكة والأنبياء، فلم يسمع متكلم قط قبله ولا بعده أبلغ منه.

له من علي في الحروب شجاعة ومن أحمد عند الخطابةِ قيل

ثم قال أما بعد: فانسبوني من أنا؟! ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، وانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيكم، وابن وصيّه، وابن عمه، وأول مؤمن مصدّق لرسول الله صلى الله عليه وآله بما جاء به من عند ربه، أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أوليس جعفر الطيّار عمي؟ أولم يبلغكم ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة؟

فإن صدَّقتموني بما أقول وهو الحق، والله ما تعمّدت كذباً مذ علمتُ أن الله يمقت عليه أهله.

وإن كذّبتموني فإن فيكم من أن سألتموه عن ذلكَ أخبركم، سَلوا جابر بن عبدالله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري وسهلاً بن سعد الساعدي، وزيداً بن أرقم، وأنس بن مالكٍ، يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي، ويلكم أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟ وانتهاك حرمتي؟

فقال له الشمر: هو يعبد الله على حرفٍ إن كان يدري ما تقول.

فقال له حبيب بن مظاهر: إني لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنك صادق ما تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك.

ثم قال الحسين عليه السلام: فإن كنتم في شكٍ من هذا، أفتشكون أني ابن بنت نبيكم! فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيٍّ غيري فيكم ولا في غيركم.

ويحكم أتطلبونني بقتيلٍ منكم قتلته؟ أو مالٍ لكم استهلكته؟ أو بقصاص جراحةٍ؟! فأخذوا لا يكلمونهُ.

فنادى: «يا شبث بن ربعي، ويا حجار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحرث، ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار وأخضَّر الجناب، وإنما تقدم على جند لك مجنّدة؟

فقال له قيس بن الأشعث: ما ندري ما تقول، ولكن إنزل على حكم بني عمك، فإنهم لن يروك إلا ما تحب.

فقال عليه السلام: «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد»!

ثم نادى: يا عباد الله ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ [الدخان: ٢٠] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧] ثم أناخ راحلته، وأمر عقبة بن سمعان أن يعقلها وأقبل القوم يزحفون نحوه.

قال محمد بن أبي طالب: فقرب إلى الحسين عليه السلام فرسه فاستوى عليه، وتقدم نحو القوم في نفر من أصحابه، وبين يديه برير، فقال له الحسين عليه السلام: «كلّم القوم يا برير».

فتقدمَ برير فقال: يا قوم اتقوا الله فإن ثقلي محمد قد أصبح بين أظهركم، هؤلاء عترتهُ ودريتهُ وبناته وحرمه، فهاتوا ما عندكم، وما الذي تريدون أن تصنعوهُ بهم؟

فقالوا: نريد أن نمكن منهم الأمير ابن زياد، فيرى رأيه فيهم.

فقال: أفلا تقبلون منهم أن يرجعوا إلى المكان الذي جاؤا منه؟ ويلكم يا أهل الكوفة أنسيتم كتبكم وعهودكم التي أعطيتموها وأشهدتم الله عليها، يا ويلكم أدعوتم أهل بيت نبيكم، وزعمتم أنكم تقتلون أنفسكم دونهم، حتى إذا أتوكم أسلمتموهم إلى ابن زياد، وحَلأتموهم عن الفرات بئسما خلفتم نبيكم في ذريته، ما لكم لا سقاكم الله يوم القيامة، فبئس القوم أنتم.

فقال له نفر منهم: ما ندري ما تقول؟ فقال برير: الحمدُ لله الذي زادني فيكم بصيرة، اللهم إني أبرء إليك من فعال هؤلاء القوم، اللهم القِ بأسهم بينهم، حتى يلقوك وأنت عليهم غضبان، فجعل القوم يرمونه بالسهام فرجع إلى ورائه.

وتقدم أبي الضيم (الحسين) حتى وقف بإزاء القوم، فجعل ينظر إلى صفوفهم كأنهم السيلُ، ونظر إلى عمر بن سعد (لع) واقفاً في صناديد أهل الكوفة. فقال:

الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرته، والشقي من فتنته، فلا تغرنكم هذه الدنيا، فإنها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخيب طمع من طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم. فأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحل بكم نقمته، وجنبكم رحمته، فنعم الربّ ربنا، وبئسَ العبيد أنتم، أقررتم بالطاعة، وآمنتم بالرسول محمد صلى الله عليه وآله، ثم أنكم زحفتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذَ عليكم الشيطان، فأنساكم ذكر الله العظيم. فتبّاً لكم لما تريدون، إنا لله وإنا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين.

فقال عمر بن سعد: ويلكم كلموه فإنهُ ابن أبيه، والله لو وقف فيكم يوماً جديداً لما انقطع ولما حصر، فتقدم شمر (لع) فقال: يا حسين ما هذا الذي تقول؟ أفهمنا حتى نفهم؟

فقال أقول: «اتقوا الله ربكم ولا تقتلوني، فإنه لا يحل لكم قتلي، ولا انتهاك

حرمتي، فإني ابن بنت نبيكم، وجدتي خديجة زوجة نبيكم، ولعله قد بلغكم قول نبيكم في الحسن والحسين: سيدا شباب أهل الجنة.

ويلكم أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي فأخذوا لا يكلمونه.

قال الصدوق (ره): أقبل رجل من عسكر ابن سعد على فرس له يقال له: ابن أبي جويرية المزني، فلما رأى النار تتقد نادى: يا حسين ويا أصحاب حسين، ابشروا بالنار فقد تعجلتموها في الدنيا، فقال الحسين عليه السلام: اللهم أذقه عذاب النار في الدنيا، فنفر به فرسه وألقاه في تلك النار فاحترق.

ثم برز تميم بن حصين الفزاري فنادى: يا حسين ويا أصحاب الحسين: أما ترونَ ماء الفرات يَلوح كأنه بطون الحيات، والله لا ذقتم قطرة حتى تذوقوا الموت جرعاً، فقال الحسين عليه السلام: هذا وأبوه من أهل النار، «اللهم اقتل هذا عطشاً في هذا اليوم»، قال: فخنقه العطش حتى سقط عن فرسه فوطئته الخيل بسنابكها فمات (لع).

ثم أقبل آخر من عسكر ابن سعد يقال له: محمد بن الأشعث فقال: يا حسين بن فاطمة أية حرمة لك من رسول الله صلى الله عليه وآله ليست لغيرك، فتلى الحسين عليه السلام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٣ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٣-٣٤] ثم قال: وأن محمداً لمن آل إبراهيم، وأن العترة الهادية لمن آل محمد صلى الله عليه وآله، ثم رفع الحسين عليه السلام رأسه إلى السماء فقال: «اللهم أرِ محمداً بن الأشعث ذلاً في هذا اليوم لا يعزّه بعد هذا اليوم أبداً»، فعرض له عارض، فخرج من العسكر يتبرز، فسلط الله عليه عقرباً فلدغهُ، فمات بادي العورة.

وبلغ العطش من الحسين عليه السلام وأصحابه فقال له رجل من شيعته يقال له: يزيد بن الحصين الهمداني: يابن رسول الله أتأذن في أن أخرج إلى القوم، فأذن له فخرج إليهم، فقال: يا معشر الناس إن الله عزوجل بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وهذا ماء الفرات تقع فيه خنازير السواد وكلابها، وقد حيل بينه وبين ابنه.

فقالوا: يا يزيد قد أكثرت الكلام فاكفف، فوالله ليعطش الحسين كما عطش من كان قبله.

فقال الحسين عليه السلام: «اقعد يا يزيد».

ثم وثب الحسين عليه السلام متوكئاً على سيفه فنادى بأعلى صوته، فقال: «أنشدكم الله هل تعلمون أن جدي رسول الله؟».

قالوا: اللهم نعم.

قال: «أنشدكم الله هل تعلمونَ أن أمي فاطمة بنت نبيكم محمد ﷺ؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: «أنشدكم الله هل تعلمون أنّ أبي علي بن أبي طالب؟».

قالوا: اللهم نعم.

قال: «أنشدكم الله هل تعلمون أن جدتي خديجة أوّل نساء هذه الأمة إسلاماً؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن سيد الشهداء حمزة عمّ أبي؟».

قالوا: اللهم نعم.

قال: «فأنشدكم بالله هل تعلمون أن جعفراً الطيار في الجنة عمي؟».

قالوا: اللهم نعم.

قال: فأنشدكم الله هل تعلمون أن هذا سيف رسول الله أنا متقلده؟».

قالوا: اللهم نعم.

قال: فأنشدكم الله هل تعلمون أن هذه عمامة رسول الله أنا لابسها؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: «فأنشدكم الله هل تعلمون أن علياً كان أوّلهم إسلاماً، وأعلمهم علماً، وأعظمهم حلماً، وأنه ولي كل مؤمن ومؤمنة؟».

قالوا: اللهم نعم.

قال: فيمَ تستحلّون دمي، وأبي الذائد غداً عن الحوض، يذود عنه رجالاً كما يذاد البعير الصادر عن الماء، ولواء الحمد في يد جدي يوم القيامة؟!!

قالوا: قد علمنا ذلك كله، ونحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشاً!!!.

فأخذ الحسين عليه السلام بطرف لحيته الشريفة وهو يومئذ ابن سبع وخمسين سنة، ثم قال: اشتدّ غضب الله على اليهود حين قالوا: عزير ابن الله.

واشتدّ غضبه على النصارى حين قالوا: المسيح بن الله.

واشتدّ غضبهُ على هذهِ العصابة: الذين يريدونَ قتل ابن بنت نبيهم، والله لا أجيبهم إلى شيء مما يريدونَ حتى ألقى الله تعالى، وأنا مخضب بدَمي.

قال: فسمعن بناتهُ وأخواتهُ كلامه فبكين وندبنَ ولطمن خدودهن وارتفعت أصواتهن، فوجّه إليهنَ أخاه العباس وابنه علياً، وقال لهما: سكتاهنّ فلعمري ليكثر بكائهن:

ونَـواع بَـرزَتِ مـن خـدرهـا تَـلـزمُ الأيـدي أكـبـاداً وجـالا
كـم عـلـى الـنّـأي لـهـا مـن حـنّـة كـحـنـيـن الـنـيـبِ فـارقـنَ الـفـصـالا

المجلس الثامن (من مقتل الحسين عليه السلام)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

في تفسير فرات بن إبراهيم، بإسناده عن حذيفة اليماني، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لَما أُسري بي أخذَ جبرئيل بيدي، فأدخلني الجنة وأنا مسرور، فإذا أنا بشجرة من نور مكلّلة بالنور، في أصلها ملكان يطويانِ الحلى والحلل إلى يوم القيامة، ثم تقدمت أمامي، فإذا أنا بتفاح لم أرَ تفاحاً أعظم منه، فأخذتُ واحدة ففلقتها فخرجت عليَّ منها حوراء، كأن أجفانها مقاديم أجنحة النسور، فقلت: لمن أنتِ؟ فبكت وقالت: لابنك المقتول ظلماً الحسين عليه السلام، ثم تقدمت أمامي، فإذا أنا برطب ألين من الزبد وأحلى من العسل، فأخذت رطبة فأكلتها فتحولت الرطبة نطفة في صلبي، فلما هَبطتُ إلى الأرض واقعتُ خديجةَ فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء إنسية، فإذا اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة.

وفي المناقب، روى بسنده عن أم سلمة، والحسن البصري: أن الحسن والحسين عليهما السلام دخلا على رسول الله صلى الله عليه وآله وبين يديه جبرئيل عليه السلام، فجعلا يدوران حوله يشبهانه بدحية الكلبي، فجعلَ جبرئيلُ يومىء بيده كالمتناول شيئاً، فإذا في يده تفاحة وسفرجلة ورمانة، فناولهما وتهللت وجوههما وسعيا إلى جدهما، فأخذها منها فشمها ثم قال: «صيرا إلى أمكما بما معكما وبدؤكما بأبيكما أعجب» فصارا كما أمرهما فلم يأكلوا حتى صارَ النبي إليهم، فأكلوا جميعاً، فلم يزل كل ما أكل منه عادَ إلى ما كان حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، قال الحسين عليه السلام: فلم يلحقهُ التغيير والنقصان أيامَ فاطمة عليها السلام بنت رسول الله حتى توفيت، فلما توفيت فقدنا الرمان وبقي التفاح والسفرجل أيام أبي، فلما استشهد أبي عليه السلام، فقدنا السفرجل وبقي التفاح على هيئته عند الحسن حتى مات عليه السلام، فبقيت التفاحة إلى الوقت الذي حوصرت عن الماء

فكنت أشمّها إذا عطشت، فيسكن لهيب عطشي، فلما اشتدَّ عليّ العطشُ عضضتها وأيقنت بالفناء.

قال علي بن الحسين عليه السلام سمعتهُ يقول ذلك قبل مقتله بساعة: فلما قضى نحبهُ عليه السلام وجد ريحها في مصرعه، فالتمستها فلم ير لها أثر، وبقيَ ريحها بعد الحسين عليه السلام، ولقد زرت قبره عليه السلام فوجدت ريحها يفوح من قبره، فمن أراد ذلك من شيعتنا الزائرين للقبر، فليلتمس ذلك في أوقات السحر فإنه يجدهُ إذا كان مخلصاً.

بنفسي كراماً سَخت بالنفوسِ ... بيوم سمت فيهِ أمثالَها
وخفوا سِراعاً لنصرِ الحسين ... وقد أبدتِ الحرب أثقالها
فما ردهم عنه خوف الردى ... ولا هائل الموتِ قد هالها
وصالوا كصولة أسدِ العرين ... رَأت في يدِ القوم أشبالَها
ترى أنّ في الموت طولَ الحياة ... فكادَت تسابق آجالها
إلى أن أبيدوا بسيفِ العدى ... ونالَ السعادةَ من نالَها

كلام الإمام الحسين عليه السلام مع القوم

روى عن الصادق عليه السلام أنه قال: سمعت أبي يقول: لما التقى الحسين عليه السلام وعمر بن سعد (لع) وقامت الحرب، أنزل الله النصر حتى رفرف على رأس الحسين، ثم خير بين النصر على أعداء الله وبين لقاء الله تعالى، فاختار لقاء الله تعالى.

وروى في المناقب، بإسناده، عن عبدالله بن محمد بن سليمان بن عبدالله بن الحسن، عن أبيه، عن جدّه، عن عبدالله قال: لما عبأ عمر بن سعد أصحابه لمحاربة الحسين عليه السلام ورتبهم مراتبهم، وأقام الرايات في مواضعها، وعبأ أصحاب الميمنةِ والميسرة، وقال لأهل القلب: اثبتوا:

وأحاطوا بالحسين من كل جانب حتى جعلوه في مثل الحلقة، فخرج صلوات الله عليه حتى أتى الناس فاستنصتهم فأبوا أن ينصتوا فقال لهم:

«ويلكم ما عليكم أن تنصتوا إليَّ فتسمعوا قولي، فإنما أدعوكم إلى سبيل الرشاد، فمن أطاعني كان من المرشدين، ومن عصاني كان من المهلكين، وكلكم عاص لأمري غير مستمع قولي، فقد ملئت بطونكم من الحرام، وطبع على قلوبكم، ويلكم ألا تنصتون؟ ألا تسمعون؟» فتلاوم أصحاب عمر بن سعد (لع) بينهم وقالوا: أنصتوا له.

فقام الحسين عليه السلام: ثم قال: تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً، أفحين استصرختمونا ولهين متحيرين فأصرخناكم مؤدين مستعدين، سللتم علينا سيفاً في رقابنا، وحششتم

علينا نار الفتن جناها عدوكم وعدونا فأصبحتم ألباً على أوليائكم، ويداً عليهم لأعدائكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، إلا الحرام من الدنيا أنالوكم، وخسيس عيش طمعتم فيه، من غير حدث كان منا، ولا رأي ثقيل لنا.

فهلاً - لكم الويلاتَ - إذ كرهتمونا وتركتمونا، تجهزتموها والسيفُ لم يشهر، والجاش طامن، والرأي لما يستحصف، ولكن أسرعتم إلينا كطيرة الذُباب، وتداعيتم كتداعي الفراش، فقبحاً لكم، فإنما أنتم من طواغيت الأمة، وشذاذِ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعصبة الآثام، ومحرفي الكتاب، ومطفىء السنن، وقتلة أولاد الأنبياء، ومبيري عترة الأوصياء، وملحقي العهار بالنسب، ومؤذي المؤمنين، وصراخ أئمة المستهزئين، الذين جعلوا القرآن عضينَ.

وأنتم ابن حرب وأشياعه تعضدون، وإيانا تخذلون، أجل والله الخذل فيكم معروف، وشجت عليه عروقكم، وتوارثتهُ أصولكم وفُروعكم، وتثبتت عليه قُلوبكم، وغشيت صدوركم، فكنتم أخبث شيء سنخاً للناصب وأكلة للغاصب، ألا لعنة الله على الناكثين الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً فأنتم والله هم.

ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة (القلة) والذلة، وهيهات ما آخذُ الدنية، أبى الله ذلك ورسوله ﷺ، وجدود طابت، وحجور طهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وقد أعذرت وأنذرت، ألا وإني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلة أصحاب ثم أنشأ يقول:

فإن نهزم فهزامونَ قدماً ... وإن نُهزم فغيرُ مُهزمينا
وما إن طبّنا جبنٌ ولكن ... مَنايانا ودولةُ آخرينا

ألا! ثم ما تلبثون بعدها إلا كريث ما يركب الفرس، حتى تدور بكم دور الرحى، وتقلق بكم قلق المحور عهد عهده إليَّ أبي عن جدي ﷺ، فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم كيدوني جميعاً ولا تنظرون، ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦] ثم رفع يديه نحو السماء وقال:

«اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنيناً كسني يوسف، وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة، ولا يدع فيهم أحداً، إلا قتله قتلة بقتلة، وضربةٌ بضربة، ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم، فإنهم غرونا وكذبونا وخذلونا، وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير».

ثم قال: ادعو لي عمر بن سعد؟ فدعي له، وكان كارهاً لا يحب أن يأتيه، فقال:

يا عمر أنت تقتلني؟ وتزعم أن يوليك الدعي ابن الدعي بلاد الرَّي وجرجان، والله لا تتهنأ بذلك أبداً، عهداً مَعهوداً، فاصنع ما أنت صانع، فإنك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة، ولكأني برأسك على قصبة قد نصب بالكوفة، يتراماه الصبيان ويتخذونه غرضاً بينهم».

فاغتاظ عمر من كلامه، ثم صرف بوجهه عنه ونادى بأصحابه: ما تنتظرون به؟ احملوا بأجمعكم إنما هي أكلة واحدة.

توبة الحر

قال الشيخ المفيد (ره): فلما رأى الحر بن يزيد أن القوم قد صمموا على قتال الحسين عليه السلام قال لعمر بن سعد: أي عمر! أمقاتل أنت هذا الرجل؟ قال: إي والله قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس، وتطيح الأيدي، قال: أفما لكم فيما عرضهُ عليكم رضا؟ قال عمر: أما لو كان الأمر إليّ لفعلت؟ ولكن أميرك قد أبى.

فأقبل الحر حتى وقف من الناس موقفاً، ومعه رجل من قومه يقال له: قرة بن قيس، فقال: يا قرّة هل سقيت فرسك اليوم؟ قال: لا، قال: فما تريد أن تسقيه؟ قال قرة: فظننت والله إنّه يريد أن يتنحى ولا يشهد القتال، فكره أن أراه حين يصنع ذلك، فقلت أنا منطلق فأسقيه، فأعتزل ذلك المكان الذي كان فيه، فوالله لو أطلعني على الذي يريد لخرجت معه إلى الحسين عليه السلام.

فأخذ يدنو من الحسين قليلاً قليلاً فقال له المهاجر بن أوس: ما تريد يابن الرياحي؟ أتريد أن تحمل؟ فلم يجبه وأخذه مثل الأفكل وهي الرعدة، فقال المهاجر: إنّ أمرك لمريب! والله ما رأيت منك في موقف قط مثل هذا، ولو قيل لي: من أشجع أهل الكوفة؟ لما عدوتك، فما هذا الذي أرى منك؟ فقال له الحر: إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار، فوالله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قُطعتُ وأحرقت.

ثم ضرب فرسه فلحق بالحسين عليه السلام، وجاز عسكر ابن سعد واضعاً يده على رأسه وهو يقول: «اللهم إليك أنيب فتب عليّ فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد نبيك».

ثم قال للحسين عليه السلام: جعلت فداك أنا صاحبكَ الذي حبستك عن الرجوع وسايرتك في الطريق، وجعجعت بك في هذا المكان، وما ظننت أن القوم يريدون عليك ما عرضته عليهم، ولا يبلغون منك هذه المنزلة، والله لو علمت أنهم ينتهون بك ما أرى، ما ركبت مثل الذي ركبت، وأنا تائب إلى الله مما صنعت، فهل ترى لي من

ذلك توبة؟ فقال له الحسين عليه السلام : «نعم يتوب اللهُ عليك فأنزل»، فقال: أنا لك فارساً خير مني راجلاً، أقاتلهم على فَرسي ساعةً، وإلى النزول ما يصير آخر أمري.

فقال له الحسين عليه السلام : فاصنع ما بدا لك يرحمك الله.

فاستقدمَ أمام الحسين عليه السلام فقال: يا أهلَ الكوفة، لأمّكم الهبلُ والعبر أدعوتم هذا العبد الصالح حتى إذا أتاكم أسلمتموهُ؟ وزعمتم أنكم قاتِلوا أنفسكم دونه ثم عَدَوتم عليه لتقتلوه؟

دعوتُموهُ فلما حلّ ساحتكم ثُرتم إلى قتلهِ خيلاً وركباناً

أمسكتم بكلكله وأحطتم به من كل جانب لتمنعوه التوجه إلى بلاد الله العريضة، فصار كالأسير في أيديكم لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضراً، وحلأتموه ونساءه وصبيته وأهله عن ماء الفرات الجاري تشربه اليهود والنصارى والمجوس، وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابها، وهاهم قد ضرهم العطش، بئسما خلفتم محمداً في ذريته، لاسقاكم الله يوم الظما.

فحمل عليه رجال يرمونه بالنبل، فأقبل حتى وقف أمام الحسين عليه السلام ، ونادى عمر بن سعد (لع): يا دريد أدن رايتك فأدناها، ثم وضع سهماً في كبد قوسه، ثم رمى به نحو عسكر الحسين عليه السلام ، وقال: اشهدوا لي أني أول من رمى، فرمى أصحابه كلهم فلم يبق من أصحاب الحسين عليه السلام إلا أصابه سهم من سهامهم، فقال الحسين لأصحابه: «قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لا بدّ منهُ فإن هذه السّهام رسل القوم إليكم».

شهادة أصحاب الإمام الحسين عليه السلام

وروي أن الحرّ قال للحسين عليه السلام : يابن رسول الله كنت أول خارج عليك، فأذن لي لأكون أول قتيل بين يديك، وأول من يصافح جدك غداً، فأذن له فتقدم إلى البراز ينشد:

إني أنا الحرُ ومَأوى الضيفِ أضرب في أعناقكم بالسيفِ
عن خير من حل بأرض الخيف

فقاتل قتالاً شديداً، وروي أن الحر لما لحق بالحسين عليه السلام قال يزيد بن سفيان: أما والله لو لحقته لاتبعته السنان، فبينما هو يقاتل، وإن فرسه لمضروب على أذنيه وحاجبيه، وأن الدماء لتسيل إذ قال الحصين: يا يزيد هذا الحر الذي تتمناه، قال:

نعم، فخرج إليه فما لبث الحرّ أن قتله وقتل أربعين فارساً وراجلاً، فلم يزل يقاتل حتى عرقب فرسه وبقي راجلاً وهو ينشد:

إنّي أنا الحرُّ ونجل الحرّ أشجع من ذي لبد هزبر
ولست بالجبان عند الكبرّ لكنّني الوقاف عند الضرّ

فلم يزل يقاتل حتى قتل رحمه الله، فاحتمله أصحاب الحسين عليه السلام حتى وضعوه بين يدي الحسين وبه رمق، فجعل الحسين عليه السلام يمسح وجهه ويقول: «أنت الحر كما سمتك أمك، وأنت الحر في الدنيا والآخرة».

وروي أنه أتاه الحسين عليه السلام ودمه يشخب فقال: بخ بخ لك يا حرّ، أنت حر كما سميت في الدنيا والآخرة.

وبرز يسار (لع) مولى زياد بن أبي سفيان، فبرز إليه عبدالله بن عمير فقال له: من أنت؟ فانتسب له، فقال: لست أعرّفك حتى يخرج إليّ زهير بن القين، أو حبيب بن مظاهر. فقال له عبدالله بن عمير: يابن الفاعلة أوبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس؟! ثم شدّ عليه بسيفه حتى برد، وأنه لمشغول بضربه، إذ شد عليه سالم مولى ابن زياد، فصاحوا به قد رهقك العبد، فلم يشعر حتى غشيه، فبدره بضربة اتقاها ابن عمير بيده فأطارَت أصابع كفه، ثم شد عليه فضربه حتى قتله. وأقبل وقد قتلهما جميعاً وهو يرتجزُ ويقول:

إن تنكروني فأنا ابن الكلب أنا امرء ذو مرَّة وعصب
ولست بالخوّار النكب

وحمل عمرو بن الحجاج على ميمنة أصحاب الحسين عليه السلام فيمن كان معه من أهل الكوفة، فلما دنى من أصحاب الحسين عليه السلام جثوا له على الركب، وأشرعوا الرماح نحوهم، فلم تقدم خيلهم على الرماح، فذهبت لترجع، فرشقهم أصحابُ الحسين بالنبل، فصرعوا منهم رجالاً وجرحوا منهم آخرين.

وكان كل من أراد الخروج من أصحاب الحسين عليه السلام، ودَّع الحسين، وقال: السلام عليك يابن رسول الله! فيجيبه: وعليك السلام ونحن خلفك ويقرأ: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وبرز برير بن خضير، وكان من عباد الله الصالحين، وجعل يحمل على القوم وهو يقول:

وجعل يحمل على القوم وهو يقول:

اقتربوا مني يا قتلة المؤمنين، اقتربوا مني يا قتلة أولاد البدريين! اقتربوا مني يا قتلة أولاد رسول رب العالمين وذريته الباقين! وكان برير أقرأ أهل زمانه، فلم يزل يقاتل حتى قتل ثلاثين رجلاً، فبرز إليه يزيد بن معقل وقال لبرير: أشهد أنك من المضلين، فقال برير: هلم فلندع الله أن يعلن الكاذب منا، وأن يقتل المحق المبطل، فتصاولا فضرب يزيد بريراً ضربة خفيفة لم تعمل فيه شيئاً، وضربه برير ضربة قدت المغفر، ووصلت إلى دماغه، فسقط قتيلاً.

وحمل بحير بن أوس فقتل بريراً، وجاء ابن عم له وقال: ويحك يا بحير؟ قتلت برير بن خضير؟ بأي وجه تلقى ربك؟ فندم الشقي.

ثم برز وهب ابن حباب الكلبي، وكانت معه أمه يومئذ، فقالت: يا بنيَّ قم، وانصر ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أفعل ولا أقصر: فبرز وهو يقول:

إن تُنكروني فأنا ابن الكلب سوف تروني وترون ضربي

ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل جماعة، فرجع إلى أمه وامرأته فوقف عليهما وقال: يا أماه أرضيت عني؟ فقالت: ما رضيت أو تقتل بين يدي الحسين عليه السلام فقالت امرأته: بالله لا تفجعني في نفسك! فقالت أمه: لا تقبل قولها وارجع، فقاتل بين يدي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فيكون غداً في القيامة شفيعاً لك بين يدي الله، فرجع قائلاً:

ولم يزل يُقاتل حتى قتلَ تسعةَ عشرةَ فارساً، واثني عشر راجلاً، ثم قطعت يداه فأخذت امرأته عموداً وأقبلت نحوه، وهي تقول: فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين حرم رسول الله صلى الله عليه وآله، فأقبل كي يردها إلى النساء فأخذت بجانب ثوبه، وقالت: لن أعود أو أموت معك، فقال الحسين عليه السلام: جزيتم من أهل بيت خيراً! ارجعي إلى النساء رحمك الله، فانصرفت، وجعل يقاتل حتى قتل رضوان الله عليه، فذهبت امرأته لتمسح الدم عن وجهه فبصر بها شمر (لع)، فأمر غلاماً له فضربها بعمود كان معه وقتلها، وهي أول امرأة قتلت في عسكر الحسين عليه السلام.

وروي أن وهباً كان نصرانياً، فأسلم هو وأمه على يدي الحسين عليه السلام، فقتل في المبارزة ستة وثلاثين فارساً، وراجلاً، ثم أخذ أسيراً إلى ابن سعد، فقال له: ما أشد صولتك، ثم ضرب عنقه ورمى برأسه إلى عسكر الحسين، فأخذت أمه الرأس فقبلته، ثم رمت بالرأس إلى عسكر ابن سعد، فأصابت به رجلاً فقتلته، ثم شدّت بعمود الفسطاط فَقتلت رجلين، فقال لها الحسين عليه السلام: ارجعي يا أمّ وهب أنت وابنك مع جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن الجهاد مرفوع عن النساء فرجعت وهي تقول: «اللهم لا تقطع رجائي».

فقال لها الحسين عليه السلام : «لا يقطع الله رجاك يا أم وهب».

وروي عن أبي جعفر الثاني، عن آبائه، قال: قال علي بن الحسين عليه السلام : «لما اشتد الأمر بأبي الحسين نظر إليه من كان معه، فإذا هو بخلافهم، لأنهم كل ما اشتدّ الأمر تغيرت ألوانهم، وارتعدت فرائصهم ووجلت قلوبهم، وكان الحسين عليه السلام ، وبعضُ من معهُ من خصائصه تشرقُ ألوانهم، وتهدأ جوارحهم، وتسكنُ نفوسهم. فقال بعض لبعض: انظروا لا يبالي بالموت، فقال لهم الحسين عليه السلام : صبراً بني الكرام فما الموت إلا قنطرة، تعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائم، فأيكم يكره أن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب.

إن أبي حدثني، عن رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جناتهم، وجسر هؤلاء إلى جحيمهم ما كذبت ولا كذبت.

وصاح عمرو بن الحجاج بالناس: يا حمقى أتدرون لمن تقاتلون؟ تقاتلون فرسان أهل المصر وأهل البصائر وقوماً مستميتين، لا يبرز منكم لهم أحد إلا قتلوه على قلّتهم، والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم.

ودنى عمرو بن الحجاج من أصحاب الحسين عليه السلام وقال: يا أهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الإمام، فقال الحسين عليه السلام : يابن الحجاج أعليّ تحرض الناس؟ أنحن مرقنا عن الدين وأنتم ثبتم عليه؟ والله لتعلمنَّ أينُا المارقَ عن الدين، ومن هو أولى بصليّ النار.

ثم حمل عمرو بن الحجاج في ميمنته من نحو الفرات فاضطربوا ساعة.

فصرع مسلمُ بن عوسجة، وسقطَ إلى الأرض وبه رمق، فمشى إليه الحسين عليه السلام ، ومعهُ حبيب فقال له الحسين عليه السلام : «رحمكَ الله يا مسلم ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣] ثم دنى منه حبيب فقال: يعزُّ عليّ مصرعك يا مسلم، ابشر بالجنة.

فقال له قولاً ضعيفاً: بشرك الله بخير.

قال له حبيب: لولا أعلم أني في الأثر، لأحببت أن توصي إليّ بما أهمك.

فقال مسلم: إني أوصيك بهذا، وأشار إلى الحسين عليه السلام فقاتل دونه.

فقال حبيب: لأنعمنّك عيناً ثم فاضت نفسه الزكية.

وصاحت جارية له: واسيداه وابن عوسجتاه.

ثم حمل شمر لعنه الله في الميسرة، فثبتوا له، وقاتلهم أصحاب الحسين عليه السلام

أشد القتال، وإنما هم اثنان وثلاثون فارساً، فلا يحملون على جانب إلا كشفوه، فدعى عمر بن سعد(لع) بالحصين بن نمير في خمسمائة من الرماة، فاقتتلوا حتى دنوا من الحسين عليه السلام وأصحابه، فرشقوهم بالنبل، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم.

وقاتلوهم حتى انتصف النهار، واشتدَّ القتال، ولم يقدروا أن يأتوهم إلا من وجه واحد لاجتماع أبنيتهم، وتقارب بعضها من بعض.

فأرسلَ ابنُ سعد الرجال ليقوّضوها عن أيمانهم وشمائلهم، ليحيطوا بهم فلم يقدروا، فقال ابن سعد: أحرقوها بالنار فأضرموا فيها النار.

فقال الحسين عليه السلام: «دعوهم يحرقوها فإنهم إذا فعلوا ذلكَ لم يجوزوا إليكم».

فقال لهُ شبث بن ربعي: ويلك يابن سعد أفزعنا النساء ثكلتك أمك، فاستحيا وأخذوا لا يقاتلونهم إلا من وجه واحد.

فلما رأى ذلك أبو تمامة الصائدي(ره) قال: يا أبا عبدِ الله نفسي لنفسك الفداءُ هؤلاء اقتربوا منك، ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك، وأحب أن ألقى الله ربي وقد صليت هذه الصلاة، فرفع الحسين عليه السلام رأسه إلى السماء وقال: «ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين، نعم هذا أول وقتها ثم قال: سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي».

قال الحصين بن نمير: إنها لا تقبل!

فقال حبيب: زعمت لا تقبل الصلاة من ابن رسول الله، وتقبل منك يا ختار؟.

وحمل عليه حبيب، فضرب وجه فرسه بالسيف، فشب به الفرسُ وسقط عنه، فاحتوشه أصحابه فأنقذوه.

فقال الحسين عليه السلام لزهير بن القين وسعيد بن عبدالله: أن تقدما أمامي حتى أصلي الظهر فتقدما أمامه في نحو من نصف أصحابه حتى صلى بهم صلاة الخوف.

وروي أن سعيد بن عبدالله الحنفي تقدم أمام الحسين عليه السلام، فاستهدف لهم يرمونه بالنبل، وكلما أخذ الحسين النبل يميناً وشمالاً، قام بين يديه، فما زال يرمي به حتى سقط إلى الأرض وهو يقول: اللهم العنهم لعن عاد وثمود، اللهم أبلغ نبيك السلام عني، وأبلغه ما لقيتُ من ألم الجراح، فإني أردت بذلك نصرة ذرية نبيك صلى الله عليه وآله، ثم مات.

وخرج عمرو ابن قرظة الأنصاري، فاستأذن الحسين عليه السلام في المبارزة، فأذن له، يقاتل قتالَ المشتاقين إلى الجزاء، وبالغ في خدمة سلطان السماء، حتى قتلَ جمعاً

كثيراً، وكانَ لا يأتي سهم إلى الحسين إلا التقاه بيده، ولا سيف إلا تلقاه بمهجته، فلم يكن يصل إلى الحسين سوء حتى أثخن بالجراح، فالتفت إلى الحسين عليه السلام وقال: يابن رسول الله أوفيت؟

قال: «نعم أنت أمامي في الجنة، فاقرأ جدي رسول الله صلى الله عليه وآله مني السلام، وأعلمه أني في الأثر».

فقاتل حتى قتل رضوان الله عليه.

وتقدم جون مولى أبي ذر الغفاري، وكان عبداً أسود، فقال له الحسين عليه السلام: «أنت في إذن مني، فإنما تبعتنا طلباً للعافية، فلا تبتل بطريقتنا».

فقال: يابن رسول الله أنا في الرخاء ألحس قصاعكم، وفي الشدةِ أخذلكم، والله إن ريحي لمنتن، وأن حسبي للئيم، ولوني لأسود، فتنفس إليّ بالجنة، ليطيب ريحي، ويشرف حسبي، ويبيض وجهي، لا والله لا أفارقكم حتى يخلط هذا الدم الأسود مع دمائكم.

ثم برز للقتال، فقاتل حتى قتل، فوقف عليه الحسين عليه السلام وقال: «اللهم بيض وجهه، وطيب ريحه، واحشره مع الأبرار، وعرِّف بينه وبين محمد وآل محمد».

فرُويَ عن الباقر عليه السلام: أن الناس كانوا يحضرون المعركة، فيدفنون القتلى، فوجدوا جوناً بعد عشرة أيام تفوح منه رائحة المسك.

نفر حوت جُملَ الثناء وتسمّنت ذلل المعالي والداً وولـيداً

ثم برز عمر بن خالد الصيداوي، فقال للحسين عليه السلام: يا أبا عبدالله قد هممت أن ألحقَ بأصحابي، وكرهتُ أن أتخلف، فأراكَ وحيداً من أهلكَ قَتيلاً.

فقالَ له الحسين عليه السلام: «تقدم فإنا لاحقون بك عن ساعة» فتقدم وقاتل حتى قتل.

وجاء حنظلة ابن سعد الشبامي (الشامي خ ل)، فوقف بين يدي الحسين يقيه السهام والرماحَ والسيوف بوجهه ونحره، وأخذ ينادي: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۝٣٢ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ [غافر: ٣٢-٣٣] يا قوم لا تقتلوا حسيناً فيسحتكم الله بعذاب، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١] فقال له الحسين عليه السلام: «يابن سعد رحمك الله! إنهم قد استوجبوا العذاب حين ردّوا عليك ما دعوتهم إليه من الحق، ونهضوا إليكَ يشتمونك وأصحابك، فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين».

قال: صدقت، جعلت فداك! أفلا نروح إلى ربنا فنلحق بإخواننا. فقال له: «رح إلى ما هو خير لك من الدنيا وما فيها، وإلى ملك لا يبلى».

فقال: السلام عليك يابن رسول الله ﷺ، وعلى أهل بيتك، وجمع بيننا وبينك في جنته آمين آمين.

ثم استقدم فقاتل قتالاً شديداً فحملوا عليه فقتلوه.

ثم خرج زهير بن القين وهو يرتجز:

أنا زُهير وأنا ابن القين أذودكم بالسيف عن حسين

فقاتل حتى قتل مائة وعشرين رجلاً، فشد عليه كثير بن عبدالله الشعبي (لع)، والمهاجر بن أوس فقتلاه.

فقال الحسين عليه السلام حين صرع: «زهير لا يبعدك الله يا زهير! ولعن قاتلك لعن الذين مسخوا قردة وخنازير».

وتقدم سويد بن أبي المطاع، وكان شريفاً كثير الصلاة، فقاتل قتال الأسد الباسل، حتى سقط بين القتلى، وقد أثخن بالجراح، فلم يزل كذلك حتى سمعهم يقولون: قتل الحسين، فتحامل وأخرج سكيناً من خُفّه، وقاتل حتى قتل رضوان الله عليه.

ثم برز حبيب بن مظاهر عليه الرحمة وهو يقول:

أنا حبيب وأبي مظاهرُ فارس هيجاء وحرب تسعر

وقاتل قتالاً شديداً، حتى قتل اثنين وستين رجلاً، ثم حمل عليه رجل من تميم فطعنه، فذهب ليقوم، فضربه الحصين بن نمير لعنه الله على رأسه بالسيف فوقع، فاحتز رأسه التميميُّ، وعلقه في عنق فرسه، فهد مقتله الحسين عليه السلام فقال: «عند الله أحتسب نفسي وحماة أصحابي».

ثم برز هلال بن نافع البجلي، فلم يزل يرميهم بالسهام حتى فنيت سهامه، ثم ضرب بيده إلى سيفه فاستله، فقتل ثلاثة عشر رجلاً فكسروا عضديه، وأخذوه أسيراً، فقام إليه شمر فضرب عنقه.

وجاء عابس بن شبيب الشاكري ومعه شوذب مولى شاكر فقال: يا شوذب ما في نفسك أن تصنع؟ قال: ما أصنع؟ أقاتل حتى أقتل، قال: ذاك الظن بك، فتقدم بين يدي أبي عبدالله عليه السلام حتى يحتسبك كما احتسب غيرك، فإن هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجر بكل ما نقدر عليه، فإنه لا عمل بعد اليوم وإنما هو الحساب.

فتقدم فسلم على الحسين عليه السلام وقال: يا أبا عبدالله ما والله ما أمسى على وجه الأرض قريب ولا بعيد أعز علي، ولا أحبّ إليّ منك، ولو قدرت أن أدفع عنك الضيم

أو القتل بشيء أعز عليَّ من نفسي ودمي لفعلت، السلام عليك يا أبا عبدالله إشهد أني على هداك وهدى أبيك، ثم مضى بالسيف نحوهم.

قال ربيع بن تميم: فلما رأيته مقبلاً عرفته، وقد كنت شاهدته في المغازي، وكان أشجع الناس فقلت: أيها الناس هذا أسد الأسود، هذا ابن شبيب لا يخرجن إليه أحد منكم، فأخذ ينادي: ألا رجل؟ ألا رجل؟

فقال عمر بن سعد: أرضخوه بالحجارة من كل جانب، فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره، ثم شد على الناس، فوالله لقد رأيته يطرد أكثر من مائتين من الناس، ثم إنهم تعطفوا عليه من كل جانب فقتلوه رحمه الله.

ثم جاء عبدالله وعبد الرحمن الغفاريان، فقالا: السلام عليك يا أبا عبدالله، إنا جئنا لنقتل بين يديك، وندفع عنك.

فقال: «مرحباً بكما أدنوا مني»، فدنوا منه وهما يبكيان، فقال: «ما يبكيكما يا بنيَّ أخي؟ فوالله أني لأرجو أن تكونا بعد ساعة قريري العين».

فقالا: جعلنا الله فداك، والله ما على أنفسنا نبكي ولكن نبكي عليك أبا عبدالله، نراك قد أحيط بك ولا نقدر على أن ندفع عنك.

قال: «جزاكما الله يا بنيَّ أخي بوَجْدِكُما من ذلك، ومواساتكما إياي بأنفسكما أحسنَ جزاء السابقين».

ثم استقدما وقالا: السلام عليك يابن رسول الله، فقال: «وعليكما السلام ورحمة الله وبركاته» فقاتلا حتى قتلا.

وكان يأتي الحسين عليه السلام الرجل بعد الرجل، فيقول: السلام عليك يابن رسول الله، فيجيبه الحسين: «وعليك السلام ونحن خلفك» ثم يقرأ: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣] حتى قتلوا عن آخرهم رضوان الله عليهم ورحمته وبركاته، ولم يبق مع الحسين إلا أهل بيتِهِ.

وحين جاء الردى يبغي القرى سقطوا ... على الثرى بين مذبوح ومنحور
طوبى لهم فلقد نالوا بصبرهم ... أجراً وأي صبور غير مأجورِ

المجلس التاسع (من مقتل الحسين عليه السلام)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الفاضل المجلسي (ره): روى الإمام العسكري في تفسيره: أنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما نزلت: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤] الآية في اليهود الذين نقضوا عهد الله، وكذبوا رسل الله، وقتلوا أولياء الله، أفلا أنبئكم بمن يضاهيهم من يهود هذه الأمة؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: قوم من أمتي يزعمون أنهم من أهل ملتي، يقتلون أفاضلت ذريتي، وأطائب أرومتي، ويبدلون شريعتي وسنتي، ويقتلون ولديّ الحسن والحسين عليهما السلام، كما قتل أسلاف اليهود زكريا ويحيى.

ألا وأن اللهَ يلعنهم كما لعنهم، ويبعث على بقايا ذراريهم قبل يوم القيامة هادياً مهدياً من ولد الحسين، يحرقهم بسيوف أوليائه إلى نار جهنم، ألا ولعن الله قتلة الحسين ومحبيهم وناصريهم، والساكتين عن لعنهم من غير تقية تسكتهم.

ألا وصلوات الله على الباكين على الحسين رحمة وشفقة، واللاعنينلأعدائه، والممتلئين عليهم غيظاً وحنقاً، ألا وإن الراضين بقتل الحسين عليه السلام شركاء قتلته، ألا وإن قتلته وأعوانهم وأشياعهم والمقتدين بهم براء من دين الله.

إن الله ليأمر ملائكته المقرّبين أن يتلقوا الدموع المصبوبة لقتل الحسين، فيدفعوها إلى الخزان في الجنان، فيمزجوها بماء الحيوان، فتزيد عذوبته ويلقوها في الهاوية، ويمزجوها بحميمها وصديدِها وغسّاقها وغسلينها، فيزيد في شدة حرارتها وعظيم عذابها ألف ضعف، يشدّد بها على المقتولين إليها من أعداء آل محمد عذابهم.

إن كنتَ شهماً فلا يحزنك آونة ... يَسمو بها الخطبُ إلا يومَ عاشورِ
يوم به جرّدت أيدي القضاء على ... آلِ النبيّ سيوف الغدر والزّورِ
فغادرت كل وضّاح الجبين لهُ ... شِلواً تُكفنهُ أيدي الأعاصيرِ
سراة قوم أراد الدّهر ذلتها ... فشمرَت للمنايا أيّ تشميرِ
يا حطم الله تلك السمر كم قرعت ... لآل أحمدَ من لسن ونحريرِ
وَعقر الله تلكَ الصافناتِ فقد ... جرت على الدينِ كسراً غير مجبورِ
فزلزل الفلك الدوارُ في ملأ ... ضَجّت عليه بتهليلٍ وتكبيرِ

في مبارزة علي بن الحسين الأكبر عليه السلام مع القوم

قال المجلسي (رحمه الله): روى محمد بن أبي طالب وغيره: أنه لما قتل أصحاب الحسين عليه السلام ولم يبق معه إلا أهل بيته، وهم ولد علي، وولد جعفر، وولد عقيل، وولد الحسن عليه السلام، وولده عليه السلام اجتمعوا يودع بعضهم بعضاً، وعزموا على الحرب.

فروى أنه أول من تقدم إلى البراز، علي بن الحسين الأكبر عليه السلام وهو يومئذ ابن ثمانية عشر سنة، فلما رآه الحسين عليه السلام أرخى عينيه بالبكاء.

ورفع سبابته إلى السماء وقال: «اللهم اشهد على هؤلاء القوم، فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسولك، وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك صلى الله عليه وآله نظرنا إلى وجهه، اللهم امنعهم بركات الأرض، وفرقهم تفريقاً، ومزقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترض الولاة عنهم أبداً، فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا».

ثم صاح الحسين عليه السلام بعمر بن سعد: «مالك؟ قطع الله رحمك! ولا بارك لك في أمرك، وسلط عليك من يذبحك بعدي على فراشك، كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله».

ثم رفع الحسين عليه السلام صوته وتلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران: ٣٣، ٣٤].

ثم حمل علي بن الحسين عليه السلام على القوم وهو يقول:

أنا علي بن الحسين بن عليّ ... من عصبة جدّ أبيهم النبيُّ
والله لا يحكم فينا بن الدعيّ ... أطعنكم بالرّمح حتى ينثني
أضربكم بالسيف أحمي عن أبي ... ضرب غلام هاشميّ علويّ

فلم يزل يقاتل حتى ضج الناس من كثرة من قتل منهم.

فروى أنه قتل على عطشه مائة وعشرين رجلاً، ثم رجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة وهو يقول: يا أبة! العطش قد قتلني، وثقل الحديد قد أجهدني، فهل إلى شربة ماء من سبيل أتقوّى بها على الأعداء؟

فبكى الحسين عليه السلام وقال: «يا بني يعزُّ على محمد وعلي وعلى أبيك، أن تدعوهم فلا يجيبوك، وتستغيث بهم فلا يغيثوك، يا بني هات لسانك، فأخذ بلسانه فمصّه ودفع إليه خاتمه الشريف. وقال: «أمسكه في فيك وارجع إلى قتالِ عدوك، فإني أرجو أنك لا تمسي حتى يسقيك جدك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها أبداً».

فرجع إلى القتال وهو يقول:

الحربُ قد بانَت لَها الحقائق وظَهرت من بَعدها مصادق
والله ربَّ العرش لا نفارقُ جموعكم أو تغمد البوارقُ

فلم يزل يقاتل حتى قتل تمام المائتين، ثم ضربه منقذ بن مرة العبدي على مفرقِ رأسه ضربة صرعته، وضربه الناس بأسيافهم، فاعتنقَ فرسهُ فحملهُ الفرس إلى عسكر الأعداء فقطعوهُ بسيوفهم إرباً إرباً.

فلما بلغت روحه التراقي قال رافعاً صوته: يا أبتاه هذا جدي رسول الله صلى الله عليه وآله قد سقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبداً، وهو يقول: العجل العجل! فإن لك كأساً مذخورة حتى تشربها.

فصاح الحسين عليه السلام وقال: «قتلَ الله قوماً قتلوك ما أجرأهم على الرحمن وعلى رسوله، وعلى انتهاك حرمة الرسول، على الدنيا بعدك العفا».

قال حميد بن مسلم (لع): فكأني أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة تنادي بالويل والثبور وتقول: يا حبيباه يا ثمرة فؤاداه، يا نور عيناه! فسألت عنها فقيل: هي عمته زينب بنت علي عليها السلام، فجاءت وانكبت عليه، فجاء الحسين عليه السلام فأخذ بيدها وردها إلى الفسطاط، وأقبل بفتيانه وقال: «احملوا أخاكم»، فحملوه من مصرعه، فجاؤوا به حتى وضعوه عند الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه.

وبرز عبدالله بن مسلم بن عقيل عليه السلام، وهو يرتجز ويقول:

اليوم ألقى مسلماً وهو أبي وفتية بادوا على دين النبي

فقاتل حتى قتل ثمانية وتسعين رجلاً في ثلاث حملات، ثم رماه عمرو بن صبيح الصيداوي بسهم، فوضع الغلام يده على جبهته يتقي السهم، فأصاب كفه، فنفذ إلى جبهته فسمرها بها، فلم يستطع تحريكها، ثم انحنى عليه آخر برمحه، فطعنه في قلبهِ فقتله.

ثم برز بعده محمد بن مسلم عليه السلام، فقتل جماعة ثم قتله ابن جرهم الأسدي (لع).

ثم خرج جعفر بن عقيل وهو يرتجز ويقول:

أنا الغلامُ الهاشمي الطالبي من معشر في هاشم وغالب

فقتل خمسة عشر فارساً، ثم قتله بشير بن سوط.

ثم خرج من بعده أخوه عبدُ الرحمن وهو يقول:

أبي عقيل فاعرفوا مكاني من هاشم وهاشم إخواني

فقتل سبعة عشر فارساً، ثم قتله عثمان بن خالد.

ثم برز عبدالله بن عقيل فقتلَ جماعة، ثم قتله عثمان بن خالد.

وخرج من بعده محمد بن عبدالله بن جعفر ابن أبي طالب وهو يقول:

نشكو إلى الله من العدوان قتال قوم في الردى عميان

ثم قاتل حتى قتل عشرة، ثم قتلهُ عامر بن نهشل.

وخرج من بعده أخوه عون وهو يقولُ:

إن تنكروني فأنا ابنُ جعفرِ شَهيد صدق في الجنان أزهر

ثم قاتل حتى قتل ثلاثة فوارس، وثمانية عشر راجلاً، ثم قتلهُ عبدالله الطائي.

في شهادة القاسم بن الحسن عليه السلام

ثم خرج القاسم بن الحسن عليه السلام، وهو غلام صغير لم يبلغ الحلم، فلما نظر إليه الحسين عليه السلام قد برز إعتنقهُ، وجعلا يبكيان حتى غشي عليهما، فلما أفاقا، إستأذن عمه في المبارزة، فأبى الحسين عليه السلام أن يأذن له، فلم يزل الغلام يقبل يديه ورجليه، حتى أذن له، فخرج ودموعه تسيل على خديه، وهو يقول:

إن تُنكروني فأنا نجل الحسن سِبطُ النبيّ المصطفى والمؤتمن

هذا حسين كالأسيرِ المرتهن بين أناس لا سقوا صوب المزن

وكان وجهه كفلقة القمر، فقاتل قتالاً شديداً حتى قتل على صغره خمسة وثلاثين رجلاً.

قال حميد بن مسلم: فكنت أنظرُ إلى هذا الغلام عليه قميص وإزار ونعلان، قد انقطع شسع أحدهما ما أنسى أنه كانت اليسرى، فقال عمر بن سعد الأزدي: والله لأشدنَّ عليه.

فقلت: سبحان الله وما تريد بذلك؟ والله لو ضربني ما بسطت يدي إليه، يكفيك هؤلاء الذين قد احتوشوه.

قال: والله لأفعلن، فشد عليه فما ولى راجعاً، حتى ضَرَب رأسهُ بالسيف، فوقع الغلام لوجهه، ونادى: يا عماهُ يا عماهُ.

فجاء الحسين عليه السلام كالصقرِ المنقض، فتخلل الصفوف، وشدّ شدّة الليث على الحرب، فضرب عمراً قاتله بالسيف، فأتقاها بيده فأطنها من المرفق، فصاح، ثم تنحى

عنه، وحملت خيل أهل الكوفة ليستنقذوا عمراً من الحسين عليه السلام، فاستقبلته الخيل بصدورها، وجرحته بحوافرها، حتى مات لا رحمه الله.

فانجلت الغبرة فإذا بالحسين عليه السلام قائم على رأس الغلام، وهو يفحص برجليه والحسين عليه السلام يقولُ: «يعز والله على عمك أن تدعوهُ فلا يُجيبك، أو يجيبك فلا يعينك، أو يعينك فلا يغني عنك، بعداً لقوم قتلوك» ثم احتمله فكأني أنظرُ إلى رجلي الغلام تخطّان في الأرض، وقد وضع الحسين عليه السلام صدره على صدره، فجاء به حتى ألقاه بين القتلى من أهل بيته.

ثم قال: «اللهم احصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً، ولا تغفر لهم أبداً، صبراً يا بني عمومتي، صبراً يا أهل بيتي، لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً».

ثم خرج عبدالله بن الحسن عليه السلام وهو يقول:

إن تنكروني فأنا ابن حيدرة ضرغام آجام وليث قسورة

فقتلَ أربعة عشر رجُلاً، فشدّ عليه هاني بن ثبيت فقتله.

ثم خرج أبو بكر بن الحسن عليه السلام، فقاتل حتى قتل جماعة كثيرة، فشد عليه عبدالله الغنوي فقتله.

فتقدمت إخوة الحسين عليه السلام عازمين على الموت دونه، فأول من برز منهم أبو بكر بن علي، فقاتل قتالاً شديداً، فشد عليه زجر بن بدر النخعي فقتله.

ثم خرج من بعده أخوه عمر بن علي عليه السلام وهو يقول:

خلوا عداة الله خلّوا عن عمر خلّوا عن الليث العبوس المكفهر

فحملَ على زجر قاتلِ أخيه فقتله، واستقبل القوم وجعل يضربهم بسيفه ضرباً منكراً، فلم يزل يقاتل حتى قتل (ره).

ثم برز بعده أخوه عثمان بن علي، وهو يقول:

شيخي علي ذو الفخار الظاهر هو ابنُ عم للنبيّ الطاهر

فرماه خولي بن يزيد الأصبحي (لع) بسهم على جبينهِ، فسقطَ واحتزّ رأسه رجل من بني أبان بن حازم.

ثم برز من بعده أخوه جعفر بن علي عليه السلام، وله من العمر تسعة عشر سنة، فقاتل قتالاً شديداً، فرماه خولى الأصبحي، فأصاب شقيقته أو عينه، وقيل: قتله هاني بن شبث الحضرمي.

في مقاتلة العباس عليه السلام

قال المجلسي عليه الرحمة: لما قتل إخوة العباس، خرج يطلب الرخصة من أخيه، وكان يكنى أبا الفضل، وأمّه أم البنين، وهو أكبر ولدها، وهو آخر من قتل من ولدها، وكان يقال له: «السقاء»، و«قمر بني هاشم».

وكان رجلاً وسيماً جميلاً، يركب الفرس المطهَّم، ورجلاه تخطان في الأرض، وكان لواء الحسين عليه السلام معه، فلما رأى وحدة أخيه أتى إليه وقال: يا أخي هل من رخصة؟ فبكى الحسين عليه السلام فقال: «يا أخي أنت صاحب لوائي».

فقال العباس: قد ضاق صدري وسئمت من الحياة، وأريدُ أن أطلب ثاري من هؤلاء المنافقين.

فقال الحسين عليه السلام: «فاطلب لهؤلاء الأطفالِ قليلاً من الماء».

فذهب العباسُ إلى القوم ووعظهم وحذرهم فلم ينفعهم، فرجع إلى أخيه فأخبره، فسمع الأطفال ينادون: العطش العطش! فركب فرسه، وأخذ رمحه والقربة، وقصد نحو الفرات، فأحاط به أربعة آلاف ممن كانوا موكلين بالفرات، ورموه بالنبال، فقتل منهم ثمانين رجلاً حتى دخل الماء.

فهنا لكم ملك الشريعة وأتكى ... من فوق قائم سيفهِ قمقامها

فلما أراد أن يشرب غرفةً من الماء، ذكر عطش الحسين عليه السلام وأهل بيتهِ، فرمى الماء من يده، وملأ القربة وحملها على كتفه الأيمن:

فأبت نقيبته الزكية ربّها ... وحشا ابن فاطمة يشب ضرامها
فهنا لكم ملأ المزاد وزمها ... وانصاع يرفل بالحديد همامها

وتوجه إلى الخيمة، فقطعوا عليه الطريق، وأحاطوا به من كل جانب، فحاربهم محاربة الأبطال وهو يقول:

لا أرهب الموت إذا الموت رقا ... حتى أوارى في المصاليت لقا
نفسي لسبط المصطفى الطهر وقا ... إني أنا العباس أغدوا بالسقا
ولا أخاف الشر يوم الملتقا

فكمن له زيد بن ورقاء من وراء نخلة، وأعانه حكيم بن طفيل السنبسي، فضربه على يمينه فبراها، فأخذ السيف بشماله وهو يرتجز:

والله إن قطعتمُ يَميني ... إني أحامي أبداً عن ديني

وعن إمام صادق اليقين نجل النبي الطاهر الأمينِ

فقاتل حتى ضعف عن القتال، فكمن له الحكيم بن طفيل الطائي من وراء نخلة، فضربه على شماله فقال:

يا نفس لا تخشى من الكفار واستبشري برحمةِ الجبار
مع النبي الطاهر المختار قد قطعوا ببغيهم يساري
فأصلهم يا رب حر النار

قال: فحمل القربة بأسنانه، وجعل يركض ليوصل الماء إلى عطشى أهل البيت فجاء سهم فأصاب القربة، وأريق ماؤها، ثم جاء سهم آخر فأصاب صدره، فانقلب عن فرسه ونادى: أدركني يا أبا عبدالله، فأتاه كالصقر المنقض، فلما رآه صريعاً على شاطىء الفرات بكى وقال: «الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي».

وهوى عليه ما هنالك قائلاً اليوم بان عن اليمين حسامها
اليوم سار عن الكتائب كبشها اليوم غاب عن الهداة إمامها
اليوم نامت أعين بك لم تنم وتسهدت أخرى فعز منامها

وخرج غلام من تلك الأبنية، وفي أذنيه درتان وهو مذعور، فجعل يلتفت يميناً وشمالاً، وقرطاه يتذبذبان، فحمل عليه هاني بن ثبيت (لع) فقتله، فصارت شهربانوا تنظر إليه ولا تتكلم كالمدهوشة.

ولم يبق إلا واحد الناس واحداً يكابد من أعدائه ما يكابد

فعند ذلك نادى الحسين عليه السلام: «هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله؟ هل من موحد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله في إغاثتنا؟» فارتفعت أصوات النساء بالعويل، وخرج علي بن الحسين عليه السلام زين العابدين، وكان مريضاً لا يقدر أن يقل سيفه، وأم كلثوم تنادي خلفه: يا بني ارجع فقال: يا عمتاه ذريني أقاتل بين يدي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال الحسين عليه السلام: «يا أم كلثوم خذيه لئلا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمد فمنعته وأدخلته الخيمة.

مقتل الطفل الرضيع

ثم أن الحسين عليه السلام تقدم إلى باب الخيمة قال: «ناولوني علياً ابني الطفل حتى أودعه» فناولوه الصبي، فجعل يقبله وهو يقول: «ويل لهؤلاء القوم إذا كان جدك محمداً المصطفى خصمهم».

فرماه حرملة بن كاهل بسهم، فذبحه في حجر أبيه، فتلقى الحسين دمه حتى امتلأت كفه، ثم رمى به إلى السماء، ثم قال: «هوّن ما نزل بي أنه بعين الله».

قال الباقر عليه السلام: «فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض» ثم قال: «اللهم لا يكون أهون عليك من فصل ناقة صالح، اللهم إن كنت حبست عنا النصر، فاجعل ذلك لما هو خير لنا عندك».

ثم ألقاه بين القتلى.

وقال في الاحتجاج: فنزل عن فرسه، وحفر للصبي بجفن سيفه، ورمّله بدمه فدفنه.

مبارزة الحسين عليه السلام

ثم التفت إلى الخيمة ونادى: «يا سكينة! يا فاطمة! يا زينب! يا أم كلثوم عليكن مني السلام» فنادته سكينة: يا أبة استسلمت للموت؟!

فقال: «كيف لا يستسلم للموت من لا ناصر له ولا معين؟

فقالت: يا أبة ردنا إلى حرم جدنا.

فقال: «هيهات لو ترك القطا لنام».

فتصارخ النساء فسكتهن الحسين عليه السلام.

فلما هم بالركوب، تصارخت الأطفال والعيال، وتعلقن بأطراف ثيابه، فنادى: «احبسيهن يا زينب».

وحمل على القوم وسيفه مصلت في يده، آيساً من الحياة، عازماً على الموت، ودعى الناس إلى البراز فلم يزل يقتل كل من دنى إليه من عيون الرجال، حتى قتل منهم مقتلة عظيمة، ثم حمل على الميمنة وهو يقول:

الموتُ خير من ركوب العار والعارُ أولى من دخول النار

ثم حمل على الميسرة وهو يقول:

أنا الحسينُ بن عليّ آليت أن لا أنثني
أحمي عيالاتِ أبي أمضي على دين النبي

قال بعض الرواة: فوالله ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده، وأهل بيته وصحبه، أربط جأشاً منه، وإن كانت الرجال لتشد عليه، فيشد عليها بسيفه فتنكشف انكشاف

المعزى إذا شد فيها الذئب، ولقد كان يحمل فيهم، وقد تكملوا ثلاثين ألفاً فينهزمون من بين يديه كأنهم الجراد المنتشر، ثم يرجع إلى مركزه وهو يقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

ولم يزل يقاتل حتى قتل ألف رجل، وتسعمائة رجل وخمسينَ رجُلاً سوى المجروحين.

فقال عمر بن سعد (لع) لقومه: الويلُ لكم أتدرون لمن تقاتلون؟ هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتّال العرب، فاحملوا عليه حملة رجل واحد من كل جانب، وكانت الرماة أربعة آلاف، فرموه بالسهام فحالوا بينه وبين رحله.

فصاح بهم: «ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان! إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دُنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون».

فناداه شمر: ما تقول يابن فاطمة؟

قال: أقول: «أنا الذي أقاتلكم وتقاتلونني، والنساء ليس عليهن جناح، فامنعوا عتاتكم وجهالكم عن التعرّض لحرمي ما دمتُ حياً.

قال اقصدوني بنفسي واتركوا حرمي قد حانَ حيني وقد بانت لوائحه

قال له شمر: لك هذا يابن فاطمة، ثم صاح شمر بقومه: إليكم عن حرم الرجل، واقصدوه في نفسه، فلعمري لهو كفو كريم.

فقصده القوم وهو مع ذلك يطلب شربة من الماء، وكلما حمل بفرسه على الفرات، حملوا عليه بأجمعهم فحلأوه عنه.

فعزّ أن يتلظّى بينهم عَطشاً والماء يصدرُ منه الوحش ريّانا

ثم حمل على الأعور السلمي، وعمرو بن الحجاج وكانا في أربعة آلاف رجل على الشريعة، ففرقهم، وأقحم الفرس في الفرات، فلما أولغ الفرس برأسه ليشرب. قال: «أنت عطشان وأنا عطشان، والله لا ذقت الماء حتى تشرب»، فرفع الفرس رأسه، كأنه فهم الكلام، فقال الحسين عليه السلام: «إشرب» فمد الحسين يده، فغرف من الماء غرفة، فنادى رجل من القوم: يا أبا عبدالله أتلتذّ بشرب الماء، وقد هتكت حرمك، فنفض الماء من يده، وحمل على القوم فكشفهم، فإذا الخيمة سالمة.

فعلم أنها حيلة.

ثم ودع أهلَ بيته ثانياً، وأمرهن بالصبر، وأمرهن بلبس أزرهن، وقال لهنّ:

«استعدوا للبلاء، واعلموا أن الله حافظكم وحاميكم سينجيكم من شرّ الأعداء، ويجعل عاقبتكم إلى خير، ويعوضكم عن هذه الرزية أنواع الكرامة، فلا تشكوا، ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص قدركم».

فنادى عمر بن سعد (لع): ويحكم إهجموا على الرجل ما دام مشغولاً بنفسه وحرمه، والله إن فرغ لكم لا تمتاز ميمنتكم من ميسرتكم، فحملوا عليه يرمونه بالسهام حتى تخالفت السهامُ بين أطناب الخيم، وشك بعض إزار بعض النساء سهم، فدهشن وأرعبن، ودخلن الخيمة، وجعلن ينظرن إلى أبي عبدالله عليه السلام كيف يصنع.

فحمل على القوم كالليث المغضب، فجعل لا يلحق منهم أحداً إلا بعجه بسيفه فقتله، وكانت السهام تأخذه يميناً وشمالاً، وهو يتقيها بصدره ونحره، ويقول: «يا أمة السوء بئسما خلفتم محمداً في ذريته، أما إنكم لن تقتلوا عبداً من عباد الله بعدي فتهابوا قتلهُ، بل يهون عليكم عند قتلكم إياي، وأيم الله إني لأرجو أن يُكرمني ربي بالشهادة بهوانكم، ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون.

فصاح به الحصين بن مالك السكوني: بماذا ينتقم لك منّا يابن فاطمة؟ قال: يلقي بأسكم بينكم، ويسفك دمائكم، ثم يصب عليكم العذاب الأليم».

فوقف ليستريح ساعة وقد أصابته جراحات كثيرة.

فروي عن الباقر عليه السلام: أصيب الحسين عليه السلام ووجد به ثلثمائة وبضع وعشرون طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم، وقيل: ألف وتسعمائة جراحة، وكانت السهام في درعه كالشوك في جلد القنفذ، وروي أنها كانت كلها في مقدمه.

فبينما هو واقف إذ أتاه حجر فوقع في جبهته الشريفة، فسالت الدماء على وجهه ولحيته، فأخذ الثوب ليمسح الدم عن وجهه، فأتاه سهم محدد مسموم له ثلاث شعب، فوقع في صدره.

وفي بعض الروايات: على قلبه فقال الحسين عليه السلام: «بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله»، ورفع رأسه إلى السماء وقال: «إلهي أنت تعلم أنهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن نبي غيره».

ثم أخذ السهم فأخرجه من قفاه، فانبعث الدم كالميزاب، فوضع يده على الجرح، فلما امتلأت رمى به نحو السماء، فما رجع من ذلك الدم قطرة، وما عرفت الحمرة في السماء، حتى رمى الحسين عليه السلام بدمه إلى السماء، فوضع يده ثانياً، فلما امتلأت لطخ به رأسه ولحيته، وهو يقول: «هكذا أكون حتى ألقى جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا مخضوب بدمي».

إن يقتلوكَ فلا عن فقدِ معرفةٍ الشمسُ معروفة بالعينِ والأثرِ
قد كنت في مشرق الدنيا ومغربها كالحمدُ لم تغن عنها سائرُ السورِ

المجلس العاشر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يا دهر كيف اقتاد صرفك للردى مَن كانَ مُمتنعاً على المقتادِ
عجباً لأرضك لا تميدُ وقد هوى عن منكبيها أعظم الأطوادِ
عجباً بحاركَ لا تغور وقد مَضى من راجتاه لها من الإمدادِ
عجباً لشمس ضحاكَ لم لا كورت وتَبرقعت من حزنها بسوادِ
عجباً لذي الأفلاكِ لم لا عُطلت والشهب لم يَبرز بثوبِ حدادِ
أحشاشة الزهراء بل يا مهجة ال كرار يا روح النبيّ الهادي
عجباً لهذا الخلق هَلاّ أقبلوا كُلٌّ إليكَ بروحه لك فادي
لكنّهم ما وازنوكَ نفاسة أنّى يُقاسُ الذرِ بالأطوادِ
اليوم أمحلتِ البلادُ وأقلعت ديم القطارِ وجفّ زرعُ الوادِ
اليوم أعولتِ الملائكُ في السما وتَبدّلَ التسبيحُ بالتعدادِ

شهادة الإمام الحسين عليه السلام

قال الفاضل المجلسي (ره): لما ضعف الحسين صلوات الله عليه عن القتال، نزل عن ظهر جواده إلى الأرض، فكلما أتاه رجل وانتهى إليه انصرف عنه كراهية أن يلقى الله بدمه.

قال المفيد (ره): فخرج عبدالله بن الحسن عليه السلام، وهو غلام لم يراهق من عندِ النساء، يشتدّ حتّى وقف إلى جنب عمه عليه السلام، فلحقته زينب بنت علي عليها السلام لتحبسه فقال الحسين: «احبسيه يا أختاه» فأبى الغلام وامتنع امتناعاً شديداً، فقال: لا والله لا أفارق عمي، فأهوى أبجر بن كعب، وقيل: حرملة بن كاهل إلى الحسين عليه السلام بالسيف، فقال الغلام:

ويلك يابن الخبيثة أتقتل عمّي؟ فضربه بالسيف فأتقاها الغلام بيده، فأطنّها إلى الجلد، فإذا هي معلقة، فنادى الغلام: يا عماه، فأخذه الحسين عليه السلام فضمه إليه وقال:

«يابن أخي اصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير، فإن الله يلحقك بآبائك الصالحين».

فرماه حرملة بن كاهل لعنه الله بسهم، فذبحه وهو في حجر عمه.

قال: ثم إن شمراً حمل على فسطاط الحسين عليه السلام فطعنه بالرمح ثم قال: علي بالنار احرقه على من فيه، فقال له الحسين عليه السلام: يابن ذي الجوشن أنت الداعي بالنار لتحرق على أهلي، أحرقك الله بالنار، وجاء شبث فوبخه فاستحى وانصرف.

ونادى الحسين: «إئتوني بثوب لا يرغب فيه أحد، اجعله تحت ثيابي لئلا أجرد منه، فأتى بتبّان فقال: لا، ذاك لباس من ضربت عليه الذلة، فأخذ ثوباً خلقاً، فخرقه وجعله تحت ثيابه، فلما قتل جرّدوهُ منه.

ثم استدعى بسراويل حبرة ففزرها ولبسها، وإنما فزرها لئلا يسلبها قاتله، فلما سلبها أبجر بن كعب (لع) وتركهُ مجرّداً، فكانت يدا أبجر بن كعب تيبسان في الصيف كأنهما عُودان، وتنضحان في الشتاء دَماً وقيحاً إلى أن أهلكهُ الله تعالى.

وجاءه رجل من كندة يقال له: مالك بن النسر، فشتمَ الحسين عليه السلام وضربه على رأسه بالسيف، وعليه برنس، فامتلأ دماً، فقال له الحسين عليه السلام: «لا أكلت بيمينك ولا شربت وحشرك الله مع الظالمين»، ثم ألقى البرنس ولبس قلنسوة واعتم عليها.

قال المفيد والسيد (ره): فلبثوا هنيئة ثم عادوا إليه وأحاطوا به من كل جانب ونادى شمر (لع): ما تنتظرون بالرجل؟ وقد أثخنته الجراح والسهام؟ إحملوا عليه ثكلتكم أمهاتكم. فحملوا عليه من كل جانب، فرماه الحصين بن تميم في فيه، وأبو أيوب الغنوي بسهم في حلقه، وضربه زرعة بن شريك (لع) فأبان كفه اليسرى، وطعنه سنان ابن أنس في صدره، وطعنه صالح بن وهب في خاصرته، فوقع على الأرض على خده الأيمن، ثم استوى جالساً فأخرجَ السهم من خلفه، ودنى عُمر بن سعد لعنه الله من الحسين.

وخرجت زينب بنتُ علي عليها السلام من الفسطاط في تلك الحالة وهي تنادي: واأخاه! واسيداه! واأهل بيتاه! ليت السماء أطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدكت على السهل.

ثم قالت يابن سعد: أيقتل أبو عبدالله وأنت تنظر إليه؟ فصرف بوجهه عنها، ودموعه تسيل على خديه، ولحيته المشؤومة، ولم يجبها فنادت:

ويحكم أما فيكم مسلم؟ فلم يجبها أحد.

قال هلال بن نافع: إني لواقف مع أصحاب عمر بن سعد (لع)، إذ صرخ صارخ، إبشر أيها الأمير: فهذا شمر قد قتل الحسين.

قال هلال: فخرجت بين الصفين فوقفت عليه إنه ليجود بنفسه، فوالله ما رأيت قتيلاً مضمخاً بدمه أحسن منه ولا أنور وجهاً، ولقد شغلني نور وجهه وجمال هيبته عن الفكرة في قتله، فاستسقى في تلك الحال ماء، فسمعت رجلاً يقول: لا تذوق الماء حتى ترد الحامية، فتشرب من حميمها فسمعته يقول: «أنا أرد الحامية فاشرب من حميمها؟ بل أرد على جدي رسول الله، وأسكن معه في داره في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وأشرب من ماء غير آسن، وأشكو إليه ما ركبتم مني وفعلتم بي».

فغضبوا بأجمعهم، حتى كأن الله لم يجعل في قلب أحد منهم من الرّحمةِ شيئاً، فاحتزوا رأسه وأنه ليكلمهم.

وارتفعت في السماء في ذلك الوقت غبرة شديدة منكرة، سوداء مظلمة، فيها ريح حمراء، لا يرى فيها عين ولا أثر، حتى ظن القوم أن العذاب قد جاءهم، فلبثوا ساعة.

وارتجّت الأرض، وكسفت الشمس، ثم انكشفت وسكنت لوجود زين العابدين عليه السلام.

ثم تمرغ الفرس بدم الحسين عليه السلام، ثم عدى خوفاً أن يؤخذ قاصداً إلى الخيام وهو يركض ويصهل ويقول في صهيله: الظليمة الظليمة من أمة قتلت ابن بنت نبيها، ولم يزل يضرب رأسه عند خيمة النساء حتى مات.

فلما سمعن أخواته وبناته وأهله صهيل الجواد نظرن، فإذا هو خال من راكبه، وليس عليه أحد، رفعن أصواتهن بالبكاء والعويل، ووضعت كل منهن يدها على رأسها، ونادت: وامحمداه! واجداه! وأبا قاسماه! واعلياه! واجعفراه! واحمزتاه! واحسناه! وأخاه! هذا: حسين بالعراء، صريع بكربلاء، محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء، فأبكين كل عدو وصديق.

قال الراوي: حتى رأينا دموع الخيل تنحدر على حوافرها.

ثم أقبلوا على سلبه، فأخذ قميصه إسحاق بن حوية، وأخذَ عمامته الأخنس، وأخذ درعه مالك بن بشير، وأخذ نعليه، الأسود بن خالد، وأخذ قطيفته كانت له من خزّ الأشعثْ بن قيس، وأخذَ درعهُ البتري عُمر بن سعد، وأخذ سيفه جميع بن الخلق الأزدي، وأخذ خاتمه بجدل بن سليم الكلبي، فقطع إصبعه مع الخاتم، وتركوه عرياناً مجرداً على وجه الصعيد تصهره الشمس.

ما إن بقيت من الهوان على الثرى مُلقى ثلاثاً في ربى ووهادِ
لكن لكي تَقضي عليك صلاتها زمر الملائك فوق سبع شدادِ

قال: وتسابق القوم على نهب بيوت آل الرسول، وقرة عين الزهراء البتول، حتى جعلوا ينزعون ملحفة المرأة الهاشمية من على ظهرها.

قال حميدُ بن مسلم: رأيتُ امرأة من آل بكر بن وائل، فلما رأت القوم قد اقتحموا على نساء الحسين عليه السلام فسطاطهن، وهم يسلبوهن، أخذت سيفاً وأقبلت نحو الفسطاط، وقالت: يا آل بكر ابن وائل، أتسلب بنات رسول الله صلى الله عليه وآله؟ لا حكم إلا لله تعالى، يا لثارات رسول الله فأخذها زوجها وردها إلى رحله.

ثم أخرجوا النساء من الخيمة، وأضرموا فيها النار، فخرجن حواسر مسلبات، حافيات باكيات يمشين سبايا في أسر الذلة.

وإن أنسَ لا أنس النساءَ كأنها قطاريع من أوكاره وهو هاجدُ
سوافر بعد الصون ما لوجوهها براقعُ إلا أذرع وسواعدُ
خوارج من أبياتها وهي بعدها لأرجاس حرب بالحريق مواقدُ
إذا هنّ سلبن القلائد جددَت من الأسر في أعناقهنّ قلائدُ

قال حميد بن مسلم (لع): فانتهيا إلى علي بن الحسين عليه السلام، وهو منبسط على فراش، وهو شديد المرض، ومع الشمر جماعة من الرجالة فقالوا: ألا نقتلُ هذا العليل؟ فقلت: سبحانَ الله! أنقتل الصبيان؟ وأنه لما به فلم أزل أمانعهم حتى دفعتهم عنه.

وجاء عمر بن سعد (لع): فصاحت النساء في وجهه وبكين، وسألنه في عليّ بن الحسين عليه السلام، فقال لأصحابه: لا يدخل أحد منكم بيوت هؤلاء النسوة، ولا تعرضوا لهذا الغلام العليل، ثم وكل بالنساء وعلي بن الحسين عليه السلام جماعة ممن كان معه.

قالت فاطمة الصغرى: كنتُ واقفة ببابِ الخيمة، وأنا أنظرُ إلى أبي وأصحابه مجزّرين كالأضاحي على الرمال، والخيول على أجسادهم تجول، وأنا أفكر فيما يقع علينا بعد أبي يقتلوننا أو يأسروننا؟ فإذا برجل على ظهر جواده، يسوق النساء بكعب رمحه، وهنّ يلذن بعضهن ببعض، وقد أخذ ما عليهن من أسورة وأخمرة، وهنّ يصحن: واجداه! وأبتاه! واعلياه! واقلة ناصراه! واحسيناه! أما من مجير يجيرنا؟ أما من ذائد يذود عنا؟ قالت: فطار فؤادي وارتعدت مفاصلي، فجعلت أجيل طرفي يميناً وشمالاً على عمتي أم كلثوم خشية منه أن يأتيني.

فبينما أنا على هذه الحال، فإذا به قد قصدني، فذهلت خشية منه، وإذا بكعب الرمح بين كتفي، فسقطت على وجهي، فخرم أذني وأخذ قرطيّ ومقنعتي، وترك الدماء تسيل على خدي ورأسي تصهره الشمس، وولى راجعاً إلى الخيم، وأنا مغشي عليّ، وإذا أنا بعمتي عندي تبكي وتقول:

قومي يا بنية نمضي فما أعلم ما جرى على البناتِ، وعلى أخيكِ العليل، فقمتُ وقلت: يا عمتاه هل من خرقة أستر بها رأسي عن أعين النظارة؟ فقالت: يا بنتاه وعمتك مثلك، فرأيت رأسها مكشوفاً، ومتنها اسودّ من الضرب، فما رجعنا إلى الخيمةِ إلا وقد نهبت وجميع ما فيها، وأخي مكبوب على وجهه، لا يطيق الجلوس والقيام من كثرة الجوع والعطش والسّقام، فجعلنا نبكي عليه ويبكي علينا.

ثم أن عمر بن سعد (لع) نادى في أصحابه: من ينتدب للحسين عليه السلام فيوطىء الخيل ظهرهُ وصدره؟ فانتدب له عشرة فوارس يَقدمُهم: الأخنس بن مُرتد (زيد)، فداسوا ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله بحوافر الخيل.

فيا سماء لهذا الحادث إنفطري فما القيامة أدهى في الورى شأنا

وجاء هؤلاء العشرة حتى دخلوا على ابن زياد (لع) فقال أسيد بن مالك أحد العشرة:

نحن رضضنا الصدر بعد الظهر بكل يعبوب شديدِ الأسر

قال لهم ابن زياد: من أنتم؟ فقالوا: نحن الذين رضضنا صدر الحسين بحوافر خيولنا حتى طحنا جناجن صدره، فأمر لهم بجائزة يسيرة.

فقال أبو عمرو الزاهدي: فنظرنا في هؤلاء العشرة، فوجدناهم كلهم أولاد زنا.

وبعث ابن سعد (لع) برأس الحسين يوم عاشوراء مع خولى بن يزيد الأصبحي، وحميد بن مسلم إلى ابن زياد(لع): وأمر برؤوس الباقين من أهل بيته وأصحابه فقطعت، وسرح بها مع شمر بن ذي الجوشن، وقيس بن الأشعث، وعمرو بن الحجاج، فأقبلوا بها حتى قدموا الكوفة، وأقام ابن سعد يومه وغده إلى الزّوال.

فجمع قتلاه فصلى عليهم ودفنهم، وترك الحسين وأصحابه منبوذين بالعراء.

لا مغسلين، ولا مكفنّين، ثم رحل بمن تخلف من عيال الحسين عليه السلام، وحمل نسائهُ على أحلاس الأقتاب بغير وطاء ولا حجاب، مكشفات الوجوه بين الأعداء، وهنّ ودايع خير الأنبياء، وساقوهن كما يساقُ سبيُ الروم في أسر المصائب والهموم.

فمروّا بهن على المعركة، فلما نظرن إلى القتلى سائلة دماءهم، مقطعة أعضاءهم،

معفّرين بالثرى، مزمّلين بالدماء، صحنَ وبكين وأبدين النوح والعويل، ورأين الحسين عليه السلام جثة بلا رأس، صرخن صرخة عالية، وألقين بأنفسهن من الأقتاب، وجعلت زينب عليها السلام تندبُ أخاها الحسين عليه السلام بصوت حزين: واحسيناه

إن تنع أعطت كل قلب حسرّة أو تدعُ صدعتِ الجبال الميدا

وجاءت سكينة فاعتنقت أباها، وجعلت تمرغ وجهها على جسده، وهي تبكي حتى غشي عليها، ثم جاء أعداء الله، فجذبوها منه وأبعدوها عنه وأركبوها، قالت سكينة: سمعت أبي عليه السلام يقول وأنا مغشي علي:

شيعتي ما أن شَربتم عَذب ماء فاذكروني
أو سَمعتم بقتيل أو شَهيد فاندبوني
وأنا السبطُ الذي من غير جُرم قتلوني
وبجرد الخيل بعدَ القتلِ عمداً سَحقوني
ليتكم في يوم عاشورا جميعاً تنظروني
كيف أستسقي لطفلي فأبوا أن يرحموني
وسقوه سهم بغي عوض الماء المعينِ

في مكالمة زينب مع زين العابدين عليهما السلام

وفي الكامل، عن قُدامة بن زائدة قال: قال لي علي بن الحسين عليه السلام بعدَ كلام: «أنه لما أصابنا بالطف ما أصابنا، وقتل أبي عليه السلام ومن كان معه من ولده وأخوته، وسائر أهله، وحمل نساءه على الأقتاب، يراد بنا الكوفة، فجعلت أنظر إليهم صرعى لم يواروا، فعظم ذلك في صدري، ويشتدُ لما أرى منهم قلقي، وكادت نفسي تخرج، وتبينت ذلك من عمتي زينب بنت علي عليها السلام الكبرى، فقالت لي: مالي أراك تجود بنفسك، يا بقية جدي وأبي وأخوتي؟ فقلت: وكيفَ لا أجزع وأهلع، وقد أرى سيدي وإخوتي وعمومتي وبني عمي وأهلي، مضرجين بدمائهم، مرملين بالعراء، مسلبين، لا يكفنون ولا يوارون، ولا يعرج إليهم أحد، ولا يقربهم بشر كأنهم أهل بيت من الديلم والخزر.

فقالت: لا يجزعنك ما ترى، فوالله أن ذلك لعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جدك وعمك وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض،

وهم معروفون في أهل السماوات والأرض، أنهم يجمعونَ هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرَّجة فيدفنونها، وينصبون في هذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوهِ وتطميسه فلا يزداد أثره إلا ظهوراً، وأمره إلا علواً.

فقلت: وما هذا العهد؟ وما هذا الخبر؟ فقالت:

حدثتني أمّ أيمن أن رسول الله صلى الله عليه وآله زار منزل فاطمة عليها السلام، في يوم من الأيام فعملت له حريرة وأتاه علي عليه السلام بطبق فيه تمر، ثم قالت أم أيمن: فأتيتهم بعس لبن وزبد، فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمةُ والحسن والحسين عليهم السلام من تلك الحريرةِ، وشربوا من ذلك اللبن، ثمّ أكل وأكلوا من ذلك التمر بالزّبد، ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلي يصب الماء.

فلما فرغ من غسل يده مسح وجهه، ثم نظر إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام نظراً عرفنا به السرور في وجهه، ثم رمق بطرفه نحو السماء ملياً، ثم وجَّه وجهه نحو القبلة وبسط يديه يدعو، ثم خر ساجداً وهو ينشج فأطال النشوج، وعلا نحيبه وجرت دموعه، ثم رفع رأسه وأطرق إلى الأرض، ودموعه تقطر كأنها صوب المطر، فحزنت فاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السلام وحزنت معهم، لما رأينا من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهبناه أن نسأله حتى إذا طال ذلك، قال له علي وفاطمة: ما يبكيك يا رسول الله لا أبكى الله لكَ عينيك؟ فقد أقرح قلوبنا ما نرى من حالك؟ فقال: يا أخي إني سررتُ سروراً ما سررت مثله قط، وإني لأنظر إليكم وأحمد الله تعالى على نعمته عليَّ فيكم، إذ هبطَ علي جبرئيل فقال: يا محمد إن الله تبارك وتعالى اطلع على نفسك، وعرف سرورك بأخيك وابنتك وسبطيك، فأكمل لك النعمة، وهنّأك العطية بأن جعلهم وذريّاتهم ومحبيهم وشيعتهم معك في الجنة لا يفرّق بينك وبينهم، يحبون كما تحبى، ويعطون كما تعطى حتى ترضى وفوق الرضا على بلوى كثيرة تنالهم في الدنيا، ومكاره تصيبهم بأيدي أناس ينتحلون ملتك، ويزعمون أنهم من أمتك، براء من الله ومنك خبطاً خبطاً، وقتلاً قتلاً، شتى مصارعهم، نائية قبورهم، خيرة من الله لهم ولك فيهم، فاحمد الله عزوجل على خيرته، وارض بقضائه، فحمدت الله ورضيت بقضائه بما اختاره لكم.

ثم قال جبرئيل عليه السلام: يا محمد إن أخاك مضطهد بعدك، مغلوب على أمتك، متعوب من أعدائك، ثم مقتول بعدك، يقتله أشر الخلق والخليقة، وأشقى البريّة نظير عاقر ناقة صالح، ببلد تكون إليه هجرته، وهو مغرس شيعته شيعة ولده، وفيه على كل حال يكثر بلواهم، ويعظم مصابهم، وإن سبطك هذا - وأومى بيده إلى الحسين عليه السلام،

مقتول في عصابة من ذريتك وأهل بيتك، وأخيار من أمتك على ضفة الفرات، بأرض تدعى كربلاء، ومن أجلها يكثر الكرب والبلاء، على أيدي أعدائك وأعداء ذريتك، في اليوم الذي لا ينقضي كربه، ولا تفنى حسرته، وهي أطهر بقاع الأرض، وأعظمها حرمة وإنها لمن بطحاء الجنة.

فإذا كان ذلك اليوم الذي يقتل فيه سبطك، أحاطت بهم كتائب أهل الكفر، وتزعزعت الأرض بأقطارها، ومادت الجبال، وكثر اضطرابها، واصطفقت البحار بأمواجها، وماجت السماوات بأهلها، غضباً لك يا محمد ولذريتك، واستعظاماً لما يُنتهك من حُرمتك، ولشرّ ما يتكافى به من أمتك في ذريتك وعترتك، ولا يبقى شيء من ذلك، إلا استأذن الله عزّوجلّ في نصرة أهل بيتك المستضعفين المظلومين الذين هم حجة الله على خلقه بعدك.

فيوحي الله تعالى إلى السماوات والأرض والجبال والبحار ومن فيهن، أني أنا الله الملك القادر، الذي لا يفوته هارب، ولا يعجزه ممتنع، وأنا أقدر منكم على الانتصار والانتقام، وعزتي وجلالي لأعذّبن من وتر رسولي وصفيي، وانتهك حرمته، وقتل عترته، ونبذ عهده، وظلم أهل بيته، عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، فعند ذلك يضج كل شيء في السماوات والأرضين، بلعن من ظلم عترتك واستحلّ حرمتك.

فإذا برزت تلك العصابة إلى مضاجعها تولى الله قبض أرواحها بيده، وهبط إلى الأرض ملائكة من السماوات السبع، معهم آنية من الياقوت والزمرد، مملؤة من ماء الحياة، ومعهم حلل من حلل الجنة، وطيب من طيب الجنة، فغسّلوا جثثهم بذلك الماء، وألبسوها الحلل، وحنطوها بذلك الطيب، وصلى الملائكة صفاً صفاً عليهم.

ثم يبعث الله قوماً من أمتك لا يعرفهم الكفار، ولم يشركوا في تلك الدماء بقول ولا نية. فيوارون أجسامهم، ويقيمون رسماً لقبر سيد الشهداء بتلك البطحاء، يكون علماً لأهل الحق، وسبباً للمؤمنين إلى الفوز، وتحفه ملائكة من كل سماء مائة ألف ملك في كل يوم وليلة، ويصلون عليه، ويسبحون الله عنده، ويستغفرون الله لزواره، ويكتبون من يأتيه زائراً من أمتك متقرباً إلى الله تعالى، وإليك بذلك، وأسماء آبائهم وعشائرهم وبلدانهم، ويسمون في وجوههم بميسم من نور عرش الله، «**هذا زائر قبر خير الشهداء وابن خير الأنبياء**»، فإذا كان يوم القيامةَ سطع في وجوههم من أثر ذلكَ الميسم نور يغشى الأبصار يدلّ عليهم، ويعرفون به.

وكأني بك يا محمد بيني وبين ميكائيل، وعلي إمامنا، ومعنا من ملائكة الله تعالى ما لا يحصى عدده، ونحن نلتقط من ذلك الميسم في وجهه من بين الخلائق حتى

ينجيهم الله تعالى من هول ذلك اليوم وشدائده، وذلك حكم الله وعطاؤه لمن زار قبرك، أو قبر أخيك، أو قبر سبطيك، لا يريد به غير الله عزوجل.

وسيجد أناس ممن حقت عليهم من الله اللعنة والسخط، أن يعفو رسم ذلك القبر ويمحو أثره، فلا يجعل الله تبارك وتعالى لهم إلى ذلك سبيلاً.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أخي فهذا أبكاني وأحزنني.

قالت زينب: فلما ضرب ابن ملجم (لع) أبي عليه السلام بالسيف ورأيت أثر الموت منه، قلت: يا أبة حدثتني أم أيمن: بكذا وكذا، وقد أحببت أن أسمعه منك فقال عليه السلام الحديث كما حدثتك أم أيمن: وكأني بك وبنيات أهلك سبايا، بهذا البلد أذلاء خاشعين، تخافون أن يتخطفكم الناس، فصبراً صبراً، فوالذي فلق الحبة وبرء النسمة، ما لله على وجه الأرض يَومئذ ولي غيركم وغيرُ محبيكم وشيعتكم.

ولقد قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله حين أخبرنا بهذا الخبر: إن إبليس يطير في ذلك اليوم فرحاً فيجول الأرض كلها في شياطينه وعفاريته فيقول:

يا معشر الشياطين قد أدركنا من ذرية آدم الطلبة، وبلغنا في هلاكهم الغاية، وأورثناهم النار إلا من اعتصم بهذه العصابة، فاجعلوا شُغلكم بتشكيك الناس فيهم، وحملهم على عداوتهم، وإغوائهم بهم وبأوليائهم، حتى تستحكم ضلالة الخلق وكفرهم، ولا ينجو منهم ناج، ولقد صدق عليهم إبليسُ ظنه وهو كذوب، إنه لا ينفع مع عداوتكم عمل صالح، ولا يضر مع محبتكم وموالاتكم ذنب غير الكبائر.

قال زائدة: ثم قال لي علي بن الحسين عليه السلام بعد أن حدثني بهذا الحديث، خذه إليك أما إنك لو ضربت في طلبه آباط الإبل حولاً لكان قليلاً.

يا سادتي يا من بحبهم النفوسُ تقالُ يوم الحشر من عثراتها
ماذا أقولُ بمدحكم وبمَدحكم وافى جميلُ الذكرِ من آياتها

فلما انفصل ابن سعد (لع) عن كربلاء، عمد أهل الغاضرية من بني أسد فصلوا على تلك الجثث الطواهر الزوّاكي المرملة، فصلى بالدماء فدفنوها على ما هي الآن عليه.

قال المجلسي (ره): روي عن الرضا عليه السلام: أن علي بن الحسين عليه السلام جاء إلى كربلاءُ خفيةً، فصلى على أبيه ودفنه بيده، وقبورهم كلها على ما هي عليه الآن، كما ذكرَ ذلك السيدُ ابنُ طاووسُ والمفيدُ عليهما الرحمة، ولعنة الله على الظالمين إلى يوم الدين.

الجزء الثاني: قصائد في رثاء أهل البيت عليهم السلام

هذه القصائد أنشدت في مراثي أهل البيت عليهم السلام

القصيدة الأولى: للمرحوم السيد جعفر الحلي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وجهُ الصَّباحِ عَلَيَّ ليلٌ مُظْلِمُ ... ورَبيعُ أيّامي عَلَيّ مُحرَّمُ
والليلُ يَشهدُ لي بأني ساهِرٌ ... إن طابَ للناسِ الرّقادَ فَهَومَّوا
بي قُرحةٌ لو أنّها بيلَملَمٍ ... نُسفَتْ جَوانبُهُ وساخَ يلملمُ
قَلقاً تُقَلِّبني الهُمومُ بِمضجعي ... ويغورُ فكري في الزمان ويُنْهِمُ
من لي بِيوم وغىً يشبُّ ضرامُهُ ... ويشيبُ فَوْدُ الطفلِ منهُ فَيَهْرَمُ
يُلقي العجاجُ بهِ الجَرانَ كأنّهُ ... ليلٌ وأطرافُ الأسِنَّةِ أنجمُ
فعسى أنال من التِراتَ مواضياً ... تُسْدى عليهنَّ الدَّهُورُ وتُلْحَمُ
أو موتةً بينَ الصفوفِ أُحبَّها ... هِيَ دِينُ مَعْشَرِيَ الذين تَقَدّموا
ما خلْتُ أَنَّ الدَّهْرَ من عاداتِه ... تُروى الكلابُ به ويَظمى الضّيغَمُ
وَيُقَدَّمُ الأمَويُّ وَهْوَ مُؤَخَّرُ ... ويؤخَّرُ العَلَويُّ وهْوَ مُقدَّمُ
مثلُ ابن فاطمةٍ يَبيتُ مُشَرَّداً ... وَيزيدٌ في لذّاتِهِ مُتَنَعِّمُ
يرقى منابرَ أحمدٍ مُتَأمِّراً ... في المسلمينَ وليسَ يُنكِرُ مُسلِمُ
وَيُضيِّقِ الدّنيا على ابنِ مُحمّد ... حتى تَقاذَفَهُ الفضاء الأعظم
خرجَ الحسينُ منَ المدينةِ خائفاً ... كخروجِ موسى خائِفاً يَتَكَتَّمُ
وَقَدِ انجلى عنْ مَكّةٍ وَهوَ ابنُها ... وبهِ تَشَرَّفَتِ الحطيمُ وزَمْزَمُ
لم يدْرِ أين يُريحُ بُدْنَ ركابهِ ... فكأنما المأوى عليهِ مُحَرَّمُ
فمضت تؤمُّ بهِ العراقَ نجائبٌ ... مثْلَ النَّعامِ بهِ تخَبُّ وترسمُ

مُتَعَطِّفاتٌ كالقسيِّ موائلاً ... وإذا ارتمتْ فكأنما هيَ أسهُمُ
حَفَّتْهُ خيرُ عصابةٍ مُضريَةٍ ... كالبدرِ حينَ تَحفُّ فيهِ الأنجُمُ
رَكْبٌ حِجازيّونَ بينَ رِحالِهم ... تَسرى المنايا أنجَدُوا أو أتْهَموا
يَحْدُونَ في هَزْجِ التلاوةِ عِيْسَهُمْ ... والكُلُّ في تسبيحِهِ يَتَرَنَّمُ
مُتَقَلِّدينَ صوارماً هنديّةً ... من عزمِهِمْ طُبِعَتْ فليسَ تكَهَّم
بيضُ الصفاحِ كأنهُنَّ صحَائِفٌ ... فيها الحِمام مُعَنْوَنٌ ومترجَمُ
أن أبرقَتْ رَعَدَتْ فرائصُ كلّ ذي ... بأسٍ وأمطرَ من جوانبه الدَّمُ
ويقوّمونَ عواليا خطّيةً ... تتقاعَدُ الأبطالُ حينَ تُقَوَّمُ
أطرافُها حُمْرٌ تُزينُ بها كما ... قد زيّنَ بالكفَ الخضيبةِ معْصَمُ
إنَّ هزّ كلُّ منهمُ يزَنيَّهُ ... بيديهِ سابَ كما يَسيبُ الأرْقَمُ
وتقمّصوا زَرَد الدروعِ كأنهُ ... ماءٌ بهِ غَصُّ الضَّبا يُتَنَسَّم
وَلَصبْرُ أيوبَ الذي ادّرَعُوا بهِ ... مِن نسجِ داودٍ أشَدُّ وأحكمُ
نَزَلُوا بحَوْمَةِ كربلا فَتَطَلَّبتْ ... منهُم عوائِدُها الطُيورُ الحُوَّمُ
وتباشَر الوحشُ المثارُ أمامَهُم ... إنْ سوفَ يكثرُ شربُهُ والمَطْعَمُ
طَمَعَتْ أميّةُ حينَ قَلَّ عديدُهمْ ... لطلِيقهِمْ في الفتحِ أنْ يستسلِمُوا
وَرَجَوْا مَذَلَّتَهُمْ فَقُلْنَ رماحُهُم ... من دونِ ذلك أنْ تُنالَ الأنجُمُ
حتى إذا اشتبكَ النّزالُ وَصَرَّحتْ ... صيْدُ الرجالِ بما تُجِنُّ وتكتمُ
وقعَ العذابُ على جيوشِ أُميّةٍ ... من باسلٍ هُوَ في الوقائعِ مُعْلَمُ
ما راعَهُم إلاّ تَقحُّمُ ضَيغَمٍ ... غَيرانَ يُعْجِمُ لَفظُهُ وَيُدَمْدِمُ
عَبَسَتْ وجوهُ القوم خوفَ الموت والـ ... عبَّاسُ فيهِمْ ضاحكٌ مُتَبَسِّمُ
قَلَبَ اليمينَ على الشِمال وغاصَ في الـ ... أوْساطِ يحصِدُ للرؤوسِ ويحْطِمُ
وثنى أبو الفضلِ الفوارس نُكّصاً ... فرأوا أشدّ ثباتِهِمْ أنْ يُهزَمُوا
ما كرَّ ذو بأسٍ لهُ مُتَقَدِّماً ... إلاّ وفَرَّ ورأسُهُ المتقدِّمُ
صبغَ الخيولَ برمحِهِ حتى غَدا ... سيّانَ أشقرُ لونِها والأدهَمُ
ما شَدَّ غَضباناً عَلى مَلمومَةٍ ... إلا وحَلَّ بها البَلاءُ المبْرَمُ
ولهُ إلى الاقدامِ سُرعةُ هاربٍ ... فكأنّما هُوَ بالتقدُّمِ يَسْلَمُ
بطلٌ تَوَرَّثَ مِنْ أبيهِ شَجاعَةً ... فيها أُنوفُ بني الضَّلالَةِ تُرغَمُ

يَلقى السّلاحَ بِشدّةٍ من بَأسِهِ فالبيضُ تُثْلَمُ والرّماحُ تُحطَّمُ
عرفَ المواعظ لا تُفيدُ بمعشَرٍ صُمّوا عن النبأ العظيمِ كما عَمُوا
فانصاعَ بخطِبُ بالجماجِم والكُلى فالسيفُ ينثِرُ والمثقفُ ينظِمُ
أَوَ تشتكي العطشَ الفواطِمُ عندَهُ وبصدرِ صَعْدتِهِ الفُراتُ المُفْعَمُ
لو سَدُّ ذي القرنينِ دونَ ورودِهِ نَسَفَتْهُ همّتهُ بما هوَ أعظمُ
وَلَوِ استقى نهرَ المَجَرَّةِ لأرتقى وطويلُ ذيلِهِ إليها سُلَّمُ
حامي الظعينةِ أينَ منهُ ربيعةُ أَمْ أينَ مِنْ عَليا أبيهِ مُكَدَّم
في كفّهِ اليُسرى السّقاءُ يُقِلُّهُ وبكفّهِ اليُمنى الحُسامُ الخُذَمُ
مثلُ السَحابةِ للفَواطِمِ صوبُهُ ويصيبُ حاصبةَ العدوِّ فيرجمُ
بَطلٌ إذا رَكِبَ المطهَّمَ خِلْتَهُ جَبَلاً أشمَّ يَخِفُّ فيهِ مُطَهَّمُ
قسماً بصارمِهِ الصقيلِ وإنّني في غيرِ صاعقة السما لا أقسمُ
لولا القَضا لَمحى الوجودَ بسيفِه واللهُ يَقضي ما يَشاءُ وَيَحْكُمُ
حسَمَتْ يَديهِ المُرْهَفاتُ وإنَّه وحُسامُهُ مِن حدَّهِنَّ لأَحْسَمُ
فغدا يُهِمُّ بأن يصولَ فلم يُطقْ كاللَّيثِ إذ أظفارُهُ تتقلَّمُ
أمِنَ الردَى مَنْ كانَ يحذرُ بطشَهُ أمِنَ البُغاثِ إذا أُصيبَ القَشْعَمُ
وهوى بجنب العَلْقَمِيِّ فليتَهُ لِلشاربينَ بهِ يُدافُ العَلْقَمُ
فمشى لِمصرعهِ الحسينُ وطرفُهُ بينَ الخيامِ وبينَهُ مُتَقَسِّمُ
الفاهُ محجوبَ الجَمالِ كأنَّهُ بدرٌ بمُنْحَطِمِ الوشيجِ مُلَثَّمُ
فأكَبَّ منحنياً عليهِ ودمعُهُ صبغَ البسيطِ كأنما هو عَنْدَمُ
قَدْ رامَ يلثُمُهُ فلم يَرَ موضِعاً لم يُدْمِهِ عَضُّ السّلاحِ فَيُلثَمُ
نادى وقد مَلأَ البواديَ صَيحةً صُمُّ الصُخُورِ لهَوْلِها تَتَأَلَّمُ
أَأُخيَّ يُهْنيكَ النّعيمُ وَلَم أَخَلْ تَرضى بأَنْ أُرزى وأنتَ مُنَعَّمُ
أأُخيَّ مَنْ يَحمي بَناتَ محمّدٍ إنْ صِرْنَ يَستَرْحِمْنَ مَنْ لا يَرحمُ
ما خِلتُ بعدَكَ أَنْ تُشَلَّ سواعِدي وتُكَفَّ باصِرَتي وظهريَ يُقْصَمُ
لسواكَ يُلطَمُ بالأَكُفِّ وَهذهِ بيضُ الظبا لك في جبيني تلطِمُ
ما بينَ مصرَعِكَ الفَظيعِ وَمَصْرَعي إلاّ كما أدعوكَ قبلِ وتنْعِمُ
هذا حُسامُكَ من يَذبُّ بهِ العِدى ولواك هذا مَن بهِ يَتَقَدَّمُ

هَوَّنْتَ يا ابنَ أبي مَصارِعَ فتيتي ... والجُرْحُ يُسكِنُهُ الّذي هو آلَمُ
يا مالكاً صَدْرَ الشّريعَةِ إنّني ... لِقليلِ عُمري في بُكاكَ مُتَمِّمُ

للسيد جعفر الحلي أيضاً رحمه الله

اللهُ أيّ دَمٍ في كَربَلا سُفِكا ... لَمْ يَجْرِ في الأرضِ حتّى أوقفَ الفَلَكا
وأي خيْلَ ضَلالٍ بالطفوفِ غَدَتْ ... على حريمِ رسولِ اللهِ فانتُهِكا
يومٌ بحاميةِ الإسلامِ قَدْ نَهَضَتْ ... لهُ حميَّةُ دينِ اللهِ إذ تُرِكا
رأى بأن سبيلَ الغيّ متَّبَعُ ... والرُّشْدَ لَمْ تدرِ قومٌ أيَّةً سَلَكا
والناسَ عادتْ إليهِمْ جاهِليّتُهُمْ ... كأنَّ من شرْعَ الإسلامَ قَد أفكا
وقدْ تحكَّمَ بالإسلامِ طاغِيةٌ ... يُمسي ويُصْبِحُ بالفحشاءِ مُنهَمِكا
لم أدرِ أينَ رجال المسلمينَ مضوا ... وكيفَ صارَ يزيدٌ بينهُم مَلَكا
العاصرْ الخَمْرَ مِنْ لؤمٍ بِعُنْصُرِهِ ... وَمِنْ خَساسةِ طبعٍ يَعصر الوَدَكا
هل كيفَ يسلمُ من شِركٍ ووالِدُهُ ... ما نزَّهَتْ حَمْلَهُ هِنْدٌ عَنِ الشُركا
لَئِنْ جَرَتْ لفظةُ التوحيدِ في فمِهِ ... فسيفُهُ بسوى التّوحيدِ مَا فَتَكا
قد أصبحَ الدّينُ منه يشتكي سقماً ... وما إلى أحَدٍ غير الحسينِ شكى
فما رأى السّبطُ للدينِ الحنيفِ شِفاً ... إلاّ إذا دَمُهُ في كربَلاء سُفِكا
وما سَمِعْنا عَليلاً لا عِلاجَ لَهُ ... إلاّ بنفسٍ مُداوِيْهِ إذا هَلَكا
بقتلهِ فاح للإسلامِ نَشْرُ هُدىً ... فَكُلَّما ذَكَرَتْهُ المسلمونَ ذَكا
وصانَ سِتْرَ الهُدى مِنْ كُلِّ خائنةٍ ... سِتْر الفواطِمِ يومَ الطفِّ إذ هُتِكا
نفسي الفداءُ لِفادٍ شَرْعَ والدِهِ ... بنفسِهِ وبأَهليهِ وما مَلَكا
وشبَّها بذبابِ السيف نائرةً ... شَعواءَ قد أوردتْ أعداءَهُ الدَرَكا
وَأنْجُمُ الظّهْرِ للأعْداءِ قد ظهرتْ ... نصْبَ العيونِ وغَطّى النَّقعُ وجهَ ذُكا
أحالَ أرضَ العِدى نقعاً بِحملتِهِ ... وللسماءِ سَماً من قسطلٍ سَمَكا
فأنقصَ الأرضينَ السبعَ واحدةً ... منها وزادَ إلى أفلاكِها فَلَكا
كسى النهارَ ثيابُ النقعِ حالكةً ... لكنْ مُحيّاهُ يَجْلُو ذلِكَ الحَلَكا
في فِتيةٍ كَصقُورِ الجوِّ تحملُها ... أمثالُها تَنْقُضُ الأشراكَ والشَّبكا
لو أطْلَقُوها وراءَ البَرقِ آونةً ... ليمسكُوهُ أتتْ والبرقُ قدْ مُسكا

الصائدونَ سباعَ الصّيد إنْ عَندَتْ ... وما سوى سُمرهم مَدّوا لَها شَرَكَا
لم تُمسِ أعداؤُهُم إلاّ على دَرَكٍ ... وَجارُهُمْ يأمَنُ الأهوالَ والدّركا
ضاقَ الفضاءُ على حَرْبٍ بِحَرْبِهِمُ ... حتى رأتْ كُلَّ رحبٍ ضَيِّقاً ضَنِكا
يا ويحَ دهر جنى بالطفّ بينَ بني ... مُحَمّدٍ وبني سُفيانَ مُعتَرَكا
حاشا بني فاطم ما القومُ كفؤهُمُ ... شَجاعةً لا ولا جُوداً ولا نُسُكا
لكنّها وَقعةٌ كانتْ موسَّسَةٌ ... من الأُلى غَصَبُوا من فاطِم فَدكا
ما يَنْقِمُ الناسُ منهُمْ غَير أنَّهُمُ ... يَنهونَ أنْ تُعبَدَ الأوثانُ والشُّركا
شَلَّ الإلهُ يَدَيْ شِمرٍ غَداةَ على ... صَدْرَ ابنَ فاطمةٍ بالسَّيفِ قَدْ بَرَكا
فكانَ مَا طَبَّقَ الأذْوارَ قاطِبَةً ... مِنْ يومِهِ للتلاقي مَأْتَماً وَبُكا
ولَمْ يغادِرْ جماداً لا ولاَ بَشَراً ... إلا بَكاهُ وَلا جنّاً ولا مَلَكا
فَإنْ تَجُد ضاحِكاً منّا فَلا عَجَبٌ ... فرُبّما بَسَم المغبونُ أو ضَحِكا
في كُلِّ عام لنا بالعَشْرِ واعيةٌ ... تُطَبق الدّوَر والأرجاءَ والسِّكَكا
وكلُّ مُسْلِمَةٍ تَرمي بِزينَتِها ... حتى السماءُ رَمَتْ عن وَجهِها الحُبُكا
يا مَيّتاً تَرَكَ الألبابَ حائِرةً ... وبالعَراءِ ثلاثاً جِسمُهُ تُرِكا
تأتي الوحوشُ لَهُ لَيلاً مسلِّمةً ... والقومُ تُجري نَهاراً فَوْقَهُ الرَّمكا
ويلٌ لَهُم ما اهتدُوا منهُ بموعظةٍ ... كالدُّرّ مُنتظِماً والتِّبْرِ مُنسَبِكا
لم ينقطعْ قطُّ مِنْ إرسالِ خُطبَتِه ... حتى بها رأسُه فوقَ السّنان حَكى
وا لهفتاهُ لزينِ العابدينَ لقىً ... مِن طُولِ عِلّتِهِ والسّقمِ قَدْ نُهِكا
كانتْ عيادتُهُ منهُم سِياطُهُمُ ... وفي كعوب القنا قالوا البقاء لكا
جَرّوهُ فانتَهَبُوا النّطْع المُعَدَّلَهُ ... وَأَوْطأوا جِسْمَهَ السّعدانَ والحَسَكا
لامرَّت الريح في كوفان طيبة ... والغيث لا حل في وادي الثنام وكا
وعذّبَ اللهُ بالجاني بَرِيَّهُمُ ... ففي دم السبط كلّ منهمُ شركا
ثم الصلاة على الهادي وعترته ... ما ناحت الورق أو جفن الغمام بكا

وقال أيضاً:

ألا لا سقت كفّي عطاشى العواسلِ ... إذا أنا لَمْ أنهضْ بثارِ الأوائلِ
وإنْ أنا لم أوقِد لَظى الحربِ بالظُّبَا ... فلا رَجَّعَتْ باسمي حُداةُ القَوافلِ

تفرَّسن فيَّ المرضِعاتُ مهابةً ... وأرجبنَ لي باعاً أكفُّ القَوابلِ
وُلِدْتُ فقلنَ الهاشميّاتُ مَرْحَباً ... فما حَدَّثَتْهُنَّ الظُّنونُ ببباطلِ
رأينَ على وَجهي حمايةَ ضَيْغَمٍ ... وجُرأةَ مقدامٍ وَسَطوَةَ باسلِ
سأقْتادُها بالهاشِميينَ ضُمَّراً ... يَجُلْنَ فيملأنَّ الفَلا بالصَّواهِلِ
إذا صِيحَ يا لَلثارِ فوقَ ظهورِها ... زَفَفْنَ إلى الهَيجا زفيفَ الأَجادِلِ
تَخالُ نَعاماً تحتَ أُسدٍ ضَراغِمٍ ... وما هيَ إلا الخيلُ تحتَ البَواسِلِ
أأغضي وما غابَ المثقفُ عن يدي ... وذو الشَّفَراتِ البيضِ طوعُ أناملي
أيذهبُ ثار الهاشميينَ في العِدى ... ويُصْبِحُ ذاك الحقُّ أكْلَةَ باطلِ
كِرامٌ بأرضِ الغاضِريَّةِ عَرَّسوا ... فطابَتْ بِهِمْ أرجاءُ تلكَ المنازلِ
أقاموا بها كالمُزْنِ فَاخْضرَّ عودُها ... وأعشتَ مِن أكنافِها كلُّ ماحِلِ
زَهَتْ أرضُها مِن بِشْرِ كلِّ شَمَرْدَلٍ ... طويلِ نِجادِ السيفِ حلوِ الشَّمائلِ
يُسَرُّ إذا قامتْ على ساقِها الوغى ... وجالَتْ ببيضِ الهندِ لا بالخَلاخِلِ
يَكِرُّ بدِرعِ الصَّبْرِ حتّى تخالَهُ ... بِدرعِ دلاصٍ وَهْوَ بادي المقاتِلِ
يُفَرِّقُ شملَ الجيشِ تفريقَ جائرٍ ... وَيَقْسِمُ بالبتّارِ قسمةَ عادِلِ
كأنَّ لعزرائيلَ قَدْ قالَ سيفُهُ ... لكَ السِّلمُ موفورٌ ويومُ الكفاحِ لي
حَمَوْا بالظُّبا دينَ النّبيِّ وطاعنوا ... ثُباتاً وخاضَتْ جُرْدُهُمْ بالجَحافِلِ
إلى أنْ أحالُوا الجوَّ نَقْعاً وَصَبَّغوا ... بما استَحْلَبَتْهُ اللُّدنُ وجهَ الجَنادِلِ
وقد أنْهلوا هنديّة البِيضِ بالدِّما ... وراحتْ جياعُ الطيرِ مَلأى الحَواصِلِ
ولمّا دَنَتْ آجالُهُمْ رَحّبُوا بها ... كأنَّ لهُم بالموتِ بُلغَةُ آمِلِ
فماتُوا وَهُم أزكى الأنامِ نَقيبَةً ... وأكرمُ من يُبكي له بالمحافِلِ
عطاشى بجنبِ النَّهْرِ والماءُ حولهمْ ... مباحٌ إلى الورَّادِ عذبُ المناهِلِ
أبا حَسَنٍ إنَّ الذينَ عِهْدَتَهُمْ ... ثقالَ الخُطى إلا لكسبِ الفَضائلِ
أعزّيك فِيهِمْ يا لكَ الخيرُ إنّهُمْ ... مشَوا لورودِ الموتِ مشيةَ عاجِلِ
أرادتْ بنو سُفيانَ فيهم مَذَلّةً ... وذلكَ من أبْنائكَ صَعْبُ التّناوُلِ
متى ذلَّ قومٌ أنتَ خَلّفْتَ فيهِمُ ... إباءً لهُ يندَقُّ أنفُ المُجادِلِ
نَعِمْتَ بِهم عيناً فقد سارَ ذكرُهُم ... كما قد فَشَا معروفُهُمْ في القبائلِ
أعادوكَ يوم الطَّفِّ حَيّاً وجدَّدوا ... لِعَلياكَ ذِكراً قبلَ ذا غيرَ خامِلِ

فلم تُفْجَع الأيّامُ مِنْ قبلِ يومِهِمْ بأكرَمِ مَقْتُولٍ لأُلْئَمِ قاتِلِ
رعى اللهُ خِدراً كانَ مِنْ خوفِ أهلِهِ يَمُرُّ عليهِ الطّيرُ مَرَّةَ واجِلِ
تزورُ الوَرى واديهِ وَهْوَ مُقَدَّسٌ فَيَخْلَعُ تعظيماً لهُ كُلُّ ناعلِ
فعادَ كأنَّ البِيضَ لم تُنْضَ حَولهُ ولا رُكِزَتْ فيهِ طِوالُ الذّوابِلِ
تَفَرَّقَ أَهلُوه فأصبحَ مَغْنَماً تَنَاهَبُ مِنهُ النِّقْلَ أيدي الأراذِلِ

لجناب السيد محمد حسين نجل السيد كاظم القزويني

في رثاء الزهراء البتول سلام الله عليها

مالك لا العينُ تَصُوبُ أدمعا منكَ ولا القلبُ يَذوبُ جَزَعا
فأيُّما قلبٍ أتاهُ نَبَأ آل شورى فما ذابَ ولا تَصَدَّعا
أما وَعَى سَمْعُكَ ما جَرَى بها فأيُّ سمعٍ فاتَه وما وَعَى
وما دريتَ باللَّذَيْنِ استنهضا جاثيةَ الغَيِّ فهبّت سُرَّعَا
سَلاّ مِنَ الأحقادِ سيفَ فتنةٍ عاد بها أنفُ الرشاد أجدَعا
وألقحاها قتنةً تحملُ في نتاجِها من الضلالِ البِدَعا
وانتهزاها فُرصةً فاحتَلبا من ضَرعِها كأسَ النفاقِ مُترِعَا
وأتّبعا نهجَ الهوى وخالفا من الرسولِ شَرْعَةُ المتَّبَعا
فليتَ شعري أيُّ عُذرٍ لهما وقد أساءا بعدَه ما صَنَعا
وأيُّ قربَى وصلا منه وعن عترتِهِ حبلَ الولا قد قَطَّعا
فقُلْ لتيمٍ لا هُديتِ بعدَما طافَ أَخوكِ بالضَلالِ وسَعى
خفَّ لداعي الكُفرِ نَهضاً فانثنى يثْقلِ أعباءِ الشقا مُضطَلِعا
فقامَ وَهْوَ يَسْتَقِيلُ عَثْرَةً كَبا على الغيِّ بها فَلا لَعَا
دَرى بأنَّ فاطماً بَضعتُهُ فما رَأى حُرمتَها ولا رَعَى
كيفَ يطيبُ شيمةً وعنصراً وعن أروم البغيِّ قد تفرّعا
واجتمعَ الناسُ عليه ضَلَّةً ففرّقوا من الهدى ما اجتمعا
وأظهروا باطنةَ الكفرِ عَمىً مذْ أبصروها فرصةً ومطمَعا

وخالفوا نصَّ الوَلاءِ بعدَما ... أماطَ في وجهِ الرشادِ بُرقُعا
وغادَرُوا حقَّ البتولِ نهلةً ... تجرّعوها بالضلالِ جُرعا
وافتتنوا من ولع بسورةِ ال ... دنيا فهاموا بالدّنايا ولَعا
وأودعَ الثِّقْلَينِ فيهم فَأبَوا ... أن يَحفظوا لأحمدٍ ما استودَعا
وجمّعوا النار ليحرقوا بها ال ... بَيْتَ الذي به الهُدى تجمّعا
بيتٌ علا سَمْكَ الضراحِ رفعةً ... وكان أعلى شَرَفاً وأرفعا
أعزَّه الله فما تَهبطُ في ... كعبتهِ الأملاكُ إلا خُضَّعا
بيتٌ من القدسِ وناهيك به ... مَحَطَّ أسرارِ الهُدى وموضِعا
وكان مأوى المرتجي والملتجي ... فما أعَزَّ شأنَهُ وامنعا
فعادَ بعدَ المصطفى منتهكاً ... حريمُهُ وفيئُهُ موزّعا
وأخرجوا منهُ علياً بعدما ... أبيحَ منهُ حقُّهُ وانتزِعا
قادوه قهراً بِنِجادِ سيفِهِ ... فكيف وهو الصَّعْبُ يُمسى طَيّعا
فعادَ إلاّ أنه عن حقِهِ ... صُدَّ وعن مُقامِهِ قد دُفعا
ما نقموا منه سوى أنَّ له ... سابقةَ الإسلامِ والقربى معا
وأقبلتْ فاطمُ تعدو خلفَه ... والعينُ منها تستهلُّ أدمُعا
فانتَهَروها بسياطِ قنفذٍ ... وكسرّوا بالضربِ منها أضلعا
فانعطفتْ تدعو أباها بحشىً ... تساقطتْ مع الدّموعِ قطعَا
يا أبتا هذا عليٌّ أعرضوا ... عنهُ ضلالاً وابنُ تيمٍ تُبعا
أهتفُ فيه لا أرَى واعِيةً ... تعي ندائي لا ولا مستمِعا
أمسى تراثي فيهمُ مُغتَصَباً ... منّي وحقّي بينهم مضيَّعا
وانكفأت إلى علي بعدَما ... تجرّعتْ بالغيظِ سُماً منقَعا
قالتْ أتُغضي والنفاقُ صارخٌ ... حتى استعاذ الدينُ منه فَزِعا
ونِمْت عن ظلامتي عفواً وأن ... تَ الموقظُ العَزْمِ إذا الداعي دعا
أحجمتَ والذّئاب عدواً وثَبَتْ ... فاقتحمتْ منكَ العرينَ المُسبِعا
ولنتَ أخدعيْك في الضيمِ وما ... عهدتُ منك أن تلينَ أخدعا
وكيف أضرعتَ على الذلِ لهم ... خَدَّك وهو للعِدى ما ضَرَعا
عزَّ عليك أنْ تَرى تسومُني ... من بعدِ عِزّي قيلةٌ أن أَخْضَعا

تهضمتني بالأذى ولم أجدْ ... مأوىً إليه ألتجي ومفزعا
ألفيتُها مُعرضةً عني وما ... أبقَتْ بقوسِ الصَّبْرِ مني مفزعا
فقالَ يا بنتَ النّبيْ احتسبي ... حقَّكِ في اللهِ وخلّي الجَزَعا
وَإحْملي صَبراً فما ونيتُ عن ... ديني ولا أخطأ سهمي مَوْقِعا
فَاسترجعتْ كاظمةً لغيظِها ... مُبديةً حنينَها المرجَّعا
حتى قَضَتْ من كَمَدٍ وقلبُها ... كادَ بفرطِ الحزنِ أنْ يَنصدعا
قضتْ ولكن مُسقَطاً جنينُها ... مُولَّعاً فؤادُها مروَّعا
قضتْ ومن ضربِ السياط جنبُها ... ما مهّدَتْ له الرزايا مضجعا
قضتْ على رغم العِدى مقهورةً ... ما طمعتْ أعينُها أن تهجَعا
قضت وما بينَ الضلوعِ زفرةٌ ... من الشجا غليلها لن ينقعا

وله أيضاً رحمه الله تعالى

في رثاء الحسن الزكي عليه السلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَترى يسوغُ على الظما لي مَشْرَعُ ... وأرى أنابيبَ القنا لا تُشرعُ
ما آن أن تقتادَها عَرَبيّة ... لا يستميلُ بها الروى والمرتع
تعلو عليها فتيةٌ من هاشم ... بالصبرِ لا بالسابعاتِ تدرّعوا
فلقد رمتْنا النائباتُ فلم تَدَعْ ... قلباً تَقِيهِ أدْرُعٌ أو أذْرع
فإلى م لا الهنديُّ منصلتٌ ولا ال ... خطّيُّ في رهج العجاج مُزعزعُ
ومتى نَرَى لكَ نهضةً من دونِها ال ... هاماتُ تسجدُ للمنونِ وتركع
يابن الأُلى شجّتْ برابيةِ العُلى ... كرماً عروقُ أصولِهم فتفرعوا
جَحَدتْ وجودَكَ عُصْبَةٌ فتتابعتْ ... فِرَقاً بها شملُ الضلالِ مجمَّع
جهلتْكَ فانبعثتْ ورائدُ جهلِها ... أضحى على سَفَهٍ يَبوءُ ويَذرع
تاهت عن النهجِ القويمِ فظالعٌ ... لا يَستقيمُ وعاثرٌ لا يُقلعُ
فأَنِرْ بطلعتِكَ الوجودَ فقد دَجَى ... والبدرُ عادتُهُ يَغيبُ ويَطلعُ

متطلباً أوتاركم من أمّةٍ ... خفّوا لداعيةِ النفاقِ وأسرعوا
خانوا بعترةِ أحمدٍ من بعدِهِ ... ظُلماً وما حفظوا بهم ما استُودعُوا
فكأنّما أوصَى النّبيُّ بِثِقْلِهِ ... أن لا يُصانَ فما رعْوه وضيّعوا
جحدوا ولاءَ المرتضى ولكم وعَى ... منهم له قلبٌ وأصغَى مسمَعُ
وبما جَرَى من حقدِهم ونفاقِهم ... في بيته كُسرَت لِفاطمَ أضلع
وعدوْا على الحسنِ الزكيِّ بسالفِ ال ... أحقادِ حين تألّبوا وتجمّعوا
وتنكّبوا سَنَنِ الطريقِ وإنما ... هاموا بغاشية العَمَى وتولعوا
نبذوا كتابَ اللهِ خلفَ ظهورِهم ... وسعوا لداعية الشقا لمّا دُعوا
عجباً لحلم الله كيف تأمروا ... جنفاً وأبناءُ النبوة تخلع
وتحكّموا في المسلمينَ وطالما ... مَرقوا عن الدين الحنيف وأبدعوا
أضحى يُؤلبُ لابن هندٍ حربَه ... بغياً وسربُ ابنِ النّبيِّ مذعذع
غدروا به بعدَ العهودِ فغودرتْ ... أثقالُه بينَ اللئامِ تُوزَّع
اللهُ أيُّ فتىً يُكابدُ محنةً ... يشجى لها الصخرُ الأصمُّ ويَجزع
ورزيةٍ جرّتْ لقلبِ محمّدٍ ... حزناً تكادُ لها السما تتزعزع
كيف ابنُ وحيِّ اللهِ وهو به الهدَى ... أرسى فقامَ له العماد الأرفع
أضحى يُسالمُ عصبةً أمويةً ... من دونها كفراً ثمودُ وتُبَّع
سامُوه قَهراً أن يضام ومالَوَى ... لولا القضاءُ به عنانٌ طَيّع
أمسى مضافاً يُستباحُ حريمُهُ ... هتكاً وجانبُهُ الأعزُّ الأمنع
ويرى بني حربٍ على أعوادِها ... جهراً تَنالُ من الوصيِّ ويسمعُ
ما زال مُضطهَداً يقاسي منهمُ ... غُصصَاً بها كأسَ الردى يَتَجرّعُ
حتى إذا نفذ القضاءُ محتّماً ... أضحى يُدسُّ إليه سُمٌ مُنقَعُ
وغدا برغم الدين وهو مكابدٌ ... بالصبر غُلَّةَ مُكمَدٍ لا تنقعُ
وتفتتتْ بالسُّمِّ من أحشائِهِ ... كَبِدٌ لها حتّى الصَفا يتصدّعُ
وقضى بعينِ الله يقذفُ قلبَه ... قِطَعاً غدت مما بها تتقطعُ
وسرَى به نعشُ تودُّ بناتهُ ... لو يرتقى للفرقدين ويُرفع
نعشٌ له الروحُ الأمينُ مشيِّعٌ ... وله الكتابُ المستبينُ مودّع
نعش أعزَّ اللهُ جانبَ قدسِه ... فغدت له زُمَرُ الملائكِ تخضع

نعشٌ به قلبُ البتول ومهجةُ ال ... هادي الرسولِ وثقلُهُ المستودَع
نثلوا له حقدَ الصدور فما يرى ... منها لقوسٍ بالكنانة منزع
ورموْا جنازتَه فعاد وجسمُهُ ... غَرَضٌ لرامية السهامِ ومَوقع
لم ترمِ نعشَك إذ رمتْك عصابةٌ ... نهضت بها أضغانها تتسرع
شكّوه حتى أصبحتْ من نعشِهِ ... تُستلُّ غاشيةُ النبالِ وتُنزع
لكنّها عَلِمتْ بأنك مهجة ال ... زهراءِ فابتدرت لحربك تَهرع
ورمتْك كي تُصمى حشاشةَ فاطمٍ ... حتى تبيتَ وقلبُها متوجع
ما أنت إلا هيكلُ القدسِ الّذِي ... بضميره سرُّ النبوةِ مودَع
جِلبت عليه بنو الدعي حقودَها ... وأتته تَمرحُ بالضلال وتتلع
منعتْه عن حرمِ النبيِّ ضلالةٌ ... وهو ابنُهُ فَلأيِّ أمرٍ يُمنَعُ
فكأنّه روحُ النّبيِّ وقد رأت ... بالبُعد بينهما العلائقُ تُقطعُ
فلذا قضتْ أن لا يخطَّ لجسمِهِ ... بالقرب من حرم النبوةِ مضجعُ
للّهِ أيُّ رزيةٍ كادت لها ... أركانُ شامخةِ الهدى تتضعضع
رزءٌ بكت عينُ الحسين ومن ... ذوبِ الحشى عبراتُهُ تتدفع
يومَ انثنى يدعو ولكنْ قلبُهُ ... وارٍ ومقلتُه تفيضُ وتَدمع
أترى يطيف بي السلوُ وناظري ... من بعد فقدِك بالكرى لا يهجعُ
أَاخيُ لا عيشي يجوسُ خلاَله ... رَغَدٌ ولا يصفو لورديَ مَشرع
خلّفتَني مرمى النوائبِ ليسَ لي ... عَضُدٌ أردُّ به الخطوبَ وأدفع
وتركتَني أسِفاً أردّدُ بالشجا ... نَفَساً تصعدُه الدموعُ الهُمَّعُ
أبكيك يا ريَّ القلوبِ لو أنّهُ ... يُجدي البكاءُ لظامئٍ أو ينفعُ

وله أيضاً في رثاء سيد الشهداء عليه السلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لعل الحيا حيّا ببرقة ثهمدِ ... معاهدَ رسمِ المنزلِ المتأبدِ
مشى الدهرُ في أطرافهنَّ فأخلقت ... حوادثُهُ من ربعها المتجددِ
ألمَّ بها فابتزّ بهجةَ حُسنها ... وصوّحَ فيها ريقُ الورقِ الندي

مرابعُ ضلَّ الركبُ في جنباتها ... وكان بها بالأنجم الزُّهرِ يهتدي
معاهد أُلاّفي ومألفُ صَبوتي ... ومسرحُ لذاتي ومنهلُ موردي
وقفت بها والعينُ ينهلُ دمعها ... على صحنِ خدّي كالجمانِ المبدَّدِ
وقائلةٍ صبراً فما جزَعُ الفتى ... بمجْدٍ ولا رجْعُ الحنينِ بمُسْعِدِ
أقولُ لها والوجدُ مِلءُ جوانحي ... لقد عزَّ بعد الظاعنين تجلّدي
سروا يطلبونَ العزَّ بالبيضِ والقنا ... ضحىً والمنايا السودُ منهم بمرصدِ
يزجّون أعناقَ الجيادِ لواغباً ... تجوبُ الموامي فدفداً بعد فدفدِ
نصدنَ بهم أرضَ الطفوفِ فعرّسوا ... على منهجٍ كالسمهريِّ المقصّدِ
بكلِ شديدِ الساعدَيْنِ مشجّعٍ ... لدى الروع مشبوحِ الأشاجعِ ملبدِ
وأغلب مفتولِ الذراعينِ باسلٍ ... طويلِ نجادِ السيفِ رَحْبِ المقلَّدِ
بلوتُ على ابنِ الغابِ في حوَمةِ الوغى ... جلابيبَ من نسجِ الدلاصِ المسرّد
أغرَّ على نَهدٍ أغرَّ محجَّلٍ ... جبيكِ القَرا ضافي السبيبة أجردِ
يخوض به في المأزقِ الضنكِ سابحاً ... بلُجةِ بحرٍ من دمِ الهام مُزْبِدِ
هُمُ عصْمَةُ اللاجي إذا هُو يختشي ... وهم دَيْمةُ الراجي إذا هو يَجْتَدي
إذا ما خبتْ نار الوغَى شِعشعوا لها ... سيوفَهم جَمراً وقالوا توقدي
ثقالُ الخُطى لكن يَخفّونَ للوغى ... سِراعاً بخرصانِ الوشيجِ المسدّدِ
إذا شرعوا سمرَ الرماحِ حسبتَها ... كواكبَ في ليلٍ من النقعِ أسودِ
أو أصطدمت تحتَ العجاجِ كتائبُ ... جرى أصيدُ منهم لها إثرَ أصيدِ
يكرّون والأبطالُ طائشةُ الخُطى ... وشخصُ المنايا بالعجاجةِ مرتدي
لَووَا جانباً عن موردِ الضَّيْمِ فانثَنوا ... على الأرضِ صَرعى سيّداً بعد سيّدِ
هَووَا للثرى نهبَ السّيوفِ جسومُهم ... عَوارٍ ولكن بالمكارم ترتدي
وأضحى يُديرُ السبطُ عَينيْهِ لا يرى ... سوى جُثثٍ منهم على التُّرب رُكَّدِ
أحاطت به سبعون ألفاً فردَّها ... شوارد أمثالِ النعامِ المشرَّدِ
وقام عديم النصرِ بين جموعهم ... وحيداً يُحامي عن شريعة أحمدِ
إلى أن هوى للأرض شلواً مبضَّعاً ... ولم يُروَ من حرَّ الظما قلبُه الصَّدي
هوى فهوى التوحيدُ وانطمس الهدى ... وحُلّتْ عرى الدينِ الحنيفِ المشيَّدِ
له اللهُ مفطور الفؤاد من الظَّما ... صريعاً على وجه الثرى المتوقّدِ

ثوى في هجيرِ الشمس وهو مُعَفَّرُ تُظَلِّلُهُ سُمْرُ القنا المتقصّدِ
وأضحت عوادي الخيلِ مِن فوق صدرِهِ تروحُ إلى كرِّ الطراد وتغتدي
وهاتفة من جانبِ الخدرِ ثاكلٍ بدت وهي حسرى تلطمُ الخدَّ باليدِ
يُؤلمُها قرعُ السياطِ فتنثني تحنُّ فَيُشجي صوتُها كلَّ جَلْمد
وسقيت على عجفِ النياق أسيرة يطافُ بها في مشهدٍ بعد مشهدِ
سرت تتهاداها علوجُ أميةٍ فمن مُلحدٍ تُهدَى إلى شَرِّ مُلحدِ

وله أيضاً في رثاء سيد الشهداء عليه السلام :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لا صبرَ أو تجري على عاداتها خيلُ تشنُّ على العِدى غاراتِها
وتقودُها شعث الرؤوسِ شوائلاً قبَّ البطون تضجُّ في صهلاتِها
وتثيرُها شهباءَ تملأ جوَّها نقعاً يحطُّ الطير عن وكناتِها
فإلى م يقتدحُ العدوُ بزندهِ نارَ الهوانِ فنصطلي جذوتِها
أو ما دريتَ بأنَّ آل أميةٍ ثارتْ لتدرك منكمُ ثاراتِها
وأتتْ كتائبُهم يَضيقُ بها الفضا حَشْداً تسدُّ الأفقَ في راياتِها
جاءت ودونَ مرامِها شوكُ القنا كيْما تسود بجهلها ساداتِها
عثرتْ بمدرجةِ الهوانِ فأقلعتْ نهضاً بِعِبءِ الحقدِ عن عَثَراتِها
وخَطَت بمستَنَّ الضلال على عَمىً تقفوا بريد الغيِ في خطواتِها
فهناك أقبلَ والحفاظُ بفتيةٍ ما خطَّ خط الشيبِ في وَفَراتِها
بمدرّبينَ على الكفاحِ إذا خبتْ للحرب نارٌ وقّدوا جَمَراتها
وثبتْ بمزدَلَفِ الهيَاجِ كأنّها ال آسادُ في وثباتِها وثَبَاتِها
هيجتْ بمخمصة الطَوى ولطالما تخذتْ أنابيبَ القنا أجَمَاتِها
يومٌ به الأبطالُ تعثرُ بالقنا والموتُ منتصبٌ بستِّ جهاتِها
بَرِقتْ به بيضُ السيوفِ فأمطرتْ بدمِ الكُماةِ يفيضُ من هاماتِها
فكأنَّ فيه العاديات جَآذِرٌ تختالُ من مرحٍ على تلعاتها
وكأنَّ فيهِ البارقات كواكبٌ للرجْلِ تهوي في دجى ظُلُماتِها

وكأن فيه الذابلات أراقمٌ تنسابُ من ظمأ على هضباتِها
وكأنَّ فيه السابغات جداولٌ أضحتْ تخوضُ الموتَ في غَمَراتها
غنت لهم سودُ المنايا في الوغى وصليل بيض الهند من نغماتِها
فتدافعتْ مشيَ النزيفِ إلى الردى حتى كأنَّ الموت من نَشَواتها
وتطلعتْ بدِجى القتام أهلّةً لكن ظهورُ الخيلِ من هالاتِها
تجري الطلاقة في بهاءِ وجوهِهم إنْ قطّبتْ فَرَقاً وجوهُ كُماتِها
نَزَلَتْ بقارعةِ المنونِ بموقفٍ يستوقفُ الأفلاكَ عن حركاتها
غرست به شجرُ الرماحِ وإنما قطَفَتْ نفوس الشُوسِ من ثمراتِها
حتى إذا نفَذَ القضاءُ وأقبلتْ زُمَرُ العِدى تستنُّ في عَدَواتِها
نشَرَت ذوائبَ عزِّها وتخايلتْ تطوي على حرّ الظما مُهَجاتِها
وتفيّأت ظُللَ القنا وكأنَّها شجرُ الأراك تفيّأت عَذَباتِها
وتعانقتْ هي والسيوفُ وبعدَ ذا ملكتْ عناقَ الحورِ في جنّاتِها
وتناهبتْ أشلاءَهم قصد القنا ورؤوسُهم رُفعتْ على أسَلاتِها
وانصاعَ حاميةُ الشريعة ظامئاً ما بلَّ غُلَّتَه بِعَذبِ فُراتِها
أضحى وقد جعلتْه آلُ أميةٍ شَبَحَ السهامِ رميةً لِرُماتِها
حتى قَضَى عَطَشاً بمعتَرَكِ الوغى والسمرُ تُصْدرُ منه في نَهَلاتِها
وجرت خيولُ الشركِ فوق ضلوعِهِ عَدْواً تجولُ عليه في حَلبَاتِها
ومُخَدَّراتٍ من عقائلِ أحمدٍ هَجَمت عليها الخيلُ في أبياتِها
من ثاكلٍ حَرّى الفؤادِ مَروَعةٍ أضحت تُجاذبُها العدى حَبَراتِها
ويتيمةٍ فَزِعتْ لِجسمٍ كفيلِها حسَرَى القناعِ تَعِجُّ في أصواتِها
أهوتْ على جسمِ الحسينِ وقلبُها ال مصدوعُ كاد يذوبُ من حَسَراتها
وقعتْ عليه تَشَمُّ مَوْضِعَ نحرِهِ وعيونُها تنهلُّ في عَبَراتها
ترتاعُ من ضربِ السياطِ فتنثني تدعو سرايا قومِها وحُماتها
أين الحفاظُ في الطفوفِ دماؤُكم سُفكتْ بسيفِ أميةٍ وقناتِها
أين الحفاظُ وهذه أشلاؤُكم بَقيتْ ثلاثاً في هجيرِ فَلاتِها
أين الحفاظُ وهذه أبناؤُكم قتلى تَنَاهَبَتِ السّيوفُ طُلاتِها
أين الحفاظُ وهذه أطفالُكم ذُبحت عطاشى في ثرى عَرَصاتِها

أين الحِفاظُ وهذه فتياتُكم حَمِلتْ على الأقتابِ بين عداتِها
حَمِلتْ برغمِ الدينِ وهي ثواكلٌ عبَرَى تُردّدُ بالشجا زفراتِها
فمن المعَزّي بعدَ أحمدَ فاطماً في قتلِ أبناها وَسَبيْ بَناتها

وله أيضاً في رثاء سيد الشهداء عليه السلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هي الدار لاوِردي بها رَيْقٌ غَمْرُ ولا روضُ آمالي بها مُونِق نَضرُ
إذا استمطرت وبْلَ الغمائم جادها من العين دمعٌ لا رشيح ولا نزرُ
لو أنك يوم البين تشهد موقفي بها مُذ أقام الوجدُ وارتحل الصبرُ
تَيَقَّنْتَني الخنساء أرثي لما بها وأندبها شجواً على أنَّها صخرُ
وراءَك عني لا تسلْ عن صبابتي فما هاجني نأيٌ ولا أرسم دثرُ
ولكن شجتني وقعة الطف فانبرى لها بالحشى وجدُ يضيقُ به الصدرُ
فيا وقعةُ الطف التي بمُصابها تزلزل ركن الدين واعتصم الكفرُ
لَسَوَّدْت وجه الدهر خزياً وإنما أتيت لم لم يأتِ في مثله الدهرُ
ملأت بها صدر الفضاء مَرَنَّةً فأصبحت الدنيا وفي سمعها وقر
مصاب أصاب المصطفى منه فادحٌ بكت حزناً من رزئه فاطمُ الطهرُ
غداةَ عدت أبناء حرب فجلْجَلَتْ لها زُمَرُ لا يستطاعُ لها حصرُ
وثارت بها أحقادُها فتطلّبت من المصطفى ثارات ما فعلت بدرُ
وجاءت على جهلٍ تحاول إمْرَةً على من له من دونها النهي والأمرُ
وسامتْه أن ينقاد للسلمِ ضارعاً لديها ويأبى العزُّ أن يضرع الحرُّ
فقال ردي يا نفس من سورة الردى فعند ورود الضيم يستعذب المرُّ
وحفت به من آله خير فتيةٍ لها ينتمي المجد المؤثل والفخرُ
إذا هي سارت في دجى الليل أزهرت وباهت سواري النجم أوجهها الزهرُ
بكل كمي فوق أجرد سابحٍ يتيهُ به في مشيه الدّلُ والكبرُ
إذا خفَّ في الهيجاء وَقْرَ متنه بسنجدة بأسٍ فاطمئنَّ لهُ ظهرُ
ويلطمُ خدَّ الأرضِ لكنَّ وجهها بنضح دم الأعداء لا اللطم يَحمَرُّ

هم القومُ من عليا لوي وغالبٍ ... بهم تكشفُ الجلّى ويستدفعُ الضرُّ
يُحيّون هنديَّ السيوف بأوجُهٍ ... تَهلَّلَ من لألاء طلعتها البشرُ
يلفّون آحادَ الألوفِ بمثلها ... إذا حلَّ من معقودِ راياتها النشرُ
بيومٍ به وجهُ المنون مقطّبٌ ... وحدُّ المواضي باسمُ الثغر يفترُّ
إذا اسوَدَّ يوم النقعِ أشرَقْنَ بالبَها ... لهم أوجهٌ والشُوس ألوانها صُغرُ
يخوضون بحر الحرب حشداً وإنما ... تلاطُم من موجِ السيوف به غمرُ
وما وقفوا في الحرب إلاّ ليعبروا ... إلى الموت والخطئُ من دونه جسرُ
يكرّون والأبطالُ نكصاً تقاعست ... من الخوف والآسادُ شيمتُها الكرُ
إلى أن ثووا تحت العجاج بمعركٍ ... هو الحشر لا بل دون موقِفِه الحشرُ
وماتوا كراماً تشهد الحرب أنّهم ... أُباةُ إذا لوّى بهم حادث نكرُ
عليهم من الهنديِّ بيضُ عصائبٍ ... تروقُ ومن وشي الدما حللُ حُمرُ
وعادَ أبيُّ الضيم بينَ عداتهِ ... وناصرُه البتّار والأرنُ المهرُ
فغبَّر في يوم الكفاح بأوجه ال ... كتائب والآفاقُ شاحبةٌ غبرُ
فتًى ترجف السبع الطباق إذا رمت ... بصاعقةِ الأقدار أنملُهُ العشرُ
إذا جنَّ ليلُ النقعِ جرّدَ سيفه ... فينشقَّ فيه من سنا برقه فجرُ
ويوردهُ مثل اللُّجين بهامِهم ... فيصدرُ عنها وهو من عَلَقٍ تبرُ
إذا نظّمت حبَّ القلوبِ قناتهُ ... فللسيف في أعناق أعدائه نثرُ
فلا الوتر وتر حين تقترع الظُبا ... ولا الشفع شفعٌ حين تشتبكُ السمرُ
ولو شاء أن يفني الأعادي لزلزل ال ... وجود بهم لكنما قضي الأمرُ
وآثرَ أن يسعى إلى الموت صابراً ... ونفسُ أبيّ الضيمِ شيمتُها الصبرُ
فأضحى على الرمضاء شلواً تناهبت ... حَشاهُ العوالي والمهنّدةُ البترُ
قضى بين أطرافِ الأسنة ظامئاً ... بحر حشيٌ من دون غُلَّتها الجمرُ
فلهفي عليهِ فوقَ صاليةِ الثرى ... على جسمه تجري المسوّمةُ الضُمر
أبا حسنٍ شكوى إليك وإنّها ... لواعجُ أشحانٍ يجيش بها الصدرُ
أتدري بما لاقت من الكربِ والبلا ... وما واجهت بالطف أبناؤك الغرُ
أُعزّيك فيهم إنّهم وردوا الردى ... بأفئدة ما بلَّ غُلَّتها قطرُ
وثاوينَ في حرّ الهَجيرة بالعَرا ... عليهم سوافي الريحِ بالترب تنجرُ

مَتى أيُها الموتورُ تبعثُ غارةً تُعيد العدى والبرُّ من دمهم بحرُ
أتُغضي وأنت المدركُ الثأر عن دمٍ برغم الهُدى أضحى وليس له وترُ
وتلك بجنب الطف فتيان هاشمٍ ثوت تحتِ أطراف القنا دمها هدرُ
فلا صبر حتى ترفعوها ذوابلاً من الخطِّ لا يلوي بخرصانها كَرُّ
وتقتدحوها بالصوارمِ جذوةً من الحرب يصلى جمرها الجحفل المجرُ
وتبتعثوها في المغازي صواهلاً من الخيل مقروناً بأعرافها النصرُ
فكم نكأت منكم أميةُ قرْحةً إلى الحشر لا يأتي على جرحها السَّبْرُ
فمن صبيةٍ قد أرضعتْها أميةٌ ضروع المنايا والدماء لها دَرُّ
فها هي صرعى والسهام عواطفٌ حُنواً عليها والرمال لها حجرُ
ومن حرّةٍ بعد المقاصيرِ أصبحت بمقفرةٍ كالجمر يوقدها الحَرّ
وزاكيةٍ لم تلفِ في النوْح مسعداً سوى أنها بالسوطِ يزجرها زَجْرُ
ومذعورةٍ أضحت وخفّاق قلبها تكاد شظاياه يطيرُ بها الذعرُ
ومذهولةٍ من دهشة الخيل أُبرزتْ عشيةَ لا كهفٌ لديها ولا خِدر
تُجاذبُها أيدي العدوّ خمارَها فتسترُ بالأيدي إذا أعوز الستر
سَرَتْ تَتَراماها العداةُ سوافراً يروح بها مصرٌ ويغدو بها مصر
ربائبُ خدرٍ أينَ منهنَّ خطَّة ال موامي ولا يدرينَ ما السَّهْلُ والوعرُ
تطوف بها الأعداء في كل مهمةٍ فيجذبها قفرٌ ويَقذفُها قفرُ

للسيد ميرزا صالح القزويني

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أيُقعدُني عن خطةِ المجد لائمُ قصيرُ الخطا من أقعدته اللوائمُ
سأركبُها مرهوبةً سطواتُها تطيرُ خوافيها بها والقوادمُ
عليَّ لربعِ المجد وقفةُ ماجدٍ تناشده عنّي السيوف الصوارمُ
وأبسمُ مهما أبرقت بركامه ولا برق حزوى إن سرى وهو باسمُ
وأرتاح إن هَبّت به ريحُ زعزعٍ من الموت لا ما روحتُه النسائمُ
فيا خاطب العلياء والموتُ دونَها رويدك قد قاومت من لا يقاومُ

بخلتَ عليها بالحياة وإنَّها لأكرمُ من تهدي إليه الكرائمُ
إذا عَلَقت نفسُ امرءٍ بوصالها ورامت مراماً دونَه حام حائمُ
فخاطبها الهنديُّ والموتُ عاقدٌ وعُمرُك مهرٌ والنثارُ الجماجمُ
لذاك سمت نحو المعالي نُفُوسُنا وهانت عليها القارعات العظائمُ
فأيُّ قبيلٍ ما أقيمت بربعهِ فأمّا عليه أو علينا المآتمُ
سل الطف عن أهلي وإن كنت عالماً فكم سائلٍ عن أمره وهو عالمُ
غداةَ ابن حربٍ سامها الضيم فارتقت بهم للمعالي الغرِّ أيدي العواصمُ
وقاد لها الجيش اللهام ضلالة متى روَّعت أسد العرين البهائمُ
فشمر للحرب العَوان شَمَردَلٍ سميراهُ يوم الروع لَدنٌ وصارمُ
رماها بآساد الكريهة فتيةٌ نماها إلى المجد المؤثَّل هاشمُ
مساعير حربٍ فوق كلّ مُضَمَّرٍ مديد عنانٍ لم تَخُنهُ الشكائمُ
مناجيبُ لا مستدفعُ الضيم خائبُ لديهم ولا مسترفِدُ الرفد نادمُ
فما العيشُ إلا ما تُنيل أكفُّهُم وما الموتُ إلا ما تنال الصوارمُ
سرت كالنجومِ الزهر حفت بمشرق هو البدر لا ما حجّبته الغمائم
وزار عِراص الغاضريةِ ضحْوةً وموجُ المنايا حولها مُتلاطم
بيوم كظلِ الرمح ما فيه للفتى سوى السيف والرمح الردينيّ عاصم
ومدَّت به شمس النهار رواقِهَا فحجَّبها ليلٌ من النقع قاتم
تراكم داجي النقعِ فيه فأشرقَت وجوهٌ وأحسابٌ لهم وصوارم
أبا حسنٍ يُهنيكَ ما أصبحوا به وأن كان للقتلى تُقامُ المآتم
لأورثتهُم مَجداً وما كان حبوةً ولكن تصفّى في بنيك المكارم
مَشَوا في ظلال السُمر مشيتَكَ التي لها خضعت أسدُ العرينِ الضراغم
وراحوا وما حلت حُبى عزّهم يَدٌ ولا وهنت في الروع منها العزائم
وما برحوا حتى تفانوا ومن يقف كموقفهم لا تَتّبعه اللوائمُ
رعوا ذمّةَ المجد الأثيل عمادَه فما رُعيت للمجدِ فيها الذّمائم
عُطاشى على البوغا تَمجُّ دماؤها فتنهلُ منها الماضياتُ الصوارم
تُشالُ بأطرافِ الرماحِ رؤوسُها كزُهر الدراري أبرزَتها الغمائم

للشيخ صالح الكواز

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لي حزنُ يعقوبَ لا ينفكُ ذا لهب ... لصُرَّعٍ نصب عينيْ لا الدَّمِ الكذبِ
وغلْمةٍ من بني عدنان أرسلها ... للجدِّ والدُها في الحرب لا اللعب
ومعشرٍ راودتهُمْ عن نفوسهمُ ... بيضُ الظُبا غير بيض الخُرَّدِ العُربِ
فأنْعموا بنفوسٍ لا عديلَ لها ... حتى أُسيلَ على الخرصانِ والقضُب
فانظُر لأجسادِهِم قد قُدَّ من قُبُلٍ ... أعضاؤُها لا إلى القمصانِ والأُهُب
كلُّ رأي ضُرَّ أيوبٍ فما ركضت ... رِجْلٌ له غير حوض الكوثر العذب
قامت لهم رحمةُ الباري تمرِّضُهُمْ ... صرعى فلم تدْعُهُمْ للحلفِ والغَضب
ومولجين نهارَ المشرفيَّةِ في ... ليلِ العجاجةِ يوم الروع والرَّهبِ
وآنسينَ من الهيجاء نار وغىً ... في جانبِ الطف ترمي الشُّهْب بالشُهُبَ
ورازقي الطيرِ ما شاءت قواضبُهم ... من كلِّ شلْوٍ من الأعداء مُقْتَضبِ
ومبتلين بنهرٍ ما لوارِدِهِ ... من الشهادة غير البعد والحجُبِ
فلم يَبُلّوا ولا في غرفةٍ أبداً ... منه غليل فؤادٍ بالظما عطبِ
تهْشُ فيها على آساد معركةٍ ... هشَّ الكليم على الأغنام للعُشُبِ
فَيَمّموها وفي الأيمان بيضُ ظُباً ... وما لهم غَير نصر الله من أربِ
إذا انتضوها بجمعٍ من عدوِّهُم ... فَالْهامُ ساجدةٌ منها على التُّربِ
حتى قَضوا فغدا كلٌ بمصرعِهِ ... سكينةٌ وسط تابوتٍ من الكُثُبِ
فلْيَبك طالوتُ حزناً للبقيَّةِ منْ ... قد نال داودُ فيه أعظم الغلبِ
أضحى وكانت له الأملاكُ حاملةً ... مُقَيَّداً فوقَ مهزولٍ بلا قَتَبِ
يرنو إلى النّاشراتِ الدمع طاويةً ... أضلاعهُنَّ على جمرٍ من النوبِ
والعادياتِ من الفسطاطِ ضابحةً ... فالمورياتِ زنادَ الحزنِ باللَّهبِ
والذارياتِ تراباً فوق أَرْؤُسها ... حُزناً لكلّ صريعٍ بالعَرَا ترِبِ
والمرسِلات من الأجفانِ عبرتها ... والنازعات برود اً في يدِ السلبِ
وربَّ مرضعةٍ منهنَّ قد نظرتْ ... رضيعها فاحص الرجلينِ بالتُّرُبِ

تشوطُ عنهُ وتأتيهِ مكابدةً ... من حالِهِ وظماها أعظم الكرب
فَقُلْ بهاجر إسماعيلُ أحزنها ... متى تشط عنه من حَرّ الظَّما تَؤُبِ
وما حكتها ولا أمُّ الكليم أسى ... غداةَ في اليمِّ ألقتهُ من الطَلب
هذي إليها ابنُها قد عادَ مرتضعاً ... وهذه قَدْ سُقي بالبارد العذب
فأين هاتانِ ممّن قد قضى عطشاً ... رضيعُها ونأى عنها ولم يَؤُبِ
بل آبَ مذ آبَ مقتولاً ومنتهلاً ... من نحرهِ بدمٍ كالغيثِ منسكب
كانت تُرَجِّي عزاءاً فيه بعدَ أبٍ ... له فلم تحظَ بابنٍ لا ولا بأبِ
شاركْنَها بعمومِ الجنسِ وانفردت ... عنهنَّ فيما يخصُّ النوعَ من نَسَبَ
فأصبحت بنهارٍ لا ذُكاءَ له ... وباتت الليل في جو بلا شُهُبِ
وصبْيَةٍ من بني الزهراءِ مُرْبطةٌ ... بالحبلِ بين بني حمالةِ الحطبِ
كأنَّ كل فؤادٍ من عدوّهمُ ... صخرُ بن حربٍ غدا يُغريه بالحرب
ليت الألى أطعموا المسكين قُوتَهُمُ ... وتاليَيْه وهم في غايةِ السغبِ
حتى أتى هل أتى في مدح فَضْلِهِمُ ... من الألهِ لهم في أشرف الكتبِ
يرون بالطفِّ أيتاماً لهم أُسِرَتْ ... يستصرخون من الآباء كلَّ أبي
وأرؤساً سائراتٍ بالرماحِ رمى ... مسيرها علماءُ النجم بالعطبِ
ترى نجوماً لدى الآفاقِ سائرةً ... غير التي عهدتْ بالسبعة الشُهُب
لم أَدْرِ والسُّمْرُ مذ ناءَت بها اضطربت ... من شدّة الخوف أو منْ شدّة الطرب
كواكبٌ في سما الهيجاءِ ثابتةٌ ... سارت ولكن بأطرافِ القنا السُلُبِ

وله أيضاً سلمه الله

أغاباتُ أُسْدٍ أم بُروجُ كواكبِ ... أَمِ الطفُّ فيها استشهدَت آلُ غالبِ
ونشرُ الخزامى سار تحملُهُ الصَبا ... أم الطيبُ من مثوى الكرام الأطائب
وقَفْتُ بها رهْنَ الحوادثِ أنحني ... من الوجد حتى خلتُني قوس حاجب
تمثّلْتُ في أكنافِها ركب هاشمٍ ... تهاوت إليه منه خوصُ الركائبِ
أتَوْها وكلَّ الأرضِ ثغرٌ فلم تجدْ ... لها ملجَأً إلا حدود القواضب
وسُمْرٍ إذا ما زَعْزَعُوها حسبتها ... من اللين أعطاف الحسان الكواعب
وإنْ أرسِلُوها في الدروعِ رأيتها ... أشَدَّ نفوذاً من أخ الرملِ واقبِ

هـمُ القَـوم تُؤمٌ لـلـعـلاءِ ولـيـدُهُـمْ ... وناشئُهم للمجد أصدقُ صاحب
إذا هـو غَـنّـتـه الـمـراضَـعُ بـالـثّـنـا ... صغا آنِساً بالمدح لا بالمحالب
ومـن قـبـلِ تـلـقـيـنِ الأذانِ يَـهـزُّهُ ... نـداءُ صـريـخٍ أو صـهـيـلُ سـلاهـب
بنفسي هُمْ من مستميتينَ كسّروا ... جفونَ المواضي في وجوه الكتائب
وصالوا على الأعداءِ أسْداً ضوارياً ... بعوجِ المواضي لا بِعوجِ المخالب
تراهُم وإن لم يجهلوا يوم سلمهم ... أقلَّ ظهوراً منهم في المواكبِ
إذا نكّرتُهم في الغُبارِ عجاجةُ ... فقد عرّفَتهُم قُضبُهم بالمضاربِ
بهاليلُ لَمْ يبعثْ لها العتب باعثٌ ... إذا قَرط الكسلانَ قول المُعاتبِ
فحاشاهُمُ صرعى ومن فَتَيانهم ... بهم قد أحاط العتبُ من كل جانبِ
تُعاتبُهم وهيَ العليمةُ أنهُمْ ... بريئون مما يقتضي قولُ عاتبِ
ومذهولةٍ في الخطب حتى عَنِ البُكا ... فتدعو بطرفٍ جامدِ الدمع ناضب
تلبي بنو ذبيانَ أصوات فتْيَةٍ ... لهم قتلت صبراً بأيدي الأجانب
وصبيتكُم قتلى وأسرى دعَتْ بكُمْ ... فما وَجَدت منكم لها من مُجاوب
وما ذاكَ مما يرتضيه حفاظكُمْ ... قديماً ولم يُعهد لكم في التجارب
عذرتُكُم لـمْ أتـهـمـكُـمْ بـجَـفْـوةٍ ... ولا ساورتكُم غفلةٌ في النوائب
وباكيةٍ حَرّى الفؤاد دُموعُها ... تَصعَّدُ عن قلبٍ من الوجدِ ذائب
تَصُكُّ يَدَيْها في الترائبِ لوْعَةً ... فتلْهبُ ناراً من وراءِ الترائب
شكَتْ وارعَوَتْ إذْ لم تجدْ من يجيبُها ... وما في الحشى ما في الحشى غيرُ لاهب
وَمَدَّتْ إلى نحوِ الغريَّيْن طَرْفَها ... ونادتْ أباها خيرَ ماشٍ وراكب
أبا حسنٍ إنَّ الذينَ نمَاهُمُ ... أبُو طالبٍ في الطّفِ ثارٌ لطالب
تعاوَتْ عليهم من بني صخْرَ عصبةٌ ... لثاراتِ يوم الفتحِ حرّى الجوانبِ
فسامُوهُمُ إمّا الحياةَ بذلّةٍ ... أو الموتَ فاختاروا أعزَّ المراتبِ
فَها هُمْ على الرَّمضاءِ مالتْ رقابهُمْ ... ولما تَملْ من ذلّةٍ في الشواغب
سجودٌ على حرّ الصَّعيدِ كأنّما ... لها بمحاني الطف بعضُ المحاربِ
وممّا عليك اليومَ هوَّنَ ما جرى ... تَوَوْا لا كمَثْوى خائفِ الموتِ ناكبِ
أُصِيبوا ولكنْ مُقبلينَ دِماؤُهُم ... تَسيلُ على الأقدامِ دون العراقبِ

للسيد إبراهيم الطباطبائي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَطَعْتَ سهولَ يثربَ والهضابا ... على شدْنيَّةٍ تطوي الشّعابا
سَرَتْ تطوي الفَدافدَ والروابي ... وتجتاز المفاوزَ والرحابا
إذا انبعثَتْ يثورُ لها قَتامٌ ... لوجهِ الشمسِ تنسجه نِقابا
يجشمها المهالكَ مُشْمَعِلٌ ... يخوضُ من الردى بحراً عُبابا
هزبرُ من بني الكرّارِ أضحى ... يؤلِّبُ للوغى أُسْداً غِضابا
غداة تألَّبَتْ أرجاسُ حربٍ ... لتُدرِكَ بالطفوفِ لها طلابا
فكرَّ عليهمُ بليوثِ غابٍ ... لها اتخذَتْ قنا الخِطّي غابا
وأروعُ لم تُروِّعْهُ المنايا ... إذا ازدلفت تجاذبهُ جذابا
يهزُّ مثقفاً ويسلُّ عضباً ... كومضِ البرقِ يلتهبُ التهابا
نضى للحربِ قرضاباً صَنيعاً ... أبى إلا الرّقاب له قِرابا
رمى ورموا سهامَ الحتفِ حتّى ... إذا ما أخطأوا مرمىً أصابا
إلى أن خرَّ منعفراً كستهُ ... سوافي الريحِ غاديةً ثيابا
فوافَتْهُ الفواطمُ معوِّلاتٌ ... بندبٍ منه ضُمَّ الصَّخْرِ ذابا
وزينبُ ثاكِلٌ تدعو بِقَلْبٍ ... مصابٍ يملأ الدنيا مُصابا
أيا غوثَ الورى إن عَمَّ جذبٌ ... وغوثهمُ إذا ما الدهرُ نابا
لقد سلبَ العِدى بالرغمِ منا ... رداء الصونِ قسراً والحِجابا
على رغمِ الهُدى والدينِ أضحتْ ... بنو حربٍ تجاذبها النِّقابا
بفرط حنينِها والدمع أمست ... تباري الرعدَ والغيثَ انسكابا

وله أيضاً (رحمه الله) في رثاء جده الحسين عليه السلام

وعيتُ هذيمَ واعيةِ الليالي ... فما لنوائبِ الدّنيا ومالي
رَمَتْ مُضَراً بثالثةِ الأثافي ... ضُحىً فبكت بأربَعةٍ خصالِ
ربوعُ المجدِ مُقفرةٌ خوالي ... يرنّ بها صدى الحججِ الخوالي

خلا عنها الأنيسُ سوى أشجُ ... بعافي الربع ذي رِمم بَوالِ
فأين صهيل مقربة المذاكي ... بهن وأين غوغاء الرجال
وأين السمر مركزة إزاها ... وبيض الهند محدثة الصقال
وقفتُ أعضُّ من جَزَعي يَميني ... وقد أدمى العضاضُ بها شِمالي
أضلُّ لَها بولولةٍ كأني ... سليمٌ بين ذي سَلَمٍ وضَالِ
قصدت مسلماً فذكرت فيها ... أبي الضيم ذا الكرم السجال
غداة الطف حين طغاة حرب ... عكفن عليه باللدن الطوال
فشل سوامها بالطعن شزراً ... وبالضرب المدهدهِ للقلالِ
وأبيضُ ينثني بالبِيض حُمراً ... تقدُّ البيضَ من سود القَذال
فتسمعُ للرفاقِ بها أليلا ... يهدّ قنانَ ما ثلثَي ألال
إذا احتضرَ الكُمَيْتُ تكنَّفَتهُ ... أراقمُ من بني عمٍّ وخال
تخالهمُ إذا ركبوا العوادي ... جبالاً قد ركبن على جبال
لئن سمحَ الزمانُ بها أخيراً ... فقد سبقوا الأواخرَ والأوالي
أبات من بني مضر حماة ... حموا خدر الفواطم بالنضال
إلى أن حان حينهم فألووا ... بعزهمُ إلى شرفِ المعالي
ولم يألُ ابن هادي الخَلْقِ فَرداً ... لدى جمع ابنِ ملحدةِ الضّلال
غداةَ السبط وهو نبيلُ فِهر ... غدا غرَضاً لغاشيةِ النبالِ
فصار إذا أصابتهُ سهامٌ ... تعسّفَها وضربُ الهام يرغو
إذا سِيمَ الهوانَ النصلُ يرمي ... كما ترغو مخَطّمَةُ الجمالِ
يموجُ السرجُ منهُ بمستقِرٍّ ... بمثل شواظِ نَضنَضَةِ الضّلالِ
تضيقُ بمنكبيهِ الدرعُ حتى ... عليه يجولُ فِي ضنك المجالِ
فكيف يعوقُ مختلساً دراكاً ... يشقُّ مضاعفَ الزَّرَدِ الدخالِ
وكيف اعتاقَ في شَرَكٍ المنايا ... عليه موصَّلِ السَّرد المُذالِ
فتىً دقَّ الرِّعالَ على الرِّعالِ ... فتىً دقَّ الرِّعالَ على الرِّعالِ
فتىً لعدوّه داء عُضال ... ويشفي كل ذي داء عضالِ
فتىً فقدتْ نساءُ نزار فيه ... فتى فتيانها رجُلَ الرجَالِ
فتىً يلقى الوفودَ بطلقِ وجهٍ ... شمائلُهُ أرقُّ منَ الشَّمالِ

تَمرّ به رواحلُها خفافاً ... فيصدرُها بأوعيةٍ ثقالِ
وما برحت بناديه الأماني ... تنادي الركب حيّ على النوال
فقصر في المقال فلست تحصي ال ... مكارم منه في طول المقال
وكم قد قلت للساري ألا احبس ... قلوصك واقبضن يد السؤال
ولا تحلل يداك لها عقالا ... فأيدي العيس أجدر بالعقال
لمن بعد الحسين تشدّ رحلا ... حرام بعده شد الرّحال
عَجِبْتُ يموتُ من ظمأ ويجري ال ... فراتُ العذبُ يطفحُ بالزلال
لَهُ الماءُ الحلالُ فكيف حرْبٍ ... تحلّئُهُ عنِ الماء الحلالِ
فقُل في عاطِش أرجاسُ حَرْبٍ ... صوادرُ منهُ بالأسَلِ النّهالِ
ويهوي للرمالِ لحُرّ وَجْهٍ ... ولم تَهوِ النُّجومُ عَلَى الرمالِ
رمى فأخو الغزالةِ كيف يبدو ... ولم تُرمَ الغزالةُ بالزّوال
يُعَلّى مثلُ بدرِ التَّمِّ منهُ ... كريمٌ بالمثقَّفَةِ العَوالي
ويبقى مثلُ قرنِ الشمسِ جِسمٌ ... له بهجير حرّ الشمس صالي
وَرُبَّ مَصُونةٍ للظُّهْرِ طه ... تَبَذَّت تستشيطُ منَ الحِجالِ
وتجهشُ بالبكاءِ عُقَيْبَ دِلّ ... فيا لَبُكاً تعقَّبَ من دلالِ
فيا لَعواصِفٍ عصَفَتْ فهبَّتْ ... بلابلُها ولم تخطر ببالي
وناعٍ صَكَّ سمعَ الدهرِ نعياً ... وفجَّرَ مسمعَ الرُّمَمِ البَوالي
يطوّحُ مُعْلِناً بِمَحاقِ بدرٍ ... عراهُ خسفهُ عند الكمالِ
لَشُقَّ له ضراحٌ لا ضَريحٌ ... وهيل الترابُ منهُ على الهلالِ

من قصيدة طويلة

للسيد عبد المطلب ابن السيد داود الحلي رحمهما الله

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بأبي الثابت في الحربِ على ... قدمٍ ما هزها الخوفُ براحا
كلّما خَفّتْ بأطوادِ الحِجى ... زاد حلماً خفّ بالطودِ إرتجاحا
مُسْعِرٌ إن تَخْبُ نيرانُ الوغى ... جرَّدَ العزمَ وأوراها إقتداحا

لم يزَل يُرسى بهِ الحلمُ على جمرِها صَبراً وقد شبَّت رِماحا
كلما جَدّت به الحربُ رأى جدّها في ملتقى الموتِ مِزاحا
آن يخنهُ السيفُ والدرعُ لدى مُلتقى الخيل اتقاءً وكِفاحا
لم يخنهُ الصبرُ والعزمُ إذا صَرَّتِ الحربُ ادّراعاً واتّشاحا
رُبَّ شهباءَ رَداحٍ فَلّها حينَ لاقَتْ منهُ شهباءَ رَداحا
كلما ضاقَ به صدرُ الفَضا صدرُه زاد اتساعاً وانشراحا
ساورتْ منهُ لدى أطرافِهِ صلّ رملٍ بنفثُ الموتَ الصرّاحا
فمشى قِدماً لها في فتيةٍ كأسود الغاب يغشون الكفاحا
يسبقونَ الجُرْدَ في الهيجا إذا صائحُ الحيّ بِهِم في الروعِ صاحا
ويمدونَ ولكن أيْدِياً للعدى تسبقُ بالطعنِ الرّماحا
أيدياً في حالةٍ تنشي الردى وبأُخرى تُمطِرُ الجودَ سَماحا
فهْي طوراً بالندى تُحيي الورى وْهي طَوراً أجَلٌ كانَ مُتاحا
بأبي أفدي وجوهاً منهمُ صافحوا في كربلا فيها الصِّفاحا
أوجهاً يُشرِقنَ بِشراً كلّما كَلَحَ العامُ ويقطرن سَماحا
تتجلّى تحت ظلماءِ الوغى كالمصابيحِ التماعا والتماحا
أرخصوا دونَ ابنِ بنت المصطفى أنفُساً تاقت إلى اللهِ رَواحا
فقضوا صبراً ومِن أعطافهم أَرَجُ العِزِّ بثوبِ الدهرِ فاحا
لم تذق ماءً سوى منبَعِثٍ من دمِ القلبِ به غَصَّت جِراحا
أُنهلتْ من دمِها لو أنهُ كان من ظامي الحشى يطفي التياحا
أُعرِيتْ فهي على أن ترتدي بنسيجِ الترب تمتاحُ الرّياحا
وتبقّوا أجدَلاً من عزّهِ لسوى الرحمنِ لم يَخفِض جَناحا
مفرَداً ليس له من ناصرٍ يمنع الظهرَ إذا أمَّ الصياحا
يتلقّى مرسَلَ النبلِ بصدر وَسِعَ الخطبَ وقد سَدّ البِطاحا
فقضى لكن عزيزاً بعدما حَطمَ السُمرَ كما فَلَّ الصِّفاحا
ثاوياً ما نَقِمَتْ منه العدى صرعةٌ قد أفنتِ الشعرَ امتداحا
ونوَاعِيها مدى الدهرِ شجىً يَتجاوبنَ مساءً وصباحا
واصريعاً نهبت منه الظُبا مهجةٌ ذابت مِنَ الوجدِ التياحا

يَتلظّى عطشاً فوق الثرى ... والرّوى مِن حوله ساغَ قراحا
هدموا في قتلهِ ركنَ الهدى ... واستطاحوا عَمَدَ الدينِ فطاحا
بكتِ البيضُ عليهِ شجوَها ... والمذاكي يتصاهَلنَ نياحا
أيُّ يومٍ ملأ الدنيا أسىً ... طبَّقَ الكونَ عَجيجاً وصِياحا
يومَ أضحى حرمُ اللهِ به ... للمغاويرِ على الطفّ مُباحا
أُبرِزتْ منه بناتُ المصطفى ... حائِراتٍ يتقارضنَ المناحا
أيها المدلِجُ في زَيّافَةٍ ... تنشرُ الأكم كما تطوى البِطاحا
فإذا جئتَ الغريّينِ أرِحْ ... فلقد نلتَ بمسراكَ النجاحا
صل ضريحَ المرتضى عنّي وخذ ... غَرْبَ عتبٍ يملأ القلبَ جِراحا
قل له يا أسدَ اللهِ أستمِع ... نفثةً ضاقَ بها الصدرُ فَباحا
كم رضيعٍ لكَ بالطفّ قضَى ... عاطِشاً يَقبضُ بالراحةِ راحا
أرضعتهُ حُلَمُ النبلِ دماً ... من نجيعِ النحرِ لا الدَّرّ الصّراحا
ولكم ربّة خِدر ما رأى ... شخصها الوهمُ ولا بالظّنّ لاحا
أصبحت ربة كُورٍ وبها ... ترقلُ العيسُ غدوّاً ورَواحا
سُلبتْ أبرادَها فالتحفتْ ... بوقارٍ صانها عن أن تُباحا
واكتست بُرداً مِنَ الهيبةِ قد ... رَدّ عنها نظرَ العينِ التماحا
لو تراها يوم أضحت بالعرا ... جَرَعاً تندبُ رَحلا مستباحا
حيث لا من هاشمٍ ذو نخوةٍ ... دونها فِي كربلا يُدمي السلاحا
لَنسَفْتَ التربَ عن كبشٍ وغىً ... قارعَ الأُسدَ وأفناها نِطاحا
ولسكّنت حشىً من حرّةٍ ... قد نزى في قلبها الرعبُ فطاحا
ولأطلقت مِنَ الأسرِ فتىً ... كادَ أن يقضي من الغلّ اجتياحا

من قصيدة للأزري رحمه الله

في رثاء أبو الفضل العباس عليه السلام

يا لَلرّجال لحادثٍ مُتَفاقمٍ ... لو حَلّ هابطة لدُكّ شمامُها
وكذلك الدنيا متى تُحسنْ تُسِيء ... وبمثلِ ذلك تنقضي أيامُها

والغيثُ يلقَى الشمَّ قبلَ هضابِها فلتخشَ معضلةَ الخطوبِ عظامُها
فانهضْ إلى الذكرِ الجميلِ مشمّراً فالذكرُ أبقى ما اقتَنَتْه كرامُها
أو ما أتاكَ حديثُ وقعةِ كربلا أنّى وقد بلَغَ السماءَ قَتامُها
يومٌ أبو الفضلِ استجارَ بهِ الهُدى والشمسُ من كَدَرِ العَجاجِ لِثامُها
فَحَمى عرينَتَه ودَمدمَ دونَها ويذبُّ من دونِ الشرى ضَرغَامُها
والبِيضُ فوق البَيْضِ تحسبُ وقعَها زَجَلَ الرعودِ إذا اكفهرَّ غَمامُها
من باسلٍ يلقَى الكتيبةَ باسماً والشُّوسُ يَرشحُ بالمنيةِ هامُها
وأشمّ لا يحتَلُّ دارَ هضيمةٍ أو يستقلَّ على النجومِ رغامُها
أوَ لَم تكن تدري قريشٌ أنّه طَلاّعُ كلِ ثَنيَّةٍ مقدامُها
بطلٌ أطلَّ على العراقِ مجلّياً فاغْصَؤصَبَتْ فَرَقاً تمورُ شئامُها
وشأى الكرام فلا ترى من أُمّةٍ للفخرِ إلا ابن الوصيِّ إمامُها
هو ذاك مَؤئِلُ رأيِها وزعيمُها لو جلَّ حادثُها وَلَدَّ خِصامها
وأشدُّها بأساً وأرجَحُها حجىً لو ناصَ موكبُها وزاغ قوامها
مِنْ مُقْدمٍ ضربَ الجبالَ بمثلها من عَزمِهِ فتزلزلت أعلامُها
ولكم له من ضربةٍ مُضَريةٍ قد كادَ يلحقُ بالسحابِ ضرامها
أغرتْ به عُصَب ابن حربٍ فانثنت كَلْمَى الجباهِ مُطاشةً أحلامُها
ثم انثنى نحوَ الفُراتِ ودونَه حَلَباتُ عاريةٍ يَصِلُّ لجامُها
فكأنّه صَقرٌ بأعلى جوِّها جَلاّ فحلّقَ ما هناك حَمامُها
أو ضيغمٌ شثن البراثنِ ملبدٌ قد شدَّ فانتشرت ثبى أنعامها
فهنالكُم ملكَ الشريعة واتكا مِن فوقِ قائمِ سَيْفِهِ قمقامُها
فأبت نقيبتُهُ الزكيةُ ريَّها وحشى ابنِ فاطمةٍ يَشَبُّ ضرامُها
فَلذلِكُم مَلأ المزادَ وزمَّها وانصاعَ يمثلُ بالحديدِ هُمامُها
حتى إذا دانى المخيّمَ جَلْجَلَتْ سَوداءُ قد مَلأَ الفَضا أرزامُها
فجلا تلاتلها بجأشٍ ثابتٍ فتقاعستْ منكوسة أعلامُها
ومذ استطالَ عليهمُ متطلعاً كالآيمِ يقذفُ بالشواظِ سمامُها
حَسِمَتْ يدَيْهِ يدُ القضاءِ بمبْرَمٍ ويدُ القَضا لم ينتقِضْ إبرامُها
واعتاقهَ شركُ الردى دونَ الورى إنَّ المنايا لا تطيش سهامها

اللهُ أكبرُ أيُّ بدرٍ خرَّ عن أُفُقِ الهدايةِ واستشاطَ ظلامُها
فَمَنِ المعزِّي السِّبطَ سبطَ مُحَمَّدٍ بفتىً له الأشرافُ طأطأ هامُها
وأخٍ كريمٍ لم يَخُنْه بمشهدٍ حيثُ الشراةُ كبابها إقدامُها
تاللهِ لم أنسَ ابنَ فاطمَ إذ جَلا عنه العجاجةَ يكفهرُّ قَتامُها
من بعدِ أن حَطَم الوَشيجَ وثُلّمتْ بِيضُ الصِّفاحِ ونُكّستْ أعلامُها
حتى إذا حُمَّ البلاءُ وإنّما أيدي القضاء جَرَتْ به أقلامُها
وافى بهِ نحوَ المخيَّمِ حاملاً من شاهقي عَلْياء عَزَّ مَرامُها
وهوى عليهِ ما هُنالكَ قائلاً اليومَ بانَ عن اليمينِ حُسامُها
اليومَ سارَ عن الكتائبِ كبشُها اليوم بانَ عن الهُداةِ إمامها
اليومَ آلَ إلى التفرُّقِ جَمْعُنا اليومَ حُلَّ عن البنودِ نظامُها
اليوم نامتْ أعينٌ بكَ لم تَنَمْ وتسهّدتْ أخرى فَعَزَّ منامُها
أشقيقَ روحي هل تراك عَلمْتَ إذ غُودِرْتَ وانثالَتْ عليك لئامُها
أَنْ خِلْت أُطْبِقَتِ السماءُ على الثرى أو دُكْدِكَتْ فَوق الرُّبى أعلامُها
لكن أهانَ الخطبَ عنديَ أنني بك لاحقٌ أمراً قَضى عَلاّمُها

من قصيدة
للشيخ عبد الحسين بن الشيخ إبراهيم العاملي

في رثاء علي الأكبر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حَجْرٌ على عيني يمرُّ بها الكرى مِن بعدِ نازلةٍ بعترةِ أحمَدِ
أقمارُ تَمٍّ غالَها خَسفُ الردى واغتالَها بصروفِهِ الزمنُ الرَّدي
شتى مصائبُهم فبينَ مكابدٍ سُمّاً ومَنحورٍ وبينَ مُصَفّدِ
سَلْ كربَلا كَمْ من حشىً لمحمّدٍ نُهبتْ بها وكم استُجذّتْ من يد
وَلَكَم دمٍ زاكٍ أُريقَ بها وكم جثمان قدسٍ بالسيوفِ مُبدّد

وبها على صدرِ الحسينِ تَرَقْرَقَتْ عبراتُهُ حُزناً لأكرمِ سيّد
وَعَلَيْ قَدْرٍ من ذؤابةِ هاشمٍ عَبقَتْ شَمائِلُهُ بطيبِ المِحْتدِ
أفديه من رَيحانةٍ رَيّانةٍ جفّت بحَرٍّ ظَمأً وَحَرٍّ مُهَنَّدِ
بكَرَ الذّبُولُ على نَضارةِ غُصْنِهِ إنَّ الذّبُولَ لآفَةُ الغُصْنِ النَّدي
للهِ بَدْرٌ من مُراقِ نجيعه مَزَجَ الحُسامُ لُجَيْنَهُ بالعَسجدِ
ماء الصبا ودمُ الوريدِ تجارَيا فيهِ ولاهِبُ قلبهِ لم يَخمِدِ
لم أنسه مُتعمِماً بشبا الظبا بينَ الكُماةِ وبالأسِنّةِ مُرتَدي
يلقَى ذَوابلَها بذابلِ معطفٍ وَيشيمُ أنْصُلَها بِجِيدٍ أجْيَد
خُضِبَتْ ولكنْ من دمٍ وَفَراتُهُ فَاخضرَّ ريحانُ العَذارِ الأسودِ
جَمعَ الصفاتَ الغرَّ وهي تراثُهُ عن كلِ غطريفٍ وشهمٍ أصيد
في بأسِ حمزةَ في شَجاعةِ حيدرٍ بإبا الحسينِ وفي مَهابةِ أحمدِ
وَتَراهُ في خَلقٍ وطِيْبِ خَلائقٍ وبليغِ نُطقٍ كالنّبيِّ مُحَمّدِ
يرمي الكتائِبَ والفلا غصّتْ بها في مثلِها من بأسِهِ المتوقِّدِ
فَيَرِدُها قَسراً على أعقابها في بأسِ عزّيسِ العرينةُ مُلْبِدِ
ويؤوبُ للتوديعِ وهو مُكابدٌ لِظَما الفُؤادِ ولِلحديدِ المُجْهِدِ
صادي الحشى وحُسامُهُ ريانُ من ماءِ الطُّلى وغرارُهُ لم يَبْرَدِ
يشكو لخير أبٍ ظَماه وما أشتكى ظَمَأ الحشى إلا إلى الظامي الصَّدي
فانصاعَ يُؤثِرُهُ عليهِ بِريقِهِ لو كان ثَمَّةَ ريقُهُ لم يَجْمدِ
كلٌ حشاشتُهُ كصاليةِ الغضا ولسانهُ ظمأً كشِقَّةِ مبْرَدِ
وَمُذ انثنى يلقَى الكريهةَ باسماً والموتُ منهُ بمَسمعٍ وبمشهدِ
لفَّ الوغى وأجالَها جَولَ الرَّحى بمُثَقَّفٍ من بَأسِهِ ومُهَنّدِ
حتى إذا ما غاصَ في أوساطِهم بُمَطَّهمٍ قبِّ الأباطلِ أجردِ
عثر الزمانُ به فَغُودِرَ جسمُهُ نَهْبَ القَواضِبِ والقنا المتقصّدِ
ومحَا الرّدى - يا قاتلَ اللهُ الردى مِنهُ هِلالَ دُجَىً وَغُرَّةَ فرقَدِ
يا نجعة الحيينِ: هاشم والنَّدى وحمى الذِّمارَيْنِ: العُلا والسُّؤْدَدِ
كيف ارتقت هممُ الردى لَكَ صَعْدَةً مطرودةَ الكعبينِ لم تتأوّدِ
فَلْتَذْهَبِ الدُّنيا على الدنيا العَفا ما بعدَ يومكِ من زمانٍ أرْغَدِ

للسيد رضا ابن المرحوم السيد محمد الهندي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن كان عندَكَ عبرةٌ تُجريها ... فأنزلْ بأرضِ الطفِّ كي نسقيها
فعسى نبلُّ بها مَضاجعِ صَفوةٍ ... ما بَلَّتِ الأكبادُ من جاريها
ولقد مررتُ على منازِلِ عصمةٍ ... ثِقْلُ النبوةِ كان أُلقيَ فيها
فبكيتُ حتى خلتُها ستُجيبُني ... ببكائِها حزناً على أهلِيها
وذكرتُ إذ وقفتْ عَقيلةُ حَيْدرٍ ... مذهولةً تُصغي لِصوتِ أخيها
بأبي التي وَرِثتْ مصائبَ أمِّها ... فغدت تُقابِلُها بصبْرِ أخيها
لم تَلْهُ عن جَمْعِ العيالِ وحفْظِهمْ ... بفراقِ إخوَتِها وفقْدِ بَنيها
لم أنسَ إذ هتكوا حِماها فانثنَتْ ... تشكو لَواعجَها إلى حاميها
تدعو فتحترقُ القلوبُ كأنما ... يرمي حَشاها جَمْرَةٌ من فيها
هذي نساؤُكَ من يكونُ إذا سَرَتْ ... في الأسْرِ سائقُها ومَن حاديها
أيَسوقُها زَجْرٌ بضرْبِ مُتونِها ... والشِّمْرُ يحدوها بسَبِّ أبيها
عجَباً لها بالأمسِ أنتَ تصونُها ... واليومَ آلُ أميةٍ تُبديها
حَسَرى وعزَّ عليكَ أنْ لم يتركوا ... لك من ثيابِكَ ساتراً يكفيها
وَسَرَوا برأسِكَ في القَنا وقلوبُها ... تسمو إليه ووجدُها يُضنيها
إن أخروه شجاه رؤيةُ حالِها ... أو قدَّموه فحالهُ يُشجيها

وله مستنهضاً صاحب الأمر «عجل الله فرجه»

وراثياً جده الحسين عليه السلام

أيانَ تُنجِزُ لي يا دَهرُ ما تَعدُ ... قد عَسَرَتْ فيك آمالي ولا تَلِدُ
طالَ الزمانُ وعندي بعدُ أُمْنِيَةٌ ... يأتي عليها ولا يأتي بها الأمَدُ
تمضي الليالي ولا أقضي المرامَ وَهَبْ ... أنَّى ابنُ عادٍ فكم يبقى له لَبَد

على مَ أَحْبِسُ عن غاياتِها هِممي ... ولي هُمومٌ تفانَى دونَها العَددَ
ولا أُداوي بِأتلافِ العدى سقَمي ... وكم يُقيمُ على أسقامِهِ الجَسدَ
والدهرُ يبطشُ بي جَهلاً ويحسبُني ... يغضُّ عينيَ عنه العَجزُ لا الجلَد
كأنّما في يدي عن بطشِها شَلَلٌ ... لا أنَّها ليْ عَلى هذا الزمانِ يدُ
وما درَى بل درَىَ لكنْ تجاهَلَ بي ... أنّي مُخيفُ الردَى والضَيْغَمُ الأسَدُ
لو كان يجهلُ فتكي في الحروب لَمَا ... ظلّتْ فرائِصُهُ إن صُلْتُ ترتعد
فيا مُجِداً على وجناءَ مرتعُها ... قطعُ الفُجاج ولَمعُ الآلِ ما تَرِدُ
تطوى القفارَ بِهِنْ حَرْفٌ عَمَلَّسَةٌ ... شملاً له حرّة مرقالةٌ أجدُ
كأنّها عرشُ بلقيسٍ وقد عَلقَتْ ... بها أماني سُليمانٍ إذا تَخِدُ
جُبْ في المسيرِ هداكَ اللهُ كلَّ فلاً ... عن الهدى فيه حتى للقطا رَصَدُ
حتى يُبَوّءُكَ الترحالُ ناحيةً ... تُحَلُّ من كُرَبِ اللاجي بها العُقَدُ
وَبُقْعَةً ترهبُ الأيامُ سطوتها ... وليس تهربُ من ذؤبانها النَّقَدُ
وروضةً أنْجُمُ الخضراءِ قد حَسَدت ... حَصْباءها وعليها يُحمَدُ الحسَدُ
وأرضَ قُدسٍ من الأملاكِ طافَ بها ... طوائفٌ كلَّما مرّوا بها سجدوا
فَأرْخِصِ الدمعَ من عينينِ قد غَلَتا ... على لهيبِ جَوىً في القلبِ يتّقدُ
وقلْ ولم يَدَعِ الأشجانُ منك سِوى ... قلب الفريسةِ إذ ينتاشُها الأسَدُ
يا صاحبَ العصرِ أدركْنا فليسَ لنا ... ورْدٌ هنيءُ ولا عيشٌ لنا رَغَدُ
طالتْ علينا ليالي الإنتظار فهل ... يابنَ الزكيّ للَيْلِ الإنتظارِ غَدُ
فاكْحلْ بطَلْعَتِك الغرّا لنا مُقَلاً ... يكاد يأتي على إنسانِها الرَمَدُ
ها نحنُ مرمىً لنبلِ النائباتِ وهل ... يُغني اصطبارٌ وَهَى من درعِهِ الزَرَد
كم ذا يُؤلِّفُ شملُ الظالمينَ لكم ... وشَملُكم بيَدَيْ أعدائِكم بَدَدُ
فانهضْ فدتْكَ بقايا أنفسٍ ظفرتْ ... بها النوائبُ لمّا خانَها الجَلَد
هبْ أنَّ جندَك معدودٌ فَجَدُّك قد ... لاقَى بسبعينَ جيشاً ما لهُ عَدد
غداةَ جاهدَ من أعدائِهِ نَفَراً ... جدّوا بإطفاءِ نورِ اللهِ واجتهدوا
وعُصبة جُحدوا حقَّ الحسينِ كما ... من قبلُ حقَّ أبيهِ المرتضى جحِدوا
وعاهدوه وخانوا عهدَهُ وعلى ... غيرِ الخيانةِ للميثاقِ ما عهَدوا
سمّوا نفوسَهم بالمسلمينَ وهم ... لم يعبدوا الله بل أهواءهم عَبَدوا

تجمّعتْ عدّةٌ منهم يَضيقُ بها ... صدرُ الفضا ولها أمثالُها مَدَد
فشدَّ فيهم بإبطالٍ إذا برقت ... سيوفُهم مطروا حتفاً وما رَعَدُوا
أُسْدٌ إذا لَقَحَتْ حربٌ سوابِغُهم ... حفائظُ وظُباهم في الوَغى نَجَدوا
شبوا سنى النار في حربٍ عُداتُهم ... لها وَقودٌ إذا تذكو وتتّقدُ
وليدُهم كادَ أن تغشاه شيبتُهُ ... إن لم يَشِبْ فلقد شابت له كبد
صالوا وجالوا وأدّوا حقَّ سيدهم ... في موقفٍ فيه عقَّ الوالدَ الولدُ
وشاقَهم ثمرَ العقبى فأصبحَ في ... صدورِهم شَجَرُ الخَطيِّ يَخْتَضِدُ
حتى إذا حَميتُ شمسُ الضحى اتّخذوا ... من القنا ظُللاً في ظلِّها رقدوا
وعاد ريحانةُ المختارِ مُنفرداً ... بين العدى ماله حامٍ ولا عَضدُ
وِترٌ بهِ أدركوا أوتارَ ما فعلَتْ ... بدرٌ ولم تكفِهم ثاراً لها أُحُدُ
يكرُّ فيهم بماضيهِ فيهزمُهم ... وهم ثلاثونَ ألفاً وهو منفرد
لو شئتَ يا علّةَ التكوين محوَهمُ ... ما كان يثبُتُ منهم في الوغى أحدُ
لكن صبرتَ لأمرِ اللهِ مُحتسِباً ... إيّاه والعيشُ ما بينَ العِدى نَكدُ
فكنتَ في موقفٍ منهم بحيثُ على ... رحيبِ صدرِك وُقّادُ القنا تَفِدُ
حتى مضيتَ شهيداً بينهم عَمَيت ... عيونُهم شَهِدوا منكَ الذي شَهِدوا
يا ثاوياً في هجير الشمس كفَّنَهُ ... سافي الرياح ووارتْهُ القنا القُصُدُ
لا بلّ ذا غلّةٍ نهرٌ قتلتَ بهِ ... موردى الفؤاد أواماً وهو مُطّرِدُ
على النّبيّ عزيزٌ لو يراك وقد ... شفا بمصرعكَ الأعداءُ ما حقدوا
وأصدروك لهيفَ القلب لا صدَروا ... وحلّئوك عن المورود لا وردوا
ولو ترى أعينُ الزهراء قرّتها ... والنبل في جسمه كالهدب ينعقدُ
لهُ على السُّمر رأسٌ تستضيءُ به ... سمرُ القنا وعلى وجهِ الثرى جَسَدُ
إذاً لَحنّت وأنّتْ وانهمت مُقَل ... منها وجرت بنيران الأسى كبدُ
عجبتُ للأرض ما ساخت جوانبها ... وقد تضعضَعَ منها الطودُ والوتدُ
وللسماوات لِمْ لا زُلزلت وعلى ... مَنْ بعد سبط رسول الله تعتمدُ
الله أكبر ماتَ الدينُ وانطمستْ ... أعلامُهُ وعفا الإيمانُ والرشدُ
وقُوّضَت خيمُ الأطهارِ من حرم ال ... مختار لما هوى من بينها العَمَدُ
ورُبَّ بارزةٍ من خِدرها وَلَها ... قلبٌ تَقاسَمَه الأشجانُ والكَمَدُ

تقول يا إخوتي لا تبعدوا أبداً عن حيّكم وبلى والله قد بَعدوا
لم يبقَ لي إذ نأيتم لا فقدتكم حامٍ فيرعى ولا راعٍ فيفتقدُ
إلا فتىً صدّه عن رعي أسرته أسارُهُ ونحولُ الجسم والصَّفَدُ
وكيفَ يملكُ دفعاً وهو مرتهنٌ بالسير ممتهنٌ بالأسرِ مضطَهَدُ
ونحنُ فوقَ النياق المصعباتِ بنا يجابُ حزمُ الربى والغَور والسَنَدُ
في كلّ يومٍ بنا للسير مجهلةٌ تُطوى ويبرزنا بين الورى بَلَدُ
فلا حُليّ سوى الأسواطِ تُوسعُنا ضرباً ولا ساتراً غير الدجى نَجِدُ
يا آلَ أحمد جودوا بالشفاعةِ لي في يومٍ لا والدٌ يغني ولا وَلَدُ
لكم بقلبي حزن لا يغيرهُ مَرُّ الزمان ويفني قبله الأبدُ
ثوب الجديدينِ يبلى مِن تقادُمِه وَخطبُكم أبداً أثوابه جدُدُ

وله أيضاً:

أوَبعدَ ما أبيَضَّ القذالُ وشابا أصبو لوصل الغِيد أو أتَصابى
هبني صبوتُ فمن يُعيدُ غوانياً يَحسبَنَ بازيَّ المشيبِ غُرابا
قد كان يُهدِيهنَ ليلُ شبيبتي فضللنَ حينَ رأينَ فيه شهابا
والعيدُ مثلُ النجم يطلعُ في الدُجى فإذا تبلّجَ ضوءُ صبحٍ غابا
لا يَبْعدنَّ وإنْ تَغيّرَ مألفٌ بالجمع كان يُؤلّفُ الأحبابا
ولقد وقفتُ فما وقفنَ مدامعي في دار زينبَ بل وَقفنَ رَبابا
فسجمتُ فيها من دموعي دِيْمَةً وسَجَرتُ من حرّ الزفيرِ شِهابا
واحْمَرَّ فيها الدمعُ حتى أوشكتْ تلك المعاهدُ تُنْبتُ العُنَّابا
وذكرتُ حين رأيتُها مهجورةً فيها الغرابُ يُردّدُ التنعابا
أبياتَ آلِ محمّدٍ لمّا سَرَى عنها ابنُ فاطمةٍ فَعُدن يَبابا
ونَجا العراقَ بفتيةٍ من غالبٍ كلٌّ تراه المُدْرِكَ الغَلابا
صيداً إذا شبّ الهياجُ وشابتِ ال أرض الدما والطفلُ رُعباً شابا
ركزوا قناهم في صدورِ عداتِهم ولبيضهم جعلوا الرقابَ قِرابا
تجلو وجوهُهمُ دَجَى النقعِ الذي يكسو بظلمته ذُكاءَ نقابا
وتنادبتْ للذبّ عنهم عُصبةٌ ورثوا المعالي أشيُباً وشبابا

مَنْ ينتدبْهم للكريهةِ يَنتدبْ ... منهم ضَراغمةَ الأُسودِ غِضابا
خفّوا لداعي الحربِ حين دعاهُمُ ... ورَسَوا بعرصة كربلاء هضابا
أُسدٌ قد اتخذوا الصوارمَ حِلْيَةً ... وتسربلوا حَلَق الدروعِ ثيابا
تَخذَت عيونُهم القساطلَ كُحلَها ... وأكفُّهم فيضَ النحورِ خضابا
يتمايلون كأنّما غَنىّ لهم ... وَقعُ الظبا وسقاهمُ أكوابا
بَرَقت سيوفُهمُ فأمطرتِ الطُّلى ... بدمائها والنقعُ ثارَ سَحابا
وكأنّهم مستقبلون كَواعباً ... مُستقبلينَ أسنةً وكعابا
وجدوا الردى من دونِ آل محمّدٍ ... عَذباً وبعدهمُ الحياةَ عَذابا
ودعاهمُ داعي القضاءِ وكلُّهم ... نَدبٌ إذا الداعي دَعاهُ أجابا
فَهَوَوْا على عفرِ الترابِ وإنما ... ضمّوا هناك الخرَّدَ الأترابا
ونأوا عن الأعداءِ وارتحلوا إلى ... دارِ النعيمِ وجاوروا الأحبابا
وتَحزّبتْ فِرَقُ الضلالِ على ابنِ مَن ... في يومِ بدرٍ فرَّقَ الأحزابا
فأقامَ عينُ المجدِ فيهم مفرداً ... عقدت عليهِ سهامُهم أهدابا
أحصاهُم عدَداً وهم عَدَدُ الحصى ... وأبادَهم وهم الرمالُ حسابا
يُومي إليهم سيفُهُ بذُبابِه ... فتراهم يَتطايرون ذُبابا
لم أنسه إذ قام فيهم خاطباً ... فإذا هم لا يملكون خطابا
يدعو ألستُ أنا ابنُ بنتِ نبيّكم ... ومِلاذُكم إن صَرْفُ دهرٍ نابا
هل جئتُ في دينِ النّبيّ ببدعةٍ ... أم كنتُ في أحكامه مُرتابا
أم لم يُوَصّ بنا النّبيّ وأودعَ ال ... ثَقَلَينِ فيكم عترةً وكتابا
إن لم تدينوا بالمعادِ فراجعوا ... أحسابكم إن كنتمُ أعرابا
فغدَوْا حيارَى لا يَرَوْنَ لوَعظِهِ ... إلا الأسنةَ والسهامَ جوابا
حتى إذا أسِفت علوجُ أميةٍ ... أن لا ترى قلبَ النّبيّ مصابا
صَلّت على جسمِ الحسينِ سيوفُهم ... فغدا لساجدة الظُبا مِحرابا
ومضى لهيفاً لم يجدْ غيرَ القنا ... ظِلاً ولا غيرَ النجيعِ شرابا
ظمآنَ ذابَ فؤادُهُ من غُلّة ... لو مسّتِ الصخرَ الأصمَّ لذابا
لهفي لجسمكِ في الصعيدِ مجرّداً ... عُريانَ تكسوهُ الدماءُ ثيابا
تَربَ الجبينِ وعينُ كلِّ موحّدٍ ... ودّت لجسمك لو تكونُ ترابا

لهفي لرأسِك فوقَ مسلوب القنا يكسوه من أنوارِهِ جلبابا
يتلو الكتاب على السنانِ وإنما رفعوا به فوقَ السنانِ كتابا
لِيُنْحْ كتابُ اللهِ مما نابَه ولينثني الإسلامُ يقرعُ نابا
ولْيَبْكِ دينُ محمّد من أمّةٍ عزلوا الرؤوسَ وأمّروا الأذنابا
هذا ابنُ هندٍ وهو شرُّ أميةٍ من آلِ أحمدَ يَستذلُّ رقابا
ويصونُ نسوتَه ويُبْدي زينباً مِن خدْرها وسُكينةً وربَابا
لهفي عَليها حين تأسرُها العِدى ذلاً وتُركبُها النياقَ صعابا
وتُبيحُ نهبَ رحالِها وتنيبُها عنها رحالَ النيبِ والأقتابا
سلبت مقانعَها وما أبقت لها حاشا المهابةِ والجِلال حجابا

وله أيضاً في رثائه عليه السلام :

كيف يصحو بما تقولُ اللواحي مَن سَقَتهُ الهمومُ أنكدَ راحِ
وغزته عساكِرُ الحُزن حتى أفردت قلبَه من الأفراحِ
كيف تُهنيني الحياةُ وقلبي بعدَ قتلى الطفوفِ دامي الجِراح
بأبي مَن شروَا لقاءَ حسينٍ بفراق النفوسِ والأرواح
وقفوا يدرؤون سُمرَ العوالي عنه والنبلَ وقفةَ الأشباحِ
فَوَقَوه بيضَ الظُبا بالنحورِ ال بيض والنبلُ بالوجوهِ الصّباح
فئةٌ إن تَعاورَ النقعُ ليلاً أطلعوا في سماه شُهبَ الرماحِ
وإذا غَنَّتِ السيوفُ وطافت أكؤسُ الموتِ وانتشى كلُّ صاح
باعدوا بين قُربِهِم والمواضي وجوم الأعداءِ والأرواحِ
أدركوا بالحسينِ أكبرَ عيدٍ فغدوا في مِنى الطفوفِ أضاحي
لستُ أنسى من بعدهم طودَ عزّ وأعاديه مثلُ سيلِ البطاح
وهو يَحمي دينَ النّبيِّ بعضبٍ بسناه لظلمةِ الشركِ ماحي
فتطيرُ القلوبُ منه ارتياعاً كلَّما شدَّ راكباً ذا الجناح
ثم لما نالَ الظما منه والشم سُ ونَزفُ الدّما وثِقل السلاح
وقف الطِرفُ يستريحُ قليلاً فرماهُ القضا بسهمٍ مُتاحِ
فهَوى العرشُ للثرى وادلهَمّت برمادِ المصاب منها النواحي

حَرَّ قلبي لزينبٍ إذ رأتهُ ... تَرِبَ الجسمِ مُثخناً بالجراحِ
أخرسَ الخطبُ نطقَها فَدَعَته ... بدموعٍ بما تَجِنُّ فصاحِ
يا منارَ الضَّلالِ والليلُ داجٍ ... وظلالُ الرَّميضِ واليومُ ضاحي
كنتَ لي يومَ كنتَ كهفاً رفيعاً ... سَجْسَجَ الظلُّ خافقَ الأرواحِ
أترَى القومَ إذ عليك مَررْنا ... منعونا من البكا والنياحِ
إنْ يكُن هَيَّناً عليك هواني ... واغترابي مع العِدى وانتزاحي
ومسيري أسيرةً للأعادي ... وركوبي على النياقِ الطِّلاحِ
فبرغمي أنّي أراكَ مقيماً ... بين سُمرِ القنا وبيضِ الصِفاحِ
لكَ جسمٌ على الرمالِ ورأسٌ ... رفعوهُ على رُؤوسِ الرِماحِ
بأبي الذاهبونَ بالعِزِّ والنَّجْ ... دةِ والبأسِ والهُدى والصَلاحِ
بأبي الواردونَ حوضَ المنايا ... يومَ ذيدوا عن الفراتِ المباحِ
بأبي اللابسينَ حُمْرَ ثيابٍ ... طَرَّزَتْهنَّ سافياتُ الرياحِ
أشرقَ الطفُ منهمُ وزهاها ... كلُّ وجهٍ يُضيءُ كالمصباحِ
فازدهت منهمُ بخيرِ مَساءٍ ... ورجعنا منها بِشَرِّ صباحِ

وله أيضاً:

في وصف وداع زينب عليها السلام

هَمَّتْ لتقضيَ من توديعه وطراً ... وقد أبى سوط «شمرٍ» أن تودعه
ففارقته ولكن رأسه معها ... وغاب عنها ولكن قلبها معه

للشيخ محمد رضا ابن الشيخ جواد النجفي

في رثاء الحسين عليه السلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لا طُفت في مقلي لاطفت كرى ... الفت بعد الأليف السهد والسهرا
هيهات لم يقض جفني منك لي وطراً ... كلا ولا عنّ عندي ذكره وطرى

حلوت إلا لعيني فالسهاد بها ... إن مرّ مطعمه مراً حلا ومرى
ما سرني السائح الجازي ولا خفقت ... حشاي للبارق الخفاق حين سرى
ولا ارتمى بي رسيما خف مصحره ... بكورها اتحرى الأرسُم الدّثرا
قل للذين صبوا في الحب بعدكم ... نزهت شعري عما يصنع الشعرا
صَمَتْكَ يا سمعُ بلْ أَصْمَتْكَ يا كبدي ... صَمّاءُ لم تُبقِ لي سمعاً ولا بَصَرا
مُلمَّةٌ لمَّ شعثَ الغيّ نازلها ... وحلَّ حينَ عرى للدينِ أيَّ عُرى
يومٌ جَلا ابنُ عَليٍّ فيه ذا شطبٍ ... لم تنسَ فيه الأعادي صارِماً ذَكَرا
مدرَّبٌ مثل برّ الصّلّ رونقُه ... براهُ من صَدأ في متنهِ فبرى
محا سطورَ العِدى من ماءِ جوهرِهِ ... لكنهُ للنسورِ الحائماتِ قَرى
تُنشا معاني الردى منهُ فلستَ ترى ... من إثر تلك المعاني للعِدى صورا
كالنهر متصلٌ في بحرِ راحتِهِ ... يموجُ حداً فلولا عزمه لجرى
أو كالشّهابِ بليلِ النقع تحسبهُ ... ناراً فلولا ندى كفيهِ لاستعرا
واخا بشدّةِ فتكٍ زُجَّ صَعْدَتِهِ ... فأصبحَ الصّفُ منظوماً ومنتشرا
ميالةٌ لا يملُّ الطعنَ حاملُها ... سمراءُ لم يتطلّب غيرَها سمرا
كأنها غصنٌ إن ترو نبعَتها ... دمُ الكماة اجتنوا منها الردى ثَمَرا
يهزها فوقَ مثل الريحِ عاصفةٌ ... والويلُ منهمراً والسيلُ منحدرا
ماضي القوائمِ لو أجريتهنَّ على ... وجهِ الغديرِ تعداهُ وما عثرا
ورائه البرقُ يكبو دون غايتهِ ... أما ترى لمحةً غيظاً عليه ورى
ما ماجَ بحرُ دمِ القتلى فأغرقهُ ... إلاّ على كلّ فوجٍ منهمُ عَبَرا
ينحو مُشيحاً على متنيهِ معترِكا ... أضحى به سَدَفُ الهيجاءِ معتكِرا
مخاطرٌ بنفيسِ النفسِ يُنشِدها ... (لا يمتطي المجدَ من لا يركب الخطرا)
طويلُ صفّ العدى قد صفّ أغلمة ... غالوا وصفهمُ من قلةٍ قَصُرا
سبعينَ قلّوا عديد غير أنّهم ... يستنزرون عديدَ القومِ إن كثرا
إن قابلوا قلبَ جيشٍ عاد منفتِحاً ... ببأسِهمْ أو جناحاً عاد منكسِرا
العابرينَ وبحرُ البِيضِ ملتطِمٌ ... والتاركينَ الأعادي بالظبا عِبَرا
والمُسْغِبين عتاقَ الخيلِ تحملهم ... والمسبغينَ على الأعداءِ بُرْدَ ثَرى
فديتُ منهم نصيراً قام يعضدهُ ... برأيه قبلَ ماضي السيفِ منتصِرا

موكَّلٌ بسداد الثغرِ كم فتحتْ ... قناتهُ من طُلى أعدائِهِ ثغرا
العاقدُ العَلَمَ المنشورَ يحملهُ ... والوحشُ سِرْبٌ على آثارِهِ حُشِرا
وأقبلتْ زُمَرُ الأعداءِ حاشدةً ... فقال يا عزمُ كن لي عليهم مثلهم زمرا
رد الأشاهِبَ شُقراً سيلُ صارِمِهِ ... بعارضٍ يصبغُ الأوضاحَ والغُرَرا
حتى إذا حتم الباري مُقَدَّرهُ ... أجرى عليه القضاءَ الحتمَ والقدرا
فخَرَّ لم تُبقِ فيه بيضُهم رَمقاً ... بلى أطاحتهُ من أوجِ العُلى قمرا
ملقىً وكم تركت بيضُ الصفاحُ به ... جُرحاً يعوم به المسبارُ لو سِبُرا
وظلَّ يدمي عليهِ غربُ ناظرِه ... أخٌ يجيلُ بضاحي وجههِ النَّظرا
سبعون ألفاً تولَّى خير معتزم ... لقاهُمُ فتولّى شملهُمْ خورا
أعياهُمُ أن ينالوهُ مبارزةً ... فصوَّبوا الرأي لما صعّدوا الفِكرا
فوجّهو نحوه في الحربِ أربعة ... السيفَ والسمرَ والخِطّي والحَجَرا
ونافذٌ شكَّ نحرَ الطفل مُلتمِعاً ... فليتهُ لاعَدى من قوسِهِ الوَترا
برتهُ نحوَ برىً كفُّ حرملةٍ ... سَهْماً ولكن لأوداجِ الوصيِّ برَى
يا سائقَ النيبَ بالأسرى يجشّمُها ... قفْها أيُسرى بآلِ المصطفى أسرَا
كلَّفْتَها دَلَجَ المسرى فهل سُبيتْ ... للهِ تحسب فيهِ الرومَ والخزرا
غَلَّسْتَها فهي لا تنفكُّ ناظرةً ... على رؤوسِ العوالي أنجُمَا زُهُرا

للشيخ عبد الحسين الحياوي في رثاء الحسين عليه السلام

ومستنهضاً صاحب الأمر عجل الله فرجه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يا كالئي الدينِ الحنيفِ ... والأمن من خطر الصروف
ومُجلياً داجي الضلال ... بنور رشد منه موفي
بك يرتجي ضعفُ القو ... يّ وقوةُ العافي الضعيف
شرف الأبا ورثتهُ أسرتكم، شريفاً عن شريف
أترى تقرُّ على الهوان ... وأنت من شمَّ الأنوف

وتشيم فيئك عند أقوا م على وثن عكوف
حادوا عن النهج القو يم ويمموا نهج ألخنوف
والدينُ كوكبُ رشده الدريٌ آذن بالخسوفِ
فأنر بطلعتكَ المنيرة للورى ظلم السدوف
واملأ بصاعقة الضبا وجه البسيطةِ بالرجيف
واترك خيول الله تعطف بالذميل عَلى الوجيف
عربية تستن في العدواتِ كالريح العصوف
بجحاجح تَزنُ الجبالُ الشمَّ في اليوم المخوف
والحظ بَنيكَ بعطفة أولست خير أبٍ عطوف
وارأف بهم عجلا فقد وصفوك بالبرّ الرؤوف
فإلامَ أكباد الورى لنواك دامية القروف
حنّت إليك حنين ذي ألف على فقد الألف
أوَما علمت - وأنت أعلم - ما جرى يوم الطفوف
حيثُ الحسينُ دريةُ للسمرية والسيوفِ
جاءت تزفُ أميةُ والغدر منها بالزفيفِ
حشدت عليه جحافل عضت بهن لُهى الشنوف
رامته أن ينقاد طو ع إرادة العلج العسوف
زعمت بأن مصرف الأ قدار يرهبُ بالصريفِ
هَيهات أخطأ ظنها في ذروةِ العزّ المنيفِ
فسطا عَليهم زاحفاً في كلّ مقدام زحوفِ
ومدربين لدى الكفاح على مصادمة الألوفِ
من كل مشر من تليدِ علائه ومن الطريفِ
يمشي بمعترك النزال إلى الردى مشي النزيف
تلقى الظبا بهوى الصبا كلقاء وَلهان لهيفِ
ويخال مهزوزَ القنا يوم الوغى أعطاف هيف
وقفوا بها فاستوقفوا الأفلاك في ذاك الوقوف
يدعو الوحوش لسان بيض سُيوفهم كوني ضُيوفي

حتّى دعا داعي العلى لنعيم فردوس وَريفِ
خفوا وهم هضب الجبال لنيل دانية القطوفِ
فتلفَّعوا بنجيعهم مثل البدور لدى الكسوف
وانصاع فرداً لم يجد عضداً سوى العضب الرهيف
فهناك صال على الكتائب صولة الليث المخيف
فثنى مكرُدسها وثَنّى فعلهُ يوم الخسيفِ
حتى جرى القدر المحتم فاغتدى غرض الحتوفِ
أسفاً قضى وعلى سوى حفظ الهدى غير الأسيف
وعليه تعدو العاديا ت بأمر ذي النسب اللفيف
فرضضن صدر هداية هو مصدر الدين الحنيفِ
لَهفي عَليهِ وطفلهُ بيديهِ ما بين الصفوفِ
قد أرشفتهُ دماؤه بسهامها بدل الرشيف
لهفي عليه مجدلا لو كان يجديني لهيفي
لهفي على سجب الندى أقلعن عن ذاك الوكيف
لهفي على أمن المخوف يغيب عن عين المخوف
من بعده خفرانه أسرى على عجف الحروف
وإذا اشتكت عنف المسير تجاب بالضرب العنيف
سلّ الأسى أكبادُهنَ فسلن من طرف ذروف
ربات خدرٍ ما عرفن سوى المقاصر والسجوف
ما كان نصفاً أن تجا ذبها العدى فضل النصيف
وبناتُ مُعتصر الخمو رِ الرجس ترفل بالشفوف
يضربن بالأيدي الخدو د وتلك تضرب بالدفوف
تدعو وتهتفُ بالحماة الصيدِ كالورق الهتوف
وتكادُ منهن القلوبُ تطيرُ من فرط الرفيف

وله في رثاء مسلم بن عقيل عليه السلام

لو لم يكنْ لك من ظباكَ قوادمُ ... ما حلَّقَتْ للعزِّ فيك عزائمُ
العزُّ عَذْبٌ مطعماً لكنّهُ ... حَفَّتْ جناه لهَاذِمٌ وصَوارم
يبني الفتى بالذلِّ دارَ معيشةٍ ... والذلُّ للمجدِ المؤثَّلِ هادم
من لم يُعَوِّذْ بالحفاظِ وبالإبا ... لَسَعَتْ حِجاه من الصغَارِ أراقِمُ
إنْ شئتَ عزاً خذْ بمنهجِ مسلم ... من قد نمتْه للمكارم هاشمُ
شَهمُ أبى إلاّ الحفائظ شيمةً ... فنحى العُلى والمكْرُماتُ سلالمُ
أوَهَلْ يطيق الذلَّ من وَشَحت عُلىً ... منه بأعياصِ الفخارِ جراثمُ
فمضى بماضي عزمِهِ مستقبِلاً ... أمراً به ينبو الحسامُ الصارمُ
بطلٌ تَوَرَّثَ من بني عمرو العُلى ... حَزماً يذلُّ له الكميُّ الحازمُ
للدين أرخصَ أيَّ نفسٍ ما لها ... في سوقِ ساميةِ المفاخرِ سائم
لقد اصطفاه السبطُ عنه نائباً ... وحسامَ حقٍ للشقا هو حاسم
مذ قال لمّا أرسَلَتْ جندُ الشقا ... كُتُباً لها قلمُ الضلالةِ راقم
أرسلتُ أكبرَ أهل بيتي فيكمُ ... حَكَماً وفي فصل القضا هو حاكم
فأتى لِيُثْبِتَ سُنَّةَ الهادي على ... عَلَنٍ وتُمحى في هُداه مظالمُ
أبدت له عُصَبُ الضلالةِ حُبَّها ... والكلُّ للشحنا عليه كاتمُ
قد بايعتْهُ ومذ أتى شيطانُها ... خَفَّتْ إليه وجمعُها متزاحِم
فانصاعَ مسلمُ في الأزقّةِ مُفرداً ... مُتلدِّداً لم يَتَّبِعْهُ مُسالمُ
قد باتَ ليلتَه بإشراكِ الردى ... وعليه حامَ من المنيةِ حائم
وتَنظَّمَت بنظام حقدٍ كامنٍ ... للقاه يَنْظِمُها الشقا المتقادمُ
فأطلَّ معتصماً بأبيضَ صارمٍ ... من فتكِهِ لعداه عَزَّ العاصِم
قد خاضَ بحرَ الموتِ في حَمَلاته ... وعُبابُهُ بِصفاحِهم مُتلاطمُ
فتخالُ مُرهفه شهاباً ثاقباً ... للمارديَن انقَضَّ منه راجمُ
وركامُ يمناه يُصَبِّبُ حاصباً ... إنْ كَرَّ منها جيشُها المتراكمُ
إنْ أوسعَ الأعداء ضرباً حزمُهُ ... ضاقت بخيلِ الدارعينَ حيازمُ

وتراه طلاّعَ الثنايا في الوغى ... تبكي العدى والثغرُ منهُ باسمُ
غَيْرانَ للدينِ الحنيفِ مجاهداً ... زُمَراً بها أفقُ الهدايةِ قاتمُ
من عصبةٍ لهم الحتوفُ مغانمٌ ... بالعزّ والعيشُ الذميمُ مغارمُ
قد آمنتْهُ ولا أمانَ لغدرِها ... فبدت لهُ مما تُجِنُّ علائمُ
سَلَبَتْهُ لامَةَ حربه ثمّ اغتدى ... منأمِّراً فيه ظلومٌ غاشم
أَسَرَتْهُ مُلتهِبَ الفؤادِ من الظما ... وله على الوَجَناتِ دمعٌ ساجم
لم يبكِ من خوفٍ على نفسٍ له ... لكنَّه أبكاهُ رَكْبٌ قادم
يبكي حسيناً أنْ يلاقي ما لقى ... من غدرِهم فَتُباحُ منه محارم
فبعينِ باري الخلقِ يُوقَفُ ضارعاً ... وله ابنُ مُبْتَدعِ المآثم شاتم
وينالُ من عَلْيا قريشٍ سادة ال ... بطحاءِ وهو لها طليقٌ خادمُ
ويُديرُ عينيْه فلم يرَ مُسْعِفاً ... يُلقي إليه بسرِّه ويُكاتِم
فَرَمَتْهُ مكتوفاً من القصرِ الذي ... قامت على الطغيانِ منه قوائم
وا لهفتاه لمسلمٍ يُرْمي من ال ... قصرِ المشومِ وليس يحنو راحم
ويُجَرُّ في الأسواقِ جهراً جِسْمُ مَن ... تَنميه للشرفِ الصرَاحِ ضراغمُ
قد مَثَّلَتْ فيه وتعلمُ أنّه ... بِعُلى أبيهِ لِلمماثلِ قائمُ
أَوْهَى قُوى سبطِ النّبيِّ مصابُهُ ... وبه تَقَوَّتْ للضلالِ دعائمُ
شَمَخَتْ أنوفُ بني الطُغامِ بقتلِهِ ... كِبْراً وأنفُ بني الهدايةِ راغِمُ
ظُفْرُ الردى نشَبَتْ بليثِ مَلاحم ... للهِ ما أسدَى القَضاءُ الحاتِمُ
فلتبكينَّ عليه ظاميةُ الظبا ... إذ كان يُنْهِلُها غداةَ يُقاومُ
يا نفسُ ذوبي من أسىً لُملمَّةٍ ... غالت بها ليثَ العرينِ بَهائمُ
قد هَدَّ مقتلهُ الحسينَ فأسبلَ ال ... عَبَراتِ وَهْوَ لدى المُلِمَّةِ كَاظِمُ

وله أيضاً في رثاء الحسين عليه السلام

خليليَّ هل بعدَ الحِمى مربعٌ نَضْر ... يُذاعُ بناديه لأهلِّ الهوى سِرُّ
وهل بعدَ مغناه ترون لناظري ... حمائلُ يذكو من لطائمها عطر
قد ابتزَّه صَرْفُ الردى أيَّ بهجةٍ ... فأمسى ونادِيهِ لطيرِ العلى وكر

رعى اللهُ عهداً نَوْرُهُ متبسمٌ وحُجْبُ الحيا تبكي وأدمعها القطر
وقفنا به مثلُ القناة أسىً وقد تساهمنَ زاهي رَبعهِ الحججُ الغبر
حلبنا به ضَرْعَ المدامع لو صفا لأخْصَبَ من أكنافِه الماحِلُ القفر
وننـدب أكبـاداً لنـا بربوعهِ أُطيحَتْ غداةَ البين واغتالَها الدهرُ
تشاطَرها رَبْعُ المُحصَّب والحمى ففي ربعِ ذا شطر وفي سفح ذا شطرُ
فيا سَعْدُ دَعْ ذِكْرَ الديار وآنني لعهدِ الرسولِ الدثر لم يُشْجِني الذِّكْرُ
ولا هاج وجدي ذِكْرُ حَزوى وبارقٍ ولا أنْهَلَّ منّي باللوى مدمعُ غمر
ولكن شجاني ذِكْرُ رزءِ ابنِ فاطم غداة شفى فيه ضغائنَه الكفرُ
بأحقاد بدرٍ قد عدا من بني الشقا إلى حربهِ في الطفّ ذو لَجَبٍ مَجْرُ
ضغائنُ أخْفَتْها بطيٌ بنودها فأظهرَ ما يخفيه في طيِّها النشر
أتته عهودٌ منهم ومَواثقٌ وقد غَدَرت فيه وشيمتُها الغدر
أرادت به ضُرّاً وتعلمُ أنّهُ بطلعتِهِ الغراءِ يُسْتَدْفَعُ الضرُ
وسامتْه ذُلاً وهو نسلُ ضراغمٍ لها الصدرُ في نادي الفخارِ أو القبر
فقال لها يا نفس قرّي على الردى فما عزَّ إلا معشرٌ للردى قَرّوا
لنصر الهُدى كأسُ الحِمامِ له حلا على أنَّ كأسَ الموتِ مَطْعَمُهُ مُرّ
فقامَ بفتيانٍ كأن وجوههم بدورُ دَجىً لكنَّ هالاتِها الفخر
مساعير حَرْبٍ تُمْطِرُ الهام صيّباً إذا بَرَقَتْ منها المهنَّدة البُتْرُ
على سابحاتٍ في بحار مهالكٍ لها البيض أمواجٌ وفَيْض الطُّلى غمر
محجلةٌ غُرٌّ على جَبَهاتِها بأقلامِ خِرصانِ القنا كُتِبَ النصر
تجولُ بحلي اللُّجم تيهاً كأنَّها ذئاب غضىً يَمْرَحْنَ أو ربربٌ عَفرُ
غُرابيّةٌ مُبْيَضّةٌ جَبهاتُها سوى أنها يوم الكريهة تحمر
وهم فوقَها مثلُ الجبالِ رواسخٌ بيومٍ به الأبطالُ همّتُها القرُّ
إذا ما بكت بيضُ الظبا بدمِ الطُّلى ترى الكِلَّ منهم باسمُ الثغرِ يفترُّ
تَهادَى بمستنّ النزالِ كأنّها نشاوي طَلا أضحى يُرَنِّحها السُّكر
تَفِرُّ كأسرابِ القطا منهمُ العِدى كأنَّ الفتى منهم بيوم الوغى صقر
لنيلِ المعالي في الجنانِ تآزروا فراحوا ولم يَعْلَقْ بِأَبرادهم وِزْرُ
فماتوا كراماً بعدما أحْيَوا الهُدى ولم يَدْمَ في يومِ الجلادِ لهم ظهر

فَجَرَّدَ فَرْدُ الدهر أبيضَ صارماً ... به أوجهُ الأقرانِ بالرعبِ تصفَرُّ
فيا ليمينٍ قد أَقَلَّتْ يمانياً ... إذا قَدَّ وتراً عادَ شفعاً به الوترُ
وظمآنَ لم يُمْنَحْ من الماء غُلَّةً ... وقد نهلت في كفه البيضُ والسمر
جرى عضبُهُ حتفاً كأنَّ يمينَه ... بها الموتُ بحرٌ والحسامُ له نهر
تروحُ ثبات في القفارِ إذا دنا ... له نحوَ أجيادِ العدى نَظَرٌ شزر
يَكِرُّ عليهم كَرَّةَ الليث طاوياً ... على سَغَبٍ والليثُ شيمتُه الكر
لأكبادها نَظْمٌ بسلك قناتهِ ... وللهام في بتّارِ صارمِهِ نشر
إذا ما دَجى ليلُ العجاج بنَيِّرٍ ... تَبَلَّجَ من لألاءِ طلعتِهِ فجر
عَجِبْتُ له تظمى حشاشتُهُ ومن ... نجيع الطُلى في صدرِ صَعْدَتِهِ بحرُ
ولو لم يكن حكمُ المقادير نافذاً ... لَعَفَّتْ ديارُ الشركِ قتلته البكرُ
إلى أن هوى مُلْقىً على حُرِّ وجهِهِ ... بِمُقْفِرَةٍ في حَرّها يَنْضُجُ الصخرُ
هَوىَ عِلَّةُ الإيجادِ من فوقِ مهره ... فأدبرَ ينعاه بصَوْلَتِهِ المهرُ
هوى وهو غيثُ المعتفين فعاذرٌ ... إذا أعرضت يأساً عن السَفرِ السَّفْر
فلا الصبر محمودٌ بقتلِ ابنِ فاطم ... وليس لمن لم يُجْرِ مدمعُهُ عذر
بنفسي سخيّاً خادعتْه يدُ القضا ... فجاد بنفسٍ عن علاها كَبا الفكر
يَعِزُّ على الطهرِ البتولِ بأن تَرَى ... عزيزاً لها ملقىً وأكفانهُ العَفْر
يعِزُّ عليها أن تراه محرَّماً ... عليه فراتُ الماءِ وهو لها مهر
يعزُّ على المختارِ أنَّ سليلَه ... يُرَضُّ بعَدْوِ العادياتِ له صدر
فيا ناصرَ الدينِ الحنيفِ علمت إذ ... لجدِّكَ جَدَّ الخطبُ واعصوصبَ الأمر
لقد كَسَرَتْ بالطفِ حربٌ قناتَكم ... فهلاّ نرى منها القنا وبها كسر
فمالي أراك اليوم عن طَلَبِ العدى ... صبرتَ وللمَوْتورِ لا يُحْمَدُ الصبر
أتقعدُ يا عينَ الوجودِ توانياً ... وقد نشبت للبَغْيِ في مجدِكم ظِفْرُ
أتنسى يتامى بالهجيرِ تراكضت ... وصاليةُ الرمضاءِ يَغلى لها قدر
وَرَبَّاتِ خِدرٍ بعدما انتهبوا الخِبا ... بَرَزْنَ ولا خدرٌ يوارى ولا سترُ
وَغَيْبَةِ علمٍ قَيَّدوه بحلمِهِ ... بأمرِ طليقٍ دأبُهُ اللهوُ والخمرُ
سَرَتْ تتعاداها الطغامُ أَذِلَّةً ... فيجذبُها مِصْرٌ ويقذفُها مِصْرُ
أما آن أن تستل صارم عزمه ... فتوسي جروحاً بالحشا ما لها شبر

تجوبُ الموامي فوقُ عُجْفِ أيانقٍ ... ويزجرُها بالسوطِ إمّا وَنَتْ زَجْرُ
تَحِنُّ فيُشجى الصخرَ رجعُ حنينها ... ومِلْء حشاها من لواعجها جمر
يَعِزَّ على الشهم الغيورِ بأنّها ... تَغَيَّرَ منها في السبا أوجه غُرّ
يَعزَّ على الهاديَ الرسولِ بأنّها ... قد اسْتُلِبَتْ منها المقانِعُ والأُزُرُ
ومُستصرِخاتٍ بالحُماةِ فلم تجد ... لها مُصْرِخاً إلا فتىً شَفَّهُ الأسر
نحيفاً يقاسي ضُرَّ قَيْدٍ وغُلَّةٍ ... ينادي بني فِهْرٍ واينَ له فِهْرُ
فيا غِيرَةَ الإسلامِ هُبّي لمعضلٍ ... به المِلةُ البيضاءُ أدمعُها حُمر
أتغدو مقاصيرُ النبيِّ حواسراً ... وآكلةُ الأكبادِ يحجبُها قصر

للسيد حيدر الحلي رَحِمَهُ اللهُ

في رثاء الحسين عليه السلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فَقُلْ لنزارٍ سوّمي الخيلَ إنّها ... تَحِنُّ إلى كَرِّ الطّرادِ عِرابُها
لها إنْ وَهَبْتِ الأرضَ يوماً أَرَتْكِها ... قد انحطَّ خَلْفَ الخَافَقينَ تُرابُها
حَرَامٌ على عينيكِ مَضْمَضَةُ الكَرَى ... فإنَّ ليالي الهمِّ طالَ حِسَابها
فلا نومَ حتى توقَد الحرب منكُم ... بملمومةٍ شهباء يُذكي شهابها
تَساقى بأفواهِ الضبا من أُميَّةٍ ... مُدام نجيعٍ والرؤوس حُبابها
كأنَّ بأيديها الضبا وبنودُها ... إلى مِهج الأبطالِ تَهوى حِرابها
فراخُ المنايا في الوكور لِرقّها ... قد التقطت حبَّ القلوبِ عقابُها
عَجِبْتُ لكم أَنْ لا تجيشَ نفوسُكم ... وأَنْ لا يقيءَ المُرْهَفَاتِ قِرَابها
وهذي بنو عَصَّارةِ الخَمْرِ أصبحَتْ ... على مِنْبَرِ الهادي يَطِنُّ ذُبابُها
رَقَدْتِ وَهِبَّتْ منكِ تَطْلُبُ وتْرَها ... إلى أَن شفى الحِقْدَ القديمَ طِلاَبُها
نَضَتْ من سَوادِ النَّكْلِ ما قَدْ كسونها ... فَأَصبحنَ حُمراً من دِمَاكِ ثيابُها
أَفي كلِّ يومٍ منكِ صَدْرُ ابنِ غابةٍ ... تبيتُ عليهِ رابضاتٍ ذِئَابُها
يُمزّقُ أحشاءَ الإمامةِ ظُفْرُها ... عِناداً ويُدْمَى من دَمِ الوحيِ نابُها

لكِ اللهُ من موتورةٍ هانَ غَلْبُها ... وعَهدي بها صَعْبُ المَرَامِ غِلابُها
كأن من بني صَخرٍ سيوفك لم تكن ... مَقامَ جفونِ العين قام ذبابها
وحَتّى كأن لم تنتثر في صدورِها ... أنابيب سمرٍ لم تَخنك حِرابُها
أفي الحقِ أن تحوي صَفايا تراثكم ... أكفُّ عن الإسلام طال انجذابها
وتذهب في الأحياءِ هدراً دماؤكم ... ويبطل حتّى عند حَربٍ طِلابها
هَبوا ما على رقشِ الأفاعي غَضاضةٌ ... إذا سلَّ عنها ذات يوم إهابها
فَهل تصفح الأفعى إذا ما تلاقيا ... على تِرةٍ كفُّ السليم ونَابها
أيخرجها من مستكنِّ وجارها ... ويَصفو له بالرغم منها لَصابها
ويُطرِقها حتى يدمّي صماخها ... بكفٍّ له أثَّرنَ قدماً نِيابها
وتنساب عنه لم تساوِر بَنانَه ... بِنهشٍ ولم يَعطب حشاه لعابها
فما تلك من شأنِ الأفاعي فلِم غَدت ... بها مضر الحمراء ترضى غضابها
أصبراً وأعرافُ السوابقِ لم يكُن ... من الدَّمِّ في ليلِ الكِفَاحِ اختضابُها
أصبراً ولم تُرْفَعْ من النَّقْعِ ظُلَّةٌ ... يُحيلُ بَيَاضَ المَشْرِقَينِ ضَبَابُها
أَصبراً وَسُمْرُ الخَطِّ لا متَقصِّدٌ ... قناها ولم تَنْدَقَّ طَعْناً حِرَابها
أصبراً وبيضُ الهند لم يَثْنِ حَدَّها ... ضِرَابٌ يَردُّ الشُّوسَ تَدْمي رِقَابُها
وَتِلْكَ بأَجراعِ الطفوفِ نساؤُكم ... يَهدُّ الجِبَالَ الراسياتِ انتحابُها
وتلك بأَجراعِ الطفوفِ نساؤُكم ... عليها الفَلاَ اسودَّتْ وَضَاقَتْ رحَابُها
حَوَاسِرُ بينَ القومِ لم تَلْقَ حاجباً ... لها اللهُ حَسرى أَينَ منها حِجَابُها
كجَمْرِ الغَضَى أكبَادُهُنَّ مِنَ الظَّمَا ... بقَفْرٍ لُعَابُ الشمسِ فيه شرابُها
تُردِّدُ أَنفاساً حِراراً وتنثني ... لها عَبَرَاتٌ ليس يُثْنَى إنصبابُها
فهاتيكَ يُحرِقْنَ الغوادي وهذه ... ينوبُ مَنابَ الغادياتِ انسكابُها
هَوَاتِفُ مِنْ عَليا قريشٍ بعُصْبةٍ ... قَضوا كسيوفِ الهندِ فُلَّ ذُبَابُها
مَضَوا حيثُ لا الأقدامُ طائشةُ الخُطى ... ولا رُجحُ الأحلامِ خَفَّتْ هِضَابُها
تُطَارِحُهُمْ بالعَتْبِ شجْواً وَإنما ... دماً فَجَّر الصَّخْرَ الأصمَّ عِتَابُها
تُنادي بصوتٍ زلزلَ الأرضَ في الورى ... شجى ضَعْفِه حَتَّى لخِيفَ انقلابُها
أَفتيانَ فهْرٍ أينَ عن فَتَيَاتِكم ... حَميَّتُكم والأُسْدُ لم يَحْمِ غابُها
أَفتيانَ فهْرٍ أينَ عن فَتَيَاتِكم ... حَفيظتُكم في الحرب إنْ ضَرَّ نابُها

أتصفَّر من رُعبٍ ولم تُنضَ بيضُكم فيحمرَّ من سُودِ المَنَايَا إهابُها
وَتَقْهَرُها حَرْبٌ على سَلْبِ بُرْدِها وأرحُلُها بغْياً يُباحُ إنتهابُها
وتتركها قسراً ببيداءَ من لظى هواجرها كادت تذوبُ هضابها
على حين لا خدرٌ تقيلُ بِكسره عن الشمس حيث الأرض يغلي ترابها
فوادحُ أجرى مقلة الأرض والسَّما دماً صَبغت وجه الصعيدِ مصابُها
فيا من هُم الهادون والصفوةُ التي عن اللهِ قُرباً قاب قوسين قابها
عليكم سلامُ اللهِ ما ديْمُ الحيا مرَتها صبَا ريح فدرَّ سَحابها

وله أيضاً رحمه الله:

في رثاء الحسين عليه السلام

أهاشمُ لا يومٌ لكِ أبْيَضَّ أو تُرى جيادُكِ تُزْجي عارضَ النقع أغبرا
طَوالعُ في ليلِ القتامِ تخالُها وقد سدّتِ الأُفقَ السحابَ المسخّرا
بني الغالبيّنَ الأُلى لستُ عالماً أأسمحُ في طعنٍ أكفُّكِ أم قرى
إلى الآنَ لم تجمعْ بكِ الخيلُ وثبةً كأنكِ ما تدرينَ بالطفِ ما جرى
هلمّي بها شُعثَ النواصي كأنّها ذيابُ غضاً يمرّحَن بالقاعِ ضُمّرا
وإن سألتكِ الخيلُ أين مغارُها فقولي ارفعي كلَّ البسيطةِ عثيرا
فأنّ دماكم طحن في كلِ معشرٍ ولا ثارَ حتى ليس يبقينَ معشرا
ولا كدمٍ في كربلا طاحَ منكم فذاكَ لأجفانِ الحميةِ أسهرا
غداةَ أبو السجادِ جاء يقودُها أجادلَ للهيجاءِ يحملْنَ أنْسُرا
عليها مَن الفتيانِ كلُّ ابن نثرةٍ يَعدُّ قتير الدرعِ وشياً مُحَبّرا
أشمُّ إذا ما افتضَّ للحربِ غُدرةٌ تنشّقَ من أعطافِهَا النقعَ عنبرا
من الطاعني صدرِ الكتيبةِ في الوغى إذا الصفُّ منها من حديدٍ توقرا
هم القوم إما أجروا الخيلَ لم تطأ سنابكُها إلا دلاصاً ومغفرا
إذا ازدحموا حشداً على نقعِ فيلقٍ رأيتَ على الليلِ النهارَ تكورا
كماةٌ تعدُّ الحيَّ منها إذا انبرت عن الطعن من كان الصريع المقطّرا
ومن يُختَرمْ حيثُ الرماحُ تظافرت فذلكَ تدعوه الكريم المظفّرا

فما عبروا إلاّعلى ظهرِ سابحٍ ... إلى الموتِ لما ماجتِ البيضُ أبحرا
مضوا بالوجوهِ الزُّهرِ بِيضاً كريمةً ... عليها لثامُ النقعِ لاثوه أكدرا
فقلْ لِنِزارٍ ما حنينُكِ نافعٌ ... ولو مُتِّ وَجْداً بَعدَهم وتزفّرا
حرامٌ عليكِ الماءُ ما دام مَوْرِداً ... لأبناءِ حربٍ أو ترى الموتَ مصدرا
وحجرٌ على أجفانِكِ النومُ عن دَمٍ ... شبا السيف يأبى أن يُطَلَّ ويُهدرا
أللهاشِميَّ الماءُ يَحلو ودونهُ ... ثوتْ قومُه حرّى القلوبِ على الثرى
وتهدأُ عينُ الطالبيِّ وَحولَها ... جفونُ بني مروان رَياً من الكرى
كأنّكِ يا أسيافَ غلمانِ هاشمٍ ... نسبتِ غداةَ الطفِ ذاك المعفّرا
هَبي لبسوا في قتلِهِ العارَ أسوداً ... أيَشفي إذا لم يلبَسُوا الموت أحمرا
ألاَ بكّرَ الناعي ولكنْ بهاشمٍ ... جميعاً وكانت بالمنية أجدرَا
فما للمواضي طائلٌ في حياتِها ... إذا باعُها عَجزاً عن الضربِ قصّرا
أللعيشِ تُستبقَى النفوسُ مُضامةً ... وما الموتُ إلا أن تعيشَ فتقسرا
ثوى اليومَ أحماها عن الضيمِ جانباً ... وأصدقُها عندَ الحفيظةِ مَخْبَرا
وأطعَمُها للوحشِ من جُثَثِ العِدى ... وأخضبُها للطيرِ ظفراً ومنسرا
قضَى بعدما ردَّ السيوفَ على القنا ... ومرهفهُ فيها وفي الموت أثّرا
ومات كريمَ العهد عندَ شبا القنا ... يُواريهِ منها ما عليهِ تكسّرا
فإن يُمسِ مغبرَّ الجبين فطالما ... ضُحَى الحربِ في وجهِ الكتيبةِ غبّرا
وإن يَقضِ ظمآناً تفطّرَ قلبُه ... فقد راعَ قلبَ الموتِ حتى تفطّرا
وألقَحَها شعواءَ تشقَى بها العِدى ... وَلُودَ المنايا ترضعُ الحتفَ ممقرا
فظاهَرَ فيها بين درعينِ نثرةٍ ... وصبرٍ ودرعُ الصبر أقواهما عُرا
سطا وهو أحمَى من يصونُ كريمةً ... وأشجعُ من يقتادُ للحربِ عسكرا
فرافدُهُ في حومةِ الضربِ مرهفٌ ... على قلةِ الأنصارِ فيه تكثرا
تعثّرَ حتى ماتَ في الهامِ حدُّهُ ... وقائمُهُ في كفِهِ ما تعثرا
كأنّ أخاه السيفَ أُعطيَ صبرَه ... فلم يَبرحِ الهيجاءَ حتى تكسّرا
له اللهُ مفطوراً من الصبرِ قلبُهُ ... ولو كانَ من صُمّ الصفا لتفطرا
ومُنعَطفٍ أهوى لتقبيلِ طفلِهِ ... فقبّلَ منهُ قبلَه السهمُ منحرا
لقد وُلدا في ساعةٍ هو والردى ... ومن قبلِهِ في نحره السهمُ كبّرا

وفي السبي مما يَصْطَفي الخِدرُ نسوةٌ ... يعِزُّ على فتيانها أن تُسَيّرا
حمت خدرها يَقظي ووِدّتْ بنومِها ... تَردُّ عليها جَفْنَها لا على الكرى
فأضحت ولا من قومِها ذو حفيظةٍ ... يقوم وراء الخدر عنها مُشمَرا
مشَى الدهرُ يومُ الطفِ أعمى فلم يَدع ... عماداً لها إلا وفيه تَعثرا
وجشّمَها المسرَى ببيداءَ قفرةٍ ... ولم تدرِ قبلَ الطفِ ما البيدُ والسُّرى
ولم تَرَ حتى عينُها ظلَّ شخصِها ... إلى أن بدت في الغاضريةِ حُسّرا

وله أيضاً مستنهضاً الحجة عليه السلام:

وراثياً الحسين عليه السلام

إنْ لم أقفْ حيثُ جيشُ الموتِ يَزدَحِمُ ... فلا مَشَتْ بيَ في طُرْقِ العُلى قَدَمُ
لا بدَّ أنْ أتداوَى بالقَنا فلقد ... صَبرتُ حتى فؤادي كلُّهُ أَلَمُ
عندي من العزم سرٌّ لا أبوحُ بهِ ... حتى تبوحَ بهِ الهندية الخُذُم
لا أرضعت لي العُلَى ابْناً صَفْو دَرَّتِها ... إنّ هكذا ضلَّ رمحي وهو مُنفَطِمُ
إليّةً بظبا قَومي التي حَمدتْ ... قدماً مواقعَها الهيجاءُ لا القِمم
لأحلبنَّ ثُديَّ الحربِ وهي قناً ... لبانها من صدورِ الشوسِ وهو دمُ
مالي أُسالمُ قوماً عندَهم تِرَتي ... لا سالمتْني يدُ الأيام إن سَلِموا
مَنْ حاملٌ لِوَلِيّ الأمرِ مَألكَةً ... تُطوى على نفثاتٍ كلُّها ضرَمَ
يابنَ الألى يُقْيِدُونَ الموتَ إن نهضتْ ... بهم لَدَى الرَوْع في وجهِ الظُبا الهممُ
الخيلُ عندَكَ ملّتْها مرابطُها ... والبيضُ منها عَرَى أغمادَها السَأَمُ
هذي الخدورُ لها الأعداءُ هاتكة ... وذي الجباهُ ألاَ مشحوذةٌ تَسِم
لا تطهرُ الأرضُ من رجس العِدَى أبداً ... ما لم يسَّلْ فوقَها سيلُ الدمِ العَرِمُ
بحيثُ موضعُ كلٍّ منهم لك في ... دماه تَغسلُهُ الصمصامةُ الخَذَمُ
أُعيذُ سيفَك أن تَصدَى حديدتُهُ ... ولم تكنْ فيه تُجلَى هذه الغمَمُ
قد آن أنْ يُمطِر الدنيا وساكنَها ... دَماً أغرَّ عليهِ النَّقْعُ مُرْتَكِمُ
حرّانَ تَدمغُ هامَ القومِ صاعقةٌ ... من كفّهِ وهيَ السيفُ الذي علموا
نهضاً فمَنْ بظُباكم هامُهُ فُلِقَتْ ... ضرباً على الدينِ فيه اليومَ يَحتكِمُ

وتلك أنفالُكم في الغاصبينَ لكم ... مَقسومَةٌ وبعين الله تُقْتَسَمُ
جرائمٌ آذنتْهم أنْ نُعاجلَهم ... بالإنتقامِ فهلاّ أنت منتقِمُ
وأنَّ اعجبَ شيءٍ أنْ أبثَّكَهَا ... كأن قلبَك خالٍ وهو محتدِم
ما خلتُ تقعدُ حتّى تستثارَ لهم ... وأنتَ أنتَ وهم فيما جنَوهُ هُمُ
لم تُبق أسيافُهم على ابنِ تقيٍّ ... فكيف تُبقي عليهم لا أباً لهمُ
فلا وصفحِكَ إنَّ القومَ ما صفحوا ... ولا وحِلمِك إنَّ القومَ ما حلموا
لا صبرَ أو تضعَ الهيجاءُ ما حَمِلت ... بطَلقةٍ معها ماءُ المخاضِ دمُ
هذا المحرّمُ قد وافتْكَ صارخةً ... مِما استحلّوا به أيّامُهُ الحُرُمُ
يملأنَ سمعَكَ أصواتٍ ناعيةٍ ... في مسمعِ الدهرِ من إعوالها صَمَمُ
تنعَى إليكَ دماءً غابَ ناصرُها ... حتى أُريقَتْ ولم يُرفعْ لكم عَلَم
مسفوحةً لم تُجَبْ عند استغاثتِها ... إلا بأدمع ثكلى شَفَّها الألمُ
حنّتْ وبينَ يديْها فتيةٌ شَرِبتْ ... من نحرها نُصبَ عينيها الظُّبا الخذم
موسَّدين على الرمضاءِ تنظرُهم ... حرّى القلوبِ على وردِ الردَى ازدحموا
سقياً لثاوينَ لم تَبلُلْ مضاجعَهم ... إلا الدماءُ وإلاّ الأدمعُ السُجُم
افناهمُ صبرُهم تحتَ الضبا كَرَماً ... حتى مضوا ورداهُمْ ملؤُهُ كرَمَ
وخائضينَ غِمارَ الموتِ طافحةً ... أمواجُها البيض بالهاماتِ تلتطم
مشوْا إلى الحربِ مشيَ الضارياتِ لها ... فصارعوا الموتَ فيها والقنا أجُمُ
ولا غضاضةَ يومَ الطفِ إن قُتِلوا ... صبراً بهيجاءَ لم تثبتْ لها قدم
فالحربُ تعلمُ إن ماتوا بها فلقد ... ماتتْ بها منهمُ الأسيافُ لا الهمم
أبكيهُمُ لعوادي الخيلِ إن رَكبت ... رؤوسَها لم تُكَفْكِفُ عزمَها اللُجَم
وللسيوفِ إذا الموتُ الزؤام غدا ... في حدّها هوَ والأرواح يختصمَ
وحائِراتٍ أطارَ القومُ أعينَها ... رُعباً غَداةَ عليها خدرَها هَجَموا
كانت بحيثُ عليها قومُها ضرَبتْ ... سُرادقاً أرضُهُ من عزّهم حَرَم
يكادُ من هيبةٍ أنْ لا يطوفَ به ... حتى الملائك لولا أنَّهم خَدمَ
فغودرتْ بينَ أيدي القومِ حاسرةً ... تُسبى وليس تَرى مَن فيه تَعتصمُ
نعمْ لَوَتْ جيدَها بالعتبِ هاتفةً ... بقومِها وَحشاها ملؤُهُ ضَرمَ
عجّتْ بهم مذ على أبرادِها اختَلفَتْ ... أيدي العدو ولكن مَنْ لها بِهمُ

نادت ويا بُعدهم عنها معاتبةً لهم ويا ليتَهم عن عتبها أمم
قوْمي الأُلى عُقِدتْ قدْماً مآزرهُم على الحميةِ ما ضِيموا ولا اهتُضِمُوا
عهدي بهمْ قصرُ الأعمارِ شأنهُم لا يَهرمون وللهيّابةِ الهرَمَ
ما بالُهم لا عفَتْ منهم رسومُهمُ قرّوا وَقَد حملتنا الأينقُ الرُسُم
يا غاديا بمطايا العزّ حملَها هماً تَضيقُ به الأضلاعُ والحُزُم
عرّجْ على الحيّ من عَمْرو العلى وأَرِحْ منهم بحيثُ اطمأنَّ البأسُ والكَرمَ
وحيّ منهم حماةٌ ليس بَينَهُمُ من لا يرفُ عليه في الوَغى العَلَم
المشبعين قِرىً طيرَ السما ولهم بمنعةِ الجارِ فيهم يَشهدُ الحَرمَ
والهاشميينَ وكلُّ الناسِ قد عَلِموا بأنَّ للضيف أو للسيف ما هَشَموا
كُماة حربٍ ترى في كلِ باديةٍ قتلى بأسيافهم لم تَحوها الرُجُم
كأنّ كلَّ فلاً دارٌ لهم وبها عيالُها الوحشُ أو أضيافُها الرُخُم
قفْ منهمُ موقفاً تغلو القلوبُ به من فَورةِ العتبِ واسأل ما الذي بهم
جفَت عزائمُ فهرٍ أم تَرَى بردتْ منها الحميةُ أم قد ماتت الشِيَمُ
أم لم تجدْ لذعَ عتبي في حشاشتِها فقد تساقطَ جمراً من فمي الكَلِم
أين الشهامةُ أم أينَ الحفاظُ أما يأبى لها شَرَفُ الأحسابِ والكرم
تسبى حراترُها بالطفِ حاسرةً ولم تكن بغبارِ الموتِ تلتثم
لمن أعدّتْ عتاقَ الخيلِ إن قَعَدتْ عن موقفٍ هُتِكت منها بهِ الحرَمُ
فما اعتذارُكِ يا فِهْرٌ ولم تَثِبي بالبيضِ تُثْلَمُ أو بالسُمْرِ تَنْحَطِمُ
أَجَلْ نِساؤُكِ قد هزّتْكِ عاتبةً وَأَنْتِ من رَقْدَةٍ تحتَ الثرى رُمَمُ
فَلْتَلْفِتِ الجيدَ عنكِ اليومَ خائبةً فَمَا غَناؤُكِ حَالَتْ دونَكِ الرُّجَمُ

مما قاله السيد صالح القزويني

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طريقُ المعالي في شدوقِ الأراقمِ ونيلُ الأماني في بروقِ الصوارمِ
ومن خاضَ أمواجَ الردى خافَهُ العدى وألقى إليه السلمَ من لم يُسالمِ
ومن خافَ ذُلَّ العيشِ طابت حياتُهُ ولَذَّ لَهُ في العزّ طعمُ العلاقمِ

أمِط عنك أبرادَ الكَرى وامتَطِ السُرى ... وما في اغتنام المجدِ حظٌ لنائِمٌ
وما العزُّ والمعروفُ إلا لأصيدٍ ... يَرى العزَّ والمعروفَ ضربةَ لازِمِ
ومُت في طريق العزِّ تغتنمِ المُنى ... فموتُ الفتى في العزِّ أسنى الغانمَ
بعزمكَ فانهض للعلى قائداً به ... صعابَ أماني المجدِ لا بالشكائم
وَشَمِّر به في منهجِ العز قارعاً ... رَتاجَ المعالي باقتحام العظائم
خذ القفر داراً والمفاوز منهلاً ... وسرح الظبا جاراً وسرب القَشاعم
ولا تتخذ إلا الظلامُ مطيّةً ... وسُمر القنا ظِلاً وبيض الصوارم
وذلل جماحَ الدهر منك بهمةٍ ... تحلّت بها هام السهى بالمناسِمِ
وخُض لجج الأهوال في طلب العُلى ... ألا إنما الأهوالُ أحلام نائم
وإياك من سلمِ الزمانِ فإنه ... وإن لك ألقى السِلم غيرُ مسالمِ
فما أنا إن لم أدرك المجد والعلى ... بجَدٍّ وَجدّي من علي وفاطمِ
ولا خير في جدٍ إذا لم تَنَل به ... من المجد ما لا يُرتَقى بالسلالم
من الضيم أن يَغضي على الضيم سيّدُ ... نَمَتهُ أُباةُ الضيم من آل هاشم
هُمُ شَرعَوا نظمَ الفوارسِ بالقَنا ... كما شرّعوا بالبيض نثر الجماجم
إذا نازلوا احْمَرَّ الثرى من نزالِهم ... وإن نزلوا اخْضَرّ الثرى بالمكارم
سِراعٌ إذا نودوا خفافٌ إذا دُعوا ... ثِقالٌ إذا لاقوا طِوالُ المعاصم
أشدّاءُكَم حلوا معاقدَ شدةٍ ... بشَدّ المواضي قبلَ شدّ التَمائم
إذا غردت للبيض في البيض رنةٌ ... مشوا في ظلال البيض ميلِ الغمائم
فلهفي عليهم ما قضى حتفَ أنفِهِ ... كريمٌ لهم إلاّ بسمٌ وصارم
تجنت عليهم آلُ حربٍ تَجَرّماً ... وجالت عليهم باجتباء الجرائم
فكم جزروا بالطف منهم أماجداً ... على ظمأ بالبيض جَزرَ السَوائم
فيا لرؤوسٍ في الرماح وأضلعٍ ... تُحَطّمها خيلُ العدى بالمناسم
وبالجسوم غسلتها دماؤها ... وكفّنها نسجُ الرياح النواسم
ولهفي على سبط النبيّ تذوده ... عن الماء أرجاسُ الأعادي الغواشم
إذا ما انتضى في كفّهِ مشرفيَّهُ ... ترى وَمضَ برقٍ بين خمس غمائم
وَكَمَّ جَناحي جَحفَلٍ لوسفه ... وَطارت خوافي قلبه بالقوادِمِ
ترى البَرَّ بحراً من دماهُم وطرفُه ... سفينٌ جرى في موجهِ المتلاطم

وتحسبُ فوقَ الهام وقع حُسامه صواعق برقِ العارضِ المتراكم
ولما رأى أنّ الحياة ذميمةٌ على الضيم والموتَ ارتكابُ العظائم
قضى نحبه ظامي الحشى بعد ما قضى برغم العِدى حَقَّ العلى والمكارم
بوجه يلاقى السمهَرِيَّةَ أبلج وثغر يحيي المشرفيةَ باسم
ولولا قضاءُ الله قاد أميةٌ وأشياعَها قودَ الذليل المسالم
وحامت عن الدين الحنيفيّ فتيةٌ له لا لعيشٍ دائم الظل ناعم
تحوم على ماء الفراتِ وتنثني عُطاشىً كأمثالِ النسور الحوائم
أتصدرُ قَسراً عنه حَرّى صدورُها صدور المعالي في صدور الملاحم
ومن عجب حمر اليعافير حَلأت خوادرَ آسادِ العرينِ الضَراغم
تساموا فلا ذاتُ المعالي ترومُها لحاقاً إذا ما حلّقت بالقوادم
وقد أحرزوا القَدح المعلّى بسيفهم إلى الموت دون الأكرمين الخضارم
ولهفي لآل الله أسرى حواسراً سبايا على الأكوار سبي الديالم
حواسرَ بين الشامتين وُجوهَها تُستَرُ عن نُظّارِها بالمعاصم
وتهتِفُ شجواً بالحُماة كأنما تَعَلَّمن منها هاتِفاتُ الحَمائِم
وتذري دموعاً كالعقيق سوافحاً عليهم ونار الوجدِ ملؤ الحيازم
تشاهدُ زين العابدين مُكبَّلاً على ظهرِ مهزولِ المطا والقوائم
فَطوراً يعاني نهسةَ القَتبِ في السُرى وطوراً يُعاني فيهِ ثِقلَ الأداهِم
ومن بلدةٍ تُسبى إلى شرِّ بلدةٍ ومن ظالمٍ تُهدى إلى شرِّ ظالِم

للشيخ صالح الكواز

في رثاء سيد الشهداء عليه السلام

ما ضاق دهرك إلا صدرك أتسعا فهل طربت لوقع الخطب مذ وقعا
تزداد بشراً إذا زادت نوائبه كالبدر إن غشيته ظلمة سطعا
وكلما عثرت رجل الزمان عمى أخذت في يده رفقاً وقلت لعا
وكم رحمت الليالي وهي ظالمة وما شكوت لها فعلاً وإن فضعا
وكيف تعظم في الأقدار حادثة على فتى ببني المختار قد فجعا

أيام أصبح شمل الشرك مجتمعاً بعد الشتات وشمل الدين منصدعا
ساقت عدي بني تيم لظلمهم أمامها وثنت حرباً لها تبعا
ما كان أوعر من يوم الحسين لهم لولا الذين لنهج الخطب قد شرعا
سلا ظبا الظلم من أغماد حقدهما وناولاها يزيدا بئس ما صنعا
وقامَ مُمتثلاً بالطف أمرَهما ببيض قضب هما قدماً له طبعا
يا ثابتاً في مقام لَوْ حَوادِثُهُ عَصَفْنَ في يَذْبُلٍ لانهارَ وانقلعا
ومفرداً مُعلِماً في ضِنْك مَلْحَمَةٍ بها تَعاوى عليه الشَّرْك واجتمَعا
للّهِ أنتَ فكم وِتْرٍ طُلِبْتَ به للجاهليةِ في أحشائِهم زُرعا
قد كان غَرساً خفيّاً في صدورهمُ حتى إذا أمِنوا نارَ الوغى فزعا
وأطلَعَتْ بعد طولِ الخوفِ أرْؤُسها مثلَ السلاحفِ فيما أضمرتْ طَبعا
واستأصلتْ ثارَ بدرٍ في بواطِنها وأظهرت ثارَ من في الدارِ قد صُرِعا
وتلكمُ شُبْهَةٌ قامت بها عُصَبٌ على قُلوبِهمُ الشيطانُ قد طَبَعا
ومذ أجالوا بأرض الطفّ خيلَهُم والنقعُ أظلم والهنديُّ قد سطعا
لم يطلبِ الموتُ روحاً من جسومهمُ إلاّ وصارمُك الماضي له شَفَعا
حتى إذا ما بهم ضاق الفضا جعلتْ أسيافُكم لهمُ في الموتِ مُتَّسعا
وغصَّ فيهمْ فَمُ الغَبرَا فكان لهم فمُ الردى بعد مضغِ الحربِ مُبْتَلِعا
ضربتَ بالسيفِ ضرْباً لو تُساعدُه يدُ القضا لأزالَ الشركَ وانقشعا
لكنكم شئتمُ ما شاءَ بارؤكم فحكمُهُ ورضاكم يَجريانِ مَعا
وما رغبتُ بشيءٍ غير ما رغبتْ لهُ نفوسُكمُ شوقاً وإنْ فَضعا
لا تُشمْتنَّ رزاياكُم عدوَّكُمُ فما أماتَ لكم وحياً ولا قَطَعا
تَتَّبعوكُم فَرامُوا مُحْوَ فضلِكُمُ فخيبَ اللهُ مَنْ في ذُلِّكُمْ طَمَعا
أنّى وفي الصَّلَواتِ الخمسِ ذِكْرُكمُ لدَى التَشَهُّدِ للتوحيدِ قَدْ شفعا
فما أعابَك قتلٌ كنتَ ترقُبُه بهِ لكَ اللهُ جُلَّ الفضلِ قَدْ جَمعَا
وما عليك هوانٌ أنْ يُشالَ على ال مَيّادِ منك محياً للدجى صَدَعا
كأنَّ جسمَكَ موسى مذ هَوَى صَعِقا وأنَّ رأسَكَ روحُ اللهِ مذ رُفِعا
كفى بيومِكَ حُزناً أنَّهُ بَكِيَتْ لهُ النبيّونَ قِدْماً قبلَ أن يَقَعا
بَكاك آدمُ حُزناً يومَ توبتِهِ وكنتَ نوراً بساقِ العرشِ قد سَطَعا

ونوح أبكيته شجواً وقلَّ بأن ... يبكي بدمعٍ حكى طوفانَهُ جَزَعا
ونارُ فِقدكَ في قلبِ الخليلِ بها ... نيرانَ نمرودَ عنهُ اللهُ قد دَفَعا
كلّمتَ قلبَ كليمِ اللهِ فانبجست ... عيناه حُزناً دماً كالغيثِ مُنْهَمِعا
ولو رآك بأرضِ الطفِ منفرداً ... عيسى لَما اختارَ أنْ ينجو ويرتفعا
ولا أحَبَّ حياةً بعدَ قتلِكمُ ... ولا أرادَ بغيرِ الطفِ مُضْطَجعَا
يا راكباً شَدْقَمِيّاً في قوائمه ... يطوي أديمَ الفيافي كلَّما ذرعا
يَجْتابُ مُتَّقِدَ الرمضاءِ مستَعِراً ... لو جازهُ الطيرُ في رِمضائِهِ وقعا
فرداً يُكَذِّبُ عينيْهِ إذَا نَظَرَتْ ... في القفر شخصاً وأذنْيهِ إذا سمعا
عُجْ بالمدينةِ وأصرخْ في شوارِعها ... بصرخةٍ تملأُ الدنيا بها جَزَعا
نادِ الذين إذا نادى الصريخُ بهم ... لَبّوْهُ قبلَ صدىً من صوتِهِ رَجَعا
يكاد ينفُذُ قبلَ القَصْدِ فِعْلُهُم ... بنصرِ مَنْ لهُمُ مستنجِداً فَزِعا
مِنْ كُلِّ آخذ للهيجاءِ أُهبتَها ... تلقاهُ معتقِلاً بالرمحِ مُدَّرِعا
لا خَيْلُهُ عرفتْ يوماً مَرابطَها ... ولا على الأرض يوماً جَنْبُهُ وُضعا
يُصغي إلى كُلِّ صَوْتٍ مَدَّ مصْطَرِخٌ ... للأخْذِ في حَقّه من ظالميهِ دعَا
قل يا بني شيبةِ الحمدِ الذين بِهم ... قامت دعائمُ دينِ اللهِ وارتفعا
قوموا فقد عَصَفَتْ بالطفِ عاصفةٌ ... مالت بأرجاءِ طَوْدِ العَزِّ فانصَدَعا
لا أنتمُ أنتمُ إن لم تَقُمْ لَكُمُ ... شعواءُ مرهوبةٌ مرأىً ومُسْتَمَعا
نهارُها أسودٌ بالنقعِ مُرتكِمٌ ... وليلُها أبيضٌ بالبِيض قد نَصعَا
إنْ لَمْ تَسُدّوا الفضا نقعاً فلم تجدوا ... إلى العلى لكمُ من منهجٍ شَرِعا
فَلْتَلْطَمِ الخيلُ خَدَّ الأرضِ عاديةً ... فَخَدُّ عَليا نَزارٍ للثرى ضَرَعا
وَلْتُملأ الأرضُ نعياً من صوارمكُمْ ... فأنَّ ناعي حسينٍ في السماء نَعى
وَلْتَذهِل اليومَ فيكم كلُّ مرضعةٍ ... فَطِفْلُه من دِما أوداجهِ رَضَعا
نَسِيْتُمْ أمْ تناسَيْتُم كَرائمَكُم ... بَعدَ الكِرامِ عليها الذلُّ قد وَقَعا
أتَهْجَعُونَ وهم أسرى وَجَدُّهم ... لِعَمِّهِ ليلَ بدرٍ قَطُّ ما هَجِعا
فليت شعري مَنِ العباسُ أرَّقَهُ ... أنينُهُ كيف لو أصواتَهم سَمعا
بَنى عليٍّ وَأنتم للنَّجا سببي ... في يومِ لا سَبَبٌ إلاَّ وقَدْ قُطِعَا
ويومَ لا نَسَبٌ يَبقى سِوى نَسَبٍ ... لجدِّكم وَأبيكم رَاحَ مُرْتَجِعَا

لو ما أنهنه وجدي في محبتكم ... قذفت قلبي لما قد نالني قطعا
فإنها النعمة العظمى التي رجحت ... وزناً فلو وزنت في الدهر لارتفعا
مَنْ حاز مِنْ نِعَمِ الباري وِلاَيَتكم ... فلا يُبالي بشيءٍ ضَرَّ أوْ نَفَعَا
من لي بنفس على التقوى موطنة ... لا تخلفن بدهر ضاق أو وسعا

قصيدة أخرى لصالح الكواز الحلي

يا قلبُ ما هذا شعارُ مُتَيَّمٍ ... ولعلَّ حالَ بني الغَرام فنونُ
خَفِّض فخطبُك غيرُ طارقةِ الهوى ... إنَ الهَوى عَمّا لَقيتَ يَهُونُ
ما برّحت بك غيرُ ذكرى كربلا ... فإذا قضيتَ بها فذاك يقين
وَرَدَ ابنُ فاطمة المنون على ظمأ ... إن كنت تأسفُ فلتردك منون
ودع الحنينَ فإنَّها العُظمى فلا ... تأتي عليها حَسرَةٌ وحنينُ
ظَهَرَت لها في كلَّ شيءٍ آيةٌ ... كُبرى فكادَ بها الفناءُ يَحين
بَكَتِ السَّماءُ دماً ولم تَبرد به ... كبدٌ وَلَو أنَّ النجومَ عُيونُ
نَدَبَت لها الرُّسْلَ الكرام وَنَدْبُها ... عن ذي المعارج فيهم مَسنُونُ
فَبِعَينِ نوحٍ سالَ ما أربَى على ... ما سارَ فيهِ فُلْكُهُ المشحُون
وبقلبِ إبراهيمَ ما بَرَدَت لهُ ... ما سَجَّرَ النمرودُ وهو كمينُ
ولقد هوى صَعِقاً لذكرِ حديثِها ... موسى وهوّنَ ما لَقِي هارونُ
واحتار يحيى أن يُطافَ برأسه ... وله النأسّي بالحسين يكونُ
وأشدُّ مما نابَ كلَّ مُكَوَّنٍ ... مَن قالَ قلبُ محمّدٍ محزونُ
فَجِراكُ تَيم بالضَّلالةِ بعدَه ... للحشرِ لا يَأتي عليه سكونُ
عَقَدت بيثربَ بيعةٌ قُضِيت بها ... للشركِ منه بعدَ ذاك ديونُ
بِرُقى منابِرِه رَقى في كربلا ... صَدرٌ وضُرِّجَ بالدماء جَبينُ
لولا سقوطُ جنينِ فاطمةٍ لما ... أودى لها في كربلاءَ جنين
وبكسرِ ذاك الضِلعِ رُضَّتْ أضلعٌ ... في طَيِّها سرُّ الإلهِ مَصُون
وكذا عليُّ قَوْدُهُ بنجادِهِ ... فلهُ عليَّ بالوثاقِ قَرين
وكما لفاطمَ رنَّةٌ من خلفِهِ ... لِبناتِها خلفَ العليلِ رَنينُ
وبزجرِها بسياطِ قنفذَ وُشِّحَتْ ... بالطفِ من زجرٍ لهن مُتونُ

وبقطعهم تلك الأراكة دونَها ... قُطِعَتْ يَدُ في كربلا ووتينُ
لكنما حَمْلُ الرؤوسِ على القنا ... أدهى وإن سَبَقت به صِفين
كلُّ كتابُ اللهِ لكنْ صامتٌ ... هذا وهذا ناطقٌ ومبين

لحاجي حسن القيم

إن تكن جازعاً لها أو صَبوراً ... فلياليكَ حكمُها أن تجورا
يَصْحَبَنْكَ الضدانِ ما دمتَ حياً ... نِوَباً تارة وطوراً سُرورا
ربما استكثر القليلَ فقيرٌ ... وغنيٌ به استقلَّ الكثيرا
فكأن الفقيرَ كان غنياً ... وكأنّ الغنيَ كان فقيرا
فحذاراً من مُكْرَها في مقامٍ ... لستَ فيهِ تحاذر المحذُورا
نذرت أن تسيء فعلاً فأمستْ ... في بني فاطِم تقضّي النذورا
يومَ عاشورِ الّذي قد أرانا ... كلَّ يومٍ مصابه عاشورا
يومَ حفّت بابنِ النّبيّ رجالٌ ... يملأون الدروعَ بأساً وخيرا
عمروها في الله أبياتَ قُدسٍ ... جاوزت فيه بيتَه المعمورا
ما تعزَّت بالطفّ حتى كساها ... الله في الخلد سُندسا وحريرا
لم تعثَّر أقدامها يومَ أمسى ... قدمُ الموت في بالنفوسِ عَثورا
بقلوبٍ كأنما البأسُ يدعو ... ها بقرعِ الخطوبِ كوني صخورا
رفعتْ جُردُ خيلِهم سقفَ نَقْعٍ ... ألِفَ الطيرُ في ذراه الوكورا
حاليات يُرشحن بالدم مَرْجاً ... ناً ويعرقنَ لؤلؤا منشورا
عشقوا الغادةَ التي أنشَقَتْهُم ... من شذاها النقعَ المثارَ عبيرا
فتلقوا سَهامَها بصدورٍ ... تركوهنَّ للسهام جفيرا
لازموا الوقفة التي فطرتهم ... تحت ظلّ القنا عفيرا عفيرا
فخبوا أنجماً وغابوا بدوراً ... وهووا أجبُلا وغاضوا بُحورا
مِن صريع على الثرى غسَّلتهُ ... من دماهُ السيوفَ ماءً طهورا
ومعرّىً على الثرى كفَّنتهُ ... أمُّهُ الحربُ نقعَها المستثيرا
عفَّر التربُ منهمُ كلَّ وجهٍ ... علَّم البدرَ في الدجى أن ينيرا
ونساءٍ كادت بأجنحةِ الرُّعبِ ... شظايا قلوبُها أن تطيرا

كم مديرٍ بسوطهِ فَلَكَ الضَّرْ ... بِ عليهن فاغتدى مُستدِيرا
صرنَ في حيثُ لو طَلَبْنَ مجيراً ... بسوى السوط لم يجدن مُجيرا
لو يرومُ القطا المثارُ جَناحاً ... لأعارتهُ قلبَها المذعورا
يا لحسرى القناع لم تَلْقَ إلا ... آثماً من أُميةٍ أو كفورا
أوقفوها على الجسوم اللواتي ... صرنَ للبيض روضةً وغديرا
فغمرنَ النحورَ دمعاً ولو لم ... يَكُ قانٍ غسَّلْنَ فيه النحورا
علَّ مستطرفاً يرى الليل درعاً ... وعلى نَسجه النجومَ قتيرا
يبلغن المهديَّ عني شكوى ... قلَّ في أنها تضيقُ الصدورا
قل له إن شممت تربة أرض ... وطأت نعلهُ ثراها العطيرا
وتزودت نظرة في محيّا ... تكتسي من بهائه الشمس نورا
قم فأنذر عداك وهو الخطاب ... الفصل إن تجعل الحمام نذيرا
كائناً للمنون هارون في البعث ... لِموسى عَوناً لهُ ووزيرا
قد دجى في صدورهم ليل غيّ ... فيه يهوى نجم القنا أن يغورا
أو ما هزّ طودَ حلمك يوم ... كانَ للحشر شره مستطيرا
يوم أمسى الحسين منعفر الخد ... ين فيه ونحرهُ منحورا
أفتديه مخدراً صار يحمي ... بشبا السيف عن نساء الخدورا
ليس تدري محبوكة الدرع ضمَّت ... شخصه في ثباته أم ثبيرا
أعدت السيف كفه في قراها ... فغدا في الوغى يضيف النسورا
صار موسى وآل فرعون حرباً ... والعصى السيف والجواد الطورا
وأصريعاً بثوب هيجاء مدرو ... جاً وفي درع صبره مقتورا
كيف قرت في فقد مسكنها الأر ... ض وقد آذنت له أن تمورا
وقضى في الهجير ظام ولكن ... بحشى حرها يذيب الهجيرا
صار سدراً لجسمه ورق البيض ... ونقع الهيجا لهُ كافورا
أحسين تقضي بغير نصير ... مستضاماً فلا عدمت النصيرا
بأبي رأسك المشهرّ أمسى ... يحمل الرمح منه بدراً منيرا

للحاج هاشم الكعبي

يمدح أمير المؤمنين ويرثي الحسين عليه السلام

يا منشأ الأفلاك والأملاك بل ... لولاك ما عرف الوجود وجودا
سَبَقَتْ مكارمُك المكارمَ مثلَما ... خَتَمَتْ لِعُمْرِ فَخَارِك التأبيدا
مَا زِلْتُ أَسألُ فيكَ كل قديمةٍ ... عَادَ القديمَ وَبَعْدَ عادَ ثَمودا
ألفاك آدمُ آدماً لا صالِحٌ ... يَدري بذاكَ ولا نَزيلُكَ هُودا
إني لأعذُرُ حاسديكَ على العُلى ... وعُلاَكَ عُذري لو عذَرْتُ حسودا
فليَحْسِدِ الحُسَّادُ مِثْلَك إنَّه ... شَرَفٌ يزيدُ على المَدَى تجديدا
ما أنصفتْكَ عِصَابةٌ جَهِلَتْكَ إذْ ... جَعَلَتْ لِذَاتِكَ في الوجودِ نَديدا
إذْ خَالَفَتْ نَصَّ النبيّ عليكَ في ... خُمٍّ وهُمْ كانوا عليه شُهودا
باعَتْكَ وَابتَاعَتْ بجوهرِ ذَاتِك ال ... علويِّ سُفْليَّ المبيعِ رَديدا
ثمّ ارْتَقَتْ حتى أَبَتْكَ رضيَّ بِمَنْ ... لم يَرْضَ كَعْبُك أَنْ يَراه صعيدا
ضَلَّتْ أدِلَّتُها أَتَبدِلُ بالعَمى ... رُشْداً وبالعَدَم المحَالِ وجودا
وبما أسرَّتْ من قَديمِ نِفَاقِها ... وَجَرتْ عليهِ طَارفاً وتَلِيدا
بَلَغَ المُرَادِيُّ المُرَادَ وأَورِدَ ال ... حَسَنُ الرَّدى ومضى الحسينُ شَهيدا
تِاللّهِ لا أنسى ابنَ فِاطمَ والعدى ... تهدي إليه بوارقاً ورُعُودا
غدروا به إذْ جاءَهُمْ منْ بَعْدِما ... أَسْدَوا إليه مَواثِقاً وعُهودا
قتلوا به بدراً فأظلمَ ليلُهم ... فَغَدَوا قياماً في الضَّلالِ قُعودا
وحَمَوهُ أَنَّ يَرِدَ المباحَ وصيَّروا ... ظُلْماً لهُ ظامي الرِّماحِ وُرُودا
فَسَمَتْ إليه أماجدٌ عَرِفوا بهِ ... قَصْدَ الطريقِ فأدركوا المَقصودا
نَفَرٌ حَوَتْ جُمَلَ الثَّنا وتسنَّمَت ... قُلَلَ المعالي والداً وَوليدا
مَنْ تَلْقَ منهم تَلْقَ كَهْلاً أو فتىً ... عَلَمَ الهُدَى بَحْرَ النَّدى المورودا
وتَبَادَرَتْ تَلقى الأعنَّةَ لا ترى ال ... غَمَرَاتِ إلاَّ المَائِسَاتِ الغِيدا
وكأنَّما قَصْدُ القَنا بنُحُورِهِم ... دُرَرٌ يُفَصِّلُها الفَنَاءُ صُعُودا
واستَنزلوا حُلَلَ العُلا فأحلَّهُم ... غُرُفَاتِهِ فغدا النزولُ عُقودا

فتظُنَّ عَينُك أَنَّهم صَرْعَى وهُمْ ... في خيرِ دارٍ فارهينَ رُقُودا
وَأَقام معدومُ النظيرِ فريدُ بي ... تِ المَجْدِ معدومَ النصيرِ فريدا
يَلقى القِفَارَ صَواهلاً ومَناصلاً ... ويَرى النَّهارَ قَساطِلاً وبُنودا
سَامُوهُ أَنْ يَرِدَ الهَوَانَ أو المن ... يَّةَ والمُسَوَّدُ لا يَكونُ مَسُودا
فانصاعَ لا يَعبَأ بِهِمْ عن عدَّةٍ ... كَثُرَتْ عليه ولا يَخافُ عَديدا
يلقى الكُمَاةَ بوَجْهِ أَبلج ساطعٍ ... فكأَنَّما أمُوا نَدَاه وُفودا
يَسطو فَتَلقى البيضَ تُغْرَسُ في الطَّلَى ... فتعودُ قَائِمةُ الرؤوسِ حَصِيدا
أَسَدٌ تَظَلُّ لهُ الأُسُودُ خَواضعاً ... فَتَرى الفَتَى يَحكي الفَتَاةَ الرُّودا
البَرْقُ صارِمُهُ ولكِنْ لم يَسُقْ ... للوَبْلِ إلاَّ هامَةً وَوَرِيدا
والصَّقْرُ لَهْذَمُهُ ولَكِنْ لم يَصِدْ ... إلاَّ قُلُوباً أُوْغِرَتْ وكُبودا
بأسٌ يَسُرُّ محمَّداً ووصيَّهُ ... ويَغيظُ نَسْلَ سُمَيَّةٍ ويَزيدا
حتَّى إذا حُمَّ الحِمَامُ وآنَ لا ... تُلقى عِمَاداً للعُلى وَعميدا
عَمَدَتْ لَهُ كفُّ المِنَادِ فسدَّدتْ ... سَهْماً عَدا التوفيقَ والتَّسديدا
فثوى بمُسْتَنِّ النزَالِ مُقَطَّعَ ال ... أوصالِ مشكورَ الفعالِ حَميدا
للهِ مَطْروحٌ حَوَتْ مِنْهُ الثرى ... نَفْسَ العُلى والسُؤْدَدَ المعقودا
ومبدَّدُ الأوصالِ ألزمَ حُزْنُه ... شَمْلَ الكَمَالِ فلازمَ التَّبديدا
ومجرَّحٌ ما غيَّرتْ مِنه القَنا ... حُسْناً ولا أَخْلَقْنَ منهُ جَديدا
قَدْ كانَ بدراً فاغتدى شَمْسَ الضُّحى ... مُذْ أَلبَسَتْهُ يَدُ الدماءِ لُبُودا
تحمي أَشعَّتُهُ العُيُونَ فكلَّما ... حَاوَلْنَ نَهْجاً خِلْنَهُ مَسدودا
وتُظِلُّه شَجَرُ القَنا حتى أَبَتْ ... إرسالَ هاجرةٍ إليه بَريدا
وثواكلٌ في النوحِ تُسْعِدُ مثْلَها ... أرأَيتَ ذا ثَكْلٍ يَكونُ سَعِيدا
ناحت فلم تَرَ مثلَهُنَّ نوائحاً ... إذْ ليسَ مثلُ فقيدِهنَّ فَقيدا
لا العِيسُ تَحكيها إذا حَنَّتْ ولا ال ... وَرْقاءُ تُحسِنُ عندَها الترديدا
إنْ تَنْعَ أَعطَتْ كلَّ قلْبٍ حَسْرَةً ... أو تَدْعُ صَدَّعَتِ الجبالَ المِيدا
عَبَراتُها تُحيي الثَّرى لو لم تكُن ... زَفَراتُها تَدَعُ الرِّيَاضَ هُمودا
وَغدَتْ أَسيرةُ خِدْرِها ابنةُ فاطمٍ ... لم تَلْقَ غيرَ أَسيرِها مَصفودا
تدعو بلَهْفَةِ ثاكلٍ لعبَ الأسى ... بفؤادِه حتَّى انطوى مفؤودا

تُخفي الشَّجا جَلَداً فَإنْ غَلَبَ الأسى ضَعُفَتْ فأبدَتْ شجْوَها المكمودا
نادَتْ فقطَّعَتِ القلوب بشَجْوِها لكنَّما انتظمَ البَيَانُ فَريدا
إنسانَ عَيني يا حُسينُ أُخَيَّ يا أَملِي وَعِقْدَ جُمَانِيَ المَنْضُودا
مالي دعَوتُ فلا تُجيبُ ولَم تكُنْ عوَّدَتني من قَبْلِ ذاكَ صُدُودا
ألمِحْنةٍ شَغَلَتْكَ عني أَم قَلىً حاشاكَ إنَّك ما بَرَحْتَ وَدودا
أَفَهلْ سِواكَ مُؤمَّلٌ يُدْعَى بِهِ فيُجِيبَ داعيةً ويُورَقَ عودا
إنْ أستَعِنْ قَامَت إليَّ تَواكلٌ لم تَدْرِ إلاَّ النوحَ والتَّعديدا
وكفيلُها فوق المَطيِّ مُعالجٌ من ضُرِّهِ وَمِنَ الحديد قُيُودا
أوحيدَ أَهْلِ الفَضْلِ يَعْجَبُ جاهلٌ أَنْ تُمْسِ ما بينَ الطَّغَامِ وحيدا
وَيُلامُ غَيثٌ ما سَقَاكَ وإنَّه من بَحْرِ جودِك يَستمِدُّ الجودا
قَدْ كانَ يُعْتَبُ عندَ تَرْكِكَ ظامياً لو كانَ غيرُكَ بَحْرَه المورودا
يابنَ النبي أَلِيَّةٌ مِنْ مُذْنِفٍ بعُلاكَ لا كَذِباً ولا تَفْنيدا
ما زال سُهدي مِثْلَ حُزنيَ ثابتاً والغَمْضُ مثلُ الصَّبرِ عنكَ طريدا
تأبى الجُمُودَ دموعُ عَينيَ مِثْلَما يأبى حريقُ القَلبِ فيكَ خُمُودا
والقلبُ حِلْفُ الطَّرْفِ فيك فكلَّما أَسبَلْتُ هذا زاد ذاكَ وَقُودا
طالَ الزمانُ على لِقاكَ فَهَلْ قَضى للحُزْنِ والمحزونِ فيكَ خُلُودا
أَفَلَمْ يَحِنْ حين المَسرَّةِ أنْ تَرى عيناىَ ذاكَ الصارمَ المغمودا
وفصيحةٌ عَربيةٌ مأنوسةٌ لَمْ تألفِ الوَحْشيَّ والتَّعقيدا
ما سامَها الطائي الصَّغَارَ ولا الذي قَدْ كانَ يُدعى خَالِدَ بنَ يزيدا
أنزلْتُها بجَنَابِ أَبلجَ لم يَخِبْ قَصْدٌ لديه ولا يُذِلُّ قصيدا
كانتْ به جُهْدَ المُقِلْ وإنَّما عُذرُ الفَتى أن يَبْلُغَ المجهودا
لو شاءَ يُمْدَحُ بالذي هُو أهلُه حُصِرَ الأنامُ فَما سَمِعْتَ نشيدا

للشيخ صالح الكواز

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الحداة وقد حبست مطهم ... من بعد ما أطلقت ماء شئوني
ماذا وُقُوفُكَ في ملاعبِ خُرَّدٍ ... جَدَّ العَفَاءُ برَبْعِها المسكونِ
وقفوا معي حتى إذا ما استيأسوا ... خلصوا نجياً بعد ما تركوني
ويلاه من قوم أساؤا صحبتي ... من بعد إحساني لكل قرينِ
قد كِدْتُ لولا الحِلْمُ من جَزَعي لِمَا ... ألقاهُ أَصفِقُ بالشِّمَالِ يَميني
لكنما والدهر يعلمُ أنني ... ألقى حوادثَهُ بحلم رزين
قلبي يُقِلُّ من الهُمُومِ جبَالَها ... وتَسيخُ عن حَمْلِ الرِّدَاءِ مُتُوني
وَأنا الذي لم أَجْزَعَنْ لرزيَّةٍ ... لولا رزاياكُم بني ياسينِ
تلكَ الرزايا الباعثاتُ لمُهْجَتي ... ما ليسَ يَبْعَثُهُ لَظَى سِجّينِ
كيفَ العَزَاء لها وكلَّ عشيّةٍ ... دَمَكُم بحُمْرَتِها السَّمَاءُ تُريني
والبَرْقُ يُذْكِرُني وَمِيضَ صَوَارمٍ ... أَرْدَتْكُمُ في كفِّ كلِّ لعين
والرعدُ يُعربُ عن حنين نسائِكم ... في كل لحنٍ للشجونِ مبين
بندبنَ قوماً ما هتفنَ بذكرهم ... إلاّ تضعضعَ كلُّ ليثٍ عَرين
السالبينَ النفسَ أوّلَ ضَربةٍ ... والمُلْبِسينَ الموتَ كلَّ طَعِينِ
لا عيبَ فيهم غير قبضِهمُ اللّوا ... عند اشتباكِ الشُّمرِ قبضَ ضَنينِ
سلكوا بحاراً من دماءِ أُميَّةٍ ... بظهورِ خيلٍ لا بطونِ سَفينِ
لو كلُّ طعنةِ فارسٍ بأكُفِّهِم ... لم يُخْلَقِ المسبارُ للمطعونِ
حتى إذا التقمتهمُ حوتُ القضا ... وهيَ الأماني دونَ كلِّ أمين
نَبَذَتهمُ الهيجاءُ فوقَ تِلاعِها ... كالنّونِ يَنبُذُ بالعَرا ذا النونِ
فَتَخال كُلاً ثَمَّ يونسَ فَوقَه ... شَجَرُ القنا بدلاً عن اليقطين
خُذ في ثنائِهِمُ الجميلِ مُعَرِّضاً ... فالقومُ قد جَلُوا عن التبيينِ
هم أفضل الشهداءِ والقتلى الأُلى ... مُدِحوا بوحيٍ في الكتابِ مُبينِ
ليتَ المواكبَ والوصيُّ زعيمُها ... وقفوا كموقِفِهم على صِفّين

بالطفِ كي يَروا الأُلى فوقَ القنا رَفَعت مصاحفَها اتِّقاءَ منونِ
جعلت رؤوس بني النّبيّ مكانَها وشفت قديمَ لواعجٍ وضُغونِ
وتَتَبَّعَتْ أشقى ثمودَ وتُبَّعٍ وبنت على تأسيسِ كلِّ لَعينِ
الواثبينَ لظلم آل مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٌ مُلْقىً بلا تكفينِ
والقائلينَ لفاطمٍ آذيتِنا في طُول نَوْحٍ دائمٍ وحنينِ
والقاطعينَ أراكةً كيما تَقي لَ بظلِّ أوراقٍ لها وغصونِ
وَمُجَمِّعي حطبٍ على البيتِ الذي لم يَجتَمعِ لولاه شَمْلُ الدِّينِ
والداخلينَ على البتولةِ بَيتها والمسقِطينَ لها أَعَزَّ جنينِ
والقائدينَ إمامَهم بنجادِهِ والطهرُ تدعو خلفَهم برنين
خلّوا ابنَ عمي أو لأكشِفُ لِلدُعا رأسي وأشكو للإلهِ شجوني
ما كان ناقةُ صالحٍ وفصيلُها بالفضلِ عندَ اللهِ إلاّ دوني
وَرَنَتْ إلى القبرِ الشريفِ بمقلةٍ عبرى وقلبٍ مُكْمَدٍ مَحزُونِ
قالت وأظفارُ المصابِ بقلبِها غَوثاهُ قلّ على العداة مُعيني
أبتاهُ هذا الشامِريُّ وعجلُهُ تُبِعا ومالَ الناسُ عن هارونِ
أيَّ الرزايا أَتَّقي بتَجَلُّد هوَ في النَوائِبِ مُذْ حَييتُ قَريني
فقدي أبي أم غَصْبَ بَعْلي حَقَّهُ أم كَسْرَ ضِلعي أم سقوطَ جنيني
أم أخْذَهم حقّي وفاضلَ نِحْلَتي أم جَهْلَهم قَدْري وقد عرفوني
قهروا يَتيمَيْكَ الحسينَ وصِنوهَ وسَألْتُهم إرثي وقد نَهَروني

لأبي ذيب

نعم آل نعم بالغميم أقاموا ولكن عفا ربعٌ لهم ومَقامُ
حبستُ المطايا أسألُ الركبَ عنهُمُ ومِن أينَ للربع الدريسِ كَلامُ
رَعى الله قلباً لا يزال مُروّعاً يَسيم مع الغادين حيث أساموا
على دِمنتي سلمى بمنعرجِ اللِوى سلامٌ وهل يَشفي المحبَّ سَلام
خليلي عوجا بي ولو عُمرَ ساعة بحيثُ غريمي لوعةٌ وغَرام
على رامة لا أبعد الله رامة سقاها من الغيث الملثّ رُكامُ
لنا عند باناتٍ بأيمنِ سفحِها لُباناتُ قلب كلهنَّ هِيامُ

عشية حنّت للفراق رواحلٌ ... وهاجت لترحال الفريق خِيام
فلم أرَ مثلي يوم بانوا مُتَيّماً ... ولا كجفوني ما لَهنّ مَنامُ
ولا كالليالي لا وفاء لعهدها ... كأنّ وفاها بالعهود حرامُ
فلم ترع يوماً ذمّة لإبن حُرة ... كما لا رُعي لابن النّبيّ ذِمامُ
أتته لأرجاس العراق صحائفٌ ... لها الوفقُ بدءٌ والنفاقُ ختام
ألا إقدم إلينا أنت مولىً وسيّدٌ ... لك الدهرُ عبدٌ والزمانُ غُلام
ألا إقدم علينا أننا لك شيعةٌ ... وأنت لنا دون الأنام إمام
أغثنا رعاك الله أنت غياثُنا ... وأنت لنا في النائبات عِصام
فلبّاهمُ لما دعوه ولم تزل ... تُلبي دعاءَ الصارخين كرامُ
وساق لهم غُلباً كأنهم على ال ... عوادي بدورٌ في الكمال تمام
مساعير حرب من لويّ بن غالب ... عزائمُهمُ لم يثنِهنّ زمام
هم الصِيد إلاّ أنهم أبحر الندى ... سوى أنهم للمُجدبينَ غَمام
ترامت بهم أيدي الجياد وطَوّحت ... بهم للمنايا أينُقٌ وسَوام
مُعرَّسُهُم فيها بعرصة كربلا ... أقام البلا والكرب حيثُ أقاموا
زعيمُهُمُ فيها وقائدُهُم لها ... فبورك وضاحُ الجبين هُمام
أبو هِمَمٍ من أحمد الطُهرِ نَبعُها ... لها من عليٍّ صولةٌ وصِدام
كأني به والفيلَقُ اللّجبُ حوله ... وكلٌّ لهام يقتفيه لهام
يُعبّي بقلبٍ ثابتِ الجاشِ جيشَه ... لخوض عبابٍ شبّ فيه ضرامُ
ويرمي بهم زجّ المغاوير غارةً ... كما زُجّ من عُوج القسيّ سهامُ
مُدجّجةً تَغشى الوغى فكأنه ... على الهول للحَرب الضروس لحامُ
أهاجت بهم نحو الهياج على ظما ... نفوسٌ نفيساتٌ كَرُمنَ عِظامُ
فما بَرِحوا كالأسد في حومة الوغى ... لها اليزنيات الرماح أُجام
تكلم هامات الكماة سيوفهم ... ومن عجب عجم لهن كلام
إلى أن تداعَوا بالعوالي وشُيّدَت ... لهم بالمعالي أربُعٌ ومُقام
بأهلي وبي أفدي وحيداً نصيرُهُ ... لذي الرَوع لَدُنٌ ذابّلٌ وحسامُ
إلى أن يَحُلَّ الضيمُ منه بَمِربَع ... وهيهاتَ ربُّ الفخرِ كيف يُضام
بصول كليث الغابَ حين بدت له ... على سَغَبٍ بين الشعاب نعامُ

يُجردّ عَزماً لو يُجرّدُه على هضاب شمامٍ ساخ منه شمام
وأبيضَ مصقولِ الفِرند كأنه صباحٌ تجلّى عن سَناه ظلام
وأسمرَ مثلَ الصِلّ يلوي بكفّه ونفشتُهُ في الزاغبيةِ سامُ
حنانَيْكَ يا معطي البَسالةَ حقّها ومرخِصَ نفسٍ لا تكادُ تُسام
أهلْ لك في وصل المنيةِ مطلَبُ وهل لك في قطعِ الحياةِ مرامُ
وردتَ الردى صادي الفؤاد وساغباً كأنّ الردى شربٌ حَلا وطعام
وأمسيتَ رهن الموت من بعدما جرى بكفك موتٌ للكُماةِ زُؤامُ
ورضّت قِراك الخيلُ من بعدما غَدَت أولو الخيل صرعى منك فهي رمامُ
فما أنت إلا السيفُ كَهَّمَ في الوغى حدودَ المواضي فاعتراهُ كَهام
وليثٌ تغشّاه المنونُ ونابُه وظِفراهُ فيه للدماءِ وشام
فليت أكُفاً حاربَتْكَ تَقطّعَت وأرجلَ بغيٍ جاولتكَ جُذام
وخيلاً غَدَت تردى عليك شوازباً عُقِرن فلا يُلوى لهنَ لجام
أصبتَ فلا يومُ المسرة نيّرٌ ولا قَمَر في ليلهنّ يُشام
ولا رُفِعت للدِين بعدك رايةٌ ولا قامَ للشرعِ الشريفِ قوام
فلا المجدُ مجد بعد ذبح ابن فاطمٍ ولا الفضلُ مرفوعٌ إليه دعام
ألا أنّ يوماً أيّ يومٍ دهَى العُلى وحادثه يُجشى لها ويُقام
وقارعةٍ شلّتْ من الدينِ مرفقاً على مفْرقِ العاني حصىً ورغام
غدَاةَ حسينٍ والمنايا جليّةٌ وليس عليها بُرْقعٌ ولِثام
قضى بين أطرافِ الأسنةِ والظُبا بحرٌ حشىً يُذكي لظاهُ أوام
ومن حولِه أبنا أبيهِ وصحبُهُ كمثلِ الأضاحي غالَهُن جِمام
على الأرض صَرعى من كهولٍ وفتيةٍ فَرَادى على حرِّ الصفا وتَوام
مُرمّلةَ الأجسادِ مثلَ أهلّةٍ عراهُنَّ من مُورِ الرياحِ جَهام
وتلك النساءُ الطاهرات كأنّها قطاً بينَ أجراعِ الطفوفِ هيامُ
يطُفنَ على شُمّ العَرانينِ سادةٍ قضَوا وهُم بيضُ الوجوهِ كرامُ
ويضربن بالأيدي النواصيَ وُلّهاً وأدمعها كالمعصِرات سِجامُ
وتهوي مروعاتٍ بأروعَ أشمطٍ طليقِ المحيّا أن تَعبّسَ عامُ
عفيراً على البوغاء دامٍ وريدُه سقي من يدَي دُهْم الحوادثِ جامُ

فطوراً لها دورٌ عليه وتارةً لهنَّ قعودٌ عندَه وقيام
وأعظمُ شيءٍ أنها في مصابها وحشو حشاها حُرقةٌ وضرام
تُقنعُها بالاصبحيةِ أعبُدٌ وتَسلِبُ منهنّ القناعَ لثام
حواسِر أسرى تُستهانُ بذلةٍ وليس لها من راحمٍ فتُسام
بطارحنَ بالنوح الحَمامَ في الضحى وأني فهل تُجري الدموعَ حَمام

الجزء الثالث: في ولادة ووفاة النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام أو وفيات أعلام الحق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمدُ للهِ الذي يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها. وحتم الجزاء لدى يوم الساعة يوم تدعى كل أمة بإمامها، وسلام الله على أشرف من قبضه إليه، وصلاته المباركة تجزى سرمداً عليه وعلى آله الذين هم أحياء يرزقون عند ربهم، الأئمة المرضيين الذين ما خاب من تمسك بهم، عجل الله لمواليهم الفرج بثاني عشرهم المغيّب، الظاهرُ لعيون بصائر أولي اليقين، وإن كان لحكمة إلهية عن الأبصارِ هو المحجّب.

وبعد: فإنّ المبرور العالم الذي عليه علم العلم خفق، والعاملُ الذي ما لُحق، بمضمار التقوى حين سبق، شيخنا العلامة واضح الحسبين الشيخ شريف خلف، العلامة الشيخ عبد الحسين نجل شيخ الطائفة صاحب الجواهر طاب رمسه وقدّست نفسه، لما رتب بعد ولادة ووفاة النبي وبضعته البتول ابنته ولادات ووفيات ساداتنا الأئمة شفعاء الأمة، وذيلها بصحاح أخبار الحجة إمام العصر، ودونها مخلدة في صحيفة الدهر، مشتملة على ما امتحنوا سلام الله عليهم به في دار الامتحان، معنونة صبرهم أسوة للمتقين من أهل الإيمان، طلبت من الآفاق البعيدة لما بها من النفع واستجلبت صورتها لتطبع صوراً عديدة في أحسن طبع، لتعم منفعتها الخلق، وسميناها: «وفيات أعلام الحق».

نفع الله بها جامعها الجامع للمحامد، وجعلها على إستحقاقه الثواب يوم العرض شواهد.

في بيان ولادة ووفاة خاتم الأنبياء ﷺ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

في بيان ولادة ووفاة خاتم الأنبياء وسيد الأصفياء وبعض مناقبه ومعجزاته

الفصل الأول: في تاريخ ولادته ﷺ وما صدر من العجائب حال الولادة

قد اتفقت الإمامية إلا من شذ منهم على أن ولادته ﷺ كانت في سابع عشر من ربيع الأول، والمخالفون أكثرهم على أنها في الثاني عشر منه، وشاذ منهم على أنه ولد ﷺ في شهر رمضان.

وفي العدد القوية: أنه ولد عند طلوع الفجر من يوم الجمعة سابع عشر من ربيع الأول بعد خمسة وخمسين، أو خمسة وأربعين يوماً، أو ثلاثين يوماً من هلاك أصحاب الفيل، وولد لسبع بقين من ملك أنوشيروان، ويقال: في ملك هرمز ابن أنوشيروان.

وذكر الطبري أن مولده ﷺ: كان لاثنين وأربعين سنة من ملك أنوشيروان.

قال: وقد اشتهر عنه ﷺ أنه قال: ولدت في زمن الملك العادل.

وكانت ولادته ﷺ في الدار المعروفة بدار محمد بن يوسف، وكانت للنبي ﷺ، فوهبها النبي لعقيل بن أبي طالب، فباعها أولاده لمحمد بن يوسف أخ الحجاج فأدخله في داره، فلما كان زمن هارون أخذته أمه خيزران فأخرجته فجعلته مسجداً وهو معروف الآن يزار ويصلى فيه، وفقنا الله للتشرف برؤيته وزيارته والصلاة فيه.

وروى الصدوق (ره) في الإكمال والأمالي: عن أبي طالب، عن عبد المطلب قال: بينما أنا نائم في الحجر، إذ رأيتُ رؤياً أهالتني، فأتيت كاهنةُ قريش وعليّ مطرف خزّ، وجمّتي وهي ما تسدل من شعر الرأس تضرب منكبي يعني لارتعادي واضطرابي، فلما نظرت إليّ عرفت في وجهي التغير فاستوت جالسة وأنا يومئذ سيد قومي، فقالت: ما شأن سيد العرب متغير اللون؟ هل رابهُ من حدثان الدهر ريب؟ فقلت لها: بلى إني رأيت رؤيا الليلة وأنا نائم في الحجر كأن شجرة قد نبتت على ظهري قد نال رأسها

السماء، وضربت بأغصانها الشرق والغرب، ورأيت نوراً يزهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً، ورأيت العرب والعجم ساجدة لها، وهي كل يوم تزداد عظماً ونوراً، ورأيت رهطاً من قريش يريدون قطعها، فإذا دنوا منها أخذهم شاب من أحسن الناس وجهاً، وأنظفهم ثياباً، فيأخُذهم ويكسر ظهورهم، ويقلع أعينهم، فرفعت يدي لأتناول غصناً من أغصانها، فصاح بي الشاب وقال: مهلاً ليس لك فيها نصيب.

فقلت: لمن النصيب والشجرةُ منّي؟

فقال: النصيب لهؤلاء الذين قد تعلّقوا بها وستعود إليها، يعني تلك الجماعة بعد نزاعهم ومشاجرتهم إلى هذه الشجرة، ويؤمنون بها فيكون لهم النصيب منها.

فانتبهت مذعوراً فزعاً متغير اللون، فرأيت لون الكاهنة قد تغير، ثم قالت: لئن صدقت رؤياك ليخرجن ولد من صلبك يملك الشرق والغرب، وينبّأ في الناس، فتسرى عني غمي وهمّي، فانظر أبا طالب لعلك تكون أنت، وكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث، والنبي قد خرج ويقول: كانتِ الشجرةُ والله أبا القاسم الأمين.

وتعبيرُ ذلك الشاب: أمير المؤمنين عليه السلام.

وعن ابن عباس، عن أبيه قال: ولد لعبد المطلب عبدالله، فرأينا في وجهه نوراً يزهر كنور الشمس، فقال: إنّ لهذا الغلام لشأناً عظيماً، قال: فرأيت في منامي أنّه خرج من منخره طائر أبيض، فطار فبلغ المغرب والمشرق، ثم رجع راجعاً حتى سقط على بيت الكعبة فسجدت له قريش كلها، فبينما الناس يتأملونه إذ صار نوراً بين السماء والأرض، وامتدّ حتّى بلغ المشرق والمغرب، فلما انتبهت سألت كاهنة بني مخزوم فقالت: يا عباس لئن صدقت رؤياك ليخرجنّ من صلبه ولد يصير أهل المشرق والمغرب تبعاً له.

قال أبي: فهمّني أمر عبدالله إلى أن تزوج بآمنة، وكانت من أجمل النساء وأتمها خلقاً وخلقاً، فلما مات عبدالله ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وآله، أتيته فرأيت النور بين عينيه يزهر، فحملته وتفرست في وجهه فوجدت منه ريح المسك، وصرت كأني قطعة مسك من شدّة ريحي، فحدثتني آمنة أنها قالت لي: أنه لما أخذني الطلق، واشتد بي الأمر، سمعت جلبة أي أصواتاً عظيمة، وكلاماً لا يشبه كلام الآدميين، ورأيت علماً من سندس على قضيب أخضر من ياقوت قد ضرب بين السماء والأرض، ورأيت نوراً يسطع من رأسه حتى بلغ السماء، ورأيت قصور الشامات كأنها شعلة نار، ورأيت حولي من القطاة أمراً عظيماً وقد نشرت أجنحتها حولي، ورأيت شعيرة الأسدّية قد مرت وهي تقول: يا آمنة ما لقيت الكهان والأصنام من ولدك؟ ورأيت رجلاً شاباً من أتمّ الناس

طولاً، وأشدّهم بياضاً، ما ظننته إلا عبد المطلب قد دنى مني، فأخذ المولود فتفل في فيه، ومعه طشت من ذهب مضروب بالزمرد ومشط من ذهب، فشق بطنه شقاً، ثم أخرج قلبه فشقه، فأخرج منه نقطة سوداء فرمى بها، ثم أخرج صرة من حريرة خضراء ففتحها، فإذا فيها كالذّريرة البيضاء فحشاهُ، ثم رده إلى ما كانَ، ومسح على بطنه، واستنطقه فنطق، فلم أفهم ما قال إلا أنه قال: في أمان الله وحفظه وكلائته، قد حشوت قلبك إيماناً وعلماً وحلماً ويقيناً وعقلاً وشجاعة، أنت خير البشر طوبى لمن اتبعك وويل لمن تخلف عنك، ثم أخرج صرة أخرى من حريرة بيضاء ففتحها، فإذا فيها خاتم النبوة فضرب على كتفه، ثم قال: أمرني ربي أن أنفخ فيك من روح القدس، فنفخ فيه، وألبسه قميصاً، وقال: هذا أمانك من آفات الدنيا. فهذا ما رأيت يا عباس بعيني.

قال العباس: فلم أزل أكتم شأنه ونسيت الحديث فلم أذكره إلى يوم إسلامي حتى ذكّرني رسول الله ﷺ.

وروى الصدوق في الأمالي، عن الصادق عليه السلام قال: كان إبليس لعنه الله يخترق السماوات كلها ويسترق السمع، فلما ولد عيسى عليه السلام منع من ثلاث سماوات وصار يسترق السمع من أربع سماوات، ولما ولد النبي منع من جميع السماوات، ورميت الشياطين بالنجوم، وقالت قريش: هذا قيام الساعة الذي كنا نسمع أهل الكتب يذكرونه؟

وقال عمرو بن أمية: وكان من أرجز الجاهلية: انظروا هذه النجوم التي يهتدى بها، ويعرف بها أزمان الشتاء والصيف، فإن كان رُمي بها فهو هلاك كل شيء، وإن كانت تثبت ورمي بغيرها فهو أمر حدث.

وأصبحت الأصنام صبيحة ولد النبي ﷺ منكوسة، وارتجس في تلك الليلة إيوان كسرى، وسقطت منه أربعة عشر شرفة، وغاضت بحيرة ساوة، وفاض وادي السماوة، وخمدت نيران فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام.

ورأى المؤبذان وهو: حكيم فارس، أو فقيه المجوس في المنام: إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً، قد قطعت دجلة، وانسربت في بلادهم، وانقصم طلق الملك كسرى من وسطه، فانخرقت عليه دجلة العوراء، وانتشر في تلك الليلة نور من قبل الحجاز، ثم استطار حتى بلغ المشرق.

ولم يبق ملك من ملوك الدنيا إلاّ وأصبح سريره منكوساً، والملك مخرساً لا يتكلم يومه ذلك، وانتزع علم الكهنة، وبطل سحر السحرة، ولم تبق كاهنة في العرب إلا حجبت عن صاحبها.

وعظمت قريش في العرب، وسموا آل الله عزوجل.

وإنما سموا آل الله لأنهم في بيت الله الحرام.

وقالت آمنة: أن ابني سقط والله فأتقى الأرض بيده، ثم رفع رأسه إلى السماء فنظر إليها، ثم خرج مني نور أضاء كل شيء، وسمعت في الضوء قائلاً يقول: إنك قد ولدت سيد الناس فسَّميه محمداً، وآتى به عبد المطلب لينظر إليه وقد بلغه ما قالت أمّه، فأخذه ووضعه في حجره ثم قال:

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأردان
أعيذه بالبيت ذي الأركان

ثم عوذه بأركان الكعبة وقال فيه أشعاراً.

قال: وصاح إبليس (لع) في أبالسته فاجتمعوا إليه، فقالوا: ما الذي أفزعك يا سيدنا؟ فقال لهم: ويلكم قد أنكرت السماء والأرض منذ الليلة، لقد حدث في الأرض حدث عظيم ما حدث مثله منذ رفع عيسى بن مريم عليه السلام، فأخرجوا وانظروا ما هذا الحدث الذي قد حدث، فافترقوا ثم اجتمعوا إليه فقالوا: ما وجدنا شيئاً، فقال إبليس(لع): أنا لهذا الأمر، ثم انغمس في الدنيا فجالها حتى انتهى إلى الحرم فوجدهُ محفوفاً بالملائكة، فذهب ليدخل فصاحوا به، فرجع ثم صار مثل الصر وهو العصفور، فدخل من قبل حراء، وهو جبل معروف بمكة، فقال له جبرئيل عليه السلام: وراءك لعنك الله، فقال له: حرف أسألك عنه يا جبرئيل، ما هذا الحدث منذ الليلة في الأرض؟ فقال له: ولد محمد، فقال له: هل لنا فيه نصيب؟ قال: لا، قال: ففي أمته، قال: نعم، قال: رضيت.

وروى الصدوق (ره) وابن شهرآشوب وغيرهما عن آمنة (رض) قالت: لما قربت ولادة النبي صلى الله عليه وآله أصابتني دهشة عظيمة ففزعت من ذلك، فإذا قد دخل عليَّ طير أبيض، ومسح بجناحه على بطني، فزال عني ما كنت أجده من الخوف، فبينا أنا كذلك إذ دخلت عليّ نساء طوال تفوح منهن رائحة المسك والعنبر، وسمعت كلاماً لا يشبه كلام الآدميين وبأيديهن أكواب من البلور الأبيض، قالت آمنة: فقلن لي: اشربي من هذا الشراب، فلما شربت أضاء نور وجهي وعلاه نور ساطع وضياء لامع، ثم قلن: يا آمنة اشربي من هذا الشراب، وابشري بسيد الأولين والآخرين محمد المصطفى صلى الله عليه وآله، ثم قمن النسوة وخرجن، فإذا أنا بأثواب من الديباج قد نشرت بين السماء والأرض، وقائل يقول: خذوه من أعز الناس.

ورأيت رجالاً وقوفاً في الهواء بأيديهم أباريق، ورأيت مشارق الأرض ومغاربها،

ورأيت علماً من سندس على قضيب من ياقوت قد ضرب بين السماء والأرض في ظهر الكعبة، فخرج رسول الله ﷺ، فلما سقط إلى الأرض سجد تلقاء الكعبة رافعاً يديه إلى السماء كالمتضرع إلى ربه، ورأيت سحابة بيضاء تنزل من السماء حتى غشته فسمعت نداء: طوفوا بمحمد ﷺ شرق الأرض وغربها والبحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته، ثم انجلت عنه الغمامة، فإذا أنا به في ثوب أبيض من اللبن وتحته حريرة خضراء، وقد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب، وقائل يقول: قبض محمد على مفاتيح البصيرة والريح والنبوة، ثم أقبلت سحابة أخرى فغيبته عن وجهي أطول من المرة الأولى، وسمعت نداء: طوفوا بمحمد ﷺ شرق الأرض وغربها وأعرضوه على كل روحاني من الجن والإنس والطير والسباع، وأعطوه صفاء آدم عليه السلام، ورقّة نوح، وخلة إبراهيم، ولسان إسماعيل، وجمال يوسف، وبشرى يعقوب، وصوت داود، وزهد يحيى، وكرم عيسى، ثم انكشفت عنه فإذا أنا به وبيده حريرة بيضاء قد طويت طياً شديداً، وقد قبض عليها وقائل يقول: قد قبض محمد على الدنيا كلها، فلم يبق شيء إلا دخل في قبضته.

ثم رأيت ثلاثة نفر كأن الشمس تطلع من وجوههم في يد أحدهم إبريق فضة، ونافحة مسك، وفي يد الثاني طشت من زمردة خضراء لها أربع جوانب، من كل جانب لؤلؤة بيضاء، وقائل يقول: هذه الدنيا قابض عليها يا حبيب الله فقبض على وسطها، وقائل يقول: قبض الكعبة وفي يد الثالث حريرة بيضاء مطوية، فنشرها فأخرج منها خاتماً تحار أبصار الناظرين فيه، فغسل بذلك الطشت من الإبريق سبع مرات، ثم ضرب الخاتم على كتفه، وتفل في فيه، فاستنطقه فنطق، فلم أفهم ما قال إلا أنه قال: في أمان الله وحفظه وكلاءته قد حشوت قلبك إيماناً وعلماً وحلماً ويقيناً وعقلاً وشجاعته، وأنت خير البشر، طوبى لمن اتبعك، وويل لمن تخلف عنك، ثم أدخل بين أجنحتهم ساعة، وكان الفاعل به ذلك رضوان، ثم انصرف وجعل يلتفت إليه ويقول: أبشر يا عز الدنيا والآخرة.

ورأيت نوراً يسطع من رأسه حتى بلغ السماء، ورأيت قصور الشامات كأنها شعلة نار، ورأيت حولي من القطاة أمراً عظيماً قد نشرت أجنحتها.

وقال عبد المطلب: لما انتصفت تلك الليلة وإذا أنا ببيت الله تعالى قد اشتمل بالجوانب الأربع وخر ساجداً في مقام إبراهيم عليه السلام، ثم استوى البيت منادياً: الله أكبر رب محمد الآن قد طهرني ربي من أنجاس المشركين، ثم انتقضت الأصنام وخرت على وجهها، وإذا أنا بطير الأرض حاشرة إليها، وإذا جبال مكة مشرفة عليها وإذا

بسحابة بيضاء بإزاء حجرتها، فأتيت آمنة وقلت: أنائم أنا أو يقظان؟ قالت: بل يقظان قلت: فأين نور وجهك قالت: قد وضعته وهذه الطير تنازعني أن أدفعه إليها فتحمله إلى أعشاشها، وهذه السحابة تظللني لذلك قلت: فهاتيه أنظر إليه قالت: حيل بينك وبينه إلى ثلاثة أيام، فسللت سيفي وقلت: لتخرجينه أو لأقتلنك قالت: شأنك وإياه، فلما هممت أن ألج البيت بادر إليّ من داخل البيت رجل وقال لي: ارجع وراءك فلا سبيل لأحد من ولد آدم إلى رؤيته أو أن تنقضي زيارة الملائكة فارتعدت وخرجت ولما حكى عند عبد المطلب أنه ولد مختوناً مسروراً قال: ليكونن لابني هذا شأن.

الفصل الثاني: في بيان وصيته وسائر الوقائع التي اتفقت عند وفاته ﷺ

روى المفيد والطبرسي: أنه لما تحقق عنده ﷺ دنوّ أجله، جعل يقوم مقاماً بعد مقام في المسلمين، ويحذرهم الفتنة بعده والخلاف عليه، ويؤكد وصايته بالتمسك بسنته والإجماع عليها والوفاق، ويحثهم على الاقتداء بعترته، والطاعة لهم والنصرة والحراسة والاعتصام بهم في الدين، ويزجرهم عن الاختلاف والارتداد، وكان مما قال:

«أيها الناس، إنّي فَرَطكُم، وأنتم واردون عليَّ الحوض، ألا وإنّي سائلُكم يوم القيامة عن الثقلين، فانظُروا كيف تَخْلُفونني فيهما، فإن اللطيف الخبير نبّأني أنهما لن يفترقا حتى يلْقياني، وسألت ربي ذلك فأعطانيه، ألا وإني قد تركتهما فيكم: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولا تسبقوهم فتفرَّقوا، ولا تقصّروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم.

أيها الناس: لا أُلفينّكم بعدي ترجعون كفّاراً، يضرب بعضُكم رقاب بعض، فتلقوني في كتيبةٍ كمَجَرّ السيل الجرار، ألا وأن عليّ بن أبي طالب أخي ووصيي، يقاتل بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله».

وكان يقوم مجلساً بعد مجلس بهذا الكلام ونحوه.

ثم أنه عقد لأُسامة بن زيد الإمرةَ، وندبه أن يخرج بجمهور الأمة حيث أصيب أبوه من بلاد الروم، وأجمع رأيهُ على إخراج جماعة من متقدّمي المهاجرين والأنصار في معسكره، حتى لا يبقى في المدينة عند وفاته ﷺ من يتخلف ويطمع في الرئاسة، والتقدم على الناس بالإمارة، فعقد الإمرة على ما ذكرناه.

وجدَّ في إخراجهم، وأمر أسامة بالبروز عن المدينة بمعسكره إلى الجرف وحث الناس على الخروجِ معه، وحذرهم من الإبطاء عنه.

فبينما هو كذلك إذ عرضت له الشكاية التي توفّي فيها، فلما أحسَّ بالمرض الذي عراه أخذ بيد علي عليه السلام واتبعه جماعةٌ من الناس، وتوجه إلى البقيع فقال لمن أتبعه: «إنّني قد أُمرتُ بالاستغفار لأهل البقيع» فانطلقوا معه حتى وقف بين أظهرهم وقال:

السلام عليكم يا أهل القبور، ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما فيه الناس، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها وآخرها، ثم استغفر لأهل البقيع طويلاً، وأقبل على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «إن جبرئيل كان يعرض عليّ القرآن كل سنة مرة، وقد عرضه عليّ العام مرتين، ولا أراه إلا لحضور أجلي».

ثم قال: «يا عليّ، إني خيرت بين خزائن الدنيا والخلود فيها أو الجنة، فاخترت لقاء ربي والجنة، فإذا أنا متّ فاغسلني واستر عورتي، فإنه لا يراها أحد إلا أكمه».

ثم عاد إلى منزله فمكث ثلاثة أيام موعوكاً، ثم خرج إلى المسجد معصوب الرأس، معتمداً على أمير المؤمنين عليه السلام بيمنى يديه، وعلى الفضل بن عباس باليد الأخرى، حتى صعد المنبر فجلس عليه، ثم قال:

«معاشر الناس، قد حان مني خفوقٌ بين أظهركم، فمن كان عندي له عدة فليأتني أعطه إياها، ومن كان له عليّ دين فليخبرني به.

معاشر الناس، ليس بين الله وبين أحدٍ شيءٌ يعطيه به خيراً أو يصرف به عنه شراً إلا العمل.

أيها الناس، ولا يدَّعي مدّعٍ ولا يتمنى متمنٍ، والذي بعثني بالحق نبياً لا ينجي إلا عمل مع رحمة ولو عصيت لهويت، اللهم هل بلغت؟».

ثم نزل فصلى بالناس صلاةً خفيفةً، ثم دخل بيته، وكان إذ ذاك في بيت أم سلمة فأقام به يوماً أو يومين.

فجاءت عائشة إليها تسألها أن تنقله إلى بيتها، وسألت أزواج النبي ﷺ في ذلك، فأذن لها، فانتقل ﷺ إلى بيتها الذي تسكنه عائشة، واستمر المرض به أياماً وثقل.

فجاء بلال عند صلاة الصبح ورسول الله ﷺ مغمور بالمرض، فنادى: الصلاة يرحمكم الله، فأذن بندائه فقال: «يصلي بالناس بعضهم فإنني مشغول بنفسي».

فقالت عائشةُ: مروا أبا بكر، وقالت حفصة: مروا عمر.

فقال رسول الله ﷺ حين رأى ذلك: «أكففْنَ فإنكنَّ صويحبات يوسف».

ثم قام ﷺ مبادراً خوفاً من تقدم أحد الرجلين، وقد كان أمرهما بالخروج مع أسامة، ولم يكن عنده علم أنهما لم يخرجا.

فلما سمع بذلك علم أنهما متأخران عن أمره، فبادر لكفّ الفتنة وإزالة الشبهة، وهو لا يستقل على الأرض من الضعف، أخذ بيد عليّ والفضل بن عباس ورجلاه تخطان الأرض من الضعف.

فلما خرج إلى المسجد وجد أبا بكرٍ قد سبق إلى المحراب، فأومأ بيده أن تأخر فتأخر، وقام رسول الله ﷺ مقامه، وكبر وابتدأ الصلاة التي كان ابتدأها أبو بكر، ولم يبنِ على ما مضى من فعاله.

فلما سلّم إنصرف إلى منزله، واستدعى أبا بكر وعمر وجماعة ممن حضر المسجد من المسلمين ثم قال: «ألم آمركم أن تنفذوا جيش أسامة؟!» فقالوا: بلى، فقال ﷺ: قال: «فلم تأخرتم عن أمري؟».

فقال أبو بكر: إني خرجت ثم رجعت لأجدد بك عهداً.

وقال عمر: يا رسول الله إني لم أخرج لأنّني لم أحب أن أسأل عنك الركُبَ فقال النبي: «فانفذُوا جيش أُسامة فانفذُوا جيش أسامة» كررها ثلاثاً، ثم أغمي عليه من التعب، فمكث هنيهة، فبكى المسلمون وارتفع النحيب من أزواجه وجميع من حضر.

فأفاق رسول الله ﷺ فنظر إليهم، ثم قال: «ائتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً»، فقال له الرجل: إرجع فإنه ليهجر.

فاختلف أهل ذلك البيت منهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله، ومنهم من يقول: القول ما قال الرجل، فلما كثر الاختلاف، قال رسول الله: قوموا، فكان ابن عباس يقول: الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب.

وروى الكليني، عن الكاظم عليه السلام قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أليس كان أمير المؤمنين عليه السلام كاتب الوصية، ورسول الله المملي عليه، وجبرئيل والملائكة شهود؟ قال: فأطرق طويلاً ثم قال: يا أبا الحسن قد كان ما قلت، ولكن حين نزل برسول الله ﷺ الأمر، نزلت الوصية من عند الله كتاباً مسجّلاً، نزل به جبرئيل عليه السلام مع أمناء الله تبارك وتعالى من الملائكة، فقال جبرئيل: يا محمد مر بإخراج من عندك إلا وصيك ليقبضها من عندك، وتشهدنا بدفعك إياها إليه ضامناً لها - يعني علياً - فأمر النبي ﷺ بإخراج من كان في البيت ما خلا علياً وفاطمة بين الستر والباب، فقال جبرئيل: يا محمد ربك يقرئك السلام، ويخصك بالتحية والإكرام ويقول:

هذا كتابُ ما كنت عهدت إليك، وشرَطت عليكَ، وشهدت به عليك وأشهدت به

عليك ملائكتي، وكفى بي شهيداً يا محمد، قال: فارتعدت مفاصل النبي ﷺ وقال: يا جبرئيل ربي هو السلام، ومنه السلام، وإليه يعود السلام، صدق عزّ وجل، هات الكتاب، فدفعه إليه وأمره بدفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: إقرأه، فقرأه حرفاً حرفاً، فقال له: يا علي! هذا عهد ربي إليّ، وشرطه عليّ وأمانته وقد بلغت ونصحت وأديت، فقال عليّ عليه السلام: وأنا أشهد لك بأبي أنت وأمي بالبلاغ والنصيحة والتصديق على ما قلت، ويشهد لك سمعي وبصري ولحمي ودمي، فقال جبرئيل عليه السلام: وأنا لكما على ذلك من الشاهدين.

فقال رسول الله ﷺ: يا عليّ أخذت وصيتي وعرفتها، وضمنت لله ولي الوفاء بما فيها؟

فقال عليّ عليه السلام: نعم بأبي أنت وأمي علي ضمانها، وعلى الله عوني وتوفيقي على أدائها.

فقال رسول الله ﷺ: يا علي إني أريد أن أشهد عليك بموافاتي بها يوم القيامة.

فقال عليّ: نعم اشهد.

فقال ﷺ: إن جبرئيل وميكائيل فيما بيني وبينك الآن، وهما حاضران معهما الملائكة المقربون لأشهدهم عليك، ليشهدوا، وأنا بأبي وأمي اشهدهم فأشهدهم رسول الله ﷺ، وكان فيما اشترط عليه النبي ﷺ بأمر جبرئيل عليه السلام فيما أمره الله عزّ وجلّ أن قال له: «يا علي تفي بما فيها من موالاة ولي الله ومعاداة عدو الله، والبراءة منه على الصبر منك على كظم الغيظ، وعلى ذهاب حقك، وغصب خمسك، وانتهاك حرمتك، فقال: نعم يا رسول الله.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لقد سمعت جبرئيل يقول للنبي ﷺ: يا محمّد عرّفه أنه تنتهك الحرمة وهي حرمة الله، وحرمة رسوله ﷺ وعلى أن تخضب لحيته من رأسه بدمه.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: فصعقت حين سمعت الكلمة من جبرئيل عليه السلام حتى سقطت على وجهي، وقلت: نعم قبلت ورضيت، وإن انتهكت الحرمة وعطلت السنن، ومزق الكتاب، وهدمت الكعبة، وخضبت لحيتي من رأسي بدمي صابراً محتسباً أبداً، حتى أقدم عليك، ثم دعى رسول الله ﷺ فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأعلمهم مثل ما أعلم أمير المؤمنين، فقالوا مثل قوله عليه السلام، فختمت الوصية بخواتيم من ذهب لم تمسه النار، ودفعت إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

وروى المفيد أن النبي ﷺ ثقل وحضره الموت وأمير المؤمنين حاضر عنده. فلما قرب خروج نفسه قال له: يا علي ضع رأسي في حجرك، فقد جاء أمر الله، فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك، ثم وجهني إلى القبلة وتول أمري، وصل عليّ أول الناس، ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي، فأخذ علي عليه السلام رأسه ووضعه في حجره فأغمي عليه، فانكبت فاطمة عليها السلام تنظر في وجهه وتبكي وتقول:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ففتح رسول الله ﷺ عينه وقال بصوت ضئيل: يا بنيّة، هذا قول عمك أبي طالب، لا تقوليه، ولكن قولي: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] فبكت طويلاً فأومأ إليها بالدنو منه، فدنت منه فأسر إليها شيئاً تهلل وجهها له، ثم قبض ﷺ ويد أمير المؤمنين عليه السلام تحت حنكه ﷺ ففاضت نفسه فيها فرفعها إلى وجهه فمسحه بها، ثم وجهه وغمضه ومد عليه إزاره واشتغل بالنظر في أمره.

الفصل الثالث: في بيان وفاته ﷺ وكيفية غسله وتكفينه ودفنه والصلاة عليه

المشهور بين العامة والخاصة أن وفاته ﷺ كانت في يوم الاثنين، وأكثر الخاصة أن ذلك في يوم الثامن والعشرين من صفر، وأكثر العامة أنه الثاني عشر من ربيع الأول، وبعضهم ثامنه، وبعضهم عاشره، وبعضهم ثامن عشره، ولا خلاف في أن عمره كان حينئذ ثلاثة وستين سنة، وأنه بعد مضي عشر سنين من الهجرة.

وروى الصدوق (ره) في الأمالي، عن ابن عباس قال: لما مرض النبيّ ﷺ وعنده أصحابه قام إليه عمار فقال: فداك أبي وأمي يا رسول الله من يغسلك منا إذا كان ذلك منك؟ قال: ذاك عليّ بن أبي طالب، لأنه لا يهم بعضو من أعضائي إلا أعانته الملائكة على ذلك.

فقال له: يا رسول الله ومن يصلي عليك منا إذا كان ذلك منك؟ قال: مه رحمك الله، ثم قال لعلي عليه السلام: يابن أبي طالب إذا رأيت روحي قد فارقت جسدي فاغسلني، وانق غسلي وكفني في طمري هاذين، أو في بياض مصر وبرد يماني، ولا تغال في كفني، واحملوني حتى تضعوني على شفير قبري، فأول من يصلي عليّ الجبار من فوق عرشه، ثم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في جنود من الملائكة، ثم الحافون بالعرش، ثم

سكان أهل سماء فسماء، ثم جلّ أهل بيتي ونسائي الأقربون فالأقربون، يؤمون إيماء، ويسلمون تسليماً، لا يؤذوني بصوت نادبة ولا مرنة.

ثم قال ﷺ: يا بلال هلم عليّ بالناس، فاجتمع الناس وخرج ﷺ متعصباً بعمامته متوكئاً على فرسه حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

معاشر أصحابي أي نبي كنت لكم؟ ألم أجاهد بين أظهركم؟ ألم تنكسر رباعيتي؟ ألم يعفر جبيني؟ ألم تسل الدماء على حرّ وجهي حتى كنفت لحيتي؟ ألم أكابد الشدة مع جهال قومي؟ ألم أربط حجر المجاعة على بطني؟ قالوا: بلى يا رسول الله، لقد كنت يا رسول الله صابراً، وعن منكر بلاء الله ناهياً، فجزاك الله عنا أفضل الجزاء، قال: وأنتم فجزاكم الله، ثم قال: إن الله حكم وأقسم أن لا يجوزه ظلم ظالم، فناشدتكم بالله أي رجل منكم كانت له قبل محمد مظلمة فليقتص منه، فالقصاص في دار الدنيا أحب إليّ من القصاص في الآخرة على رؤوس الملائكة والأنبياء، فقام إليه رجل من أقصى القوم يقال له: سوادة بن قيس فقال: يا رسول الله إنك لما أقبلت من الطائف استقبلتك وأنت على ناقتك العضباء، وبيدك القضيب الممشوق، فرفعت القضيب وأنت تريد الراحلة فأصاب بطني، فلا أدري عمداً أو خطأ، فقال: «معاذ الله أن أكون تعمدت».

ثم قال: «يا بلال قم إلى منزل فاطمة فأتني بالقضيب الممشوق، فخرج بلال وهو ينادي في سكك المدينة: من ذا الذي يعطي القصاص من قبل يوم القيامة، وطرق بلال الباب على فاطمة عليها السلام وهو يقول: يا فاطمة قومي! فوالدك يريد القضيب الممشوق، فأقبلت فاطمة وهي تقول: يا بلال وما يصنع والدي بالقضيب، وليس هذا يوم القضيب؟ فقال بلال: يا فاطمة أما علمت إن أباك قد صعد المنبر وهو يودع أهل الدين والدنيا، فصاحت فاطمة: واغماه لغمك يا أبتاه، من للفقراء والمساكين وابن السبيل يا حبيب الله، وحبيب القلوب؟ ثم ناولت بلالاً القضيب، فخرج حتى ناوله رسول الله فقال رسول الله ﷺ: أين الشيخ؟ قال: ها أنا ذا يا رسول الله بأبي أنت وأمي فقال: تعال واقتص مني حتى ترضى، فقال الشيخ: فاكشف لي عن بطنك فكشف ﷺ عن بطنه، فقال الشيخ: بأبي أنت وأمي أتأذن لي أن أضع فمي على بطنك؟ فأذن له، فقال: أعوذ بموضع القصاص من بطن رسول الله من النار، فقال رسول الله: يا سوادة أتعفو أم تقتص؟ فقال: بل أعفو، فقال: «اللهم اعف عن سوادة كما عفى عن نبيك محمد».

ثم قام ﷺ فدخل بيت أم سلمة وهو يقول: ربي سلم أمة محمد من النار، فقالت أم سلمة: مالي أراك مغموماً؟ فقال: نعيت إليّ نفسي فسلام لك في الدنيا، فلا تسمعين بعد هذا اليوم صوت محمداً أبداً، فقالت أمّ سلمة: واحزناه، حزناً لا تدركه الندامة

عليك يا محمداه، ثم قال: ادعوا لي حبيبة قلبي وقرة عيني فاطمة، ثم أغمي عليه، فجاءت فاطمة عليها السلام وهي تقول: نفسي لنفسك الفداء ووجهي لوجهك الوقاء، فقال لها: يا بنية إني مفارقك، فسلام عليك مني، قالت: يا أبتاه فأين الملتقى يوم القيامة؟ قال: عند الحساب، قالت: فإن لم ألقك؟ قال: عند الشفاعة، قالت: فإن لم ألقك؟ قال: عند الصراط، جبرئيل عن يميني، وميكائيل عن شمالي، والملائكة من خلفي وقدامي، ينادون: ربِّ سلم أمة محمد من النار، قالت فاطمة: فأين والدتي؟ قال: في قصر له أربعة أبواب إلى الجنة. ثم أغمي عليه صلى الله عليه وآله فدخل بلال وهو يقول: الصلاة يرحمك الله، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وصلى بالناس وخفف الصلاة، ثم قال: ادعوا لي علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد، فجاءا فوضع عليه السلام يده على عاتق علي، والأخرى على أسامة، ثم قال: إنطلقا بي إلى منزل فاطمة، فجاءآ به حتى وضع رأسه في حجرها، فإذا الحسن والحسين عليهما السلام يبكيان وهما يقولان: أنفسنا لنفسك الفداء، ووجوهنا لوجهك الوقاء، فسمع صوتهما فقال: من هذان يا علي؟ قال: هذان إبناك، فعانقهما وقبلهما، وكان الحسن عليه السلام أشد بكاء، فقال: كف يا حسن فقد شققت عليّ.

فنزل ملك الموت، وقال: السلام عليك يا رسول الله، فقال: وعليك السلام يا ملك الموت، لي إليك حاجة، قال: ما حاجتك يا نبي الله؟ قال: أن لا تقبض روحي حتى يجيئني جبرئيل فيسلم عليّ وأسلم عليه، فخرج ملك الموت وهو يقول: يا محمداه، فاستقبله جبرئيل عليه السلام فقال: يا ملك الموت هل قبضت روح محمد؟ قال: لا يا جبرئيل، سألني أن لا أقبض روحه حتى يلقاك ويسلم عليك وتسلم عليه، فقال: يا ملك الموت أما ترى أبواب السماء قد تفتحت لروح محمد؟ أما ترى حور العين قد تزيَّنت لروح محمد صلى الله عليه وآله؟ نزل جبرئيل، فقال: السلام عليك يا أبا القاسم، قال: وعليك السلام حبيبي جبرئيل، أدن مني فدنى منه، فنزل ملك الموت، فقال له جبرئيل: إحفظ وصية الله في محمد صلى الله عليه وآله، وكان جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، وملك الموت آخذ بروحه، فلما كشف الثوب عن وجه رسول الله نظر إلى جبرئيل فقال: عند الشدائد تخذلني؟ فقال: يا محمد إنك ميت وإنهم ميتون، كل نفس ذائقة الموت.

قال ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في ذلك المرض يقول: أدعوا لي حبيبي، فجعل يُدعى له رجل بعد رجل، فيعرض عنه، فقيل لفاطمة، امضي إلى علي فما نرى رسول الله يريد غيره، فبعثت فاطمة إلى علي عليه السلام، فلما دخل فتح عينيه وتهلل وجهه ثم قال: إليّ يا علي، فما زال يدنيه حتى أخذ بيده وأجلسه عند رأسه، ثم أغمي عليه،

فجاء الحسن والحسين عليهما السلام يصيحان ويبكيان حتى وقفا على رسول الله عليه السلام فأراد عليّ أن ينحيهما عنه ﷺ، فأفاق رسول الله، فقال: يا علي دعني أشمهما ويشماني ويتزودا مني، أما أنهما سيظلمان بعدي ويقتلان ظلماً، فلعنة الله على من يظلمهما، يقول ذلك ثلاثاً، ثم مد يده إلى علي فجذبه إليه حتى أدخله تحت ثوبه الذي كان عليه، ووضع فاه على فيه، وجعل يناجيه طويلاً حتى خرجت روحه الطيبة فانسلّ عليّ من تحت ثيابه وقال: عظم الله أجوركم في نبيكم، فقد قبضه الله إليه، فارتفعت الأصوات بالصيحة والبكاء: فقيل لأمير المؤمنين عليه السلام: ما الذي ناجاك به ﷺ حين أدخلك تحت ثيابه؟ فقال: علمني ألف باب، ينفتح لي من كل باب ألف باب.

وعن الباقر عليه السلام قال: لما حضرت النبي ﷺ الوفاة استأذن عليه رجل، فخرج إليه عليّ عليه السلام، فقال: ما حاجتك؟ فقال: أريد الدخول على النبي، قال عليّ، لست تصل إليه فما حاجتك؟ قال: لا بد لي من الدخول عليه، فدخل عليّ عليه السلام واستأذن النبي ﷺ، فأذن له، فدخل وجلس عند رأس النبي ثم قال: يا نبي الله: إن الله أرسلني إليك قال: وأيّ رسول أنت، قال: أنا ملك الموت، أرسلني إليك ليخيرك بين لقائه والرجوع إلى الدنيا، فقال له النبي ﷺ: أمهلني حتى ينزل جبرئيل عليه السلام فاستشيره، فنزل جبرئيل، فقال: يا رسول الله الآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى، لقاء الله خير لك، فقال: لقاء ربي خير لي فامض إلى ما أمرت به، فقال جبرئيل لملك الموت: لا تعجل حتى أعرج إلى ربي وأهبط، فقال ملك الموت: لقد صارت نفسه في موضع لا أقدر على تأخيرها، فعند ذلك قال جبرئيل: هذا آخر هبوطي إلى الدنيا، إنما كنت حاجتي فيها.

وعن الباقر عليه السلام قال: قال الناس: كيف الصلاة على النبي ﷺ؟ فقال عليّ: أن رسول الله أمامنا حياً وميتاً، فدخل عليه عشرة عشرة، فصلوا عليه يوم الاثنين، وليلة الثلاثاء حتى الصباح، ويوم الثلاثاء حتى صلى كبيرهم وصغيرهم، وذكرهم وأنثاهم، وضواحي المدينة بغير إمام.

وكفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب: برد أحمر حبرة، وثوبين أبيضين صحاريين، قيل: وكيف صلّى عليه؟ قال: سجيّ بثوب، وجعل وسط البيت، فإذا دخل قوم داروا به وصلوا عليه ودعوا له، ثم يخرجون ويدخل آخرون، ثم دخل عليّ عليه السلام القبر فوضعه على يديه، وأدخل معه الفضل بن العباس فقال رجل من الأنصار: وهو الأوس بن الخولى أنشدكم الله: أن لا تقطعوا حقنا فقال له علي: أدخل فدخل معهما، فسألته أين وضع السرير؟ فقال: عند رجل القبر، وسل سلا.

وعائشة في الحجرة لا تعلم قد أخذ جبرئيل ببصرها.

ولما قبض رسول الله ﷺ بات آل محمد بأطول ليلة حتى ظنوا أن لا سماء تظلهم، ولا أرض تقلهم، لأن رسول الله وتر الأقربين والأبعدين في الله، فبينما هم كذلك إذ أتاهم آتٍ يسمعون كلامه ولا يرونه فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، إن في الله عزاء من كل مصيبة، ودركاً لما فات ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] إن الله اختاركم وفضلكم وطهركم وجعلكم أهل بيت نبيه ﷺ، واستودعكم علمه، وأورثكم كتابه، وجعلكم تابوت علمه، وعصا عزه، وضرب لكم مثلاً من نوره، وعصمكم من الزلل، وآمنكم من الفتن، فتعزوا بعزاء الله، فإن الله لن ينزع منكم رحمته، ولن يزيل عنكم نعمته، فأنتم أهل الله عزّوجلّ الذين بهم تمت النعمة، وائتلفت الفرقة، واجتمعت الكلمة، وأنتم أولياء الله، فمن تولاكم فاز، ومن ظلم حقكم زهق، مودتكم من الله واجبة في كتابه على عباده المؤمنين، ثم أنه على نصركم إذا يشاء قدير، فاصبروا لعواقب الأمور فإنها إلى الله تصير، قد قبلكم من نبيه وديعة، واستودعكم أولياءه المؤمنين في الأرض، فمن أدى أمانته أتاه صدقة، فأنتم الأمانة المستودعة، ولكم المودة الواجبة، والطاعة المفروضة، وقد قبض رسول الله ﷺ وقد أكمل لكم الدين، وبين لكم سبيل المخرج، فلم يترك لجاهل حجة، فمن جهل أو تجاهل أو أنكر أو نسيَ أو تناسى فعلى الله حسابه، والله من وراء حوائجكم، واستودعكم الله والسلام عليكم.

قال الراوي: وسألت أبا جعفر عليه السلام ممن أتتهم التعزية؟ فقال: من الله.

وقال الصادق: سمت اليهودية النبيّ ﷺ في ذراع، وكان النبي يحب الذّراع والكتف، ويكره الورك لقربها من المبال، ولما أتي بالشواء أكل من الذّراع ما شاء الله، ثم قال الذّراع: يا رسول الله إني مسموم فتركه، وما زال ينتفض به السم حتى مات ﷺ.

وسأل أحد الأئمة: هل اغتسل علي عليه السلام حين غسّل رسول الله عند موته؟ فأجابه: النبي طاهر مطهر، ولكن أمير المؤمنين فعل، وجرت السنّة بذلك.

في أحوال سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام

الفصل الأول: في ولادتها وأسمائها

المشهور في ولادتها أنها في العشرين من جمادى الآخرة لسنتين من البعثة يوم الجمعة.

وفي الكافي، عن الباقر عليه السلام أن ولادتها بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس سنين وتوفيت ولها ثمانية عشر سنة وخمسة وسبعون يوماً.

والعامة تروي: أن مولدها قبل البعث بخمس سنين.

وروى القمي، عن الصادق عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكثر تقبيل فاطمة عليها السلام فأنكرت ذلك عائشة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عائشة إنّي لما أسرى بي إلى السماء دخلت الجنة فأدناني جبرئيل من شجرة طوبى وناولني من ثمارها فأكلت فحوّل الله ذلك ماء في ظهري فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة فما قبلتها إلا وجدت رائحة شجرة طوبى.

روى الصدوق (ره) في الأمالي، عن الصادق عليه السلام قال: إن خديجة عليها السلام لما تزوج بها رسول الله صلى الله عليه وآله، هجرتها نسوة مكة، فكنَّ لا يدخلن إليها ولا يسلمن عليها، ولا يتركن إمرأة تدخل عليها، فاستوحشت من ذلك، وكان جزعها وغمها حذراً عليه صلى الله عليه وآله، فلما حملت بفاطمة كانت فاطمة عليها السلام تحدثها من بطنها وتصبرها وكانت تكتم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله، فدخل يوماً فسمع خديجة تحدث فاطمة عليها السلام فقال: يا خديجة من تحدثين؟ قالت: إن الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسني قال: يا خديجة إن جبرئيل يخبرني أنها أنثى، وأنها النسلة الطاهرة، وأن الله سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمة، ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه.

فلم تزل خديجة على ذلك إلى أن حضرت ولادتها، فوجهت إلى نساء قريش وبني هاشم أن تعالين لتلين منّي ما تلي النساء من النساء فأرسلن إليها: أنت عصيتنا وتزوّجت محمداً يتيم أبي طالب فقيراً لا مال له، فلسنا نجيء إليك، فاغتمت خديجة عليها السلام، فبينما هي كذلك إذ دخلت عليها أربع نسوة سمر طوال كأنهنَّ من نساء بني هاشم ففزعت لما رأتهنَّ، فقالت إحداهنَّ: لا تحزني يا خديجة إنّا رسل الله إليك، ونحن أخواتك، أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم، وهذه مريم بنت عمران، وهذه كلثم أخت

موسى بن عمران، بعثنا الله إليك لنلي منك ما تلى النساء، فجلست واحدة عن يمينها، وأخرى عن يسارها، والثالثة بين يديها والرابعة من خلفها، فوضعت فاطمة طاهرة مطهرة.

فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتى دخل بيوت مكة، ولم يبق في شرق الأرض وغربها موضع إلا أشرق فيه ذلك النور، ودخلت عشرة من الحور العين، كل واحدة منهن معها طشت من الجنة، وإبريق، وفي الإبريق ماء من الكوثر، فتناولته المرأة التي بين يديها فغسلتها بماء الكوثر، وأخرجت خرقتين بيضاوين أشدَّ بياضاً من اللبن وأطيب ريحاً من المسك والعنبر، فلفتها بواحدة، وقنعتها بالثانية، ثم استنطقتها فنطقت فاطمة الزهراء عليها السلام بالشهادتين وقالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن أبي رسول الله سيد الأنبياء، وأن بعلي سيد الأوصياء، وولدي سادات الأسباط، ثم سلمت عليهن، وسمت كل واحدة باسمها وأقبلن يضحكن إليها، وتباشرت الحور العين، وبشر أهل السماء بعضهم بعضاً بولادة فاطمة عليها السلام، وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك وقالت النسوة: خذيها يا خديجة بورك فيها وفي نسلها، فتناولتها فرحة مستبشرة وألقمتها ثديها فكانت تنمو في اليوم كما ينمو الصبي في الشهر وكانت تنمو في الشهر كما ينمو الصبي في السنة.

الفصل الثاني: في بعض مناقبها العجيبة ومعجزاتها الغريبة

قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله دخل على ابنته فاطمة عليها السلام، فإذا في عنقها قلادة فأعرض عنها، فقطعتها ورمت بها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنتِ منّي يا فاطمة، ثمَّ جاء سائل فناولته القلادة، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اشتد غضب الله وغضبي على من أهرق دمي، وآذاني في عترتي.

وروى المخالفون قال: أقبلت فاطمة تمشي لا والله الذي لا إله إلا هو ما مشيتها تخرم مشية رسول الله، فلما رآها قال: مرحباً بابنتي مرَّتين، ثم قال: أما ترضين أن تأتي يوم القيامة سيدة نساء هذه الأمة.

قال سلمان الفارسي: كانت فاطمة جالسة وقدامها رحى تطحن بها شعيراً، وقد جرحت يدها، وعلى عمود الرحى دم سائل، والحسين عليه السلام في ناحية الدار يتضور من الجوع، فقلت: يا بنت رسول الله دبرت كفاك وهذه فضة هنا، فقالت: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله أن تكون الخدمة عليها يوماً وعليّ يوماً، فكان أمس يوم خدمتها، قال سلمان: إني مولى عتاقه أما تأمريني أن أطحن الشعير، أو أسكت الحسين عليه السلام؟ فقالت: أنا

بتسكيته أرفق منك، فطحنت شيئاً من الشعير، فإذا أنا بإقامة الصلاة فمضيت وصليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما فرغت قلت لعلي عليه السلام: ما رأيت، فبكى وخرج ثمّ عاد فتبسم، فسأله عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: دخلت على فاطمة وهي مستلقية لقفاها، والحسين نائم على صدرها، وقدّامها الرحى تدور من غير يد، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا عليّ أما علمت أن لله ملائكة سيارة في الأرض تخدم محمداً وآل محمد.

وروى الشيخ، والعياشي وغيرهما: عن الباقر عليه السلام وأبي سعيد الخدري قال: أصبح علي أبي بن طالب ذات يوم ساغباً، فقال: يا فاطمة هل عندك شيء تغذينيه؟

فقالت: لا والذي أكرم أبي بالنبوة، وأكرمك بالوصية ما أصبح الغداة عندي شيء، وما كان شيء أطعمناه منذ يومين إلا شيء كنت أؤثرك به على نفسي وعلى ابني هذين.

فقال عليّ: يا فاطمة ألا أخبرتيني فأبغيكم شيئاً.

فقالت: يا أبا الحسن إني لأستحيي أن تكلف نفسك ما لا تقدر عليه، فخرج عليّ من عند فاطمة عليها السلام واثقاً بالله بحسن الظنّ، فاستقرض ديناراً، فبينا الدّينار في يد علي عليه السلام يريد أن يبتاع لأهله ما يصلحهم، فتعرَّض له المقداد في يوم شديد الحرّ قد لوحته الشمس من فوقه وآذته من تحته، فلما رآه علي بن أبي طالب عليه السلام أنكر شأنه، قال: يا مقداد ما أزعجك هذه الساعة عن رحلك؟

قال: يا أبا الحسن خل سبيلي ولا تسألني عما ورائي.

فقال: يا أخي أنه لا يسعني أن تجاوزني حتى أعلم علمك.

فقال له: يا أبا الحسن رغبة إلى الله وإليك أن تخلي سبيلي ولا تكشفني عن حالي.

فقال له: يا أخي إنه لا يسعك أن تكتمني حالك.

فقال: يا أبا الحسن أما إذا أبيت، فوالذي أكرم محمداً بالنبوة وأكرمك بالوصية، ما أزعجني من رحلي إلا الجهد، وقد تركت عيالي يتضوعون من الجوع، فلما سمعت بكاء العيال لم تحملني الأرض، فخرجت مهموماً، راكباً رأسي، هذه حالي وقصتي.

فانهملت عينا عليّ عليه السلام بالدموع، فقال له: أحلف بالذي حلفت ما أزعجني إلا الذي أزعجك من رحلك، فقد استقرضت ديناراً وآثرتك على نفسي.

فدفع الدينار إليه ورجع حتى دخل المسجد مسجد النبي صلى الله عليه وآله، فصلى فيه الظهر والعصر والمغرب، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله المغرب مرّ بعلي وهو في الصف الأول

فغمزه برجله، فقام عليّ عليه السلام متعقباً خلف رسول الله صلى الله عليه وآله حتى لحقه على باب المسجد، فسلم عليه فرد رسول الله صلى الله عليه وآله السلام فقال: : يا أبا الحسن هل عندك شيء نتعشاه فنميل معك؟ فمكث مطرقاً إلى الأرض لا يرد جواباً حياء من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو يعلم ما كان من أمر الدينار ومن أين أخذه، وأين وجّهه، وقد كان أوحى الله إلى نبيه أن يتعشى الليلة عند علي عليه السلام، فلما نَظر رسولُ الله إلى سكوت علي عليه السلام فقالَ يا أبا الحسن: مالك لا تقول لا فأنصرف، أو تقول: نعم فأمضي معك؟.

فقال: حياءً وتكرماً فاذهب بنا.

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله يد عليّ بن أبي طالب عليه السلام فانطلقا حتى دخلا على فاطمة عليها السلام وهي في مصلاها قد قضت صلاتها، وخلفها جفنة تفور دخاناً.

فلما سمعت كلام رسول الله صلى الله عليه وآله في رحلها خرجت من مصلاها فسلمت عليه، فرد عليها السلام ومسح بيده على رأسها، وقال لها: يا بنتاه كيف أمسيت؟ رحمك الله، عشينا غفر الله لك وقد فعل.

فأخذت الجفنة فوضعتها بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام، فلما نظر علي عليه السلام وشم ريحه رمى فاطمة ببصره رمياً شديداً.

قالت له فاطمة: سبحان الله ما أشحَّ نظرك وأشدَّه، هل أذنبت فيما بيني وبينك ذنباً أستوجب به السخطة؟

قال عليّ عليه السلام: وأيّ ذنب أصبتيه أعظم من هذا؟ أليس عهدي إليك اليوم الماضي وأنت تحلفين بالله مجتهدة ما طعمنا طعاماً منذ يومين؟!

قال: فنظرت إلى السماء، فقالت: إلهي يعلم في سمائه ويعلم في أرضه أني لم أقل إلا حقاً.

فقال لها: يا فاطمة أنى لكِ هذا الطعام الذي لم أر مثل لونه قط؟ ولم أشم مثل ريحه قط؟ وما أكلت أطيب منه قط؟

قال: فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله كفه الطيبة بين كتفي علي عليه السلام فغمزها، فقال: يا علي هذا بدل دينارك، وهذا جزاء دينارك من عند الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]، ثم استعبر النبي صلى الله عليه وآله باكياً، وقال: الحمد لله الذي أبي لكما أن تخرجا من الدنيا، ولا يجريكما مجرى زكريا ومريم بنت عمران ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

الفصل الثالث: في كيفية تزويجها بأمير المؤمنين عليه السلام

قال المفيد وابن طاووس وأكثر علمائنا(ره): إن تزويجها كان في ليلة الخميس ليلة إحدى وعشرين من المحرم، سنة ثلاث من الهجرة.

وقد روى الخاصة والعامة، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وأم سلمة، وسلمان قالوا: أنه لما أدركت فاطمة عليها السلام بنت محمد مدرك النساء، خطبها أكابر قريش من أهل الفضل والسابقة في الإسلام، والشرف والمال، وكان كلما ذكرها رجل من قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله أعرض عنه بوجهه، حتى كان الرجل منهم يظن في نفسه أن رسول الله صلى الله عليه وآله ساخط عليه أو قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله فيه وحي من السماء.

ولقد خطبها منه صلى الله عليه وآله أبو بكر وعمر فقال: أمرها إلى ربها، وأن أبا بكر وعمر وسعد بن معاذ الأنصاري، كانوا ذات يوم جالسين في المسجد فتذاكروا أمر فاطمة عليها السلام، وأنه قد خطبها الأشراف من رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إن أمرها إلى ربها إن شاء أن يزوجها زوَّجها، وأن علياً لم يخطبها ولم يذكرها، ولا أراه يمنعه من ذلك إلا قلة ذات يده، وأنه يقع في نفسي أن الله ورسوله صلى الله عليه وآله إنما يحبسانها عليه، فهل لكم في القيام إلى علي؟ فنذكر له ذلك، فإن منعه قلة ذات اليد واسيناه.

فخرجوا من المسجد والتمسوا علياً في منزله فلم يجدوه، وكان ينضح ببعير له الماء على نخل رجل من الأنصار بأجرة، فانطلقوا نحوه، فلما نظر إليهم عليّ عليه السلام قال: ما ورائكم ما الذي جئتم له؟ فقال أبو بكر: يا أبا الحسن إنه لم تبق خصلة من خصال الخير إلا ولك فيها سابقة، وأنت من رسول الله صلى الله عليه وآله بالمكان الذي عرفت من القرابة والصحبة والسابقة، وقد خطب الأشراف من قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: أمرها إلى ربها إن شاء زوجها زوجها، فما يمنعك أن تذكرها لرسول الله صلى الله عليه وآله وتخطبها منه.

قال: فتغرغرت عينا علي عليه السلام بالدموع، وقال: يا أبا بكر لقد هيجت مني ساكناً، وأيقظتني لأمر كنت عنه غافلاً، والله أن فاطمة لموضع رغبة، وما مثلي قعد عن مثلها، غير أنه يمنعني من ذلك قلة ذات اليد، فقال أبو بكر: لا تقل هذا يا أبا الحسن، فإن الدنيا عند الله ورسوله كهباء منثور.

قال: ثم أن علي بن أبي طالب عليه السلام حل ناضحه، وأقبل يقوده إلى منزله فشده، فيه ولبس نعله، وأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله في منزل زوجته أم سلمة فدق الباب، فقالت أم سلمة: من بالباب؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله من قبل أن

يقول عليّ: أنا عليٌّ: قومي فافتحي له الباب، ومريه بالدخول، فهذا رجل يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، فقالت أُمُّ سلمة: فداك أبي وأمي ومن هذا الذي تذكر فيه هذا وأنت لم تره؟ فقال: مه فهذا رجل ليس بالخرق ولا بالنزق، هذا: أخي وابن عمي وأحب الخلق إليّ.

قالت أم سلمة: فقمت مبادرة أكاد أن أعثر بمرطي، ففتحت الباب، فإذا أنا بعلي بن أبي طالب عليه السلام، والله ما دخل حين فتحت له الباب حتى علم أني قد رجعت إلى خدري، ثم أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: السلام عليك يا رسول الله، فقال له النبي: وعليك السلام يا أبا الحسن اجلس.

قالت أم سلمة: فجلس عليّ عليه السلام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وجعل ينظر إلى الأرض كأنه قصد حاجة وهو يستحي أن يبديها، فهو مطرق إلى الأرض حياءً من رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقالت أم سلمة: فكأن النبي صلى الله عليه وآله علم ما في نفس علي عليه السلام فقال له: إني أراك أتيت لحاجة فقل حاجتك، وأبد ما في نفسك، فكلّ حاجة لك عندي مقضية.

قال علي: فقلت: فداك أبي وأمي إنك لتعلم أنك أخذتني من أبي طالب وفاطمة بنت أسد وأنا صبيّ فغذيتني بغذائك، وأدبتني بأدبك، فكنت أفضل من أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد في البر والشفقة، وإن الله هداني بك وعلى يديك، واستنقذتني مما كان عليه غيري من الحيرة والضلالة والشكّ، وإنك والله يا رسول الله ذخري وذخيرتي في الدنيا والآخرة، يا رسول الله وقد أحببت مع ما شد الله به عضدي بك أن يكون لي بيت، وأن تكون لي زوجة أسكن إليها، وقد أتيتك خاطباً راغباً أخطب إليك ابنتك فاطمة، فهل أنت مزوجي يا رسول الله؟

قالت أم سلمة: فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وآله يتهلل فرحاً وسروراً، ثم تبسم في وجه علي عليه السلام فقال: يا أبا الحسن هل معك شيء أزوجك به؟ فقال علي عليه السلام: ما يخفى عليك من أمري شيء، وأنا أملك سيفي، ودرعي، وناضحي، وما أملك شيئاً غير هذا، فقال له: أما سيفك فلا غناء لك عنه، وناضحك تنضح به على نخلك، ولكني قد زوجتك بالدرع يا أبا الحسن.

ألا أبشرك؟ قلت نعم: فداك أبي فقال لي: أبشر يا أبا الحسن فإن الله عز وجل قد زوجك فاطمة في السماء من قبل أن أزوجك في الأرض، ولقد هبط إلي من قبل أن تأتيني ملك له وجوه شتى، وأجنحة شتى لم أر قبله من الملائكة مثله، فقال لي: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أبشر يا محمد باجتماع الشمل وطهارة النسل، فقلت: وما

ذاك؟ فقال: يا محمد أنا سبطائيل الملك الموكل بإحدى قوائم العرش، سألت ربي عزوجل أن يأذن لي في بشارتك، وهذا جبرئيل عليه السلام في أثري يخبرك بكرامة الله.

فما استتمَّ كلامه حتى هبط جبرئيل علي فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، يا نبي الله!

ثم أنه وضع في يدي حريرة بيضاء من حرير الجنة، وفيها سطران مكتوبان بالنور.

فقلت: حبيبي جبرئيل ما هذه الحريرة؟ وما هذه الخطوط؟

فقال جبرئيل: يا محمد إن الله عزوجل اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختارك من خلقه وابتعثك برسالته، ثم اطلع إلى الأرض ثانية، فاختار لك منها أخاً ووزيراً، فزوجه ابنتك فاطمة.

فقلت: حبيبي جبرئيل ومن هذا الرجل؟

فقال لي: أخوك في الدنيا وابن عمك في النسب علي بن أبي طالب، وأن الله أوحى إلى الجنان أن تزخرفي، فتزخرفت الجنان. وإلى شجرة طوبى: احملي الحلي والحلل وتزينت الحور العين، وأمرَ الله الملائكة أن تجتمع في السماء الرابعة عند البيت المعمور، فهبط من فوقها إليها وصعدَ من تحتها إليها، وأمرَ الله عزوجل رضوان فنصب منبرَ الكرامةِ على باب البيت المعمور، وهو الذي خطب عليه آدم عليه السلام يوم عرضَ الأسماءَ على الملائكةِ، فأوحى إلى مَلَك من ملائكةِ حجبه يقال له: راحيل أن يعلُو ذلك المنبر، وأن يحمده بمحامدهِ ويمجده بتمجيده، وأن يثني عليه بما هو أهله، وليسَ في الملائكة أحسن منطقاً ولا أحلى لغةً من راحيل الملك، فعلا المنبر، وخطبَ في البيتِ المعمور في جميع أهل السماوات السبع بهذه الخطبة.

فقال: الحمد للهِ الأول قبل أوَّلية الأولين، الباقي بعد فناءِ العالمين، نحمده إذ جعلنا ملائكة روحانيين، وبربوبيته مذعنين، وله على ما أنعمَ علينا شاكرينَ، حجبنا من الذنوبِ، وسترنَا من العيوبِ، وأسكننا السماوات، وقرّبنا إلى السرادقاتِ، وحجب عنا النهمة والشهوات، وجعل نهمتنا وشهوتنا في تسبيحهِ وتقديسه، الباسط رحمتهُ، الواهب نعمته، جلَّ عن إلحاد أهلِ الأرض من المشركينَ، وتعالى بعظمتهِ عن إفكِ الملحدين.

ثم قال بعد كلام: اختار الملك الجبارُ صفوة كرمهِ، وعبد عظمته لأمته سيدةِ النساء، بنت خير النبيين، وسيدِ المرسلين؛ وإمامِ المتقين فوصل حبله بحبل رجل من أهله وصاحبه، المصدق دعوته، المبادر إلى كلمته، عليٌّ الوصول بفاطمة البتول بنت الرسول.

قال جبرئيل: ثم أوحى الله إليّ أن أعقد عقد النكاح، فإني قد زوجتُ أمتي فاطمة عبدي علي بن أبي طالب، فعقدتُ عقدة النكاح، وأشهدتُ على ذلك الملائكة أجمعين، وكتب شهادتهم في هَذه الحريرة، وقد أمرني ربي أن أعرضها عليك، وأن أختمها بخاتم مسك، وأن أدفعها إلى رضوان، وأن الله عزّوجلّ لما أشهد الملائكة على تزويج فاطمة من علي، أمر شجرة طوبى أن تنثر حملها من الحليّ والحلل؛ فنثرت ما فيها فالتقطت الملائكة والحور العين، وأن الحور ليتهادينه ويفتخرنَ به.

يا محمد إن الله أمرني أن آمرك أن تزوج علياً من فاطمة وتبشرهما بغلامين زكيين نجيبين، فوالله يا أبا الحسن ما عرج الملكُ من عندي حتى دققتَ الباب، ألا وإني منفذ فيك أمر ربي، امضِ يا أبا الحسن أمامي فإني خارج إلى المسجد ومزوجك على رؤوس الناس.

قال علي عليه السلام: فخرجت مسرعاً وأنا لا أعقلُ فرحاً، فاستقبلني أبو بكر وعمر وقالا: ما وراءك؟ فقلت: زوجني رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته، وأخبرني أن الله زوجنيها من السماء، وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله خارج في أثري ليظهر ذلك بحضرة الناس، فأظهرا الفرح ورجعا معي إلى المسجد فما توسطناهُ حتى لحقَ بنا رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن وجهه ليتهلل فرحاً وسروراً، فقال: يا بلال، قال: لبيك، قال: اجمع لي المهاجرين والأنصار، فجمعهم ثم رقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال:

معاشر المسلمين أن جبرئيل أتاني آنفاً فأخبرني عن ربّي عزّوجلّ أنه جمع الملائكةَ عند البيت المعمور، وأنه أشهدهم جميعاً أنه زوج أمته فاطمة بنت رسول الله من عبده علي، وأمرني أن أزوّجه في الأرض وأشهدكم على ذلك.

ثم جلس، وقال لعلي عليه السلام: قم فاخطب لنفسك.

فقام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وقال:

الحمد لله شكراً لأنعمه وأياديه، ولا إله إلا الله شهادة تبلغهُ وترضيه، وصلى الله على محمد صلاة تزلفهُ وتحظيه، والنكاح مما أمر الله عزّوجلّ به ورضيه، ومجلسنا هذا مما قضاهُ الله وأذن فيه، وقد زوجني رسول الله صلى الله عليه وآله ابنتهُ وجعلَ صداقها درعي هذا، وقد رضيتُ بذلك فاسألوه واشهدوا.

فقال المسلمون لرسول الله صلى الله عليه وآله: زوّجته؟ قال: نعم، فقالوا: بارك الله لهما وعليهما.

وانصرف رسول الله إلى أزواجه.

وعن الصادق عليه السلام : أنه لما خطب أمير المؤمنين عليه السلام فاطمة من رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا عليّ إنه قد ذكرها قبلك رجال، فذكرت لها ذلك فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن على رسلك حتى أخرج إليك فدخل عليها، فقامت وأخذت رداءه ونزعت نعليه، وأتته بوضوء فوضأته بيدها، وغسلت رجليه، ثم قعدت، فقال لها: يا فاطمة، قالت: لبيك ما حاجتك؟ قال: إن علي بن أبي طالب من قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه، وإني قد سألت ربي أن يزوجك خير خلقه وأحبهم إليه، وقد ذكر من أمرك شيئاً فما ترين؟ فسكتت، ولم تول وجهها، ولم ير فيه رسول الله صلى الله عليه وآله كراهة، فقام وهو يقول: الله أكبر سكوتها إقرارها.

فأتاه جبرئيل فقال: يا محمد زوجها علي بن أبي طالب، فإن الله تعالى قد رضيه لها ورضيها له، قال عليّ عليه السلام ، فزوجنيها رسول الله.

قال الصادق عليه السلام : قال عليّ عليه السلام : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قم فبع الدرع، فقمت وبعته وأخذت الثمن، فسكبت الدراهم في حجره، فلم يسألني كم هي ولا أنا أخبرته، ثم قبض قبضة ودعى بلالاً فأعطاه وقال: ابتع لفاطمة طيباً، ثم قبض رسول الله صلى الله عليه وآله من الدراهم بكلتا يديه فأعطاه أبا بكر وقال: ابتع لفاطمة ما يصلحها من ثياب وأثاث البيت، وأردفه بعمار بن ياسر وعدة من أصحابه.

فحضروا السوق، وكانوا يعترضون الشيء مما يصلح، فلا يشترونه حتى يعرضوه على أبي بكر فإن استصلحه إشتروه.

فكان مما اشتروه: قميص بسبعة دراهم، وخمار بأربعة دراهم، وقطيفة سوداء خيبرية، وسرير مزمل أي ملفوف بشرائط، وهو الخوص المفتول، وفراشان من خيش مصر حشو أحدهما ليف، وحشو الآخر من جز الغنم، وأربع مرافق من أدم الطائف، حشوها إذخر، وستر من صوف، وحصير هجري، ورحى لليد، ومخضب من نحاس، وسقاء من أدم، وقعب للبن، وشن للماء، ومطهرة مزفته. وجرة خضراء، وكيزان خزفاً.

حتى إذا كمل الشراء حمل أبو بكر بعض المتاع، وحمل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الباقي.

فلما عرض على رسول الله صلى الله عليه وآله ونظر إليه، بكى وجرت دموعه، ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: بارك الله لقوم آنيتهم الخزف.

قال عليّ عليه السلام : ولما زوجني رسول الله فاطمة بحضور جميع الصحابة، مكثت بعد ذلك شهراً لا أعاود رسول الله صلى الله عليه وآله في أمر فاطمة إستحياء، غير أني كنت إذا

خلوت مع رسول الله يقول: يا أبا الحسن ما أحسن زوجتك وأجملها، إبشر فقد زوجتك سيدة النساء.

فلما كان بعد شهر دخل عليّ أخي عقيل وقال: يا أخي ما فرحت بشيء كفرحي بتزويجك فاطمة، يا أخي فما بالك لا تسأل رسول الله يدخلها عليك فتقرَّ عيننا باجتماع شملكما؟ قال عليّ: والله يا أخي إني لأحبُّ ذلك ولكن الحياء يمنعني، فقال عقيل: أقسمت عليك إلا قمت معي.

فقمنا نريد رسول الله ﷺ فلقينا في طريقنا أمّ أيمن مولاة رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك لها فقالت: لا تفعل ودعنا نحن نكلمه فإن كلام النساء في هذا الأمر أحسن وأوقع بقلوب الرّجال.

ثمّ انثنت راجعة إلى أمّ سلمة فأعلمتها بذلك وأعلمت نساء النبي ﷺ، فاجتمعن عند رسول الله ﷺ، وكان في بيت عائشة، فأحدقن به وقلن: فديناك بآبائنا وأمّهاتنا يا رسول الله إنا قد اجتمعنا لأمر لو أنَّ خديجة في الأحياء لقرَّت بذلك عينها.

قالت أمّ سلمة: فلما ذكرنا خديجة بكى رسول الله ﷺ ثمَّ قال: خديجة وأين مثل خديجة، صدّقتني حين كذّبني الناس، ووازرتني على دين الله، وأعانتني عليه بمالها، إن الله عزّوجلّ أمرني أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب الزمرد لا صخب فيه ولا نصب.

قالت أمّ سلمة: فديناك بآبائنا وأمهاتنا إنَّك لم تذكر من خديجة أمراً إلا وقد كانت كذلك غير أنها قد مضت إلى ربّها، فهناها الله بذلك وجمع بيننا وبينها في جنته، يا رسول الله هذا أخوك في الدنيا وابن عمك في النسب عليّ بن أبي طالب يحب أن تدخل عليه زوجته، وتجمع بها شمله، فقال: يا أمّ سلمة فما بال عليّ لا يطلب مني زوجته فقد كنا نتوقع منه ذلك؟ فقلت: يمنعه الحياء منك.

قالت أم أيمن: فقال لي: إنطلقي إلى عليّ فأتيني به فخرجت فإذا عليّ ينتظرني، فلما رآني قال: ما وراءك؟ قلت: أجب رسول الله ﷺ.

قال عليه السلام: فدخلت عليه وقمن أرواجه فدخلن البيت، وجلست بين يديه مطرقاً حياء منه، فقال: أتحب أن أدخل عليك زوجتك؟ فقلت: وأنا مطرق أجل فداك أبي وأمي، فقال: يا أبا الحسن ادخلها عليك في ليلتنا هذه أو ليلة غد إنشاء الله تعالى، فقمت فرحاً مسروراً.

ثم التفت إلى النساء، فقال: من هاهنا؟ فقالت أمّ سلمة: أنا أمّ سلمة وهذه زينب،

وهذه فلانة وفلانة، فقال ﷺ: هيئوا لابنتي وابن عمي في حجري بيتاً. فقالت أم سلمة: في أي حجرة قال: في حجرتك، وأمر نساءه أن يزين ويصلحن من شأنها.

قالت أم سلمة: فسألت فاطمة: هل عندك طيب ادَّخرتيه لنفسك؟ فأتت بقارورة فسكبت منها في راحتي، فشممت منها رائحة ما شممت مثلها قطُّ، فقلت ما هذا؟ فقالت: كان دحية الكلبيّ يدخل على رسول الله ﷺ فيقول: يا فاطمة هات الوسادة، فاطرحيها لعمك، فاطرح له الوسادة فيجلس عليها، فإذا نهض سقط من بين ثيابه شيء فيأمرني بجمعه، فسأل عليّ عليه السلام رسول الله ﷺ عن ذلك؟ فقال: هو عنبر يسقط من أجنحة جبرئيل.

قال عليّ عليه السلام: ثم قال لي رسول الله: إصنع لأهلك طعاماً فاضلاً، ثم قال: من عندنا الخبز واللحم، وعليك التمر والسمن، فاشتريت تمراً وسمناً، فحسر رسول الله ﷺ عن ذراعيه وجعل يشدخ التمر في السمن حتى جعله حيساً، وبعث إلينا كبشاً سميناً فذبح، وخبز لنا خبزاً.

ثم قال لي ﷺ: يا علي ادع من أحببت، فأتيت المسجد وهو مشحون بالصحابة، فما أحببت أن أدعو قوماً وأدع قوماً، فصعدت على ربوة هناك وناديت: أجيبوا إلى وليمة فاطمة، فأقبل الناس إرسالاً، فاستحييت من رسول الله ﷺ من كثرة الناس وقلة الطعام فعلم ما تداخلني، فقال لي: إني سأدعو الله بالبركة.

قال عليه السلام: فأكل القوم عن آخرهم، ودعو إليَّ بالبركة وصدروا، وهم أكثر من أربعة آلاف رجل، ولم ينقص من الطعام شيء.

ثمَّ دعا رسول الله ﷺ بالصحاف فملئت ووجّه بها إلى منازل أزواجه، ثم أخذ صحفه وجعل فيها طعاماً، وقال: هذا لفاطمة، وهذا لبعلها حتى إذا انصرفت الشمس للغروب، قال: يا أمّ سلمة هلمي فاطمة! فانطلقت فأتيت بها وهي تسحب أذيالها، وقد تصببت عرقاً حياء من رسول الله ﷺ فعثرت، فقال رسول الله ﷺ: أقالك الله العثرة في الدنيا والآخرة.

فلما وقفت بين يديه كشف النبي عن وجهها حتى رآها عليّ، ثم أخذ يدها فوضعها في يد علي، وقال: بارك الله لك فيها نعم الزوجة فاطمة، ويا فاطمة نعم البعل علي، انطلقا إلى منزلكما ولا تحدثا أمراً حتى آتيكما.

قال علي: فأخذت بيدها وانطلقت بها حتى جلست في جانب الصفة وجلست فاطمة في جانبها وهي مطرقة إلى الأرض حياء مني، وأنا مطرق حياء منها.

ثم جاء رسول الله ﷺ فقال: من هاهنا؟ فقلنا: أدخل يا رسول الله مرحباً بك زائراً فدخل وجلس، وأجلس فاطمة عن جانبه، ثم قال: يا فاطمة ايتيني بماء فأتته، فأخذ جرعة فتمضمض بها، ثم مجها في القعب، ثم صب منه على رأسها، ثم قال: أقبلي فلما أقبلت نضح منه بين ثدييها، ثم قال: أدبري فأدبرت فنضح منه بين كتفيها، ثم قال: اللهم هذه ابنتي وهذا أخي وأحب الخلق إليّ، اللهم اجعله لك ولياً وبك حفياً وبارك له في أهله، ثم قال: يا عليّ أدخل بأهلك بارك الله لك.

قال علي عليه السلام: ومكث رسول الله ﷺ ثلاثاً لا يدخل علينا، فلما كان صبيحة اليوم الرابع جاءنا ليدخل علينا، فصادف في حجرتها أسماء فقال لها: ما وقوفك هنا وفي الحجرة رجل؟ فقالت: فداك أبي وأمي، إن الفتاة إذا زفت إلى زوجها تحتاج إلى امرأة تتعاهدها وتقوم بحوائجها، فأقمت هنا لأقضي حوائج فاطمة، فقال: قضى الله لك حوائج الدنيا والآخرة.

قال علي عليه السلام: وكانت غداة قرّة، وكنت أنا وفاطمة تحت العباء، فلما سمعنا كلام رسول الله ﷺ لأسماء ذهبنا لنقوم، فقال: بحقّي عليكما لا تفترقا حتى أدخل عليكما، فرجعنا إلى حالنا فدخل ﷺ وجلس عند رؤوسنا، وأدخل رجليه من القر حتى إذا دفيناهما قال: يا عليّ ائتني بكوز من ماء، فأتيته به، فتفل فيه، وقرأ عليه آيات من كتاب الله، ثم قال: يا عليّ اشربه، واترك منه شيئاً، ففعلت ذلك، فرشّ الباقي على رأسي وصدري، وقال: أذهب الله عنك الرجس وطهرك تطهيراً.

وقال: ائتني بماء جديد، فأتيته به، ففعل كما فعل وسلمه إلى ابنته عليها السلام وقال لها: اشربي واتركي منه قليلاً، ففعلت فرش الباقي على صدرها ورأسها، وقال ﷺ: أذهب الله عنك الرجس وطهرك تطهيراً، وأمرني بالخروج من البيت. وخلا بابنته، وقال: كيف أنت يا بنية فكيف وجدت زوجك؟ قالت له: يا أبة خير زوج إلا أنه دخلت عليّ نسوة من قريش وقلن: زوجك رسول الله من فقير لا مال له فقال:

يا بنية ما أبوك بفقير، ولقد عرضت عليَّ خزائن الأرض من الذّهب والفضة فاخترت ما عند ربي.

يا بنية ما ألوتك نصحاً، ولقد زوجتك أقدمهم سلماً، وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً.

ثم صاح بي رسول الله ﷺ فقال: أدخل بيتك، والطف بزوجتك، وارفق بها فإن فاطمة بضعة مني، يؤلمني ما يؤلمها ويسرني ما يسرها، أستودعكما الله واستخلفه عليكما.

قال علي عليه السلام: فوالله ما أغضبتها، ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عزوجل إليه، ولا أغضبتني، ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عني الهموم والأحزان.

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وآله لينصرف فطلبت منه خادماً لأنها لا قابلية لها لخدمة البيت فقال صلى الله عليه وآله لها: يا فاطمة أولا تريدين خيراً من الخادم؟ فقالت: بلى، فقال صلى الله عليه وآله: تسبحين الله عزوجل في كل يوم ثلاثاً وثلاثين مرة، وتحمدينه ثلاثاً وثلاثين مرة، وتكبرينه أربعاً وثلاثين مرة، فذلك مئة باللسان، وألف حسنة بالميزان، يا فاطمة إن قلتيها في صبيحة كل يوم، كفاك الله ما أهمك من أمر الدنيا والآخرة.

الفصل الرابع: في بيان شهادتها وبكائها وحزنها

روى عن الصادق عليه السلام أنه قال: البكائون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة، وعليّ بن الحسين صلوات الله عليهم أجمعين.

أما فاطمة عليها السلام: فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تأذى أهل المدينة.

فشكوا ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فبنى لها بيتاً خارج المدينة وسماه: بيت الأحزان بعد أن كانت تخرج فتستظل بشجرة عن حرارة الشمس وتبكي عندها، فقطعوا الشجرة، فكانت تجلس في الشمس وتبكي إلى أن بنى لها أمير المؤمنين عليه السلام البيت المعروف، فكانت تخرج إليه أول النهار، فإذا جاء الليل جاء إليها أمير المؤمنين، وأخذ بيدها وردها إلى البيت.

وعن ابن عباس قال: لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة بكى، فقلنا: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: أبكي لذريتي وما يصنع بهم شرار أمتي، كأني بفاطمة وقد ظلمت بعدي وهي تنادي: يا أبتاه، فلا يعينها أحد، فسمعت فاطمة عليها السلام فبكت، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تبكي يا بنية، فقالت: لست أبكي لما يصنع بي من بعدك، ولكن أبكي لفراقك، فقال لها: أبشري بسرعة اللحاق بي يا بنت محمد، فإنك أول من يلحق بي من أهل بيتي ولا تمكثين بعدي إلا اثنين وسبعين يوماً ونصفاً، ولا تلحقي بي، حتى تتحفي بثمار الجنة فضحكت فاطمة عليها السلام.

وروى عن الصادق عليه السلام: إنها عاشت بعد أبيها لم تر كاشرة ولا ضاحكة.

وروى الصدوق «ره» قال: لما قبض النبي صلى الله عليه وآله امتنع بلال عن الأذان، وأن فاطمة عليها السلام قالت يوماً: إني أحب أن أسمع صوت مؤذن أبي، فبلغ ذلك بلالاً، فأخذ

في الأذان، فلما قال: الله أكبر الله أكبر، ذكرت فاطمة عليها السلام أباها وأيامه صلى الله عليه وآله، فلم تتمالك من البكاء، فلما بلغ إلى قوله: أشهد أن محمداً رسول الله شهقت فاطمة عليها السلام وسقطت لوجهها وغشي عليها، فقال الناس: أمسك يا بلال فقد فارقت ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله الدنيا، فقطع بلال أذانه، فلما أفاقت فاطمة سألته أن يتم الأذان، فلم يفعل وقال لها: يا سيدة النسوان إني أخشى عليك مما تنزلينه بنفسك.

وروى الصدوق بسنده عن ابن عباس قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً إذ أقبل الحسن عليه السلام، فلما رآه بكى، ثم قال: إليّ إليّ يا بني، فما زال يدنيه حتى أجلسه على فخذه اليمنى، ثم أقبل الحسين عليه السلام، فلما رآه بكى، ثم قال: إليّ إليّ يا بني، فما زال يدنيه حتى أجلسه على فخذه اليسرى، ثم أقبلت فاطمة عليها السلام، فلما رآها بكى، ثم قال: إليّ إليّ يا بنية حتى أجلسها بين يديه، ثم أقبل أمير المؤمنين عليه السلام، فلما رآه بكى، فقال: إليّ إليّ يا أخي، فما زال يدنيه حتى أجلسه إلى جنبه الأيمن.

فقال له أصحابه: يا رسول الله صلى الله عليه وآله ما ترى أحداً من هؤلاء إلا بكيت؟ أوما فيهم من تسر برؤيته؟ فقال صلى الله عليه وآله: والذي بعثني بالنبوة، واصطفاني على جميع البرية، إني وإياهم لأكرم الخلق على الله عزوجل، وما على وجه الأرض نسمة أحب إليّ منهم.

أما علي بن أبي طالب: فإنه أخي وشقيقي، وصاحب الأمر بعدي، وصاحب لوائي في الدنيا والآخرة، وصاحب حوضي وشفاعتي، وهو مولى كل مسلم، وإمام كل مؤمن، وقائد كل تقي، وهو وصيي وخليفتي على أهلي وأمتي في حياتي وبعد موتي، محبه محبي، ومبغضه مبغضي، وبولايته صارت أمتي مرحومة، وبعداوته صارت المخالفة له ملعونة، وإني بكيت حين أقبل لأني ذكرت غدر الأمة به بعدي، ثم لا يزال الأمر به حتى يضرب على قرنه ضربة تخضب منها لحيته في أفضل الشهور ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وأما إبنتي فاطمة: فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة مني، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبي، وهي الحوراء الإنسية، متى قامت في محرابها بين يدي ربها جلَّ جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، فيقول الله عزوجل لملائكته: انظروا إلى أمتي فاطمة سيدة إمائي قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت على عبادتي بقلبها، أشهدكم إني قد منعت شيعتها من النار، وإني لما رأيتها ذكرت ما يصنع بها بعدي، كأني وقد دخل الذل بيتها وانتهكت حرمتها، وغصبت حقها، ومنعت إرثها، وكسر جنبها، وهي تنادي: يا محمداه، فلا تجاب، وتستغيث فلا تغاث، فلا تزال بعدي

محزونة مكروبة باكية تتذكر إنقطاع الوحي عن بيتها مرَّة، وتتذكر فراقي أخرى، وتستوحش إذا جنها الليل لفقد صوتي الذي كانت تسمعه إذا تهجدت بالقرآن، ثم ترى نفسها ذليلة بعد أن كانت في أيامي عزيزة.

فعند ذلك يؤنسها الله تعالى بالملائكة، فتناديها بما نادت به مريم ابنة عمران فتقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢] يا فاطمة ﴿ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣].

ثم يبتدىء بها الوجع، فتمرض فيبعث الله تعالى إليها مريم بنت عمران تمرضها وتؤنسها في علتها، فتقول عند ذلك: يا رب إني قد سئمت الحياة، فألحقني بأبي، فيلحقها الله عزَّ وجل بي، فتكون أول من يلحقني من أهل بيتي، فتقدم عليَّ محزونة مكروبة مغمومة مغصوبة مقتولة، فأقول عند ذلك: «اللهم العن من ظلمها، وعاقب من غصبها، وذلّل من أذلها، وخلد في النار من ضرب جنبها، حتى ألقت ولدها»، فتقول الملائكة عند ذلك: آمين.

وأما الحسن: فإنه ابني، وقرة عيني، وضياء قلبي، وثمرة فؤادي، وهو سيد شباب أهل الجنة، وحجة الله على الأمة، أمره أمري، وقوله قولي، من تبعه فإنه مني، ومن عصاه فليس مني، وإني لما نظرت إليه تذكرت ما يجري عليه من الذل بعدي. فلا يزال الأمر به حتى يقتل بالسم ظلماً وعدواناً.

فعند ذلك تبكي عليه ملائكة السبع الشداد، ويبكيه كل شيء حتى الطير في جو السماء، والحيتان في جوف الماء، فمن بكاه لم تعم عينه يوم تعمى العيون، ومن حزن عليه لم يحزن قلبه يوم تحزن القلوب، ومن زاره في بقيعه ثبت قدمه، يوم تزلُّ فيه الأقدام.

وأما الحسين عليه السلام: فإنه مني، وهو ابني وولدي، وخير الخلق بعد أخيه، وهو إمام المسلمين، ومولى المؤمنين، وخليفة ربِّ العالمين، وغياث المستغيثين، وكهف المستجيرين، وحجة الله على خلقه أجمعين، وهو سيد شباب أهل الجنة، وباب نجاة الأمة، أمره أمري، وطاعته طاعتي، من تبعه فإنه مني، ومن عصاه فليس مني، وإني لما رأيته تذكرت ما يصنع به بعدي، كأني به وقد استجار بحرمي وقربي فلا يجار، فأضمه في منامي إلى صدري وآمره بالرحلة عن دار هجرتي، وأبشره بالشهادة فيرتحل منها إلى أرض مقتله، وموضع مصرعه، أرض كرب وبلاء، وقتل وفناء، تنصره عصابة من المسلمين أولئك من سادات شهداء أمتي يوم القيامة، كأني أنظر إليه، وقد رُمي بسهم

فخر عن فرسه صريعاً، ثم يُذبح كما يُذبح الكبش مظلوماً، ثم بكى رسول الله ﷺ وبكى من حوله، وارتفعت أصواتهم بالضجيج، ثم قام ﷺ وهو يقول:

«اللهم إني أشكو إليك ما يلقى أهل بيتي بعدي ثم دخل منزله».

وروى أنها عليها السلام ما زالت بعد أبيها معصَّبة الرأس، ناحلة الجسم، منهدَّة الركن، باكية العين، محترقة القلب، يغشى عليها ساعة بعد أخرى، وتقول لولديها: أين جدكما الذي كان يكرمكما، ويحملكما مرة بعد مرة، أين أبوكما الذي كان أشد الناس شفقة عليكما فلا يدعكما تمشيان على الأرض؟ ولا أراه يفتح هذا الباب أبداً، ولا يحملكما على عاتقه، كما لم يزل يفعل ذلك بكما.

ثم مرضت ومكثت أربعين ليلة، فلما نعيت إليها نفسها، دعت أم أيمن وأسماء بنت عميس، ووجهت خلف علي عليه السلام، فأحضرته، قالت: يا ابن العم إنه قد نعيت إلي نفسي، وإنني لا أرى ما بي إلا أنني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي، فقال لها علي عليه السلام: أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله، فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت.

فقالت: يا ابن عمي ما عهدتني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني فقال عليه السلام: معاذ الله، أنت أعلم بالله وأبرُّ وأتقى وأكرم، وأشد خوفاً من الله من أن أوبخك بمخالفتي، قد عز عليّ مفارقتك وتفقدك، إلا أنه أمر لا بد منه، والله جددت عليّ مصيبة رسول الله ﷺ، وقد عظمت وفاتك وفقدك، فإنا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها والمها وأمضها وأحزنها، هذه والله مصيبة لا عزاء لها، ورزية لا خلف لها.

ثم بكيا جميعاً ساعة وأخذ عليّ عليه السلام رأسها وضمه إلى صدره، ثم قال: أوصيني بما شئت فإنك تجديني أمضي فيها كما أمرتني، واختار أمرك على أمري.

فقالت: جزاك الله عني خيراً يا ابن عم رسول الله أوصيك:

أولاً: أن تتزوج بعدي بابنة أختي أمامة، فإنها تكون لولدي مثلي، فإن الرجال لا بد لهم من النساء.

ثم قالت: أوصيك يابن عمي أن تتخذ لي نعشاً فقد رأيت الملائكة صوروا صورته، فقال عليه السلام صفيه: فوصفته فاتخذه هو لها، وهو أول نعش حمل على وجه الأرض.

ثم قالت: أوصيك أن لا يشهد أحداً جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني، وأخذوا

حقي، فإنهم عدوي وعدو رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا تترك أن يصلي عليّ أحد منهم، ولا من أتباعهم، وادفني ليلاً إذا هدأت الأصوات، ونامت الأبصار.

وروى العياشي قال: دخلت أم سلمة على فاطمة عليها السلام فقالت لها: كيف أصبحت عن ليلتك يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقالت: أصبحت بين كمد وكرب، فقد النبيَّ، وظلم الوصيَّ، هتك والله حجابه، من أصبحت إمامته مقضية [مقتضبه] على غير ما شرع الله في التنزيل، وسنَّها النبي صلى الله عليه وآله في التأويل، ولكنها أحقاد بدرية، وترات أحدية، كانت عليها قلوب أهل النفاق مكتمنة لإمكان الوثبة، فلما استهدف الأمر أرسلت إليها شآبيب الآثار من مخيلة الشقاق فانقطع وتر الإيمان من قسى صدورها.

وفي رواية: أنها قالت لأسماء عند قرب وفاتها: ايتيني بماء فأتتها به، فاغتسلت أحسن غسل، وقالت: هات طيبي الذي أتطيب به، وهاتي ثيابي التي أصلي فيها، وائتني ببقية حنوط والدي الذي نزل به جبرئيل من الجنة، فقسمه أبي أثلاثاً، ثلث لنفسه صلى الله عليه وآله، وثلث لعلي، وثلث لي من موضع كذا، فضعيه عند رأسي، ثم تسجت بثوبها وقالت: انتظريني هنيئة، فإن أجبتك، وإلا فاعلمي أني قدمت على أبي صلى الله عليه وآله.

قالت أسماء: فانتظرتها هنيئة ثم ناديتها فلم تجبني فناديت: يا بنت محمد المصطفى! يا بنت أكرم من حملته النساء! يا بنت خير من وطأ الحصى! يا بنت من كان قاب قوسين أو أدنى! فلم تجب، فكشفت الثوب عن وجهها، فإذا بها قد فارقت الدنيا فوقعت عليها أقبلها وأقول: يا فاطمة! إذا قدمت على أبيك رسول الله فاقرئيه عن أسماء بنت عميس السلام.

فبينا هي كذلك إذ دخل الحسنان فقالا: يا أسماء ما ينيم أمنا في هذه الساعة؟ فقلت: يا ابني رسول الله ليست أمكما نائمة، بل قد فارقت الدنيا فوقع عليها الحسن يقبلها ويقول: يا أماه كلميني قبل أن تفارق روحي بدني، فاقبل الحسين عليه السلام يقبل رجليها ويقول: يا أماه أنا إبنك الحسين كلميني قبل أن ينصدع قلبي فأموت.

فقالت لهما أسماء: يا ابني رسول الله اذهبا وانطلقا إلى أبيكم علي فأخبراه بموت امكما، فخرجا حتى إذا كانا قريباً من المسجد رفعا اصواتهما بالبكاء، فابتدرهما جميع الصحابة وقالوا: ما يبكيكما يا ابني رسول الله؟ لا أبكى الله أعينكما لعلكما نظرتما إلى موقف جدكما فبكيتما شوقاً إليه.

قالا: أو ليس قد ماتت أمنا فاطمة؟ قال: فوقع علي عليه السلام على وجهه يقول: بمن العزاء يا بنت محمد؟ كنت بك أتعزى ففيم العزاء بعدك ثم قال عليه الصلاة والسلام:

لكلّ اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الفراق قليل
وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد دليل على أن لا يدوم خليل

وصاح أهل المدينة صيحة واحدة، واجتمعت نساء بني هاشم في دارها وصرخوا صرخة واحدة كادت المدينة أن تتزعزع من صراخهن، وهن يقلن: يا سيدتاه يا بنت رسول الله، وأقبل الناس مثل عرف الفرس إلى علي عليه السلام وهو جالس، والحسن والحسين عليهما السلام بين يديه يبكيان فبكى الناس لبكائهما، وخرجت أم كلثوم وعليها برقعة وهي تجر بذيلها، متجللة برداء تسحبه وتقول: يا أبتاه يا رسول الله، الآن حقاً فقدناك فقداً لا لقاء بعده أبداً، فاجتمع الناس وجلسوا وهم يضجون وينتظرون خروج الجنازة، فيصلون عليها، فخرج أبو ذر الغفاري فقال: انصرفوا فإن ابنة رسول الله قد أخر إخراجها في هذه العشية فقام الناس وانصرفوا، فلما أن هدأت العيون؛ ومضى شطر من الليل، أخرجها عليّ عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام، وعمار، والمقداد، وعقيل، والزبير، وأبو ذر، وسلمان، وبريدة؛ ونفر من بني هاشم فصلوا عليها، ودفنوها في جوف الليل وسوى عليّ عليه السلام حواليها قبور سبعة حتى لا يعرف قبرها.

وروى عن الحسين عليه السلام: أن علياً عليه السلام لما دفنها وأخفى موضع قبرها، فلما نفض يده من تراب القبر هاج به الحزن فأرسل دموعه على خديه وحوّل وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال:

السلام عليك يا رسول الله، مني ومن ابنتك وحبيبتك، وقرة عينك وزائرتك، والبائتة في الثرى ببقعتك، المختار لها الله سرعة اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري، وضعف عن سيدة النساء تجلدي، ألا أن في التأسي لي بسنتك، والحزن الذي حل بي لفراقك، موضع التعزي، ولقد وسدتك في ملحود قبرك، بعد أن فاضت نفسك على صدري.

نعم وفي كتاب الله أنعم القبول ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] قد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة، وأخلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله!

أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهد، لا يبرح الحزن من قلبي، أو يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم، كمد مقيّح، وهم مهيّج، سرعان ما فرق الله بيننا، وإلى الله أشكو.

وستنبئك ابنتك بتظاهر أمتك علي، وعلى هضمها حقها، فاستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها، لم تجد إلى بثّه سبيلاً، وستقول: ويحكم الله وهو خير الحاكمين.

سلام عليك يا رسول الله سلام مودع، لا قال ولا سئم، فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين.

والصبر أيمن وأجمل، ولولا غلبة المستولين علينا، لجعلت المقام عند قبرك لزاماً، واللّبث عنده معكوفاً، ولأعولت أعوال الثكلى على جليل الرزية.

فبعين الله تدفن ابنتك سراً، ويهتضم حقها قهراً، ويمنع إرثها جهراً؟ ولم يطل العهد، ولم يخلق منك الذكر، فإلى الله يا رسول الله المشتكى، وفيك أجمل العزاء، فصلوات الله عليها وعليك ورحمة الله وبركاته وتحياته وسلامه.

وقد روى ابن شهرآشوب: أنه لما صاروا بفاطمة إلى القبر المبارك، خرجت يدان من وسط القبر شبيهتان بيد النبي صلى الله عليه وآله فتناولتها.

والأشهر بين الإمامية الذي دلت عليه الأخبار الكثيرة: أن عمرها الشريف وقت وفاتها ثمانية عشر سنة، وقيل: ثلاثون، وقيل: أقوال أخر، ما بين الثمانية عشر إلى الثلاثين والله أعلم.

والاختلاف في موضع قبرها معلوم مشهور، لعن الله الظالمين لها ولذريتها من الأولين والآخرين، وضاعف عليهم اللعنة والعذاب إلى يوم الدين.

قد وقع الفراغ من تحرير هذه الكلمات على يد الراجي عفو ربه، يوم الخميس الخامس عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٢٥ من الهجرة، بيد عبد الرسول نجل المرحوم الشيخ شريف آل صاحب الجواهر رحم الله من استغفر لهما.

في بيان أحوال أمير المؤمنين عليه السلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

في بيان ولادة أمير المؤمنين؛ وإمام المتقين، وإمام المشارق والمغارب عليّ بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام

في ولادة سيد الوصيين عليه السلام:

المشهور بين العامة والخاصة أنه ولد في مكة المعظمة في البيت الحرام، يوم الجمعة ثالث عشر رجب، بعد عام الفيل بثلاثين سنة، ولم يولد في البيت الحرام أحد قبله ولا بعده، وكان عمر النبي صلى الله عليه وآله في ذلك الوقت ثمانية وعشرين سنة، وهو أول هاشمي ولد بين هاشميين في الإسلام.

وقد روى العامة والخاصة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: خلقت أنا وعليّ من نور واحد، نسبح الله تعالى بمنة العرش قبل أن يخلق آدم بأربعة وعشرين ألف عام، فلما خلق الله تعالى آدم جعل الله ذلك النور في صلبه، ولقد ركب نوح السفينة ونحن في صلبه، ولقد قذف إبراهيم في النار ونحن في صلبه، فنجاه الله تعالى من النار، فلم يزل ينقلنا الله تعالى من أصلاب طاهرة إلى أرحام مطهرة حتى انتهى بنا إلى عبد المطلب، فقسمنا نصفين، فجعلني في صلب عبدالله، وجعل علياً في صلب أبي طالب.

وأن الله قد حكم أن محبي ومحب عليّ لا يدخل النار، وأن عدوي وعدو عليّ لا يدخل الجنة، وإن الله تعالى خلق ملائكة بأيديهم أباريق من فضة الجنة، وتلك الأباريق مملوءة من ماء الحياة وهي عين في جنة الفردوس، فإذا أراد أحد من آباء شيعتنا أن يقارب في الوقت الذي يريد الله تعالى إنعقاد النطفة فيه، جاء ملك وألقى قليلاً من ذلك الماء في الماء الذي يشربه، فيختلط ذلك الماء بنطفته فينعقد في قلب المولود محبتي ومحبة عليّ وفاطمة والحسن والحسين والتسعة من ذرية الحسين عليهم الصلاة والسلام.

ثم قال ﷺ: الحمد لله الذي جعل محبة عليّ والإيمان به سبباً لدخول الجنة والنجاة من النار.

وعن الصادق عليه السلام: أنه لما ولد رسول الله ﷺ فتح لآمنة بصرها، فرأت بياض فارس وقصور الشام، فجاءت فاطمة بنت أسد إلى أبي طالب ضاحكة مستبشرة، وأعلمته بما رأت آمنة، فقال لها أبو طالب: أو تعجبين من هذا؟! إصبري سبتاً فستلدين بمثله إلا النبوة، ويكون وصيه ووزيره والسبت ثلاثون سنة.

وقال النبي ﷺ لجابر الأنصاري في حديث طويل، وقد سأله عن ميلاد أمير المؤمنين عليه السلام: يا جابر من قبل أن يقع عليّ في بطن أمه إنه كان في زمانه رجل عابد يقال له: مثرم بن رعيب، وكان قد عبد الله عزوجل مائة وتسعين سنة ولم يسأله حاجة، فسأل ربه أن يريه ولياً له، فبعث الله تعالى بأبي طالب إليه، فلما أن بصر به المثرم قام إليه فقبل رأسه، وأجلسه وجلس بين يديه وقال: من أنت يرحمك الله تعالى؟

فقال: رجل من تهامة، فقال: من مكة؟

قال: نعم، فقال: ممن؟

قال: من عبد مناف، قال: من أيّ عبد مناف؟

قال: من بني هاشم، فوثب إليه الراهب وقبل رأسه ثانياً، وقال: الحمد لله الذي أعطاني مسألتي، ولم يمتني حتى أراني واليه، ثم قال:

إبشر يا هذا، فإن العليّ الأعلى قد ألهمني فيك بشارتك، قال أبو طالب ما هو؟

قال: ولد يخرج من صلبك هو وليّ الله تبارك اسمه، وهو إمام المتقين ووصي رسول رب العالمين، فإن أدركت ذلك الولد فأقرأه مني السلام، وقل له: إن المثرم يقرأ عليك السلام، وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله وإنك وصيه حقاً، بمحمد تتم النبوة، وبك تتم الوصية.

قال: فبكى أبو طالب وقال له: ما اسم هذا المولود؟

قال: اسمه عليّ عليه السلام.

فقال أبو طالب: إني لا أعلمَ حقيّة ما تقوله إلا ببرهان بيّن ودلالة واضحة.

قال المثرم: فما تريد أن أسأل الله لك أن يعطيك في مكانك هذا؟

قال أبو طالب: أريد طعاماً من الجنة في وقتي هذا، فدعى الراهب فما استتم دعاؤه حتى أتى بطبق عليه من فواكه الجنة رطباً وعنباً ورماناً، فتناول أبو طالب منه رمانة ونهض فرحاً مسروراً من ساعته حتى رجع إلى منزله، فأكلها فتحولت ماء في

صلبه، فجامع فاطمة، فحملت بعليّ عليه السلام، وارتجت الأرض، وزلزلت بهم أياماً حتى لقيت قريش من ذلك شدة، وفزعوا إلى آلهتهم، وأتوا أبا قبيس.

فلما اجتمعوا في ذروة أبي قبيس، جعل يرتج ارتجاجاً حتى تدكدك بهم صم الصخور، وتناثرت، وتساقطت الآلهة على وجوهها فقالوا: لا طاقة لنا بما حل بنا.

فصعد أبو طالب الجبل وهو غير مكترث بما هم فيه فقال: أيها الناس إن الله تبارك وتعالى قد أحدث في هذه الليلة حادثة، وخلق خلقاً، إن لم تطيعوه ولم تقروا بولايته ولم تشهدوا بإمامته لم يسكن ما بكم، ولا يكون لكم بتهامة مسكن.

فقالوا: يا أبا طالب إنا نقول بمقالتك، فبكى أبو طالب، ورفع إلى الله تعالى يديه وقال: «إلهي وسيدي أسألك بالمحمدية المحمودة، وبالعلوية العالية، وبالفاطمية البيضاء ألا تفضلت على تهامة بالرحمة»، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لقد كانت العرب تكتب هذه الكلمات فتدعو بها عند شدائدها في الجاهلية، وهي لا تعلمها ولا تعرف حقيقتها.

فلما كانت الليلة التي ولد فيها أمير المؤمنين عليه السلام أشرقت السماء بضيائها، وتضاعف نور نجومها، وأبصر من ذلك قريش عجباً، فهاج بعضها في بعض، وقالوا: قد حدث في السماء حادث، وخرج أبو طالب وهو يتخلل مكة وأسواقها ويقول: يا أيها الناس تمت حجة الله.

وأقبل الناس يسألونه عن علة ما يرونه من إشراق السماء وتضاعف نور النجوم فقال لهم: ابشروا فقد ظهر ولي الله، وبه يكمل خصال الخير، ويختم به الوصيين، وهو إمام المتقين، وناصر الدين، وقامع المشركين، وغيظ المنافقين، وزين العابدين، ووصي رسول رب العالمين، إمام هدى، ونجم على، ومصباح دجى، ومبيد الشرك والشبهات، وهو نفس اليقين، ورأس الدين، فلم يزل يكرر هذه الكلمات والألفاظ إلى أن أصبح وغاب عن قومه أربعين صباحاً.

قال جابر: فقلت: يا رسول الله إلى أين غاب؟ قال: إنه مضى لطلب المثرم وكان قد مات في جبل اللكام، فاكتم يا جابر فإنه من أسرار الله المكنونة وعلومه المخزونة، إن المثرم كان قد وصف لأبي طالب كهفاً في جبل اللكام، فقال له: إنك تجدني هناك حياً أو ميتاً، فلما مضى أبو طالب إلى ذلك الكهف ودخل إليه وجد المثرم جسداً ملفوفة في مدرعة مسجى بها إلى قبلته، وإذا هناك حيتان: أحداهما بيضاء والأخرى سوداء، وهما يدفعان عنه الأذى، فلما بصرتا بأبي طالب غربتا في الكهف، ودخل أبو طالب إليه، فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فأوحى الله تعالى بقدرته إلى المثرم فقام

قائماً يمسح وجهه ويقول: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن علياً ولي الله والإمام بعد نبي الله».

فقال أبو طالب: البشرى فإن علياً قد طلع إلى الأرض، فقال: ما علامة تلك الليلة التي طلع فيها؟

قال أبو طالب: لما مضى من الليل الثلث أخذ فاطمة ما يأخذ النساء عند الولادة، فقلت لها: مالك يا سيدة النساء قالت: إني أجد إضطراباً، فقرأت عليها الإسم الذي فيه النجاة فسكنت، فقلت لها: إنّي أنهض فآتيك من صويحباتك يعينك على أمرك في هذه الليلة، قالت: رأيك يا أبا طالب، فلما قمت لذلك إذا أنا بهاتف يهتف من زاوية البيت، أمسك يا أبا طالب، فإن ولي الله لا تمسه يد خاطئة، وإذا أنا بأربع نسوة يدخلن عليها، وعليهن ثياب كهيئة الحرير الأبيض، ورائحتهن أطيب من المسك الأذفر فقلن لها: السلام عليك يا ولية الله، فأجابتهن ثم جلسن بين يديها ومعهن جؤنة فضة، فآنستها حتى ولد أمير المؤمنين عليه السلام، فلما انتهيت إليه فإذا هو كالشمس الطالعة وقد سجد على الأرض وهو يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأشهد أن علياً وصي رسول الله، وبمحمد تتم النبوة وبي تتم الوصية، وأنا أمير المؤمنين».

فأخذته واحدة منهن من الأرض ووضعته في حجرها، فلما نظر عليّ عليه السلام في وجهها ناداها بلسان طلق ذرب: السلام عليك يا أماه، فقالت: وعليك السلام يا بني، فقال: ما خبر والدي؟ قالت: في نعم الله يتقلب، وفي صحبته يتنعم، فلما سمعت ذلك قلت: يا بني ألست بأبيك؟ قال: بلى ولكني وإياك من صلب آدم، وهذه أمي حواء، فلما سمعت ذلك غطيت رأسي بردائي، وألقيت نفسي في زاوية البيت، ثم دنت أخرى ومعها جؤنة يعني: ظرفاً من الغالية، فأخذت علياً عليه السلام فلما نظر في وجهها، قال: السلام عليك يا أختي، ما خبر عمي؟ فقالت: بخير وهو يقرأ عليك السلام، فقلت: يا بني أي أخت هذه وأيّ عم؟ فقال: هذه مريم بنت عمران وعمي عيسى عليه السلام فطيبته بطيب كان في الجؤنة، فأخذته أخرى منهن فأدرجته في ثوب كان معها، قال أبو طالب فقلت: لو طهرناه كان أخف عليه، وذلك أن العرب كانت تطهر أولادها، فقالت: يا أبا طالب إنه ولد طاهراً مطهراً، لا يذوق حر الحديد في الدنيا إلا على يدي رجل يبغضه الله ورسله وملائكته والسماوات والأرض والجبال والبحار، وتشتاق إليه النار، فقلت: من هذا الرجل؟ فقلن: ابن ملجم المرادي لعنه الله تعالى، وهو قاتله في الكوفة سنة ثلاثين من وفاة محمد صلى الله عليه وآله.

قال أبو طالب: ثم غبن النسوة عني، فقلت في نفسي: لو عرفت المرأتين الأخيرتين فألهم الله علياً أن قال:

أما الأولى: فكانت حواء.

والثانية: مريم التي أحصنت فرجها.

وأما التي أدرجتني في الثوب: فآسية بنت مزاحم.

وأما صاحبة الجؤنة: فهي أم موسى عليه السلام.

فألحق الآن بالمثرم وبشره وأخبره بما رأيت، فإنه في كهف كذا، في موضع كذا، فخرجت حتى أتيتك بأمر ولدي أبشرك بما عاينت وشاهدت من ابني، فبكى المثرم ثم سجد شكراً لله تعالى ثم تمطى فقال: غطني بمدرعتي، فغطيته بمدرعته فإذا هو ميت كما كان، فأقمت ثلاثاً أكلّمه فما أجاب، فاستوحشت لذلك وخرجت الحيتان فقالتا لي: السلام عليك يا أبا طالب فأجبتهما، ثم قالتا لي: إلحق بوليّ الله تعالى، فإنك أحق بصيانته وحفظه من غيرك، فقلت لهما: من أنتما؟ قالتا: نحن عمله الصالح خلقنا الله تعالى من خيرات عمله، فنحن نذب عنه الأذى إلى أن تقوم الساعة، فإذا قامت القيامة كان أحدنا قائده، والآخر سائقه ودليله إلى الجنة، ثم انصرف أبو طالب إلى مكة.

وقد روى جماعة ممن شاهد: أن فاطمة بن أسد كان حيث أخذها الطلق بأمير المؤمنين عليه السلام، أقبلت إلى البيت الحرام فقالت: ربي إني مؤمنة بك، وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل، وأنه بني البيت العتيق، فبحق الذي بنى البيت، وبحق هذا المولود الذي يكلمني في بطني، ويؤنسني الذي أعلم أنه آية من آيات جلالك وعظمتك، إلا ما يسرت علي ولادتي.

قال الراوي: فرأينا البيت وقد انفتح ظهره، ودخلت فاطمة وغابت عن أبصارنا، والتزق الحائط، فرمنا أن يفتح لنا الباب فلم ينفتح، فعلمنا أن ذلك أمر من الله تعالى، ثم خرجت في اليوم الرابع وبيدها أمير المؤمنين عليه السلام، وقالت: إني فضلت على من تقدمني من النساء، فإني دخلت بيت الله الحرام، وأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها، ولما أردت الخروج هتف بي هاتف يا فاطمة: سمّيه علياً فهو عليّ، والله العلي الأعلى يقول: إني شققت اسمه من اسمي، وأدبته بأدبي، وأوقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي، ويقدسني ويمجدني، فطوبى لمن أحبه وأطاعه، وويل لمن عصاه وأبغضه.

فلما وقع نظر أبي طالب على ولده فرحاً مستبشراً، فقال له عليّ: السلام عليك يا

أبة ورحمة الله وبركاته، ولما دخل الدار دخل رسول الله صلى الله عليه وآله، فاهتز له أمير المؤمنين عليه السلام وضحك في وجهه وقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، ثم تنحنح وقال: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١-٢] الآيات، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قد أفلحوا بك، والله أنت أميرهم تميرهم من علومك فيمتارون، وأنت والله دليلهم بك يهتدون.

ثم قال النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة: اذهبي فبشري عمي حمزة بولادته، فقالت: إذا ذهبت فمن يرضعه؟ فقال النبي: لا عليك أنا أرويه، ثم وضع رسول الله صلى الله عليه وآله لسانه في فيه فانفجرت من لسانه اثني عشر عيناً، فسمى ذلك اليوم: يوم التروية.

ولما كان من غد، جاء رسول الله صلى الله عليه وآله إلى فاطمة، فلما بصر به عليّ، سلم عليه وضحك في وجهه، وجعل يشير إليه أن أصنع بي كما صنعت بالأمس، ففرحت فاطمة بذلك فقالت: عرفه ورب الكعبة، فسمى ذلك: يوم عرفة.

فلما كان الثالث وهو العاشر من ذي الحجة الحرام، أذن أبو طالب أذاناً في الناس جامعاً إلى وليمة ابنه عليّ، ونحر ثلاث مائة من الإبل، وألف رأس من البقر والغنم، واتخذ وليمة وقال: هلموا وطوفوا بالبيت سبعاً وادخلوا وسلموا على ولدي، ففعل الناس ذلك، وجرت به السنة.

وكان عمر رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ ثلاثين سنة، وكان يحبه حباً شديداً ويقول لأمه: اجعلي مهده بقرب فراشي، وكان رسول الله يلي أكثر أمره وتربيته ويوجره اللبن عند شربه، ويحرك مهده عند نومه، ويناغيه عند يقظته، ويحمله على صدره ورقبته ويقول صلى الله عليه وآله: هذا أخي ووصيي ووليّي وناصري وصفيي، وذخري وكهفي، وصهري وزوج كريمتي، وأميني على وحيي وخليفتي، وكان يحمله دائماً ويطوف به صلى الله على الحامل والمحمول.

ولقد أخبر رسول الله بشهادته كما روى الصدوق وغيره، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة النبي صلى الله عليه وآله في شهر رمضان بعد كلام، قال عليّ: فقمت وقلت يا رسول الله: ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال صلى الله عليه وآله: يا أبا الحسن الورع عن محارم الله عزوجل، ثم بكى، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: أبكي لما يستحل منك في هذا الشهر، كأني بك وأنت تصلي لربك وقد انبعث أشقى الأولين والآخرين شقيقي عاقر ناقة صالح، فضربك ضربة على قرنك تخضب منها لحيتك.

قال عليه السلام: فقلت: يا رسول الله وذلك في سلامة من ديني؟ فقال صلى الله عليه وآله: في سلامة من دينك؟ ثم قال: يا عليّ من قتلك فقد قتلني، ومن أبغضك فقد أبغضني، ومن

سبك فقد سبني، لأنك مني كنفسي، روحك من روحي، وطينتك من طينتي، إن الله تبارك وتعالى خلقني وإياك واصطفاني وإياك، واختارني للنبوة واختارك للإمامة.

فمن أنكر إمامتك، فقد أنكر نبوتي، يا عليّ: أنت وصيي وأبو ولدي، وزوج ابنتي، وخليفتي في أمتي في حياتي وبعد موتي، أمرك أمري، ونهيك نهيي أقسم بالذي بعثني بالنبوة وجعلني خير البرية، إنك لحجة الله على خلقه وأمين سره وخليفته في عباده.

في شهادة سيد الوصيين عليه السلام:

ولما ورد ابن ملجم علي أمير المؤمنين عليه السلام مع الوفد الذين وفدوا عليه للبيعة، جعل أمير المؤمنين يطيل النظر إليه، ثم أخذ عليه البيعة مرتين أو ثلاثاً، فلما أدبر عنه دعاه أمير المؤمنين عليه السلام، فتوثق منه، وتأكد عليه، أن لا يغدر ولا ينكث، فقال له ابن ملجم: ما رأيتك فعلت هذا بأحد غيري فقال عليه السلام:

أريد حياته ويريدُ قتلي عذيرك من خليلكَ من مرادي

امض يابن ملجم والله ما أرى أن تفي بما قلت.

ثم قال عليه السلام: هذا والله قاتلي لا محالة.

ثم قال عليه السلام: أرأيتك إن سألتك عن شيء هل أنت تخبرني عنه؟ قال نعم: وحلفه عليه، فقال عليه السلام: كنت يوماً تلاعب الصبيان وتقوم عليهم، فكنت إذا جئت فروا منك، وقالوا: قد جاءنا ابن راعية الكلاب؟ قال: اللهم نعم، ولقد مررت برجل راهب فنظر إليك وأحد النظر فقال: أشقى من عاقر ناقة صالح؟ فقال: نعم، ولقد أخبرتك أمك أنها حملت بك وهي حائض، فقال: نعم ولو كنت كاتمك شيئاً لكتمتك هذا، ثم قال عليّ عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن قاتلك يشبه اليهودي، أو بل هو يهودي.

وخطب عليّ عليه السلام في شهر رمضان فقال في خطبته: أنه قد أتاكم شهر رمضان، وفيه تدور رحى الإسلام، ألا وأنكم حاجوا العام صفاً واحداً، وآية ذلك أني لست فيكم، وكان عليه السلام يفطر في هذا الشهر، ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند زوج ابنته عبدالله بن جعفر، وكان لا يزيد على ثلاث لقم، فقيل له في ذلك: فقال: أحب أن يأتيني أمر الله وأنا خميص، وإنما هي ليلة أو ليلتان.

قالت أم كلثوم: لما كانت ليلة تسعة عشر من شهر رمضان، قدمت لأبي عند الإفطار طبقاً فيه قرصان من خبز الشعير، وقصعة فيها لبن، وملح جريش، فلما فرغ من

صلاته أقبل على فطوره، ثم قال: يا بنية أتقدمين لونين لي في طبق واحد، تريدين أن يطول وقوفي بين يدي الله تعالى، إني أريد أن أتبع أخي وابن عمي رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنه ما قدم إليه أدامان في طبق واحد إلى أن قبضه الله تعالى.

يا بنية: إن الدنيا في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب.

يا بنية: ما من رجل طاب مطعمه ومشربه إلا طال وقوفه بين يدي الله تعالى يوم القيامة.

ولقد أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله: إن جبرئيل نزل ومعه مفاتيح كنوز الأرض، فقال: يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول: إن شئت سيرت معك جبال تهامة ذهباً وفضة، وخذ مفاتيح كنوز الأرض وما ينقصك من حقك يوم القيامة.

فقال: يا جبرئيل ثم ما يكون بعد ذلك؟ قال: لا حاجة لي في الدنيا، دعني أجوع يوماً وأشبع يوماً، فاليوم الذي أجوع فيه أتضرع إلى ربي، وأسأله، واليوم الذي أشبع فيه أحمد ربي وأشكره، فقال له جبرئيل: وفقت لكل خير يا محمد.

ثم قال: يا بنية إن الدنيا دار غرور ودار ذل، ومن قدّم منها لآخرته شيئاً وصل نفعه إليه.

يا بنية: والله لا أتناول شيئاً حتى ترفعين أحدهما، قالت: فرفعت اللبن، فأكل من الخبز والملح وحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قام إلى صلاته ولم يزل تلك الليلة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً يتضرع ويبتهل إلى الله تعالى، ثم يخرج ساعة بعد ساعة، وينظر في الكواكب، ويقلب طرفه إلى السماء، ثم تلى سورة «يس»، ثم نام قليلاً وانتبه من النوم فزعاً مرعوباً، فجمع أولاده وأهله، وقال لهم: إني مفارقكم في هذا الشهر، وقد رأيت في هذه الليلة رؤيا عظيمة أهالتني.

إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي، وهو يقول: يا أبا الحسن أنت قادم إلينا عن قريب، وسيخضب لحيتك أشقى هذه الأمة من دم رأسك، وإني مشتاق إلى لقائك، وأنت قادم إلينا في العشر الأواخر من هذا الشهر، فهلم إلينا، فالذي عندنا لك خير وأبقى، فلما سمع أهله كلامه ضجوا بالبكاء والنحيب، فأمرهم بالسكوت، ثم أقبل يوصيهم ويأمرهم بالخير، وينهاهم عن الشر، ثم يخرج ساعة بعد ساعة، ينظر إلى الكواكب ويقلب طرفه وهو يقول: والله لا كذبت ولا كذبت، إنها الليلة التي وعدني بها رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم يعود إلى صلاته ومصلاه وهو يكرر: اللهم بارك لي في الموت، ويكثر من قول: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، ويصلي على النبي صلى الله عليه وآله، ويستغفر الله كثيراً.

قالت أم كلثوم: فلما رأيت ما عرض لأبي من القلق والاضطراب لم يأخذني النوم، وقلت يا أبة: لم حرمت على نفسك النوم في هذه الليلة؟ ولم لا تستريح يا أبة؟ فقال: يا بنية إني كثيراً ما قاتلت الشجعان، وقاسيت الأهوال العظيمة، ولم يحصل لي رعب واضطراب مثل هذه الليلة، ثم قال عليه السلام: إنا لله وإنا إليه راجعون.

فقلت: يا أبة لم أراك تنعى إلينا نفسك في هذه الليلة؟ فقال: يا بنية قد قرب الأجل وانقطع الأمل، قالت أم كلثوم: فلما سمعت ذلك بكيت، فقال: يا بنية لا تبكي، فإني ما أخبرتك إلا بما عهده إليّ حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم غفى قليلاً ثم انتبه عليه السلام، وقال: يا بنية إذا قرب وقت الأذان فاعلميني، ثم جعل يتضرع إلى الله تعالى ويدعو، فلما قرب وقت الصلاة قدمت إليه وضوءه، ولبس ثيابه وتوجه إلى المسجد، فلما صار في صحن الدار، وكان في الدار وزّ قد أهديت إلى أخي الحسن، فلما رأينه رفرفن بأجنحتهن وصحن في وجهه، فقال عليه السلام: لا إله إلا الله، صوارخ وصوائح تلحقها نوائح، وسيظهر قضاء الله غداً، فقلت: يا أبة لم تتفآل بالشر؟ فقال عليه السلام: ليس منا أهل البيت أحد تتفآل بالسوء، ولا يؤثر السوء فينا، ولكن جرى الحق على لساني، ثم قال يا بنية: بحقي عليك إلا ما أطلقتيه: فقال: حبست ما ليس له لسان فأطعميه واسقيه، وإلا فخلّي سبيله يأكل من حشيش الأرض، فلما وصل إلى الباب وهو مغلق عالجه، فانحل مئزره، فشده وهو يقول:

أشدد حيازيمك للموت ... فإن الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت ... إذا حلّ بناديكا
ولا تَغتر بالدهر ... وإن كان يواتيكا
كما أضحكك الدهرُ ... كذاك الدهر يبكيكا

ثم قال: اللهم بارك لي في الموت، وبارك لي في لقائك، قالت أم كلثوم: وكنت أمشي خلفه، فلما سمعت ذلك قلت: واغوثاه يا أبتاه مالي أراك تنعي نفسك منذ الليلة، فقال: يا بنية إنها علامات ودلالات للموت يتبع بعضها بعضاً، ثم فتح الباب وخرج.

قالت أم كلثوم: فأتيت إلى أخي الحسن وقلت: يا أخي قد كان من أمر أبيك الليلة كيت وكيت وقد خرج، فقم والحقه قبل أن يدخل المسجد، فلحقه الحسن وقال: يا أبة ما أخرجك في هذه الليلة إلى المسجد؟ فقال: يا بني لرؤياً رأيتها في هذه الليلة أهالتني، قال: خيراً رأيت وخيراً يكون يا أبة؟ فقصها، فقال: يا بني رأيت كأن جبرئيل قد نزل من السماء على أبي قبيس، فتناول منه حجرين ومضى بهما إلى الكعبة، وضرب

أحدهما على الآخر فصارت كالرميم، ثم ذراهما في الهواء، فما بقي بمكة ولا بالمدينة بيت إلا ودخله من ذلك الرماد شيء.

فقال الحسن عليه السلام: يا أبة فما تأويله؟ فقال: يا بني إن صدقت رؤياي فإن أباك مقتول، ولا يبقى بمكة ولا بالمدينة بيت إلا ويدخله غم من أجلي، فقال الحسن عليه السلام: وهل ترى متى يكون ذلك يا أبة؟

فقال: يا بني إن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]، ولكن عهد إليّ حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله أنه يكون في العشر الأواخر من شهر رمضان، يقتلني عبد الرحمن بن ملجم المرادي.

فقال: يا أبة إذا علمت ذلك منه فاقتله، فقال: يا بني لا يجوز القصاص قبل الجناية، والجناية لم تحصل منه.

ثم قال: يا بني ارجع إلى فراشك، فقال الحسن: يا أبتاه أريد المضي معك إلى موضع صلاتكَ.

فقالَ عليه السلام: بحقي عليك يا بني إلا ما رجعت إلى فراشك لئلا يتنغص عليك نومك، ولا تعصني في ذلك، قال: فرجع الحسن عليه السلام، فوجد أخته أم كلثوم خلف الباب، فدخل وجلسا يتحدثان وهما محزونان، وسار أمير المؤمنين عليه السلام حتى دخل المسجد، والقناديل قد خمد ضوؤها، فصلى في المسجد ركعات وعقب بعدها، ثم أنه علا المأذنة وتنحنح وجعل أصبعه في أذنه وأذن، وكان عليه السلام إذا أذن لم يبق في الكوفة بيت إلا دخله صوته.

وكان اللعين ابن ملجم قد بات في المسجد، ومعه شبيب بن بحيرة، وكان من أشجع الناس، ووردان بن مجالد، وكانت قطام قد شرطت لهم شرائط، ولابن ملجم أن تتزوج به (لع)، وكانت معتكفة في المسجد الأعظم، فدخلوا عليها المسجد، وقالوا لها: قد اجتمع رأينا على قتل هذا الرجل، فدعت لهم بحريرة فعصبت به صدورهم، وتقلدوا أسيافهم ومضوا، وجلسوا مقابل السدة التي كان يخرج منها أمير المؤمنين عليه السلام إلى الصلاة، وقد كانوا قبل ذلك ألقوا إلى الأشعث بن قيس ما في نفوسهم من العزيمة، وواطأهم على ذلك، وحضر معهم لمعونتهم في تلك الليلة، وكان حجر بن عدي في تلك الليلة في المسجد، فسمع الأشعث يقول: يابن ملجم النجا النجا لحاجتك فقد فضحك الفجر، فأحسَ حجر بن عدي بما أراد الأشعثُ، فقال له: قتلته يا أعورُ، وخرج مبادراً ليمضي إلى أمير المؤمنين عليه السلام ليخبرهُ الخبر فخالفه في الطريق، ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام لما نزل عن المأذنةِ، جعل يسبح الله ويقدسهُ ويكثر

من الصلاة على النبي ﷺ، وعبر على قوم نيام في المسجد، وفيهم ابن مُلجم (لع)، فقال: الصلاة الصلاة حتى انتهى إلى ابن ملجم وهو مكبوب على وجههِ، فقال عليه السلام: قم إلى الصلاة ولا تنم هكذا، فإنه نومٌ الشياطين ثم قال عليه السلام: لقد أضمرت أمراً عظيماً تكاد السماوات يتفطرن منه، وتنشق منه الأرض، وتخرُ الجبال هداً، ولو شئت لأخبرتك بما أخفيتهُ تحت ثيابك.

ثم أنه تقدم عليه السلام إلى المحراب، ودخلَ في الصلاة وأطالَ ركوعه وسجوده كما هي عادتهُ، فجاء اللعين ابن ملجم، ووقف حذاءَ الأسطوانة التي كان يصلي عندها، وأمهله حتى صلى الركعة الأولى، فلما رفع رأسهُ منها رفع اللعين سيفه وضربه، وتعمدَ بالضربة على رأسه الشريف فوقعت الضربة في الموضع الذي ضربه عمرو بن ود، فشقت رأسه إلى موضع سجودهِ، وقال: بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله فزت ورب الكعبة، فلما سمع أهل المسجد صوته أسرعوا إلى المحراب، وكانت الضربة مسمومة وقد جرى السم في رأسه وبدنه الشريف، وكان قد ضربه اللعين شبيب بن بجرة فأخطأه، ووقعت الضربة في الطاق، وأحاط الناسُ بأمير المؤمنين عليه السلام وهو يشد رأسه بميزرهِ، والدم يجري على لحيته ووجهه الشريف وهو يتلو: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥] أتى أمر الله وصدقَ رسول الله ﷺ، وزلزلت الأرض، وماجت البحار، ورجفت السماء، واصطفقت أبوابُ الجامع، وضجت الملائكة في السماء بالدعاء، وهبت ريح عاصف مظلمة سوداء، ونادى جبرائيل بين السماء والأرض بصوت يسمعه كل مستيقظ: «تهدمت والله أركانُ الهدى، وانطمست أعلام التقى، وانفصمت العروة الوثقى، قُتلَ ابن عم المصطفى، قُتلَ الوصيُ المجتبى، قتلَ علي المرتضى، قتله أشقى الأشقياء».

فسمعت أم كلثوم نعي جبرئيل، فلطمت خدها، وشقت جيبها، وصاحت: واأبتاهُ واعلياه وامحمداهُ، فانتبه من صوتها كل من في الدار، فخرجَ الحسن والحسين عليهما السلام، فسمعا الناس يضجون وينوحون ويقولون: واإماماه، واأمير المؤمنيناه، والله لقد قُتلَ إمام العابدين والمجاهدين، الذي لم يسجد لصنم قط، قتل أشبهُ الخلق بالنبي، فدخلا بالمسجد باكيين قائلين: واأبتاه واعلياه، ليت الموت أعدمنا الحياة، ولا نرى يومك هذا فأقبلا إلى المحراب، فوجدا أباهما طريحاً في المحراب، وأبو جعدة ومعه جماعة يعالجونه للصلاة وهو لا يستطيع، فلما رأى عليه السلام ولده الحسن، جعله في موضعه، وأمره أن يصلي بالناس، وصلى أمير المؤمنين عليه السلام جالساً مومياً للصلاة، والدم يجري على لحيته الشريفة ووجههِ، وهو يميل يميناً وشمالاً، فلما فرغ الحسن من الصلاة، وضع رأس أبيه في حجره، وهو يقول: يا أبتاه كسرت ظهري، كيف أستطيع أراك بهذه

الحالة؟ ففتح أمير المؤمنين عليه السلام عينيه في وجههِ، وقال: يا بني لا غم على أبيك بعد هذا اليوم ولا جزع، اليوم ألقى جدك محمداً المصطفى، وجدتك خديجة الكبرى، وأمك فاطمة الزهراء، وأن الحور العين ينتظرون أباك، ويترقبون قدومه ساعة بعد ساعة فلا بأس عليك يا بني لا تبك، فقد بكت ملائكة السماء لبكائك.

ودخل الناس المسجد، فرأوا أمير المؤمنين عليه السلام، وقد وضع رأسه في حجر الحسن عليه السلام، والدمُ يسيل على وجهه الشريف، ولونه قد مال من الصفرة إلى البياض، وهو ينظر إلى آفاق السماء، ويسبحُ الله ويقدسه، ويقول: إلهي أسألك مرافقة الأنبياء والأوصياء وأعلى درجات الجنة، ثم غشي عليه، فبكى الحسن عليه السلام وجعلت دموعه تتناثر على خديه، فسقط من دموعه قطرة على وجه أمير المؤمنين ففتح عينيه، فوجده باكياً فقال: ما هذا البكاء يا بني؟ لا خوف ولا جزع على أبيك بعد اليوم.

يا بني: لا تبك وأنت تُقتل مسموماً، ويُقتل أخوك الحسين بالسيف هكذا، وتلحقان بجدكما وأبيكما.

ثم قال له الحسن: يا أبتاه من قتلك؟ قال: قتلني ابن اليهودية عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله، فقال: يا أباه من أي طريق مضى؟ فقال عليه السلام: لا يمضي أحد في طلبه فإنه سيطلع عليكم من هذا الباب، وأشار إلى باب كندة، واشتغل الناس بالنظر إلى باب كندة، وقد غص المسجد بالعالم ما بين باك وباكية، ونادب ونادبة، وقد سرى السم في رأس أمير المؤمنين عليه السلام، وإذا بالضجة قد ارتفعت، وقد جاؤا باللعين ابن ملجم، فوقع الناس بعضهم على بعض وهو مكشوف الرأس، والناس هذا يلطمه، وهذا يضربه، وهذا يلعنه في وجهه، ويعضون لحمه بأسنانهم، ويقولون: يا عدو الله أهلكت الأمة، وقتلت خير الناس، واللعين ساكت لا يتكلم وبين يديه رجل يقال له: حذيفة النخعي، وبيده سيف مسلول وهو يرد الناس عن قتله، فأوقفوه عند الحسن عليه السلام.

فلما نظر إليه قال: يا ملعون قتلت أمير المؤمنين وإمام المسلمين هذا جزاؤه منك حين آواك وقرّبك، وأدناك وآثرك على غيرك؟ هل كان بئس الإمام لك حتى تجازيه هذا الجزاء يا شقي الأشقياء؟ وضج الناس بالبكا والعويل.

ثم التفت الحسن عليه السلام إلى الذي جاء به، وقال: كيف ظفرت بعدو الله وأين لقيته؟ فقال: يا مولاي حديثي عجيب، وذلك: أني كنت نائماً، وزوجتي إلى جنبي إذ سمعت ناعياً ينعى أمير المؤمنين، وهو يقول: تهدمت والله أركان الهدى، وانطمست والله أعلام التقى، وانفصمت والله العروة الوثقى، قتل ابن عم المصطفى، قتل الوصي

المجتبى، قتل علي المرتضى، قتله أشقى الأشقياء، فأيقظتني زوجتي، وقالت: أنت نائم وإمامك قد قتل؟

فانتبهت فزعاً، وقلت: يا ويلك ما هذا الكلام فض الله فاك، لعل الشيطان قد ألقاه في سمعك، فإن أمير المؤمنين ليس لأحد قبله تبعة ولا طلبة، وإنه لليتيم كالأب الرحيم، وللأرملة كالزوج العطوف، ومع ذلك فمن يقدر على قتله وهو كالأسد الضرغام والبطل الهمام؟ فأكثرت علي الكلام، وقالت: إني سمعت ما لم تسمع، وما أظن في الكوفة بيتاً إلا وقد دخله ذلك النعي، فبينا هي وأنا في مراجعة الكلام، وإذا بصيحة عظيمة، وقائل يقول: «قتل أمير المؤمنين» فحس قلبي بالشر، فأخذت سيفي وسللته، فنزلت في الدار، فلما صرت في وسط الحارة، وإذا بعدو الله يجول فيها ويطلب مهرباً، وقد انسدت الطرق في وجهه فقلت: يا ويلك من أنت في وسط الطريق تمر وتجيء؟ فتسمى بغير اسمه، وانتمى إلى غير نسبه.

فقلت له: من أين أقبلت؟

قال: من منزلي.

قلت: وإلى أين تريد؟

قال: الحيرة.

قلت: سمعت صيحة عظيمة، وقائلاً يقول: قتل أمير المؤمنين، فهل عندك من ذلك خبر؟ قال: لا.

قلت: ولم لا تمضي معي حتى نتحقق الخبر؟

قال: أنا ماض في أمر أهم منه.

فقلت له: ويلك وأي أمر أهم من قتل أمير المؤمنين؟ ثم قلت: يا ويلك لعلك أنت قاتل أمير المؤمنين عليه السلام وإمام المسلمين؟

إذاً والله مالك عند الله من خلاق، وهممت عليه بسيفي أن أعلوه، فراغ عني فانكشف سيفه، فرأيته يبرق فقلت: يا ويلك ما هذا السيف تحت ثيابك؟ لعلك قاتله؟ فأراد أن يقول: لا، قال: نعم، فرفعت سيفي وضربته على ساقه، فوقع لحينه ووقعت عليه، وصرخت صرخة شديدة، فخرج أهل الحارة فأعانوني عليه حتى أوثقته كتافاً وجئتك به، فها هو ذا بين يديك جعلني الله فداك فاصنع ما شئت.

فقال الحسن عليه السلام: الحمد لله الذي نصر وليه على عدوه، ثم انكب الحسن على أبيه يقبله، ففتح عينيه وهو يقول: إرفقوا بي يا ملائكة ربي، فقال له الحسن عليه السلام: هذا

عدو الله وعدوك ابن ملجم (لع) قد أمكننا الله تعالى منه، وقد حضر بين يديك، ففتح أمير المؤمنين عليه السلام عينيه، وقال له: بضعف وانكسار صوت: يا هذا لقد جئت شيئاً عظيماً، وارتكبت أمراً جسيماً، أبئس الإمام كنت لك حتى جازيتني بهذا الجزاء؟ ألم أكن شفيقاً عليك أؤثرك على غيرك؟ وأحسن إليك؟ وزدت في عطائك؟ وقد كنت أعلم أنك قاتلي لا محالة، ولكن رجوت بذلك الاستظهار عليك يا شقي الأشقياء؟ قال: فدمعت عينا ابن ملجم (لع)، وقال: يا أمير المؤمنين أفأنت تنقذ من في النار؟ فقال عليه السلام: صدقت، ثم التفت إلى الحسن عليه السلام، وقال: يا بني ارفق بأسيرك وارحمه واشفق عليه، ألا ترى إلى عينيه قد صارتا في أم رأسه، وقلبه يرجف خوفاً؟ فقال له الحسن عليه السلام: يا أبتاه قد قتلك هذا اللعين وأفجعنا بك، وأنت تأمرنا بالرفق به؟!

فقال عليه السلام: يا بني نحن أهل بيت الرحمة والمغفرة، فأطعمه مما تأكل، واسقه مما تشرب، فإن أنا مت فاقصص منه بأن تقتله، ثم تحرقه بالنار، ولا تمثل بالرجل، فإني سمعت جدك يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور، وإن أنا عشت، فأنا أعلم ما أفعل به، وأنا أولى بالعفو، فنحن أهل بيت لا تزداد على المذنب إلينا إلا عفواً وكرماً.

قال محمد بن الحنفية، ثم أن أبي قال: احملوني إلى منزلي فحملناه إليه، والناس حوله قد أشرفوا على الهلاك من البكاء والعويل، فالتفت الحسين عليه السلام إلى أبيه وهو باك حزين، وقال: يا أبة من لنا بعدك؟ وإن مصابنا بك اليوم مثل مصابنا برسول الله صلى الله عليه وآله، كأنا ادخرنا البكاء لك يا أبتاه، فقربه أمير المؤمنين عليه السلام إليه وأدناه، ونظر إلى عينيه مقروحتين من البكاء، فمسح الدموع عن عينيه، ووضع يده على صدره، وقال: يا بني أسكن الله قلبك بالصبر وعظم أجرك، وآجر إخوتك بمصابكم بي، وأسكن الله اضطرابك ودموع عينيك، فإن الله تعالى يؤجركم بقدر مصابكم بي، ثم حمل إلى موضع مصلاه من حجرته عليه السلام.

وأقبلت زينب وأم كلثوم إلى موضعه تندبانه وتقولان: يا أبتاه من للصغير حتى يكبر؟ ومن للكبير بين الملاء؟ يا أبتاه حزننا عليك طويل، وعبرتنا لا ترقى، فضج الناسُ بالبكاء والعويل من وراء الحجرة، وفاضت دموع أمير المؤمنين عليه السلام على خديه، وجعل يقلب طرفه في أهل بيته، ثم دعى الحسن والحسين عليهما السلام وجعل يقبلهما، ثم أغمي عليه ساعة طويلة ثم أفاق، وكذلك كانت علة النبي صلى الله عليه وآله يغمى عليه ساعة ويفيق أخرى كأنه مسموم، فلما أفاق عليه السلام، ناوله الحسن قعباً من لبن، فشرب منه قليلاً، ثم نحاه عن فمه، وقال: احملوه إلى أسيركم، بحقي عليكم طيبوا طعامه وشرابه، وارفقوا به إلى حين موتي.

قال محمد بن الحنفية: وبتنا ليلة عشرين مع أبي وقد نزل السم إلى بدنه الشريف، وكان يصلي تلك الليلة من جلوس، ولم يزل يوصينا بوصاياه، ويعزينا عن نفسه، فلما أصبح استأذن الناس عليه، فأذن لهم، فدخلوا وأقبلوا يسلمون عليه، وهو يرد عليهم السلام، ثم قال: أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني، وخففوا سؤالكم لمصيبة إمامكم، قال: فبكى الناس عند ذلك بكاء شديداً، وأشفقوا أن يسألوه تخفيفاً عنه، فقام إليه حجر بن عدي الطائي، فلما نظر إليه عليه السلام قال: كيف بك يا حجر إذا دعيت إلى البراءة مني، فما عساك أن تقول؟ قال: والله يا أمير المؤمنين لو قطعت إرباً إرباً، وأضرمت لي النيران، وألقيت فيها لآثرت ذلك على البراءة منك صلى الله عليك، فقال عليه السلام: وفقت لكل خير يا حجر، وجزاك الله عن أهل بيت نبيك خيراً، ثم تناول عليه السلام شربة من لبن فشربها، وقال: هذا آخر شرابي من الدنيا.

ولما كانت ليلة إحدى وعشرين جمع عليه السلام أولاده وأهل بيته، ثم قال لهم: الله خليفتي عليكم وهو حسبي ونعم الوكيل. وأمرهم وأوصاهم بما أوصاه رسول الله صلى الله عليه وآله به، قال: ونحن ننظر إليه وإلى يديه وإلى رجليه قد احمرتا جميعاً، فكبر ذلك علينا وأيسنا منه، ثم عرضنا عليه الأكل فأبى، ورشح جبينه عرقاً وهو يمسحه بيده، فقلت له: يا أبة أراك تمسح جبينك؟ فقال عليه السلام: يا بني إن المؤمن إذا نزل به الموت عرق جبينه، وسكن أنينه، ثم نادى أولاده كلهم بأسمائهم صغيراً وكبيراً، وهو يقول: الله خليفتي عليكم وهم يبكون، ثم قال عليه السلام: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي قبل الكائنة بليلة، فشكوت إليه ما أنا فيه من النكد والأذى من هذه الأمة، فقال صلى الله عليه وآله: أدع الله عليهم، فقلت: اللهم ابدلهم بي شراً مني، وأبدلني خيراً منهم، فقال صلى الله عليه وآله: قد استجاب الله دعاءك، وأن الله تعالى سينقلك علينا بعد ثلاثة أيام، وقد مضت الثلاثة.

يا أبا محمد أوصيك - ويا أبأ عبدالله - خيراً، فأنتما مني وأنا منكما، ثم التفت إلى أولاده من غير فاطمة وأوصاهم: أن لا يخالفوا أولاد فاطمة.

ثم قال: أحسن الله لكم العزاء، ألا وأني منصرف عنكم، وراحل في ليلتي هذه، ولاحقٌ بجدكما رسول الله صلى الله عليه وآله كما وعدني.

ثم قال للحسن والحسين عليهما السلام: غسلاني، وكفناني، وحنطاني، واحملاني على سريري، واحملا مؤخره تكفيان مقدمه، فإذا وضع المقدم، فضعا المؤخرة، فإنكما تنتهيان إلى قبر محفور، ولحد ملحود، وساجة منقورة مكتوب عليها بالسريانية: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما حفره نوح عليه السلام إلى وصيّ محمد قبل الطوفان بسبعمائة عام، فالحداني واشرجا عليّ اللبن، وارفعا لبنة من عند الرأس، فانظرا ما تسمعان، فأخذا

اللبنة من عند الرأس بعدما أشرجا اللبن، فإذا ليس في القبر شيء وإذا بهاتف يقول: كان أمير المؤمنين عبداً صالحاً فألحقه الله عزوجل بنبيه صلى الله عليه وآله، وكذلك يفعل بالأوصياء، ثم أنه عليه السلام أسبل يديه ومدّ رجليه، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله، قم قضى نحبه صلوات الله عليه، فضج أهله بالبكاء.

ثم إن الحسن عليه السلام أخذ في تجهيزه كما أمره، وحملاه ليلاً إلى الموضع المشار إليه كما أمره عليه السلام فكان كما ذكر، وساووا قبره مع الأرض مخافة الخوارج، ولم يزل قبره مخفياً حتى أظهره الصادق عليه السلام في الدولة العباسية.

وقد روى جماعة: أن ليلة وفاته عليه السلام لم يرفع من وجه الأرض حجر إلا ووجد تحته دم عبيط، ولما رجع الحسن عليه السلام من دفن أمير المؤمنين عليه السلام، وقد اجتمع الناس لقتل ابن ملجم لعنه الله، أخرجه الحسن عليه السلام، فقال اللعين للحسن عليه السلام: إني أريد أن أسارّك بكلمة، فأبى وقال: إنه يريد أن يعض أذني، فقال ابن ملجم (لع): والله لو أمكنني منها لأخذتها من صماخه.

وروى الراوندي، والإربلي عن ابن الرفا قال: كنت بالمسجد الحرام فرأيت الناس مجتمعين حول مقام إبراهيم عليه السلام، فقلت ما هذا؟ قالوا: شيخ أسلم، فأشرفت عليه، فإذا بشيخ كبير عليه جبة صوف، وقلنسوة صوف، عظيم الخلقة، فسمعته يقول: كنت قاعداً في صومعتي فأشرفت منها، وإذا بطائر كالنسر قد سقط على شاطىء البحر على صخرة، فتقيأ بربع إنسان ثم طار، فدنت الأرباع، فإذا رجل قائم ينبح مثل الكلاب، وأنا أتعجب منه، ثم انحدر الطائر فأخذ ربعاً منه ثم طار، ثم عاد وأخذ بربع آخر حتى فعل ذلك أربع مرات، فبقيت متفكراً وتحسرت أن لا أكون لحقته، وسألته من هو فبقيت أتفقد الصخرة حتى رأيت الطير قد أقبل فتقيأ ربع إنسان فقمت بإزائه، فلم أزل حتى تقيأ ربع الرابع ثم طار، فدنت الأرباع فصار رجلاً قائماً فدنوت منه فسألته من هو؟ فسكت عني فقلت له: بحق من خلقك من أنت؟ فقال اللعين: أنا ابن ملجم قلت له: وأي شيء عملت؟

قال: قتلت علي بن أبي طالب، فوكل الله تعالى بي هذا الطائر يقتلني في كل يوم قتلة، فبينما هو يلكمني إذا انقض الطائر، فأخذ ربعه ثم طار، وعاد فأخذه أرباعاً، فسألت عن علي بن أبي طالب فقيل لي: وصي محمد رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلمت.

ولما قتل الحسن عليه السلام ابن ملجم (لع)، استوهبت جثته أم الهيثم النخعية فأحرقتها بالنار، لعن الله الظالمين لهم من الأولين والآخرين إلى يوم الدين.

وكان موضع قبره عليه السلام مخفياً إلى زمان هارون الرشيد.

كما روى أنه خرج يوماً إلى الصيد وأرسل الصقور والكلاب على الظباء بجانب الغريين، فجاولتها ساعة ثم لجأت الظبا إلى الأكمة، فرجعت الكلاب والصقور عنها فسقطت في ناحية، فلما هبطت الظباء من الأكمة، نهضت الكلاب والصقور إليها، فرجعت الظباء إلى الأكمة، فانصرفت عنه الكلاب والصقور، ففعلن ذلك مراراً، فتعجب الرشيد من ذلك، وسأل شيخاً من بني أسد هناك ما هذه الأكمة؟ فقال لي: الأمان؟ قال: نعم قال: فيها قبر الإمام علي بن أبي طالب، فتوضأ هارون وصلى ودعى، ولقد أظهره الصادق عليه السلام، وبنى عليه الرشيد قبة، ومن أراد الاطلاع فليلاحظ فرحة الغري للسيد بن طاووس.

وقبض عليه السلام وله يومئذ خمس وستون سنة، وقيل: سبع وخمسون سنة، وقيل: ثلاث وستون سنة، كان مع النبي صلى الله عليه وآله منها: ثلاث وعشرون، وبمكة ثلاثة عشر، وبالمدينة عشر سنين، وهاجر وهو ابن أربع وعشرين سنة، وضرب بالسيف بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وهو ابن ستة عشر سنة، وقتل الأبطال وهو ابن تسعة عشر سنة، وقلع باب خيبر وله اثنان وعشرون سنة، وكانت مدة إمامته عليه السلام ثلاثين سنة. منها: أيام أبي بكر سنتان وأربعة أشهر، وأيام عمر تسع سنين وأشهر، وأيام عثمان عشر سنين، ثم أتاه الحق خمس سنين وأشهر.

واختلف في ضربته فقيل: لسبعة عشر من شهر رمضان، وقيل: لتسعة عشرة وقيل: ليلة الحادي والعشرين، وقيل: ليلة الثالث والعشرين، والله أعلم بالصواب، لعن الله الظالمين لهم من الأولين والآخرين إلى يوم الدين آمين يا رب العالمين.

في بيان أحوال الإمام الحسن بن علي عليه السلام المجتبى عليه آلاف التحية والثناء، وفيه فصلان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الفصل الأول: في ولادته عليه السلام وبعض أحواله ومناقبه

ولادة الحسن المجتبى عليه السلام

المشهور بين علمائنا أن ولادته عليه السلام كانت في السنة الثانية بعد الهجرة.

وكنيته: أبو محمد وأبو القاسم.

وألقابه: السيد، والسبط، والأمين، والحجة، والبر، والتقي، والزكي، والمجتبى، والزاهد.

روى الصدوق في العلل والأمالي: عن علي بن الحسين عليه السلام: أنه لما ولدت فاطمة عليها السلام الحسن، قالت لعلي عليه السلام: سمِّه، فقال: ما كنت لأسبق بإسمه رسول الله صلى الله عليه وآله، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله فأخرج إليه في خرقة صفراء، فقال: ألم أنهكم أن لا تلفوه في خرقة صفراء؟ ثم رمى بها وأخذ خرقة بيضاء فلفه فيها، ثم قال لعلي عليه السلام: هل سميته؟ فقال: لا ما كنت لأسبقك باسمه، فقال صلى الله عليه وآله: وما كنت لأسبقك باسمه ربي عزوجل، فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل عليه السلام أنه قد ولد لمحمد ابن، فاهبط فاقرأه السلام وهنِّئه، وقل له: أن علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمه باسم ابن هارون، قال: وما كان اسم ابن هارون؟ قال: شبر، قال: لساني عربي، قال: سمِّه الحسن، فسمَّاه الحسن.

فلما ولد الحسين أوحى الله عزوجل إلى جبرئيل، أنه قد ولد لمحمد ابن، فاهبط إليه وهنِّئه، وقل له: إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمِّه باسم ابن هارون، قال: وما اسمه؟ قال: شبير، قال: لساني عربي، قال: سمِّه الحسين.

وفي العيون عن الرضا عليه السلام قال: إن النبي صلى الله عليه وآله عق عن الحسن عليه السلام يوم السابع بكبشين أملحين، وأعطى القابلة فخذاً ودیناراً، وحلق رأسه، وتصدق بوزن الشعر

ورقاً، وطلى رأسه بالخلوق، ثم قال: يا أسماء الدم فعل الجاهلية وأنه ﷺ سماه يوم السابع، واشتق من اسم الحسن والحسين، ولم يكن بينهما إلا الحمل.

وروى: أن فاطمة ولدت الحسن والحسين من فخذها الأيسر، وأن مريم ولدت المسيح من فخذها الأيمن.

وقال رسول الله ﷺ: إذ كان يوم القيامة زيّن عرش رب العالمين بكل زينة، ثم يؤتى بمنبرين من نور طولهما مئة ميل، فيوضع أحدهما عن يمين العرش، والآخر عن يسار العرش، ثم يؤتى بالحسن والحسين، فيقوم الحسن عليه السلام على أحدهما، والحسين عليه السلام على الآخر، يزين الرب تبارك وتعالى بهما عرشه، كما تزين المرأة قرطاها.

وروى العامة والخاصة: أن فاطمة عليها السلام أتت بابنيها الحسن والحسين عليهما السلام إلى رسول الله ﷺ في شكواه التي توفي فيها، فقالت: يا رسول الله هذان إبناك فورثهما شيئاً، فقال ﷺ:

أما الحسن عليه السلام: فإن له هيبتي وسوددي.

وأما الحسين عليه السلام: فإن له جودي وشجاعتي.

وقال: الحسن والحسين خير أهل الأرض بعدي وبعد أبيهما، وأمهما أفضل نساء أهل الأرض.

وروي عن الرضا عليه السلام، قال: عري الحسن والحسين عليهما السلام وأدركهما العيد، فقالا لأمهما: قد زينوا صبيان المدينة إلا نحن، فما لكِ لا تزينينا؟ فقالت: إن ثيابكما عند الخياط، فإذا أتى بها زينتكما، فلما كانت ليلة العيد أعادا القول على أمهما، فبكت، ورحمتهما، فقالت لهما: مثل ما قالت في المرة الأولى، فردا عليها.

فلما أخذ الظلام قرع الباب قارع، فقالت فاطمة: من هذا؟ فقال: يا بنت رسول الله أنا الخياط جئت بالثياب، ففتحت الباب، فإذا رجل ومعه ثياب العيد، فقالت فاطمة: والله لم أر رجلاً أهيب شيمة منه، فناولها منديلاً مشدوداً، ثم انصرف.

فدخلت فاطمة عليها السلام وفتحت المنديل، فإذا فيه قميصان، ودرَّاعتان، وسروالان، ورداءآن، وعمامتان، وخفان أسودان معقبان بحمرة، فأيقظتهما وألبستهما، ودخل رسول الله ﷺ وهما مزينان فحملهما وقبلهما، ثم قال ﷺ لفاطمة عليها السلام: رأيت الخياط، قالت: نعم يا رسول الله، والذي أنفذته من الثياب أتى بها، فقال: يا بنية ما هو خياطاً إنما هو رضوان خازن الجنان، قالت فاطمة: فمن أخبرك يا رسول الله؟ قال ﷺ: ما عرج حتى جاءني وأخبرني بذلك.

وروي عن ابن عباس قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ، إذ أقبلت فاطمة تبكي، فقال لها النبي ﷺ: ما يبكيك؟ فقالت: يا رسول الله إن الحسن والحسين خرجا، فوالله ما أدري أين سلكا؟ فقال النبي ﷺ: لا تبكين فداك أبوك، فإن الله عزوجل خلقهما وهو أرحم بهما، اللهم إن كانا أخذا في بر فاحفظهما، وإن كانا أخذا في بحر فسلمهما، فهبط جبرئيل، فقال: يا أحمد لا تغتمَّ ولا تحزن هما فاضلان في الدنيا، وفاضلان في الآخرة، وأبوهما خير منهما، وهما في حظيرة بني النجار نائمين، ووكل الله بهما ملكاً يحفظهما.

قال ابن عباس: فقام رسول الله ﷺ، وقمنا معه حتى أتى حظيرة بني النجار، فإذا الحسن معانق الحسين، وإذا الملك قد غطاهما بأحد جناحيه، فحمل النبي ﷺ الحسن، وأخذ الملك الحسين والناس يرون أنه حاملهما، فقال له أبو بكر وأبو أيوب الأنصاري: يا رسول الله، ألا نخفف عنك بأحد الصبيين فقال: دعاهما فإنهما فاضلان في الدنيا، وفاضلان في الآخرة، وأبوهما خير منهما.

ثم قال: والله لأشرّفنكما اليوم بما شرَّفهما الله به، فخطب فقال:

أيها الناس ألا أخبركم بخير الناس جداً وجدة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين فإن جدهما رسول الله، وجدتهما خديجة بنت خويلد.

ألا أخبركما بخير الناس أباً وأماً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين أبوهما علي بن أبي طالب، وأمهما فاطمة بنت محمد.

ألا أخبركم أيها الناس بخير الناس عماً وعمة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين عمهما جعفر بن أبي طالب، وعمتهما أم هاني بنت أبي طالب.

أيها الناس ألا أخبركم بخير الناس خالاً وخالة؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: الحسن والحسين خالهما القاسم ابن رسول الله، وخالتهما زينب بنت رسول الله ﷺ، إلا أن أباهما في الجنة، وأمهما في الجنة، وجدهما في الجنة، وجدتهما في الجنة، وخالهما في الجنة، وخالتهما في الجنة، وعمهما في الجنة، وعمتهما في الجنة، وهما في الجنة، ومن أحبهما في الجنة، ومن أحب من أحبهما في الجنة.

في فقد الحسنيين عليهما السلام

وروى الصدوق في الأمالي، عن الصادق عليه السلام قال: مرض النبي ﷺ المرضة التي عوفي فيها فعادته فاطمة سيدة النساء، ومعها الحسن والحسين عليهما السلام، وقد أخذت الحسن بيدها اليمنى، والحسين بيدها اليسرى وهما يمشيان، وفاطمة بينهما حتى دخلوا

منزل عائشة، فقعد الحسن على جانب رسول الله الأيمن، والحسين على جانب رسول الله الأيسر، فأقبلا يغمزان ما يليهما من بدن رسول الله ﷺ، فما أفاق النبي من نومه.

فقالت فاطمة عليها السلام للحسن والحسين عليهما السلام: حبيبيَّ إنَّ جدَّكما قد غفا، فانصرفا ساعتكما هذه ودعاه حتى يفيق وترجعان إليه، فقالا: لسنا ببارحين في وقتنا، فاضطجع الحسن على عضد النبي الأيمن، والحسين على عضده الأيسر، فغفيا وانتبها قبل أن ينتبه النبي ﷺ، وقد كانت فاطمة عليها السلام لمّا ناما إنصرفت إلى منزلها، فقالا لعائشة: ما فعلت أمنا؟ قالت: لما نمتما رجعت إلى منزلها.

فخرجا في ليلة ظلماء مدلهمة ذات رعد وبرق، وقد أرخت السماء عزاليها، فسطع لهما نور، فلم يزالا يمشيان في ذلك النور، والحسن قابض بيده اليمنى على يد الحسين اليسرى، وهما يتماشيان ويتحدثان حتى أتيا حديقة بني النجار، فلما بلغا الحديقة حارا، فبقيا لا يعلمان أين يأخذان، فقال الحسن للحسين: إنا قد حرنا وبقينا على حالتنا هذه، وما ندري أين نسلك؟ فلا عليك أن ننام في وقتنا هذا حتى نصبح، فقال له الحسين عليه السلام: دونك يا أخي، فافعل ما ترى، فاضطجعا جميعاً، واعتنق كل منهما الآخر وناما.

فانتبه النبي ﷺ من نومته التي نامها، فطلبهما من منزل فاطمة، فلم يكونا وافتقدهما، فقام قائماً، وهو يقول:

إلهي وسيدي ومولاي هذان شبلاي خرجا من المخمصة والمجاعة، اللهمَّ أنت وكيلي عليهم، فسطع للنبي ﷺ نور، فلم يزل يمشي في ذلك حتى حديقة بني النجار، فإذا هما نائمان قد اعتنق كل منهما صاحبه، وقد تقشعت السماء فوقهما كطبق، فهي تمطر كأشد مطر، مطراً ما رأته الناس قط، وقد منع الله عزوجل المطر منهما في البقعة التي هما فيها نائمان لا تمطر قطرة، وقد اكتنفهما حية لها شعرات كآجام القصب، ولها جناحان، جناح قد غطت به الحسن، وجناح قد غطت به الحسين عليهما السلام.

فلما أن بصر بهما النبي ﷺ تنحنح فانسابت الحية وهي تقول:

اللهمَّ إنّي أشهدك وأشهد ملائكتك أن هذين شبلا نبيك قد حفظتهما عليه، ودفعتهما إليه صحيحين سالمين، فقال لها النبي ﷺ: أيتها الحية، فمن أنت؟ قالت: أنا رسول الجن، قال: وأي الجنّ؟ قالت: جنّ نصيبين نفر من بني مليح نسينا آية من كتاب الله تعالى، فبعثوا بي إليك لتعلمني ما نسينا من كتاب الله، فلما بلغت إلى هذا الموضع سمعت منادياً ينادي: أيتها الحية هذان شبلا رسول الله ﷺ، فاحفظهما من الآفات والعاهات، ومن طوارق الليل والنهار، فقد حفظتهما وسلّمتهما إليك صحيحين سالمين، وأخذت الحية الآية وانصرفت.

فأخذ النبي صلى الله عليه وآله الحسن، فوضعه على عاتقه الأيمن، ووضع الحسين على عاتقه الأيسر وخرج علي عليه السلام، فلحق برسول الله صلى الله عليه وآله، وقال له بعض أصحابه: بأبي أنت وأمي أدفع إلي أحد شبليك اخفف عنك، فقال: امض فقد سمع الله كلامك وعرف مقامك، وتلقاه آخر فقال له: كذلك فرد عليه كما رد على الأول، فتلقاه علي، فقال: بأبي أنت وأمي ادفع إلي أحد شبليَّ وشبليك حتى اخفف عنك، فالتفت النبي صلى الله عليه وآله إلى الحسن، فقال: هل تمضي إلى كتف أبيك؟ فقال: لا والله يا جداه إن كتفك لأحبُّ إليَّ من كتف أبي، ثم التفت إلى الحسين عليه السلام، فقال: يا حسين هل تمضي إلى كتف أبيك؟ فقال له: والله يا جداه إني لأقول كما قال لك أخي الحسن: إن كتفك لأحبُّ إليَّ من كتف أبي، فأقبل بهما إلى منزل فاطمة عليها السلام وقد ادَّخرت لهما تميرات، فوضعتهما بين أيديهما فأكلا وشبعا وفرحا.

فقال لهما النبي صلى الله عليه وآله: قوما فاصطرعا، فقاما ليصطرعا، وقد خرجت فاطمة في بعض حاجتها، فدخلت فسمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: إيا يا حسن شدَّ على الحسين فاصرعه، فقالت له: يا أبة واعجباه، أتشجع هذا على هذا؟ أتشجع الكبير على الصغير؟ فقال لها: يا بنية أما ترضين أن أقول أنا: يا حسن شد على الحسين فاصرعه، وهذا حبيبي جبرئيل يقول: يا حسين شد على الحسن فأصرعه.

الفصل الثاني: في بيان كيفية شهادته

المشهور بين الإمامية إنه استشهد في آخر صفر، وقيل: في سابعه، وقيل: في الثامن والعشرين منه سنة تسع وأربعين من الهجرة، وكان عمره سبعة وأربعين سنة، وقيل: تسعة وأربعين.

وروى الكليني، عن الصادق عليه السلام انه عليه السلام قبض وهو ابن سبع وأربعين سنة في عام خمسين، وعاش بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أربعين سنة.

وروى الشيخ الصدوق في الأمالي، والسيد المرتضى في عيون المعجزات، وغيرهما عن ابن عباس: إن معاوية بذل لجعدة بنت الأشعث زوجة أبي محمد عليه السلام عشرة آلاف دينار، وإقطعات كثيرة من شعب سُورا، وسواد الكوفة، وحمل إليها سماً فجعلته في طعامه، فلما وضعته بين يديه، قال عليه السلام: إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله على لقاء سيد المرسلين، وأبي سيد الوصيين، وأمي سيدة نساء العالمين، وعمي جعفر الطيار في الجنة، وحمزة سيد الشهداء صلوات الله عليهم أجمعين.

ودخل عليه أخوه الحسين عليه السلام في مرضه الذي توفي فيه فقال له: كيف تجدك يا

أخي؟ فقال: أجدني في أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا. واعلم أني لا أسبق أجلي، وإني وارد على أبي وجدي على كره مني لفراقك، وفراق إخوتك، وفراق الأحبة، واستغفر الله من مقالتي هذه وأتوب إليه، بل على محبة مني للقاء رسول الله ﷺ، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأمي فاطمة، وحمزة، وجعفر.

وفي الله عزوجل خلف عن كل هالك، وعزاء من كل مصيبة، ودرك من كل ما فات.

رأيت يا أخي كبدي في الطشت، ولقد عرفت من دها بي، ومن أين أتيت، فما أنت صانع به يا أخي؟ فقال الحسين: أقتله والله، فقال: لا أخبرك به أبداً حتى تلقى رسول الله ﷺ، ولكن اكتب يا أخي:

هذا ما أوصى به الحسن بن علي إلى أخيه الحسين بن علي: وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في الملك، ولا ولي له من الذل، وأنه خلق كل شيء فقدره تقديراً، وإنه أولى من عُبد، وأحقَّ من حُمد، من أطاعه رشد، ومن عصاه غوى، ومن تاب إليه اهتدى.

فإني أوصيك يا حسين بمن خلفت من أهلي وولدي وأهل بيتي خيراً أن تصفح عن مسيئهم، وتقبل من محسنهم، وتكون لهم خلفاً ووالداً، وأن تدفنني مع رسول الله ﷺ فإني أحق به وببيته، ممن أدخل بيته بغير إذنه، ولا كتاب جاءهم من بعده، قال الله فيما أنزل على نبيه في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾ [الأحزاب: ٥٣] فوالله ما أذن لهم في الدخول عليه في حياته بغير إذنه، ولا جاءهم الإذن في ذلك بعد وفاته، ونحن مأذون لنا في التصرف فيما ورثناه من بعده.

فإن أبت عليك الإمرأة، فأنشدك الله وبالقرابة التي قرب الله عزوجل منك والرحم الماسة من رسول الله، أن لا تهرق في أمري محجمة من دم، حتى نلقى رسول الله ﷺ فنختصم إليه، ونخبره بما كان من الناس إلينا بعده ثم قبض عليه السلام.

فلما فرغ الحسين عليه السلام من شأنه وحمله ليدفنه مع رسول الله ﷺ، ركب مروان بن الحكم بغلته وأتى المرأة فقال لها: يا أم المؤمنين إن الحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن مع رسول الله ﷺ، والله إن دفن ليذهبن فخر أبيك وصاحبه عمر إلى يوم القيامة، قالت: فما أصنع يا مروان؟ قال: إلحقي به وامنعيه من أن يدفن معه، قالت: وكيف ألحقه؟ قال: اركبي بغلتي هذه.

فنزل عن بغلته فركبتها، وكانت تؤز الناس وبني أمية على الحسين عليه السلام، وتحرضهم على منعه مما همَّ به، فلما قربت من قبر رسول الله ﷺ، وكانت قد وصلت جنازة الحسن فرمت بنفسها عن البغلة، وقالت: والله لا يدفن الحسن هاهنا أو تجز هذه

- وأومأت بيدها إلى شعرها - ورموا بالنبال جنازة الحسن عليه السلام حتى سل منها سبعون نبلة، فأراد بنو هاشم المجادلة، فقال الحسين عليه السلام: الله الله لا تضيعوا وصية أخي واعدلوا به إلى البقيع فإنه أقسم عليّ إن أنا منعت من دفنه مع جده، أن لا أخاصم فيه أحداً، وأن أدفنه في البقيع مع أمه عليها السلام، ووالله لولا عهد الحسن إلى أن لا أهرق في أمره محجمة دم، لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم، وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا ومضوا بالحسن عليه السلام فدفنوه بالبقيع مع أمه عليها السلام.

وفي رواية: مع جدته فاطمة بنت أسد.

وروى الراوندي، عن الصادق: إن الحسن قال لأهل بيته: إني أموت بالسمّ كما مات جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، قالوا: ومن يفعل ذلك؟ قال: إمراتي جعيدة بنت الأشعث بن قيس، فإن معاوية يدس إليها ويأمرها بذلك، قالوا: أخرجها من منزلك، وباعدها عن نفسك، قال: كيف أخرجها ولم تفعل بعد شيئاً؟ ولو أخرجتها ما قتلني غيرها؟ وكان لها عذر عند الناس.

فما ذهبت الأيام حتى بعث إليها معاوية مالاً جسيماً، وجعل يمنّيها بأن يعطيها مائة ألف درهم أيضاً، ويزوجها من يزيد، وحمل إليها شربة سم لتسقيها الحسن عليه السلام، فانصرف إلى منزله وهو صائم، فأخرجت وقت الإفطار، وكان يوماً حاراً شربة لبن وقد ألقت فيها السم، فشربها وقال: قتلتيني يا عدوة الله! قتلك الله، والله لا تصيبين مني خلفاً، وقد غرك وسخر منك معاوية، والله يخزيك ويخزيه.

فمكث عليه السلام يومين، ثم مضى روحي له الفداء، فغدر بها معاوية ولم يف لها بما عاهدها عليه.

وروى الطبرسي في الاحتجاج عن رجل، قال: أتيت الحسن بن علي عليه السلام، فقلت: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله أذللت رقابنا، وجعلتنا معشر الشيعة عبيداً ما بقي معك رجل، فقال: ومم ذلك؟ قال: قلت: بتسليمك الأمر إليه، قال: إني لم أجد أنصاراً، ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه، ولكني عرفت أهل الكوفة وتلوّنهم [وبلوتهم]، ولا يصلح لي منهم ما كان فاسداً، إنهم لا وفاء لهم، ولا ذمة في قول ولا فعل، إنهم لمختلفون. ويقولون لنا: إن قلوبهم معنا، وأن سيوفهم لمشهورة علينا.

قال الراوي: وبينما هو يكلمني إذ خرج الدم، فدعى بطشت فحمل من بين يديه ملآناً مما خرج من جوفه من الدم، فقلت له: ما هذا يابن رسول الله إني لا أراك وجعاً؟ فقال: أجل دسَّ إليّ هذا الطاغية من سقاني سماً، فقد وقع على كبدي، فهو يخرج قطعاً كما

ترى، قلت: أفلا تتداوى؟ قال: قد سقاني مرّتين، وهذه الثالثة لا أجد لها دواء.

ولقد رقي إليّ أنه كتب إلى ملك الروم أن يوجه إليه من السمّ القتال شربة، فكتب إليه ملك الروم: إنه لا يصلح لنا في ديننا، أن نعين على قتال من لا يقاتلنا، فكتب إليه: ملك الروم إنه لا يصلح لنا في ديننا، أن نعين على قتال من لا يقاتلنا، فكتب إليه أن الذي أريد أن أسقيه السم، هذا ابن الرجل الذي خرج بأرض تهامة، قد خرج يطلب ملك أبيه، وأنا أريد أن أدسَّ إليه من يسقيه ذلك، فأريح العباد والبلاد منه، ووجه إليه بهدايا وألطاف، فوجه إليه ملك الروم بهذه الشربة التي دسني بها، فسقيتها واشترط عليه في ذلك شروطاً.

وروي في كشف الغمة، عن عمر بن إسحاق قال: دخلت أنا ورجل على الحسن بن علي عليه السلام نعوده، فقال: يا فلان سلني قبل أن لا تسألني، فقال: لا والله لا أسألك حتى يعافيك الله، ثم نسألك، قال: ثم دخل وخرج إلينا، فقال: سلني قبل أن لا تسألني، قال: قلت: بل يعافيك الله ثم نسألك، فقال: قد ألقيت طائفة من كبدي وإني قد سقيت السم مراراً، فلم أسق مثل هذه المرة.

ثم دخلت عليه من الغد، وهو يجود بنفسه، والحسين عليه السلام عند رأسه، فقال: يا أخي من تتهم؟ فقال: لِمَ؟ لتقتله؟ قال: نعم، قال: إن يكن الذي أظنُّ فإنه أشدُّ بأساً وأشدّ تنكيلاً، وإن لا يكن فما أحبُّ أن يقتل بي بريء، ثم قضى عليه السلام.

وروى الكليني، عن الباقر عليه السلام: قال: لما احتضر الحسن عليه السلام، قال للحسين: يا أخي إني أوصيك بوصية فاحفظها: فإذا أنا مت فهيئني، ثم وجهني إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لأحدث به عهداً، ثم اصرفني إلى فاطمة عليها السلام، ثم ردني فادفني بالبقيع، واعلم أنه سيصيبني من الحميراء ما يعلم الناس من صنعها وعداوتها لله وللرسول، وعداوتها لنا أهل البيت.

فلما قبض الحسن عليه السلام وضع على سريره، وانطلق به إلى مصلى رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان يصلي فيه على الجنائز، فصلى على الحسن عليه السلام، فلما أن صُلّي عليه حمل فأدخل المسجد، فلما أُوقف على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله بلغ عائشة الخبر، وقيل لها: إنهم قد أقبلوا بالحسن بن علي ليدفن مع رسول الله، فخرجت مبادرة على بغل مسرج، فكانت أوّل امرأة ركبت في الإسلام سرجاً، فوقفت وقالت: نحوا ابنكم عن بيتي، فإنه لا يدفن فيه شيء، ولا يهتك على رسول الله صلى الله عليه وآله حجابه.

فقال لها الحسين عليه السلام: قديماً هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وأدخلت بيته من لا يحب رسول الله صلى الله عليه وآله قربه، وإنَّ الله يسألكِ عن ذلك يا عائشة، إنَّ أخي أمرني أن أقربه من رسول الله صلى الله عليه وآله ليحدث به عهداً.

وأعلمي أن أخي أعلم الناس بالله ورسوله، وأعلم بتأويل كتابه من أن يهتك على رسول الله ﷺ، ستره، لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وقد أدخلت أنت بيت رسول الله ﷺ بغير إذنه، وقد قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا﴾.

ولعمري لقد ضربت أنت لأبيك وفاروقه عند أذن رسول الله ﷺ المعاول، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ﴾.

ولعمري لقد أدخل أبوك وفاروقه على رسول الله ﷺ بقربهما منه الأذى، وما رعيا من حقه ما أمرهما الله به على لسان رسول الله ﷺ، إن الله حرَّم على المؤمنين أمواتاً ما حرَّم منه أحياء.

وتالله يا عائشة لو كان هذا الذي كرهتيه من دفن الحسن عند جده جائزاً فيما بيننا وبين الله، لعلمت أنه سيدفن، وأن رغم معطسك.

قال: ثم تكلم محمد بن الحنفية، وقال: يا عائشة يوماً على جمل، ويوماً على بغل فما تملكين الأرض عداوة لبني هاشم، فأقبلت عليه، فقالت: يابن الحنفية هؤلاء الفواطم يتكلمون فما كلامك؟ فقال لها الحسين عليه السلام: وأنت تبعدين محمداً من الفواطم، فوالله لقد ولدته ثلاث فواطم، فاطمة بنت عمران بن عائذ بن عمر ابن مخزوم، وفاطمة بنت أسد بن هاشم، وفاطمة بنت زائدة بن الأصمّ بن رواحة بن حجر بن معيص بن عامر، فقالت عائشة: نحوا ابنكم واذهبوا به إنكم قوم خصمون، قال: فمضى الحسين عليه السلام إلى قبر أمه، ثم أخرجه ودفنه بالبقيع.

وروى الصدوق في الأمالي، عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ في حديث، قال فيه عن الحسن: وإني لما نظرت إليه تذكرت ما يجري عليه من الذل بعدي، فلا يزال الأمر به حتى يقتل بالسم ظلماً وعدواناً، فعند ذلك تبكي الملائكة والسبع الشداد لقتله، ويبكيه كل شيء حتى الطير في جو السماء، والحيتان في جوف الماء، فمن بكاه لم تعم عينه يوم تعمى العيون، ومن حزن عليه لم يحزن قلبه يوم تحزن القلوب، ومن زاره في بقيعه ثبتت قدمه على الصراط يوم تزل الأقدام.

وروى في قوت القلوب، عن الباقر عليه السلام: إن الحسن تزوج مائتين وخمسين امرأة.

وفي رواية أخرى: ثلثمائة امرأة حتى أن أمير المؤمنين عليه السلام قال يوماً على المنبر: إن الحسن مطلاق فلا تزوجوه بناتكم، فقالوا: إذا تزوج بناتنا ليلة كفانا ذلك لشرفه.

وروى: إن هذه النسوة جميعاً خرجن خلف جنازته حافيات باكيات صارخات نادبات.

في بيان أحوال علي بن الحسين عليه السلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

في بيان بعض أحوال الإمام الرابع زين العابدين عليه السلام

روى المفيد عليه الرحمة وغيره، إن مولد علي بن الحسين عليه السلام كان بالمدينة سنة ثمان وثلاثين من الهجرة، فبقي مع جده أمير المؤمنين سنتين، ومع عمه الحسن إثني عشر سنة، ومع أبيه الحسين عليه السلام ثلاثة وعشرين سنة، وبعد أبيه أربعة وثلاثين سنة.

وأمه بنت يزدجرد بن شهريار بن كسرى، واسمها: شربانويه، فولدت للحسين: فاطمة الكبرى، وزين العابدين عليه السلام.

وروى الراوندي رحمه الله تعالى، عن الباقر عليه السلام قال: لما قدمت إبنة يزدجرد على عمر، وأدخلت المدينة استشرفت لها عذارى المدينة، وأشرق المجلس بضوء وجهها، ورأت عمر، فقالت: إمرزوان فغضب عمر، فقال: شتمتني هذه (العجمية خ ل) وهمّ بها، فقال له علي عليه السلام: ليس لك إنكار على ما لا تعلمه، فأمر أن ينادي عليها، فقال له علي عليه السلام: لا يجوز بيع بنات الملوك وإن كنَّ كافرات، ولكن أعرض عليها أن تختار رجلاً من المسلمين، فزوجها منه ويحسب صداقها عليه من عطائه من بيت المال يقوم مقام الثمن، فعرض عليها أن تختار، فوضعت يدها على رأس الحسين أو على منكبيه، فقال علي عليه السلام: «آه نام داري أي گنيزك» - يعني: ما اسمك يا صبية؟ قالت: جهانشاه، فقال عليه السلام: بل شربانويه، فقالت: تلك أختي، فقال عليه السلام: «راست گفتى» - أي صدقت، ثمّ التفت عليه السلام إلى الحسين عليه السلام، فقال: يا بني احتفظ بها وأحسن إليها، فستلد لك خير أهل الأرض في زمانه بعدك، وهي أم الأوصياء والذرية الطيبة، فولدت علي بن الحسين عليه السلام، وماتت في نفسها به.

وإنما اختارت الحسين لأنها رأت فاطمة عليها السلام وأسلمت قبل أن يأخذها عسكر المسلمين، فذكر أنها قالت: رأيت في النوم قبل أن يرد عسكر المسلمين كأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله، دخل دارنا وقعد مع الحسين عليه السلام، وخطبني له وزوجني منه، فلما أصبحت كان يؤثر في قلبي، وما كان لي خاطر غير هذا، فلما كان في الليلة الثانية رأيت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله قد أتتني وعرضت عليّ الإسلام فأسلمت، ثم قالت لي:

إنَّ الغلبة تكون للمسلمين، وإنك تصلين قريباً إلى ابني الحسين سالمة لا يصيبك بسوء أحد، قالت: فكان الحال إني خرجت إلى المدينة، فما مسني يد إنسان أبداً.

وكنيته الشريفة: أبو محمد، وأبو الحسن وأبو بكر.

وألقابه كثيرة أشهرها: زين العابدين، وسيد العابدين، والزكي، والأمين، وذو الثفنات.

ونقش خاتمه: «خزي وشقي قاتل الحسين عليه السلام».

وروي عن الصادق عليه السلام: إن علي بن الحسين عليه السلام بكى على أبيه عشرين سنة.

وفي رواية: أربعين سنة ما وضع بين يديه طعام إلا بكى، وكان إذا أتي بشراب بكى حتى يملؤها ويتضاعف ذلك الماء حتى قال مولى له: جعلت فداك يابن رسول الله، إني أخاف أن تكون من الهالكين، قال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله واعلم من الله ما لا تعلمون، إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة.

وعن الزهري قال: شهدت علي بن الحسين عليه السلام يوم حمله عبد الملك بن مروان من المدينة إلى الشام، مثقلاً بالحديد، ووكل به حفظاً، فاستأذنتهم في التسليم عليه والتوديع له فأذنوا لي، فدخلت عليه، والقيود في رجليه والغلّ في يديه، فبكيت وقلت: يا سيدي وددت أني مكانك، فقال: يا زهريّ أوتظنّ هذا الذي في عنقي يكربني؟ أما لو شئت ما كان، فإنه وإن بلغ بك وبأمثالك من الهم والحزن ما بلغ إلا أنه ليذكرني عذاب الله، ثم أخرج يديه من الغل ورجليه من القيد، وقال: يا زهري لاجزت معهم على ذا منزلين من المدينة.

قال الزهري: فما لبثنا إلا أربع ليالي حتى قدم الموكلون به يطلبونه فما وجدوه، فكنت فيمن سألهم عنه، فقال لي بعضهم: إنا نرى الجن تخدمه وتطيعه، وإنه لنازل ونحن حوله لا ننام نرصده إذ أصبحنا، فما وجدنا بين محمله إلا حديده فقدمت بعد ذلك على عبد الملك، فسألني عن علي بن الحسين عليه السلام، فأخبرته بما قال الحرسي، فقال: إنه قد جاءني في يوم فقده الأعوان، فدخل عليَّ، وقال: ما أنا وأنت؟ قلت: وأقم عندي، فقال: لا أحب، ثم خرج، فوالله لقد امتلأ ثوبي منه خيفة، قال الزهري: فقلت له: ليس عليّ بن الحسين عليه السلام حيث تظن أنه مشغول بنفسه، فقال: حبذا شغل مثله ما شغل به.

وروى القمي عن الباقر والرضا عليهما السلام قال: لما حضر علي بن الحسين عليه السلام

الوفاة أغمي عليه ثلاث مرات، فقال في المرة الأخيرة: الحمد لله الذي صدقنا وعده، وأورثنا الأرض نتبوَّء من الجنة حيث نشاء، فنعم أجر العاملين.

وروى: أنه لما حضرته الوفاة أُغمي عليه ثم فتح عينيه وقرأ: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١] ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ [الفتح: ١] قبل الآية المذكورة، ثم قبض صلوات الله عليه مسموماً بسم قد دسه إليه طاغية زمانه هشام بن عبد الملك، أو الوليد بن عبد الملك على ما يظهر من الأخبار.

واختلف في يوم وفاته عليه السلام فقيل: في ثامن عشر محرم.

وقيل: في التاسع والعشرين منه سنة أربعة وتسعين.

وقال ابن شهرآشوب: في اليوم الحادي عشر من محرم أو الثاني عشر منه سنة خمس وتسعين، والمشهور أن عمره الشريف: سبع وخمسون سنة.

وقيل: ثمان وخمسون سنة.

والله أعلم بالصواب لعن الله الظالمين لهم من الأولين والآخرين.

في بيان ولادة الإمام محمد الباقر عليه السلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

في بيان نبذة من أحوال الإمام محمد بن علي عليه السلام باقر علوم الأولين والآخرين، مشيد شريعة جده سيد المرسلين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين، وأبنائه المعصومين إلى يوم الدين

ولد عليه السلام بالمدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة يوم الجمعة غرة رجب.

وكنيته: أبو جعفر.

وأشهر ألقابه: باقر العلم، والشاكر، والهادي.

وعن الصادق عليه السلام قال إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ذات يوم لجابر بن عبدالله الأنصاري، يا جابر إنك ستبقى بعدي حتى تلقى ولدي محمد بن عليّ بن الحسين، المعروف في التوراة بالباقر، فإذا رأيته ولقيته، فاقرأه مني السلام.

وكان نقش خاتمه: العزة لله جميعاً.

وعن الرضا عليه السلام أن نقشه كان:

ظنّي بالله حَسن ... وبالنبيّ المؤتمن
وبالوصيّ ذي المنن ... وبالحسين والحسن
وأمهُ فاطمة ... بنت الحسن

وهو أول علوي تولد بين علويين، وكنيتها: أم عبدالله.

فروي عن الصادق عليه السلام قال: الأوصياء إذا حملت بهم أمهاتهم أصابتهم فترة شبه الغشية، فأقامت في ذلك يومها أو ليلتها، ثم ترى في منامها رجلاً يبشرها بغلام عليم حليم فتفرح لذلك، ثم تنتبه من نومها فتسمع من جانبها الأيمن في جانب البيت صوتاً يقول: جملتِ بخيرٍ وتصيرين إلى خير وجئت بخير، تبشري بغلام حليم، وتجد خفة في بدنها، ثم جُد بعد ذلك اتساعاً من جنبها وبطنها.

فإذا كان لتسع من شهرها سمعت في البيت حساً شديداً، فإذا كانت الليلة التي تلد فيها ظهر لها في البيت نور تراه لا يراه غيرها إلا أبوه، فإذا ولدته ولدته قاعداً وتفتحت له حتى يخرج متربعاً، ثم يستدبر بعد وقوعه إلى الأرض فلا يخطي القبلة حتى كانت بوجهه، ثم يعطس ثلاثاً يشير بإصبعه بالتحميد ويقع مسروراً مختوناً، ورباعياته من فوق وأسفل، وناباه ضاحكان، ومن بين يديه مثل سبيكة الذهب نور، ويقوم يومه وليلته تسيل يداه ذهباً، وكذلك الأنبياء إذا ولدوا، وإنما الأوصياء قطع من الأنبياء.

مكالمة هشام مع الباقر عليه السلام:

قال الصادق عليه السلام: ولما حج هشام بن عبد الملك سنة من السنين، وكان قد حج في تلك السنة محمد الباقر، وابنه جعفر عليهما السلام، فقال جعفر بن محمد عليه السلام: الحمد لله الذي بعث محمداً بالحق نبياً وأكرمنا به، فنحن صفوة الله على خلقه، وخيرته من عباده وخُلقاؤه، فالسعيد من اتبعنا، والشقي من عادانا وخالفنا.

فأخبر مسلمة أخاه بما سمع، فلم يعرض لنا حتى انصرفنا وانصرف إلى دمشق، فأنفذ بريداً إلى عامل المدينة بإشخاص أبي وإشخاصي، فلما وردنا إلى دمشق حجبنا ثلاثاً، ثم أذن لنا في اليوم الرابع فدخلنا، وإذا به قد قعد على سرير الملك، وجنده، وخاصته وقوف، على أرجلهم سماطان وهم متسلحون، وقد نصب البرجاس حذاه، وأشياخ قومه يرمونه، فلما دخلنا قال: يا محمد ارم مع أشياخ قومك الغرض، فقال له أبي: إني قد كبرت عن الرمي، فإن رأيت أن تعفيني، فقال: وحق من أعزنا بدينه ونبينا محمد صلى الله عليه وآله لا أعفيك، ثمَّ أومأ إلى شيخ من بني أمية أن أعطه قوسك، فتناول أبي ذلك قوس الشيخ، ووضع سهماً في كبد القوس، ورمى وسط الغرض، ثمّ رمى ثانياً فشق فوافق سهمه إلى نصله، ثمَّ تابع الرَّمي حتى شقَّ تسعة أسهم بعضها في جوف بعض، وهشام يضطرب في مجلسه، فلم يتمالك أن قال: أجدت يا أبا جعفر أنت أرمى العرب والعجم، هلاّ زعمت أنك كبرت عن الرّمي، ثم أدركته ندامة على ما قال.

مجالسة الباقر عليه السلام مع هشام:

وكان هشام لم يكن أحل قتل أبي عليه السلام، فهمَّ به وأطرق الأرض إطراقة يتروى فيه وأنا وأبي واقفان حذاه مواجهين له، فلما طال وقوفنا غضب أبي فهمَّ به، وكان أبي عليه السلام إذا غضب نظر إلى السماء نظر غضبان يرى الناظر الغضب في وجهه، فلما نظر هشام إلى ذلك من أبي، قال له: إليّ يا محمد! فصعد أبي إلى السرير، وأنا أتبعه،

فلما دنى من هشام، قام إليه فاعتنقه وأقعده عن يمينه، ثمَّ اعتنقني وأقعدني عن يمين أبي، ثم أقبل على أبي بوجهه فقال: يا محمد لا تزال العرب والعجم تسودها قريش ما دام فيهم مثلك، لله درك، من علّمك هذا الرمي؟ وفي كم تعلمته؟ فقال: أني تعاطيته أيام حداثتي ثم تركته، فقال: ما رأيت مثل هذا الرمي وما ظننت أحداً يرمي مثل هذا الرمي، أيرمي جعفر مثل رميك؟ فقال أبي: نحن نتوارث الكمال والتمام الذين أنزلهما الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] والأرض لا تخلوا ممن يكمل هذه الأمور التي يقصر عنها غيرنا.

قال: فلما سمع ذلك من أبي انقلبت عينه اليمنى فاحولّت واحمرَّ وجهه، وكان ذلك علامة غضبه إذا غضب، ثم أطرق هنيئة ثم رفع رأسه، فقال لأبي: ألسنا بنو عبد مناف نسبنا ونسبكم واحد؟ فقال أبي: نحن كذلك، ولكن الله جل ثناؤه اخصتنا من مكنون سره وخالص علمه بما لم يخصَّ أحداً غيرنا.

فقال: أليس الله جل ثناؤه بعث محمداً صلى الله عليه وآله من شجرة عبد مناف إلى الناس كافة، أبيضها وأسودها وأحمرها، فمن أين ورثتم ما ليس لغيركم؟ ورسول الله صلى الله عليه وآله مبعوث إلى الناس كافة، وذلك كما قال الله تعالى: ﴿ٱلْقِيَٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

فمن أين ورثتم هذا العلم، وليس بعد محمد نبي ولا أنتم أنبياء؟ فقال عليه السلام من قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦] الذي لم يحرك به لسانه لغيرنا أمره الله تعالى أن يخصنا من دون غيرنا، فلذلك كان صلى الله عليه وآله يناجي أخاه علياً من دون أصحابه، فأنزل الله في ذلك: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢].

فقال صلى الله عليه وآله لأصحابه: سألت الله أن يجعلها أذنك يا عليُّ، فلذلك قال عليّ بالكوفة: «علمني رسول الله ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب»، خصه رسول الله صلى الله عليه وآله من مكنون سره بما يخص أمير المؤمنين أكرم الخلق عليه، فكما خص الله نبيه صلى الله عليه وآله خص نبيه صلى الله عليه وآله أخاه علياً من مكنون سره بما لم يخص به أحداً من قومه، حتى صار إلينا فتوارثنا من دون أهلنا.

فقال هشام: إن علياً كان يدَّعي علم الغيب والله لم يطلع على غيبه أحداً؟

فقال أبي: إن الله جل ذكره أنزل على نبيه كتاباً بيّن فيه كل شيء ما كان وما يكون إلى يوم القيامة.

قال عز وجل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال عزوجل : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

وقال عزوجل : ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وأوحى الله إلى نبيه ﷺ أن لا يبقي في غيبه وسره ومكنون علمه شيئاً إلا يناجي به علياً عليه السلام، فأمره أن يؤلف القرآن من بعده، ويتولى غسله وتكفينه وتحنيطه من دون قومه، وقال:

حرام على أصحابي وأهلي أن ينظروا إلى عورتي غير أخي علي، فإنه مني وأنا منه، له مالي وعليه ما عليَّ، وهو قاضي ديني ومنجز وعدي.

ثم قال لأصحابه: علي بن أبي طالب يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله.

ولم يكن عند أحد تأويل القرآن بكماله وتمامه إلا عند علي عليه السلام، ولذلك قال ﷺ: أقضاكم علي.

وقال عمر بن الخطاب: لولا علي لهلك عمر يشهد له عمر ويجحده غيره.

فأطرق هشام طويلاً ثم رفع رأسه وقال: سل حاجتك؟ فقال أبي: خلَّفت عيالي وأهلي مستوحشين لخروجي فقال: قد آنس الله وحشتهم برجوعك إليهم فلا تقم، سر من يومك، فاعتنقه أبي ودعا له وفعلت أنا كفعل أبي، ثم نهضنا وخرجنا إلى بابه.

مكالمة الباقر عليه السلام مع العالم النصراني:

وإذا ميدان ببابه وفي آخر الميدان أناس قعود عدد كثير، فقال أبي: من هؤلاء؟ فقال الحجاب: القسيسون والرهبان، وهذا عالم يقعد إليهم في كل سنة يوماً واحداً يستفتونه، فلفَّ أبي عند ذلك رأسه بفاضل ردائه وفعلت أنا مثله، فأقبل نحوهم حتى قعد وقعدت وراءه، ورفع الخبر إلى هشام، فأمر بعض غلمانه أن يحضروا الموضع ويعرفوه، وأقبل عداد من المسلمين فأحاطوا بنا، وأقبل عالم النصارى قد شدّ حاجبيه بحريرة صفراء حتى توسطنا، فقام إليه جميع القسيسين والرهبان مسلمين عليه، فجاؤا به إلى صدر المجلس فقعد فيه، وأحاط به أصحابه: فأدار نظره، ثم قال لأبي: أمِنّا أم من هذه الأمة المرحومة؟ فقال أبي: بل من هذه الأمة المرحومة، فقال: من علمائها أم من جهالها؟ فقال له أبي: لست من جهالها؛ فاضطرب إضطراباً شديداً.

ثمَّ قال له: من أين ادعيتم أنَّ أهل الجنة يطعمون ويشربون ولا يحدثون ولا يبولون؟ وما الدليل على ذلك من شاهد لا يجهل؟

فقال أبي: الجنين في بطن أمه يطعم ولا يحدث، قال: فاضطرب النصراني إضطراباً شديداً.

ثم قال: هلا زعمت أنك لست من علمائها؟

فقال أبي: إنما قلت لك لست من جهالها، وأصحاب هشام يسمعون.

ثم قال لأبي: أسألك، فقال له: سل.

فقال: من أين ادعيتم أن فاكهة الجنة أبداً غضة طرية غير معدومة عند جميع أهل الجنة؟ وما الدليل على ذلك من شاهد لا يجهل؟

فقال له أبي: إن النفط أبداً يكون غضاً طرياً موجوداً غير معدوم عند جميع أهل الدنيا، لا ينقطع، فاضطرب إضطراباً شديداً.

فقال: هلا زعمت أنك لست من علمائها؟

فقال له أبي: إنما قلت لست من جهالها.

ثم قال: أخبرني عن ساعة لا من ساعات الليل ولا من ساعات النهار.

فقال أبي: هي الساعة التي بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس يهدأ فيها المبتلى، ويرقد فيها الساهر، ويفيق فيها المغمى عليه، جعلها الله تعالى في الدنيا رغبة الراغبين، وفي الآخرة للعاملين لها دليلاً واضحاً، وحجة بالغة على الجاحدين المتكبرين التاركين لها.

قال: فصاح النصرانيُّ صيحة ثمَّ قال: بقيت مسألة واحدة والله لأسألنّك عن مسألة لا تهتدي إلى الجواب عنها أبداً.

فقال له أبي: سل فإنك حانث في يمينك.

فقال: أخبرني عن مولودين ولداً في يوم واحد، وماتا في يوم واحد، عمر أحدهما خمسون سنة، وعمر الآخر مئة وخمسون سنة في دار الدُّنيا.

فقال له أبي: ذلك عزير وعزيرة ولدا في يوم واحد، فلما بلغا مبلغ الرجال خمسة وعشرين عاماً، مرّ عزير على حماره راكباً على قرية أنطاكية، وهي خاوية على عروشها فقال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] وكان قد اصطفاه وهداه، فلما قال ذلك: غضب الله تعالى عليه، فأماته الله تعالى مئة عام سخطاً عليه بما قال، ثم بعثه الله على حماره بعينه وطعامه وشرابه، وعاد إلى داره، وعزيرة أخوه لا يعرفه فاستضافه فأضافه، وبعث إليه ولد عزيرة وولد ولده وقد شاخوا وعزير شابٌّ في سنّ خمس وعشرين سنة، فلم يزل عزير يذكر أخاه وولده وقد شاخوا، وهم يذكرون ما يذكرهم،

ويقولون: ما أعلمك بأمر قد مضت عليه السنون والشهور، ويقول لهم عزيرة وهو شيخ كبير ابن مئة وخمسة وعشرين سنة: ما رأيت شاباً في سن خمس وعشرين سنة أعلم بما كان بيني وبين أخي عزير أيام شبابي منك؟

فمن أهل السماء أنت أم من أهل الأرض؟

فقال عزير: يا عزيرة أنا أخوك عزير سخط الله تعالى عليّ بقول قلته بعد ما اصطفاني وهداني فأماتني مئة سنة، ثم بعثني لتزدادوا بذلك يقيناً إن الله على كل شيء قدير، وها هو ذا حماري وشرابي وطعامي الذي خرجت به من عندكم أعاده الله تعالى كما كان، فعندها أيقنوا فأعاشه الله تعالى بينهم خمسة وعشرين سنة، ثم قبضه الله تعالى وأخاه في يوم واحد.

فنهض عالم النصارى عند ذلك وقاموا النصارى على أرجلهم، وقال لهم: جئتموني بأعلم مني؟ وأقعدتموه معكم حتى هتكني وفضحني، لا والله لا كلّمتكم بكلمة واحدة، ولا قعدت لكم إن عشت سنة، فتفرقوا.

وقيل: أسلم هو وأصحابه على يديه.

فلما انصرف أبي إلى المنزل، وافاه رسول هشام بالجائزة لما بلغه من الخبر، وأمرنا أن ننصرف من ساعتنا إلى المدينة لما رأى من اضطراب الناس.

في وفاة الباقر عليه السلام:

وفي رواية: أنه أمر بحبس الإمام عليه السلام فافتتن الناس فيه فقيل له: إن قلوب الناس قد تعلقت به، فأمر بإشخاصه راجعاً إلى المدينة، وكتب إلى عامل مدين: أن ابني أبي تراب الساحرين: محمد بن علي وجعفر بن محمد الكذابين، فيما يظهران في الإسلام وردا عليّ، ولما صرفتهما إلى المدينة مالا إلى القسيسين والرهبان من كفار النصارى وأظهرا لهما دينهما فمرقا من الإسلام إلى الكفر ودين النصارى، فكرهت أن أنكل بهما لقرابتهما، فإذا قرأت كتابي هذا فناد في الناس: برئت الذمة ممن يشاريهما ويبايعهما ويصافحهما أو يسلم عليهما فإنهما قد ارتدّا عن الإسلام، ورأى أمير المؤمنين أن يقتلهما ودوابهما وغلمانهما ومن معهما بشر قتلة.

فلما شارفنا مدينة مدين قدّم أبي غلمانه ليرتادوا لنا منزلاً ويشتروا لدوابنا علفاً، ولنا طعاماً، فأغلقوا الباب وقالوا: لا نزول لكم عندنا ولا شراء ولا بيع، يا كفار يا مشركين يا مرتدّين يا كذّابين يا شر الخلائق أجمعين، وشتمونا وذكروا علي بن أبي

طالب، فوقف غلماننا على الباب حتى انتهينا إليهم، فلين أبى لهم القول وقال:

اتقوا الله ولا تغلطوا فلسنا كما بلغكم ولا نحن كما تقولون فاسمعونا، ثم قال لهم: فهبنا كما تقولون افتحوا لنا الباب وشارونا وبايعونا كما تشارون وتبايعون النصارى والمجوس، فقالوا: أنتم أشر من اليهود والنصارى والمجوس، لأن هؤلاء يؤدون الجزية.

فقال لهم أبي: افتحوا لنا الباب وخذوا منا الجزية، فقالوا: لا نفتح ولا كرامة لكم حتى تموتوا على ظهور دوابكم جياعاً، فوعظهم أبي فازدادوا عتواً ونشوزاً، قال: فثنى أبي رجله عن سرجه، ثم قال لي: مكانك يا جعفر لا تبرح، ثم صعد الجبل المطل على مدينة مدين، وأهل مدين ينظرون إليه، فلما صار في أعلاه استقبل بوجهه المدينة وجسده، ثم وضع إصبعيه في أذنيه، ونادى بأعلى صوته: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [هود: ٨٤] ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٨٦].

نحن والله بقية الله في أرضه، فأمر الله ريحاً سوداء مظلمة فهبت وحملت صوت أبي وطرحته في أسماع الرجال والصبيان والنساء، فما بقي أحد من الرجال والنساء إلا صعد السطوح، فصعد فيمن صعد شيخ كبير السن، فنظر إلى أبي في أعلى الجبل، فنادى بأعلى صوته:

اتقوا الله يا أهل مدين فإنه قد وقف الموقف الذي وقف فيه شعيب عليه السلام حين دعا على قومه، إن لم تفتحوا له الباب جاءكم العذاب وإني أخاف عليكم وقد أعذر من أنذر، ففزعوا وفتحوا الباب وأنزلونا.

وكتب بجميع ذلك إلى هشام وارتحلنا في اليوم الثاني، فكتب هشام إلى عامله أن يأخذ الشيخ فيقتله، وكتب إلى عامل مدينة الرسول أن يحتال في سم أبي في طعام أو شراب.

وروى في الكافي، عن الصادق عليه السلام قال: إن أبي مرض مرضاً شديداً خفنا عليه، فبكى بعض أهله فنظر إليه وقال: إني لست بميت من وجعي هذا، قال عليه السلام: فبرىء ومكث ما شاء الله أن يمكث، فبينا هو صحيح ليس به بأس، قال: يا بني إن اللّذين أتياني في وجعي ذاك بأني لست بميت قد أتياني فأخبراني إني ميت يوم كذا وكذا، فمات ذلك اليوم.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كتب أبي عليه السلام وصيته أن أكفنه في ثلاثة أثواب أحدها: رداء له حبرة كان يصلي فيه يوم الجمعة، وثوب آخر، وقميص، فقلت لأبي عليه السلام: لم تكتب هذا؟ فقال عليه السلام: أخاف أن يغلبك الناس، وإن قالوا: كفنه في

أربعة أو خمسة فلا تفعل، وعممني بعمامة، ولا تُعدُّ العمامة من الكفن، وارفع قبري أربع أصابع ورشه بالماء.

وأوقف لي من مالي كذا وكذا للنوادب تندبني بمنى عشر سنين أيام منى.

وعن زرارة: أن الباقر عليه السلام أوصى بثمانمائة درهم لمأتمه عليه السلام، وكان يرى ذلك من السنة، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: اتخذوا لآل جعفر طعاماً، فقد شغلوا.

والمشهور أن وفاته كانت في السنة الرابعة عشر بعد المائة من الهجرة، وهو ابن سبع وخمسين سنة في سابع ذي الحجة، وقيل: في ربيع الأول.

وقيل: في ربيع الآخر.

وقد روى ابن طاووس عليه الرحمة: إنه قتل مسموماً لعن الله تعالى الظالمين لهم من الأولين والآخرين إلى يوم الدين آمين يا رب العالمين.

في بيان ولادة الإمام جعفر بن محمد الصادق ووفاته عليه السلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

في بيان نبذة من أحوال الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام

ولادة جعفر بن محمد عليه السلام :

وكان يكنى أبا عبدالله وأبا إسماعيل، وأبا موسى.

وألقابه: الصادق، والفاضل، والطاهر، والقائم، والكافل، والمنجي.

وكان نقش خاتمه: وليي وعصمتي من خلقه.

في رواية: أنت ثقتي فاعصمني من خلقك، وقيل: من الناس.

وفي الكافي: إنه ولد في سنة ثلاث وثمانين، وقبض في شوال سنة ثمان وأربعين ومائة، وله خمس وستون سنة، وقيل: في نصف رجب، وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد ابن أبي بكر.

وعن زرارة، عن الباقر عليه السلام قال: للإمام عشر علامات: يولد مطهراً مختوناً، ويقع من بطن أمه على راحتيه، رافعاً صوته بالشهادتين، ولا يجنب، وتنام عينه ولا ينام قلبه، ولا يتثاءب ولا يتمطى، ويرى من خلفه كما يرى من أمامه، وريحه كرائحة المسك، والأرض موكّلة بستره وابتلاعه، وإذا لبس درع رسول الله صلى الله عليه وآله كانت عليه وفقاً، وإذا لبسه غيره من الناس طويلهم وقصيرهم زادت عليه شبراً، وهو محدث إلى أن تنقضي أيامه.

في أحوال الامام الصادق عليه السلام

وروى الصدوق رحمه الله: إن المنصور أرسل إلى جعفر بن محمد عليه السلام ليقتله وطرح له سيفاً ونطعاً، وقال: يا ربيع إذا أنا كلمته ثم ضربت بإحدى يدي على الأخرى فاضرب عنقه، فلما دخل الإمام عليه السلام عليه ونظر إليه من بعيد تحرك المنصور من على

فراشه، وقال: مرحباً وأهلاً بك يا أبا عبدالله ما أرسلنا إليك إلا رجاء أن نقضي دينك، ونقضي ذمامك، ثم سأله مسائل لطيفة عن أهل بيته، وقال: قد قضى الله حاجتك ودينك وأخرج جائزتك، يا ربيع لا تمضين ثلاثة أيام حتى يرجع جعفر إلى أهله، فلما خرج عليه السلام قال له الربيع: يا أبا عبدالله رأيت السيف والنطع؟ إنما كان وضع لك، فأيَّ شيء رأيتك تحرك به شفتيك؟ فقال: نعم يا ربيع لما رأيت الشرَّ في وجهه قلت: «حسبي الرَّبُّ من المربوبين، وحسبي الخالق من المخلوقين، وحسبي الرازقُ من المرزوقين، وحسبي الله ربُّ العالمين، حسبي من هو حسبي، حسبي من لم يزل حسبي، حسبي الله لا إله إلا هو، عليه توكلت وهو ربُّ العرش العظيم».

قال ربيع: ثم سألت المنصور، وقلت: يا أمير المؤمنين لقد كنت من أشد الناس عليه غيظاً فما الذي أرضاك عنه؟ قال: يا ربيع لما حضر الباب رأيت تنيناً عظيماً يقرض بأنيابه، وهو يقول بألسنة الآدميين: إن أنت أسأت ابن رسول الله لأفصلن لحمك من عظمك، فأفزعني ذلك وفعلت به ما رأيت.

وعن محمد بن عبيد الاسكندري قال: كنت من جملة ندماء المنصور وخواصه، وصاحب سره، فدخلت عليه يوماً فرأيته مغتماً وهو يتنفس نفساً بارداً فقلت: ما هذه الفكرة يا أمير المؤمنين؟ فقال لي: يا محمد لقد هلك من أولاد فاطمة مقدار مئة وقد بقي سندهم وإمامهم.

فقلت له: من ذاك؟ قال: جعفر بن محمد الصادق فقلت:

يا أمير المؤمنين إنه رجل أنحلته العبادة وقد اشتغل بالله عن طلبة الملك والخلافة.

فقال: يا محمد قد علمت أنك تقول بإمامته، ولكن الملك عقيم، وقد آليت على نفسي أن لا أمسي أو أفرغ منه قال محمد: فوالله لقد ضاقت عليَّ الأرض برحبها، ثم دعى سياناً فقال له: إذا أنا أحضرت أبا عبدالله الصادق وشغلته بالحديث، ووضعت قلنسوتي عن رأسي فاضرب عنقه.

ثم أحضر الإمام عليه السلام فاستقبلته في الدار وهو يحرك شفتيه فلم أدر ما قرأ، فرأيت القصر يموج كأنه سفينة في لجج البحار، ورأيت أبا جعفر المنصور يمشي بين يديه حافياً، مكشوف الرأس، وقد اصطكت أسنانه، وارتعدت فرائصه، يحمر ساعة، ويصفر أخرى، وأخذ بعضد الإمام عليه السلام وأجلسه على سرير ملكه، وجثى بين يديه، كما يجثو العبد بين يدي مولاه.

ثم قال له: ما الذي جاء بك في هذه الساعة؟ فقال الإمام عليه السلام: جئتك طاعة لله عزوجل ولرسوله صلى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين أدام الله عزَّه، فقال المنصور: ما دعوتك

والغلط من الرسول، ثمَّ قال: سل حاجتك؟ فقال: أسألك أن لا تدعوني بغير شغل، قال: لك ذلك.

ثم انصرف أبو عبدالله عليه السلام سريعاً، فحمدت الله عزوجل كثيراً.

ودعى أبو جعفر المنصور بالمراويح، ولم ينتبه إلا في نصف الليل، فلما انتبه كنت عند رأسه فسره ذلك وقال: لا تخرج حتى أقضي ما فاتني من صلاتي فأحدثك، فلما قضى صلاته أقبل علي وقال لي: لما أحضرت أبا عبدالله، وهممت السوء به، رأيت تنيناً قد حوى جميع داري وقصري، وقد وضع شفته العليا في أعلاها، والسفلى في أسفلها، وهو يكلمني بلسان طلق ذلق عربي مبين: يا منصور إن الله تعالى وحده قد بعثني إليك، وأمرني إن أنت أحدثت في الصادق حدثاً فأنا ابتلعك ومن في دارك جميعاً، فطاش عقلي وارتعدت فرائصي واصطكت أسناني.

وروى الصدوق في العيون: إنه لما بنى المنصور الأبنية ببغداد وجعل يطلب العلوية طلباً شديداً، ويجعل من ظفر بهم في الأسطوانات المبنية بالجص والآجر، فظفر ذات يوم بغلام حسن الوجه، عليه شعر أسود من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام فسلمه إلى البناء الذي كان يبني له، مع جملة من العلوية، وقال للبناء: إذا أصبح الصباح وبقي منهم أحد ليفارقن رأسك بدنك، فبنا البناء على جميعهم، فلما شرع في البناء على العلوي المذكور جعل يأن من قلب موجوع، فقال له البناء: يا غلام ما سبب أنينك؟ فقال: والله ما أئن لنفسي، ولكن لي أم لا تملك سواي حبستني زماناً في الدار، فلما غلبها النوم خرجت فأخذت فدخلته رقة على ذلك العلوي فرحمه، وترك في الأسطوانة فرجة يدخل منها الروح، وقال للغلام: لا بأس عليك فاصبر فإني سأخرجك من هذه الأسطوانة في جوف الليلة القابلة.

فلما جن الليل جاءه البناء فأخرجه وقال له: اتق الله في دمي ودم الفعلة الذين معي، وغيب شخصك، ثم أخذ شعره بآلات الجصاصين وقال له: أنج بنفسك ولا تعرض بدمك وبدمي، قال الغلام: فإن كان الأمر هكذا، فعرف أميّ سلامتي ليقل جزعها وبكائها وعرفه مكان أمه، ثم هرب الغلام على وجهه وأعطاني علامة لها، فانتهيت إليها في الموضع الذي دلني عليه، فسمعت دوياً كدوي النحل من البكاء، فعلمت أنها أمه، فدنوت منها وعرفتها الخبر، وأعطيتها شعر ابنها والعلامة، وعرفتها سلامته فشهقت شهقات متتابعات وغشي عليها.

وروى الكليني عليه الرحمة، عن أبي أيوب قال: بعث إليّ أبو جعفر المنصور في جوف الليل، فدخلت عليه وهو جالس على كرسي، وبين يديه شمعة وفي يده كتاب،

فلما سلمت عليه رمى الكتاب إليّ وهو يبكي قال: هذا كتاب محمد بن سليمان، يخبرنا إنَّ جعفر بن محمد قد مات، (فإنا لله وإنا إليه راجعون) - ثلاثاً - وأين مثل جعفر؟

ثم قال لي: اكتب، فكتبت، صدر الكتاب، ثم قال: اكتب إن كان أوصى إلى رجل بعينه فقدمه، واضرب عنقه.

قال: فرجع الجواب أنه قد أوصى إلى خمسه أحدهم: أبو جعفر المنصور، ومحمد بن سليمان، وعبدالله، وموسى أبناء جعفر وحميدة.

فقال المنصور: ليس إلى قتل هؤلاء سبيل.

والمشهور أن وفاته عليه السلام في عام ثمان وأربعين ومائة، وعمره قيل: خمس وستون سنة.

وقيل: ثمان وستون.

وذكر ابن بابوية: إن المنصور قد سمه.

وروي أنه أغمي عليه عند موته، فلما أفاق قال: أعطوا الحسن بن الحسين وهو الأفطس سبعين ديناراً، وأعطوا فلاناً كذا، وفلاناً كذا، فقيل له: أتعطي رجلاً حمل عليك بالشفرة يريد أن يقتلك؟

فقال عليه السلام: أتريد أن لا أكون في الذين قال الله عزوجل إن الله تعالى خلق الجنة فطيبها وطيب ريحها وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة ألفي عام، ولا يجد ريحها عاقٌّ، ولا قاطع رحم.

والأشهر أن وفاته عليه السلام: في شوال، وقيل: في النصف من رجب مسموماً مظلوماً شهيداً لعنة الله وملائكته على الظالمين لهم من الأولين والآخرين إلى يوم الدين.

في بيان وولادة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

في أحوال موسى بن جعفر عليه السلام

كنيته: أبو الحسن، وأبو إبراهيم، وأبو علي، وأبو إسماعيل، وأشهرها: الأول.

وألقابه الشريفة: الكاظم، والصابر، والصالح، والأمين، وأشهرها: الأول.

وأمه: أم ولد، واسمها: حميدة البربرية ويقال: حميدة المصفاة.

ونقش خاتمه: حسبي الله وقيل: الملك لله وحده.

وموضع ولادته: بالأبواء وهو منزل بين مكة المعظمة والمدينة المنورة، وقد ولد في صفر سنة التاسعة والعشرين بعد المأة.

وروي عن ابن عكاشة أنه قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام وعنده أبو عبدالله عليه السلام فقلت له: لأي شيء لا تزوج أبا عبدالله عليه السلام فقد أدرك التزويج؟ وبين يديه صرة مختومة فقال: سيجيء نخاس من أهل بربر ينزل دار ميمون، فتشتري له بهذه الصرَّة جارية.

قال: فأتى بذلك ما أتى، فدخلنا يوماً على أبي جعفر عليه السلام فقال: ألا أخبركم عن النخاس الذي ذكرته لكم؟ قد قدم، فاذهبوا واشتروا بهذه الصرَّة جارية.

فأتينا النخاس فقال: قد بعت ما كان إلا جاريتين، إحداهما أمثل من الأخرى، فأخرجهما، فقلنا: بكم تبيع هذه الجارية المتماثلة؟ قال: بسبعين ديناراً فقلنا له: فأحسن؟ قال: لا أنقصها عن السبعين فقلنا: نشتريها منك بهذه الصرة ما بلغت؟ - ولا ندري ما فيها؟

وكان عنده رجل أبيض الرأس واللحية قال: فكُّوا الخاتم وزنوا فقال النخاس: لاتفكُّوا فإنها إن نقصت حبة من السبعين لم أبايعكم قال الشيخ: زنوا قال الراوي: ففككنا ووزنا الدنانير، فإذا هي سبعون ديناراً، فأخذنا الجارية، فأدخلناها على أبي جعفر عليه السلام وجعفر عليه السلام قائم بين يديه، فأخبرنا أبا جعفر عليه السلام بما كان، فحمد الله

تعالى، ثم قال لها: ما اسمك؟ قالت: حميدة، قال: حميدة في الدنيا، محمودة في الآخرة، أخبريني أبكر أم ثيب؟

قالت: بكر، فقال عليه السلام: كيف ولا يقع شيء في يد النخاسين شيء إلا أفسدوه؟ قالت: كان يجيء فيقعد مني مقعد الرجل من المرأة، فيسلط الله عليه رجلاً أبيض الرأس واللحية لا يزال يلطمه حتى يقوم عني، ففعل معي مراراً وفعل الشيخ به مراراً، فقال عليه السلام: يا جعفر خذها إليك فستلد لك خير أهل الأرض.

وقال الصادق عليه السلام: حميدة مصفاة من الأدناس، كسبيكة الذهب، ما زالت الأملاك تحرسها حتى وصلت إليَّ كرامة من الله لي وللحجة من بعدي.

وروى: إنها كانت رأت في المنام قبل أن يشتريها عليه السلام، كأن القمر قد نزل واستقر في حجرها.

وعن أبي بصير قال: حججنا مع أبي عبدالله عليه السلام في السنة التي ولد فيها إبنه موسى، فلما نزلنا الأبواء ووضع لنا الغذاء وكان يكثر الطعام ويجيده، فبينما نحن نأكل إذ أتاه رسول حميدة فقال له: تقول حميدة إني قد أنكرت نفسي، وقد وجدت ما كنت أجد.

فقام أبو عبدالله فرحاً مسروراً، فلم يلبث أن عاد إلينا، حاسراً عن ذراعيه ضاحكاً سنة، فقلنا: أضحك الله سنك وأقرَّ عينك ما صنعت حميدة؟ فقال عليه السلام: وهب الله لي فلاحاً، وهو خير من برأه الله في خلقه، وقد أخبَّرتني حميدة بما كنت أعلم به منها، فذكرت أنه لما سقط إلى الأرض، وضع يده على الأرض، رافعاً رأسه إلى السماء، فأخبرتها أنها تلك إمارة رسول الله وإمارة الوصي من بعده.

ثم قال: يا أبا محمد إنه لما كانت الليلة التي علق فيها بإبني هذا، أتاني آت في المنام كما أتى جدي وأبي فسقاني كما سقاهم، وأمرني بالجماع كما أمرهم، فقمت من نومي فرحاً مسروراً، فجامعت فعلق بابني هذا المولود، فدونكم فهو والله صاحبكم من بعدي.

إن نطفة الإمام إذا سكنت في الرحم أربعة أشهر وأنشأ فيه الروح، بعث الله تبارك وتعالى إليه ملكاً فكتب على عضده الأيمن: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥].

وإذا وقع من بطن أمه وقع واضعاً يديه على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء.

فإذا وضع يديه على الأرض فإن منادياً يناديه من بطنان العرش من الأفق الأعلى،

باسمه وإسم أبيه: يا فلان بن فلان أثبت ثلاثاً لعظيم خلقتك أنت صفوتي من خلقي، وموضع سري وعيبة علمي، وأميني على وحيي، وخليفتي في أرضي، ولمن تولاك أوجبت رحمتي ومنحت جناني، واحللت حواري، ثم وعزتي وجلالي لأصلين من عاداك أشد عذابي، وإن وسعت عليه في الدنيا سعة رزقي.

فإذا انقضى صوت المنادي أجابه هو، وهو واضع يده على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء، ويقول: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨] قال: فإذا قال: ذلك أعطاه الله تعالى العلم الأول، والعلم الآخر، واستحق زيارة الروح في ليلة القدر، قلت: والروح ليس هو جبرئيل؟ قال: لا الروح خلق عظيم أعظم من جبرئيل، إن جبرئيل لمن الملائكة، والروح خلق أعظم من الملائكة، أليس الله تعالى يقول: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ [القدر: ٤].

وروي: أنه أطعم الناس ثلاثة أيام في ولادة ابنه، فرحاً وسروراً بولادته.

وقد روى: أن الرشيد قال يوماً لبعض ثقاته: أتعرفون لي رجلاً من آل أبي طالب ليس بواسع الحال يعرّفني ما أحتاج إليه؟ فدلّ على عليّ بن إسماعيل بن جعفر بن محمد، وفي رواية أخرى: محمد بن إسماعيل، فحمل إليه يحيى بن خالد مالاً وكان موسى بن جعفر عليه السلام يأنس إليه ويصله، وربما أفضى إليه ببعض أسراره، فكتب إليه خالد بالشخوص إلى بغداد، فأحس الإمام عليه السلام فدعاه، فقال: إلى أين يابن أخي؟ قال: إلى بغداد، قال عليه السلام: وما تصنع؟ قال: عليّ دين وأنا مملق؟

قال عليه السلام: أنا أقضي دينك وأزيدك، فلم يلتفت إلى ذلك، فعند ذلك قال له الإمام: انظر يابن أخي لا تؤتم أولادي، ثم أمر له بثلاثمائة دينار وأربعة آلاف درهم.

فلما قام من بين يديه قال أبو الحسن عليه السلام لمن حضره: والله ليسعينَّ في دمي وليؤتمن ولدي فقلنا له: جعلنا الله فداك أنت تعلم هذا من حاله وتعطيه وتصله؟ فقال لهم: نعم حدثني أبي عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الرحم إذا قطعت فوصلت قطعها الله.

فخرج ابن إسماعيل حتى أتى إلى يحيى بن خالد، فتعرَّف منه خبر الإمام، ورفعه إلى الرشيد، فلما دخل على الرشيد سلم عليه بالخلافة، ثم قال: ما ظننت في الأرض خليفتين حتى رأيت عمي موسى بن جعفر يسلم عليه بالخلافة، وإن الأموال لتحمل إليه من المشرق والمغرب، وأن له بيوت أموال فأمر له الرشيد بمأتي ألف درهم، فلما رجع إلى داره عرض له عارض في خلقه فمات في تلك الليلة، وقيل: إنه خرج يتبرز فألقى أمعائه بيت الخلاء ولم ينتفع بالمال الذي باع له آخرته.

ثم أن الرشيد أراد أن يحكم الأمر لولده عند الخاص والعام.

فحج في سنة تسع وسبعين ومائة، وكتب إلى الآفاق: نأمر الفقهاء والعلماء والقراء والأمراء أن يحضروا الموسم بمكة ليأخذ البيعة لولده الأمين، وأخذ طريق المدينة.

فلما أتى المدينة وقف عند قبر رسول الله ﷺ كالمخاطب له، وقال: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله إني أعتذر إليك من أمر قد عزمت عليه، فإني أريد أن آخذ موسى بن جعفر وأحبسه، لأني خشيت أن يلقى بين أمتك حرباً يسفك فيه دمائهم»، فلما كان من الغد أرسل إليه الفضل بن الربيع وهو قائم يصلي في مقام رسول الله، فأمر بالقبض عليه.

عن سليمان النوفلي قال: سمعت أبي يقول: لما قبض الرشيد على موسى بن جعفر عليه السلام وهو عند رأس النبي ﷺ قائماً يصلي، فقطع عليه صلاته وحمل وهو يبكي ويقول:

«إليك أشكو يا رسول الله ما ألقى»، وأقبل الناس من كل جانب يبكون ويضجون، فلما حمل إلى الرشيد شتمه وجفاه، فلما جنَّ الليل أمر ببيتين فهيئا له، فحمل عليه السلام بأحديهما على خفاء وسلمه إلى حسان السروي، وأمره أن يسير به إلى البصرة ويدفعه إلى عيسى بن جعفر وهو أمير البصرة، ووجه القبة الثانية نهاراً إلى الكوفة ومعها جماعة ليعمى على الناس أمر الإمام عليه السلام.

فقدم حسان البصرة قبل التروية بيوم، ودفعه إلى عيسى بن جعفر نهاراً علانية حتى عرف ذلك الناس، وشاع أمره، فحبسه عيسى سنة كاملة.

ثم كتب إلى الرشيد أن خذه مني، وسلمه إلى من شئت، وإلا خليت سبيله، فإني اجتهدت بأن أجد عليه حجة، فما قدرت على ذلك، حتى إني لأتسمع عليه إذا دعا فأقول: لعله يدعو عليَّ أو عليك فما أسمعه يدعو إلا لنفسه، يسأل الرَّحمة والمغفرة.

وقال بعض جواسيس عيسى بن جعفر: إني كثيراً ما كنت أسمع في الحبس يقول: «اللهم إني كثيراً ما كنت أسألك أن توفق لي خلوة وعزلة، وفراغ خاطر لعبادتك وإطاعتك، فكيف أشكر هذه النعمة؟ وقد استجبت لي دعائي وبلغتني مناي».

ثم أنه لما بلغ الرشيد كتاب عيسى وجه من تسلمه منه، وشخص به إلى بغداد، فحبسه عند الفضل ابن الربيع ببغداد.

فروى عن عبدالله القروي قال: دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على سطح، فقال لي: أدن مني فدنوت منه، ثم قال: انظر ما ترى في الدار؟ فأشرفت فقال:

ما ترى؟ قلت: ثوباً مطروحاً، قال: انظر حسناً فتأملت ونظرت فتيقنت، فقلت: رجل ساجد، فقال لي: تعرفه؟ قلت: لا، قال: هذا مولاك، قلت: ومن مولاي؟ فقال: تتجاهل عليّ، فقلت: ما أتجاهل، ولكنني لا أعرف لي مولى.

فقال: هذا أبو الحسن موسى بن جعفر، إني أتفقده الليل والنهار، فلم أجده في وقت من الأوقات إلا على الحالة التي أخبرك بها، إنه يصلي الفجر فيعقب ساعة إلى أن تطلع الشمس، ثم يسجد سجدة، فلا يزال ساجداً حتى تزول الشمس، وقد وكلّ من يترصَّد الزوال، فلست أدري متى يقول الغلام قد زالت الشمس، إذ يثب فيبتدىء بالصلاة، من غير أن يجدّد وضوءاً، فاعلم أنه لم ينم في سجوده ولا أغفي.

فلا يزال كذلك حتى يفرغ من صلاة العصر، فإذا صلى العصر، فإذا صلى العصر سجد سجدة، فلا يزال ساجداً إلى أن تغيب الشمس، فإذا غابت الشمس وثب من سجدته فصلى المغرب من غير أن يُحدث حدثاً، ولا يزال في صلاته وتعقيبه إلى أن يصلّي العتمة، فإذا صلى العتمة أفطر على شواء يؤتى به، ثم يجدد الوضوء، ثم يسجد ثم يرفع رأسه، فينام نومة خفيفة، ثم يقوم فيجدّد الوضوء، فلا يزال يصلي في جوف الليل، حتى تطلع الفجر، فلست أدري متى يقول الغلام: إنّ الفجر قد طلع، إذ قد وثب هو للصلاة الفجر، فهذا دأبه منذ حوِّل إلي الآن.

فقلت: اتق الله ولا تحدثن في أمره حدثاً يكون فيه زوال نعمتك، فقد تعلم أنه لم يفعل أحد بأحد منهم سوء إلا كانت نعمته زائلة، فقال: قد أرسلوا إلى غير مرَّة يأمرونني بقتله، فلم أجبهم، وأعلمتهم إنيّ لا أفعل ذلك ولو قتلوني.

وربما أشرف الرشيد فكان يراه ساجداً فيقول للربيع: يا ربيع ما ذلك الثوب الذي أراه مطروحاً في هذا الموضع في كل يوم فيقول: يا أمير المؤمنين هذا موسى بن جعفر، له كل يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال، فيقول الرشيد: إن هذا من رهبان بني هاشم، فيقول الفضل: فما لك ضيقت عليه في الحبس، فيقول: هيهات لا بد من ذلك أن الملك عقيم، ثم لم يزل ينقله من حبس إلى حبس حتى مضت عليه ثمان سنوات وهو محبوس.

ثم نقله إلى حبس السندي بن شاهك، فلما حبسه السندي ضيق عليه، ثم بعث إليه الرشيد برطب مسموم وأمره أن يقدمه إليه ويحتم عليه في أكله.

فروى الصدوق (ره) في العيون، عن عمر بن واقد، قال: لما ضاق صدر الرشيد من فضل موسى بن جعفر عليه السلام، وما كان يبلغه من قول الشيعة فيه بالإمامة، دعى برطب فأكل منه، ثم دعى بصينية فوضع فيها عشرين رطبة، وأخذ سلكاً فغرزه بالسم،

فأدخله في سم الخياط، وأخذ رطبة من ذلك الرطب، وجعل يردّد ذلك السمّ بذلك الخيط فيها، حتى علم أنه قد بلغ السمّ فيها ما يحتاج إليه، ثم جعلها في ذلك الرطب.

وقال لخادم له: احمل هذه الصينية إلى موسى بن جعفر وقل له: إن أمير المؤمنين أكل من هذا الرطب، وتنغص لك، وهو يقسم عليك بحقه لما أكلته عن آخره، فإني اخترته لك بيدي، ولا تتركه يبقي منه شيئاً ولا يطعم منه أحداً.

فأتاه به الخادم وأبلغه الرسالة، فقال عليه السلام: ائتني بخلال فناوله خلالاً، وقام بإزائه وهو يأكل من الرطب، وكانت للرشيد كلبة تعزّ عليه فجذبت نفسها، وخرجت تجر سلاسلها من ذهب وجوهر حتى حاذت الإمام عليه السلام، فبادر بالخلال إلى الرطبة المسمومة ورمى بها إلى الكلبة فأكلتها، فلم تلبث أن ضربت بنفسها الأرض، وعوت وتهرّت قطعة قطعة، واستوفى عليه السلام باقي الرطب، وحمل الغلام الصينية وجاء بها إلى الرشيد.

فقال له: قد أكل الرطب عن آخره؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فكيف رأيته؟ قال ما أنكرت عليه شيئاً، ثم ورد عليه خبر الكلبة إنها قد تهرّت وماتت، فقلق الرشيد لذلك قلقاً شديداً، واستعظمه، ووقف عليها، فوجدها متهرئة بالسم، فأحضر الخادم ودعى له بسيف ونطع، وقال له: اصدقني عن خبر الرطب وإلا قتلتك، فأخبره بما فعل الإمام عليه السلام، وما رمى به إلى الكلبة، فقال الرشيد: ما ربحنا من موسى إلا أن أطعمناه جيد الرطب، وضيعنا سمنا، وقتلنا كلبتنا ما في موسى حيلة.

ولم يزل يتربص به الدوائر حتى دس إلى السندي بن شاهك الرطب المسموم، وأمره أن يحتم عليه في أكله، فقدمه السندي إلى الإمام عليه السلام عند الإفطار وحتم في أكله، فأكل الإمام منه عشر رطبات، فألح عليه ابن شاهك في زيادة الأكل، فقال له الإمام عليه السلام: حسبك يابن شاهك قد بلغت ما تحتاج إليه، ثم جمع السندي ابن شاهك سبعين رجلاً من فقهاء بغداد وأعيانها وأشرافها كشف عن الإمام، وقال هذا الإمام موسى بن جعفر لا ضرر عليه ولا ضيق، وها هو صحيح لا مرض فيه.

فقال الإمام: اشهدوا إني صحيح الظاهر ولكني مسموم، وسأحمر في هذا اليوم حمرة شديدة منكرة، وأصفر صفرة شديدة منكرة، وأبيض بعد غد وأمضي إلى رحمة ربي. فكان كما قال عليه السلام.

قال المسيب: كنت موكلاً بالإمام في الحبس، فقال لي في قبل وفاته بثلاثة أيام: يا مسيب فقلت: لبيك يا مولاي، فقال: إني ظاعن في هذه الليلة إلى المدينة، مدينة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله لأعهد إلى علي ابني ما عهده إلى أبي، وأجعله وصيي وخليفتي،

وآمره بأمري، فقال المسيب: فقلت: يا مولاي كيف تأمرني أن أفتح لك الأبواب وإقفالها، والحرس على الباب؟ فقال: يا مسيب ضعف يقينك في الله عزَّ وجل وفينا؟ فقلت: لا يا سيدي، قال عليه السلام: فمه؟ قلت: يا سيدي ادع الله أن يثبتني فقال: اللهم ثبته.

قال المسيب: فسمعته عليه السلام يدعو، ثم فقدته من مصلاه، فلم أزل قائماً على قدمي حتى رأيته قد عاد إلى مكانه، وأعاد الحديد إلى رجليه، فخررت لله ساجداً لوجهي شكراً على ما أنعم به عليَّ من معرفته.

فقال لي: ارفع رأسك يا مسيب واعلم أني راحل إلى الله عزّ وجلّ في ثالث هذا اليوم، قال: فبكيت، فقال عليه السلام: لا تبك يا مسيب إن ابني علياً هو إمامك ومولاك وملاذك بعدي فاستمسك بولايته، فإنك لا تضل ما لزمته فقلت: الحمد لله.

ثم أن سيدي عليه السلام دعاني في ليلة اليوم الثالث، فقال لي: إني على ما عرَّفتك من الرحيل إلى الله عزوجل، فإذا دعوت بشربة من ماء فشربتها، ورأيتني قد انتفخت وارتفع بطني، واصفرَّ لوني، واحمَّر وابيضَّ، وأتلون ألواناً، فخبّر الطاغية بوفاتي.

قال المسيب: فلم أزل أرقب وعده حتى دعا عليه السلام بالشربة فشربها، ثم دعاني وقال: يا مسيب إن هذا الرجس السنديَّ سيزعم أنه يتولى غسلي، ودفني، وهيهات هيهات أن يكون ذلك أبداً، وإذا قبضت وحملت إلى المقبرة المعروفة بمقابر قريش، فألحدوني بها ولا ترفعوا قبري فوق أربع أصابع مفرجات، لا تأخذوا من تربتي شيئاً لتتبرَّكوا به، فإن كل تربة لنا محرَّمة إلا تربة جدِّي الحسين عليه السلام، فإن الله عزوجل جعلها شفاء لشيعتنا وأوليائنا.

قال: ثم رأيت شخصاً أشبه الناس به عليه السلام جالساً إلى جانبه، وكان عهدي بسيدي الرضا عليه السلام وهو غلام، فأردت سؤاله فصاح بي سيدي موسى عليه السلام وقال: أليس قد نهيتك يا مسيب؟ قال المسيب: فلم أزل صابراً كاظماً حتى مضى عليه السلام، وغاب الشخص، فأنهيت الخبر إلى الرشيد بوفاة الإمام، فوافى السندي بن شاهك، فوالله العظيم لقد رأيتهم بعيني وهم يظنون أنهم يغسلونه وأيديهم لا تصل إليه، ويظنون أنهم يحنطونه ويكفنونه وأراهم لا يصنعون به شيئاً، ورأيت ذلك الشخص يتولى غسله وتحنيطه وتكفينه وهو يظهر المعاونة لهم، وهم لا يعرفونه.

فلما فرغ من أمره قال لي ذلك الشخص: يا مسيب مهما شككت في شيء فلا تشكنَّ فيَّ فإني أمامك ومولاك، وحجة الله عليك بعد أبي عليه السلام.

ثم أن السندي أخرج جنازة الإمام ووضعها على الجسر ببغداد، وأقام المنادين

ينادون عليها: هذا موسى بن جعفر قد مات حتف أنفه، فانظروا إليه، وجعل الناس يتفرسون في وجهه.

وقيل نادى عليه: هذا إمام الرافضة قد مات وقيل نادى عليه: بكلام فظيع، فخرج سليمان عم الرشيد فسمع الصياح والضوضاء، فقال: ما هذا؟ فأخبروه الخبر، فقال: يفعل هذا بابن رسول الله؟ إنه ليوشك أن يفعل به في هذا الجانب، فإذا عبر به الشط فانزلوا إليهم، وخذوه من أيديهم، وإن مانعوكم فاضربوهم وفرقوا عليهم سوادهم.

فلما عبروا به أخذوه منهم، وأقام سليمان عليه المنادين من أراد أن يرى الطيب بن الطيب، فليخرج إلى جنازة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، فخرج الناس أفواجاً، ثم أن سليمان اختفى ومشى خلف جنازته، وكفن الإمام في حبرة استعملت عليه بألفي دينار وشق جيبه حتى جاء به إلى مقابر قريش، ودفنه حيث قبره الآن وجلس للتعزية.

وروى ثقة الإسلام في الكافي، عن مسافر قال: أمر أبو إبراهيم عليه السلام حين أخرج من المدينة أبا الحسن الرضا عليه السلام، أن ينام على بابه في كل ليلة أبداً ما دام حياً إلى أن يأتيه خبره، فكنا في كل ليلة نفرش لأبي الحسن الرضا عليه السلام في الدهليز، ثمَّ يأتي بعد العشاء فينام، فإذا أصبح إنصرف إلى منزله، فمكث على هذا الحال أربع سنين، فلما كان ليلة من الليالي أبطأ عنا وفرش له، فلم يأت كما كان يأتي، فاستوحش العيال وذعروا ودخلنا أمر عظيم من إبطائه.

فلما كان من الغد أتى الدار، ودخل إلى العيال، وقصد إلى أم أحمد فقال لها: هاتي الذي أودعك أبي، فصرخت ولطمت وجهها وشقت جيبها، وقالت: مات والله سيدي، فكفها الإمام عليه السلام وقال لها: لا تتكلمي بشيء، ولا تظهريه حتى يجيء الخبر إلى الوالي، فأخرجت إليه سفطاً فيه ألفا دينار، أو أربعة آلاف دينار. فدفعت ذلك إليه أجمع دون غيره.

وقالت: إنه قال لي فيما بيني وبينه عليه السلام إحتفظي بهذه الوديعة عندك، ولا تطلعي عليها أحداً حتى أموت، فإذا مضيتُ فمن أتاك من ولدي، فطلبها منك، فادفعيها إليه، وأعلمي أني قدمتُ، فلما جاء الخبر إلى الوالي بنعيه، فعددنا الأيام فكان في ليلة إنقطاع أبي الحسن.

والمشهور في وفاته عليه السلام أنه في خامس رجب سنة ثلاث وثمانين ومأة، وله يومئذ خمس وخمسون سنة.

وقيل: سنة إحدى وثمانين، وقيل: ست وثمانين بعد المأة، لعن الله الظالمين لهم من الأولين والآخرين إلى يوم الدين آمين يا رب العالمين.

في بيان أحوال أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

في بيان نبذة من أحوال ولادة
وشهادة زبدة الأصفياء، وإمام الأتقياء،
وملاذ الغرباء، الإمام الثامن أبي الحسن الرضا الضامن

في ولادته عليه السلام

إسمه: علي.

وكنيته: أبو الحسن.

وألقابه: الرضا، والصابر، والرضي، والوفي، والفاضل، وأشهرها: الرضا.

أبوه: موسى بن جعفر عليه السلام.

وأمه: أم ولد. قيل: إسمها سكن النوبية، وقيل: أروى، وقيل: نجمة، وقيل: تكتم، وقيل: خيزران، وقبل صقر، وقيل: شقراء. وتكنى: أم البنين.

وروى الصدوق في الأمالي والعيون، عن علي بن ميثم: قال: إشترت حميدة المصفاة وهي أم أبي الحسن علي بن موسى بن جعفر عليه السلام، وكانت من أفضل النساء في عقلها ودينها، وإعظامها لمولاتها حميدة المصفاة. قيل: أنها ما جلست بين يديها منذ ملكتها إجلالاً لها.

فقالت لابنها موسى عليه السلام: يا بنيَّ إنَّ تكتم جارية ما رأيت جارية قطُّ أفضل منها، ولست أشكُّ أن الله تعالى سيظهر نسلها إن كان لها نسل، وقد وهبتها لك فاستوص بها خيراً.

فلما ولدت له الرضا عليه السلام سماها: الطاهرة، قال: وكان الرضا عليه السلام يرتضع كثيراً، وكان تام الخلق، فقالت: أعينوني بمرضعة، فقيل لها: أنقص الدَّرُّ؟ قالت: لا أكذب والله ما نقص، ولكن علي وردٌ من صلاتي وتسبيحي وقد نقص منذ ولدت.

وروى أيضاً عن علي بن ميثم قال: لما اشترت حميدة أمَّ موسى عليه السلام أمَّ الرضا عليه السلام نجمة، ذكرت حميدة أنها رأت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام يقول لها: يا حميدة هبي نجمة لابنك موسى فإنه سيلد له منها خير أهل الأرض، فوهبتها له، فلما ولدت الرضا عليه السلام سماها الطاهرة، وكانت لها أسماء منها: نجمة، وأروى، وسكن، وسمان، وتكتم، وهو آخر أساميها، وكانت بكراً لما اشترتها حميدة.

وروي عن هشام بن أحمد قال: قال لي أبو الحسن الأول يعني: الكاظم، هل علمت أحداً من أهل المغرب قدم؟ قلت: لا، قال: بلى قد قدم رجل، فانطلق بنا نركب إليه، وركبت معه، حتى انتهينا إلى الرجل، فإذا رجل من أهل المغرب معه رقيق، فقال له: أعرض علينا، فعرض علينا تسع جوار كل ذلك يقول أبو الحسن عليه السلام لا حاجة لي فيها.

ثم قال له: أعرض علينا، قال: ما عندي شيء، قال: بلى أعرض علينا، قال: لا والله ما عندي إلا جارية مريضة، فقال له: ما عليك أن تعرضها عليَّ؟ فأبى عليه ثمَّ انصرف، ثم أنه أرسلني من الغد إليه فقال لي: قل له: كم غايتك فيها؟ فإذا قال: كذا وكذا، فقل أخذتها.

قال: فأتيته، فقال: ما أنقصها من كذا وكذا، قلت: قد أخذتها وهو لك، قال: هي لك، ولكن من الرجل الذي كان معك بالأمس؟ قلت: رجل من بني هاشم، فقال: من أي بني هاشم، فقلت: ما عندي أكثر من هذا.

فقال: أخبرك عن هذه الوصيفة؟ إني اشتريتها من أقصى بلاد المغرب، فلقيتني امرأة من أهل الكتاب، فقالت: ما هذه الوصيفة معك؟ قلت: اشتريتها لنفسي.

فقالت: ما ينبغي أن تكون هذه عندك، إن هذه الجارية ينبغي أن تكون عند خير أهل الأرض، فما تلبث عنده إلا قليلاً حتى تلد منه غلاماً يدين له شرق الأرض وغربها.

قال: فأتيته بها فلم تلبث عنده إلا قليلاً حتى ولدت علياً عليه السلام.

وعن ميثم قال: سمعت أمي تقول: سمعت نجمة أم الرضا تقول: لما حملت بابني عليّ لم أشعر بثقل الحمل، وكنت أسمع في منامي تسبيحاً وتهليلاً وتمجيداً من بطني فيفزعني ذلك ويهولني، فإذا انتبهت لم أسمع شيئاً.

فلما وضعته وقع على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء يحرك شفتيه، كأنه يتكلم فدخل إليّ أبوه موسى بن جعفر عليه السلام، فقال: هنيئاً لك يا نجمة كرامة ربك، فناولته إياه

في خرقة بيضاء، فأذّن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ودعى بماء الفرات، فحنّكه به، ثم رده إليّ فقال: خذيه، فإنه بقية الله تعالى في أرضه.

وولد عليه السلام بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومأة من الهجرة، ويقال: إنه ولد لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة يوم الجمعة، سنة ثلاث وخمسين ومأة، بعد وفاة أبي عبدالله عليه السلام بخمس سنين، وقيل: يوم الخميس.

وكان نقش خاتمه: ما شاء الله ولا قوة إلا بالله، كما روي عن الرضا عليه السلام.

الإمام الرضا عليه السلام وولاية العهد:

وروى الصدوق في الأمالي عن الهروي قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: ما منا إلا مقتول شهيد فقيل: فمن يقتلك يابن رسول الله؟ قال: شر خلق الله في زماني يقتلني بالسمّ، ثم يدفنني في دار مضيعة وبلاد غربة، ألا فمن زارني في غربتي كتب الله عزوجل له أجر مأة ألف شهيد، ومأة ألف صديق، ومأة ألف حاج ومعتمر، ومأة ألف مجاهد، وحشر في زمرتنا وجعل في الدرجات العلى من الجنة رفيقنا.

اللهم ارزقنا زيارته وارزقنا زيارة آبائه وأبنائه.

وأما كيفية شهادته وسببها على ما يستفاد من الروايات فهو:

أن المأمون لما استولى على أطراف العالم جعل ولي أمره في العراق، عراق العرب الحسن بن سهل، وأقام المأمون في بلدة مرو، وحدثت في أطراف الحجاز واليمن فتنة عظيمة، وطمع بعض السادة في الخلافة، فاستشار المأمون وزيره الفضل بن سهل ذا الرياستين واستقر رأي المأمون أن يستدعي الرضا عليه السلام من المدينة، ويجعله ولي عهده حتى تطيعه جميع السادة والأشراف، ولا يطمعون في أمر الخلافة.

فأرسل رجاء بن أبي الضحاك مع جمع من خاصته إلى المدينة ليرغبوا الرضا عليه السلام في القدوم إلى خراسان، فامتنع أولاً من إجابتهم، ثم أصروا وألحوا عليه فأجابهم.

وروى الوشا قال: قال لي الرضا عليه السلام: إني حيث أرادوا بي الخروج من المدينة جمعت عيالي، فأمرتهم أن يبكوا عليّ حتى أسمع، وفرقت فيهم اثني عشر ألف دينار، ثم قلت: أما إني لا أرجع إلى عيالي أبداً.

وعن مخول قال: لما ورد البريد بأشخاص الرضا عليه السلام إلى خراسان كنت أنا بالمدينة، فدخل المسجد ليودّع رسول الله صلى الله عليه وآله فودعه مراراً، كل ذلك يعلو صوته بالبكاء والنحيب، فتقدمت إليه وسلمت عليه فرد عليّ السلام وهنّأته، فقال: زرني فإني

أخرج من جوار جدي رسول الله ﷺ، فأموت في غربة وأدفن في جنب هارون، قال: فخرجت متبعاً لطريقه حتى مات بطوس ودفن إلى جنب هارون.

وكان توجهه إلى خراسان في سنة مائتين بعد الهجرة، وكان عمر الجواد على المشهور ثمان سنين، ولما توجه إلى خراسان، ظهر منه في المنازل من الكرامات، والمعجزات والأسرار ما لا يحصى، فحدث الهروي: أنه لما دخل سناباذ دخل قبة هارون الرشيد، ثم خط بيده إلى جانبه، ثم قال: هذه تربتي وفيها أدفن، وسيجعل الله هذا المكان مختلف شيعتي وأهل محبتي، والله لا يزورني منهم زائر، ولا يسلم عليَّ منهم مسلم، إلا وجب له غفران الله ورحمته بشفاعتنا أهل البيت.

عن أبي الصلت الهروي قال: أن المأمون قال للرضا عليه السلام: يابن رسول الله قد عرفت فضلك وزهدك وعلمك وورعك وعبادتك، وأراك أحق بالخلافة مني، فقال عليه السلام: بالعبودية لله عزوجل افتخر، وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شر الدُّنيا، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، وبالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله عزوجل.

فقال المأمون: فإني قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها لك وأبايعك.

فقال له الرضا عليه السلام: إن كانت هذه الخلافة لك وجعلها الله لك فلا يجوز أن تخلع لباساً ألبسكه الله وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك، فقال له المأمون: يابن رسول الله لا بد لك من قبول هذا الأمر، فقال عليه السلام: لست أفعل طائعاً ذلك أبداً، فما زال يجهد به أياماً حتى يئس من قبوله، فقال له: فإن لم تقبل الخلافة ولم تحب مابعتي لك فكن وليّ عهدي لتكون لك الخلافة بعدي.

فقال الرضا عليه السلام: والله لقد حدثني أبي، عن آبائه عن أمير المؤمنين، عن رسول الله ﷺ: إني أخرج من الدنيا قبلك مقتولاً بالسمِّ تبكي عليَّ ملائكة السماء وملائكة الأرض، وأدفن في أرض غربة إلى جنب هارون الرشيد.

فبكى المأمون، ثم قال: يابن رسول الله ومن الذي يقتلك؟ أو يقدر على الإساءة إليك وأنا حي؟

فقال الرضا: أما إني لو شئت لقلت من الذي؟

فقال المأمون: يابن رسول الله إنما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك ودفع هذا الأمر عنك، ليقول الناس إن علي بن موسى زاهد في الدنيا.

فقال الرضا عليه السلام: فوالله ما كذبت منذ خلقني ربي عزَّ وجل وما زهدت في الدُّنيا للدُّنيا وإني لأعلم ما تريد فقال المأمون: وما أريد؟

قال: الأمان على الصدق؟ قال: لك الأمان قال: تريد أن يقول الناس: إن علي بن موسى لم يزهد في الدنيا بل الدنيا زهدت فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الدنيا وفي الخلافة؟

فغضب المأمون، وقال: إنك تتلقاني أبداً بما أكرهه، وقد أمنت سطوتي، فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلا أجبرتك على ذلك، فإن فعلت وإلا ضربت عنقك.

فقال الرضا: قد نهاني الله أن ألقي بيدي إلى التهلكة، فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك، وأنا أقبل ذلك على أنّي لا أولي أحداً، ولا أعزل أحداً، ولا أنقض رسماً ولا سنة، وأكون في الأمر من بعيداً مشيراً، فرضي منه بذلك وجعله ولي عهده على كراهة منه لذلك.

ولما ولي الرضا عليه السلام العهد رفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم إنك قد نهيتني عن الإلقاء بيدي إلى التهلكة، وقد أشرفت من قبل المأمون على الموت متى لم أقبل ولاية العهد، وقد أكرهت واضطررت كما اضطرَّ يوسف ودانيال عليهما السلام إذ قبل كلٌ واحد منهما الولاية من طاغية زمانه، اللهم لا عهد إلا عهدك، ولا ولاية إلا من قبلك، فوفقني لإقامة دينك، وإحياء سنة نبيك صلى الله عليه وآله، فإنك أنت المولى والنصير، ونعم المولى أنت ونعم النصير» ثم قبل ولاية العهد من المأمون وهو باك حزين.

ثم أن المأمون رتب في اليوم الثاني مجلساً عظيماً، ونصب للرضا عليه السلام كرسياً بحذاء كرسيه وجمع الأكابر والأشراف والسادات والعلماء، ثم أمر ابنه العباس فبايع له أول الناس، ثم بايعه سائر الناس وأعطى الجوائز الكثيرة، ووهب لجنده عطاء سنة، وأمر الخطباء والشعراء أن يذكروا فضل الرضا، وينشدوا في مدحه الأشعار وأعطاهم الجوائز الكثيرة، وأن يذكر اسمه على المنابر، وأن تضرب الدراهم والدنانير باسمه.

وأمر الناس أن يلبسوا عوض لباس السواد اللباس الأخضر، وعقد الرضا عليه السلام على ابنته أم حبيبة، وسمى للجواد عليه السلام ابنته أم الفضل، وتزوج بابنة الحسن بن سهل.

في شهادته عليه السلام وما ظهر من معجزات

ولما رأى ما يظهر من الرضا من غرائب العلوم والمعارف والكمال والرفعة والجلال، حسده وأضمر له السوء، وشرع له في التفكر في تدبير قتله.

ففي العيون، عن الأنصاري قال: سألت الهروي وقلت: كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا مع إكرامه ومحبته له؟ وما جعل له من ولاية العهد من بعده؟

فقال: إن المأمون إنما كان يكرمه ويحبه بمعرفته بفضله، وجعل له ولاية العهد من بعده ليرى الناس أنه راغب في الدنيا فيسقط محله من نفوسهم، فلما لم يظهر منه في ذلك إلا ما ازداد به فضلاً عندهم ومحلاً في نفوسهم، جلب عليه المتكلمين من البلدان طمعاً في أن يقطعه واحد منهم فيسقط محله من نفوسهم، ويظهر نقصه عند العامة.

فكان الرضا عليه السلام لا يكلمه خصم من اليهود والنصارى والصابئين والبراهمة والملحدين والدهرية وفرق المسلمين المخالفين له إلا قطعه وألزمه الحجة، وكان الناس يقولون: «والله إنه أحق بالخلافة من المأمون، فكان أصحاب الأخبار يرفعون ذلك إليه فيغتاظ من ذلك ويشتد حسده له».

وكان الرضا عليه السلام لا يحابي المأمون من حق وكان يجيبه بما يكره في أكثر أحواله فيغيظه ذلك، ويحقده عليه، ولا يظهره له. فلما أعيته الحيلة في أمره اغتاله فقتله بالسم.

روى الصدوق في الأمالي، والعيون، عن الهروي قال: بينا أنا واقف بين يدي أبي الحسن إذ قال لي: يا أبا الصلت أدخل إلى هذه القبة التي فيها هارون، وائتني بتراب من أربع جوانبها قال: فمضيت فأتيت به، فلما مثلت بين يديه قال: ناولني هذا التراب، وهو من عند الباب، فناولته فأخذه وشمّه، ثم رمى به، ثم قال: سيحفر لي هاهنا، فتظهر صخرة لو جمع عليها كل معول بخراسان لم يتهيأ قلعها، ثم قال في الذي عند الرجل: والذي عند الرأس مثل ذلك، ثم قال عليه السلام: ناولني هذا التراب فهو من تربتي.

ثم قال: سيحفر لي هاهنا في هذا الموضع، فتأمرهم أن يجعلوا اللحد ذراعين وشبراً، فإن الله سيوسعه ما يشاء، وإذا فعلوا ذلك، فإنك ترى عند رأسي نداوة، فتكلم بالكلام الذي أعلمك فإنه ينبع الماء حتى يمتلىء اللحد، وترى فيه حيتاناً صغاراً، ففتت لها الخبز الذي أعطيك فإنها تلتقطه، فإذا لم يبق منه شيء خرجت حوتة كبيرة، فتلتقط الحيتان الصغار حتى لا يبقى منها شيء ثم تغيب، فإذا غابت فضع يدك على الماء وتكلم بالكلام الذي أعلمك، فإنه ينضب الماء ولا يبقى منه شيء، ولا تفعل ذلك إلا بحضرة المأمون.

ثم قال: يا أبا الصلت غداً أدخل على هذا الفاجر، فإن أنا خرجت مكشوف الرأس فكلمني، وإن أنا خرجت مغطى الرأس فلا تكلمني.

قال الهروي: فلما أصبحنا من الغد لبس ثيابه، وجلس في محرابه ينتظر، فبينا هو

كذلك إذ دخل عليه غلام المأمون فقال: أجب أمير المؤمنين، فلبس نعله ورداءه، وقام ومشى وأنا أتبعه حتى دخل على المأمون، وبين يديه طبق عنب، وأطباق فاكهة، وبيده عنقود عنب قد أكل بعضه، وبقي بعضه.

فلما أبصر الرضا عليه السلام وثب إليه فعانقه، وقبّل ما بين عينيه وأجلسه معه، ثمَّ ناوله العنقود قال: يابن رسول الله ما رأيت عنباً أحسن من هذا فقال له الرضا عليه السلام: ربما كان عنباً حسناً من هذا في الجنة، فقال له: كل منه فقال الرضا عليه السلام: تعفوني عنه، فقال: لا بد من ذلك وما يمنعك منه لعلك تتهمنا بشيء، فتناول العنقود فأكل منه، ثم ناوله فأكل الرضا عليه السلام منه ثلاث حبات، ثم رمى به، فقام فقال المأمون: إلى أين؟ فقال عليه السلام: إلى حيث وجهتني، وخرج مغطى الرأس، فلم أكلمه حتى دخل الدار، فأمر أن يغلق الباب فغلق، ثم نام على فراشه ومكثت واقفاً في صحن الدار مهموماً محزوناً.

فبينا أنا كذلك إذ دخل عليّ شاب حسن الوجه قطط الشعر، أشبه الناس بالرضا عليه السلام، فبادرت إليه وقلت له: من أين دخلت والباب مغلق؟ فقال: الذي جاء بي من المدينة أدخلني الدار والباب مغلق. فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا حجة الله يا أبا الصلت أنا محمد بن علي عليه السلام ثم مضى نحو أبيه، فدخل وأمرني بالدخول معه، فلما نظر إليه الرضا وثب إليه فعانقه وضمه إلى صدره، وقبّل ما بين عينيه، ثم سحبه سحباً في فراشه وأكب عليه محمد بن علي يقبّله، ويساره بشيء لم أفهمه.

ورأيت في شفتي الرضا عليه السلام شيئاً أشد بياضاً من الثلج، كأنه زبد، ورأيت أبا جعفر عليه السلام يلحسه بلسانه، ثم أدخل يده بين ثوبه وصدره فاستخرج منه شيئاً شبيهاً بالعصفور فابتلعه أبو جعفر، ومضى الرضا عليه السلام فقال أبو جعفر عليه السلام: يا أبا الصلت قم فأتني بالمغتسل والماء من الخزانة فقلت: ما في الخزانة مغتسل ولا ماء؟ فقال لي: انته لما أمرتك به، فدخلت الخزانة فإذا فيها مغتسل وماء، فأخرجته وشمرت ثيابي لأغسله، فقال: تنح يا أبا الصلت فإن من يعينني غيرك، فغسله.

ثم قال: أدخل الخزانة، فأخرج لي السفط الذي فيه كفنه وحنوطه، فدخلت فإذا أنا بسفط لم أره في تلك الخزانة قط، فحملته إليه فكفنه وصلى عليه ثم قال: ائتني التابوت، فقلت: أمضي إلى النجار حتى يصلح التابوت، قال: قم فإن في الخزانة تابوتاً فدخلت الخزانة فوجدت تابوتاً لم أره قط فأتيته به، فأخذ الرضا عليه السلام بعدما صلى عليه فوضعه في التابوت، وصف قدميه وصلى ركعتين فلم يفزع منهما حتى علا التابوت، فانشق السقف فخرج منه التابوت ومضى.

فقلت: يابن رسول الله الساعة يجيئنا المأمون ويطالبنا بالرضا عليه السلام فما نصنع؟ فقال لي: اسكت يا أبا الصلت «ما من نبي يموت بالمشرق ويموت وصيه بالمغرب إلا جمع الله تعالى بين أرواحهما وأجسادهما» فما تم الحديث حتى انشق السقف ونزل التابوت، فقام عليه السلام فاستخرجه من التابوت ووضعه على فراشه كأنه لم يغسل ولم يكفن.

ثم قال لي: يا أبا الصلت قم فافتح الباب للمأمون، ففتحت الباب فإذا المأمون والغلمان بالباب، فدخل باكياً حزيناً قد شق جيبه، ولطم رأسه وهو يقول: يا سيداه فجعت بك يا سيدي، ثم دخل وجلس عند رأسه وقال: خذوا في تجهيزه فأمر بحفر القبر، فحفرت الموضع فظهر كل شيء على ما وصفه الرضا عليه السلام فقال له بعض جلسائه: ألست تزعم أنه إمام؟ قال بلى. قال: لا يكون الإمام إلا مقدم الناس فأمر أن يحفر له في القبلة فقلت: أمرني أن أحفر له سبع مراقي وأن أشق له ضريحه، فقال: انتهوا إلى ما يأمر به أبو الصلت سوى الضريح، لكن يحفر له ويلحد.

فلما ظهر ما رأى من النداوة والحيتان وغير ذلك، قال المأمون: لم يزل الرضا يرينا عجائبه في حياته حتى أرانا بعد وفاته أيضاً، فقال له وزير كان معه: أتدري ما أخبرك به الرضا عليه السلام؟ قال: لا. قال: أخبرك إن ملككم يا بني العباس مع كثرتكم وطول مدتكم مثل هذه الحيتان حتى إذا فنيت آجالكم وانقطعت آثاركم، وذهبت دولكم، سلط الله عليكم رجل منا أفناكم عن آخركم، قال: صدقت.

ثم قال لي: يا أبا الصلت علمني الكلام الذي تكلمت به، قلت: والله لقد نسيت الكلام من ساعتي، فأمر بحبسي ودفن الرضا عليه السلام فحبست سنة فضاق عليَّ الحبس فسهرت ليلة، ودعوت الله بدعاء ذكرت فيه محمداً وآل محمد، وسألت الله بحقهم أن يفرج عني.

فما استتم الدعاء حتى دخل عليّ أبو جعفر عليه السلام فقال: يا أبا الصلت ضاق صدرك قلت: أي والله قال: ثم ضرب بيده إلى القيود التي كانت ففكها، وأخذ بيدي فأخرجني من الدار والحرس والغلمة يرونني، فلم يستطيعوا أن يكلمونني وخرجت من باب الدار.

ثم قال لي: إمض في وداع الله إنك لن تصل إليه ولن يصل إليك أبداً، فقال أبو الصلت: فلم ألتق مع المأمون إلى هذا الوقت.

وروى المفيد والصدوق (ره) عن علي بن الحسين الكاتب، وعن عبدالله بن بشر قال: أمرني المأمون أن أطول أظفاري على العادة، ولا أظهر ذلك على أحد ففعلت،

ثم استدعاني فأخرج إلي شيئاً يشبه التمر الهندي، فقال لي: اعجن هذا بيديك جميعاً ففعلت ثم قام وتركني، فدخل على الرضا عليه السلام وقال له: ما خبرك؟ قال: أرجو أن أكون صالحاً قال له: أنا اليوم بحمد الله صالح، فهل جاءك أحد من المترفقين في هذا الوقت؟ قال: لا، فغضب المأمون وصاح على غلمانه ثم قال: فخذ ماء الرمان الساعة.

وفي رواية: أنه قال للغلام: هات من ذلك الرمان وكان الرمان في بستان في دار الرضا عليه السلام فقطف منه ثم قال: اجلس ففتته ففتت منه جام، فأمر بغسله ثم قال للرضا عليه السلام: مص منه شيئاً قال: حتى يخرج أمير المؤمنين فقال: لا والله إلا بحضرتي، ولولا خوفي أن يرطب معدتي لمصصته معك، فمص منه ملاعق وخرج المأمون، فما صليت العصر حتى قام الرضا عليه السلام خمسين مجلساً، وزاد الأمر في الليل فأصبح ميتاً، فكان آخر ما تكلم به: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤] ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] وبكر المأمون من الغد، فأمر بغسله وتكفينه، ومشى خلف جنازته حافياً حاسراً يقول: يا أخي لقد ثلم الإسلام بموتك، وغلب القدر بتدبيري فيك.

روى الصدوق (ره) في العيون، عن هرثمة بن أعين قال: كنت ليلة بين يدي المأمون حتى مضى من الليل أربع ساعات، ثمَّ أذن لي بالإنصراف، فلما مضى من الليل نصفه، قرع قارع الباب فأجابه بعض غلماني، فقال له: قل لهرثمة: أجب سيدك، قال: فقمت مسرعاً وأخذت علي أثوابي وأسرعت إلى الرضا عليه السلام، فدخل الغلام بين يدي ودخلت وراءه، فإذا أنا بسيدي عليه السلام في صحن داره جالس.

فقال: يا هرثمة فقلت: لبيك يا مولاي فقال: اجلس فجلست، فقال لي: اسمع وعُ يا هرثمة، هذا أوان رحيلي إلى الله ولحوقي بجدي صلى الله عليه وآله وآبائي وقد بلغ الكتاب أجله، وقد عزم هذا الطاغية على قتلي وسمي في عنب ورمان مفروك.

فأما العنب: فإنه يغمس السلك بالسم ويجذبه بالخيط في العنب.

وأما الرمان: فإنه يطرح السم في كف غلمانه ويفرك الرُّمّان بيده ليلطخ ذلك السم.

وإنّه سيدعوني في ذلك اليوم المقبل، ويقرب إليَّ الرمان والعنب، ويسألني أكلهما فآكلهما، ثمَّ ينفذ الحكم ويحضر القضاء فإذا أنا متُّ فيقول: أنا أغسله بيدي، فإذا قال ذلك، فقل له: عني، بينك وبينه إنه قال: لا تتعرض لغسلي ولا لدفني ولا لتكفيني، فإنك إن فعلت ذلك عاجلك من عذاب ما أُخرّ عنك، وحلَّ بك أليم ما تحذر، فإنه سينتهي.

قال: فقلت نعم يا سيدي قال: فإذا خلى بينك وبين غسلي فيجلس في علو من أبنيته، مشرفاً على موضع غسلي لينظر، فلا تتعرض يا هرثمة لشيء من غسلي حتى ترى فسطاطاً أبيض قد ضرب في جانب الدار، فإذا رأيت ذلك فاحملني في أثوابي التي أنا فيها فضعني من وراء الفسطاط وقف من ورائه، ويكون من معك دونك، ولا تكشف الفسطاط حتى تراني، فتهلك، فإنه سيشرف عليك ويقول: يا هرثمة أليس زعمتم أن الإمام لا يغسله إلا إمام مثله فمن يغسل أبا الحسن علي بن موسى وإبنه محمد بالمدينة من بلاد الحجاز ونحن بطوس؟

فإذا قال ذلك فأجبه وقل له: إنا نقول أن الإمام لا يجوز أن يغسله إلا إمام مثله، فإن تعدى متعد فغسل الإمام لم تبطل إمامة الإمام لتعدي غاسله، ولا بطلت إمامة الإمام الذي بعده بأن غلب على غسل أبيه، ولو ترك أبو الحسن بالمدينة لغسله إبنه عليه السلام ظاهراً مكشوفاً ولا يغسله الآن أيضاً إلا هو من حيث يخفى.

فإذا ارتفع الفسطاط فسوف تراني مدرَّجاً في أكفاني، فضعني على نعشي واحملني.

فإذا أراد أن يحفر قبري فإنه سيجعل قبر أبيه هارون الرشيد قبلة لقبري ولن يكون ذلك أبداً، فإذا ضربت المعاول نبَّت عن الأرض ولم يحفر لهم منها شيء، ولا مثل قلامة ظفر، فإذا اجتهدوا في ذلك وصعب عليهم ذلك فقل لهم عني: إني أمرتك أن تضرب معولاً واحداً في قبلة هارون الرشيد فإذا ضربت نفذ في الأرض إلى قبر محفور وضريح قائم.

فإذا انفرج ذلك القبر تنزلني إليه حتى يغور من ضريحه الماء الأبيض فيمتلي منه ذلك القبر، حتى يصير الماء مع وجه الأرض، ثمَّ يضطرب فيه حوت بطوله فإذا اضطرب فلا تنزلني إلى القبر، إلاّ إذا غاب الحوت وغار الماء، فأنزلني في ذلك القبر وألحدني في ذلك الضريح، ولا تتركهم يأتون بتراب يلقونه عليّ فإنَّ القبر ينطبق من نفسه ويمتلي، قال: قلت نعم يا سيدي. ثم قال: احفظ ما عهدته إليك واعمل به، ولا تخالف، قلت: أعوذ بالله أن أخالفك في أمر يا سيدي.

قال هرثمة: ثمَّ خرجت باكياً حزيناً فلم أزل كالحبة على المقلاة لا يعلم ما في نفسي إلا الله تعالى.

ثمّ دعاني المأمون فلم أزل قائماً بين يديه إلى ضحى النهار ثمَّ قال المأمون: إمض يا هرثمة إلى أبي الحسن فأقرأه مني السلام وقل له تصير إلينا أو نصير إليك؟ فإن قال لك بل نصير إليه فتسأله عني أن يقدم ذلك قال: فجئته فلما اطّلعت عليه قال لي: يا

هرثمة أليس قد حفظت ما أوصيتك به؟ قلت: بلى، قال: قدم لي نعلي فقد علمت ما أرسلك به، قال: فقدَّمت نعله فمشى إليه، فلما دخل المجلس قام إليه المأمون قائماً فعانقه، وقبل ما بين عينيه، وأجلسه إلى جانبه، وأقبل عليه يحادثه ساعة من النهار طويلةً، ثم قال لبعض غلمانه: يأتي بعنب ورمان.

قال هرثمة: فلما سمعت ذلك لم أستطع الصبر ورأيت النفضة قد عرضت في بدني، فكرهت أن يتبين ذلك فيَّ فرجعت القهقرى حتى خرجت فرميت نفسي في موضع من الدار.

فلما قرب زوال الشمس أحسست بسيدي قد خرج من عنده ورجع إلى داره، ثم رأيت الأمر قد خرج من عند المأمون بإحضار الأطباء والمترفقين، قلت: ما هذا؟ فقيل: علة عرضت لأبي الحسن علي بن موسى عليه السلام فكان الناس في شك وأنا على يقين، لما أعرف منه.

قال: فلما كان في الثلث الثاني من الليل علا الصياح، وسمعت الوجبة من الدار فأسرعت فيمن أسرع، فإذا نحن بالمأمون مكشوف الرأس محلول الإزار على قدميه ينتحب ويبكي، قال: فوقفت فيمن وقف وأتنفس الصعداء، ثمَّ أصبحنا وجلس المأمون للتعزية، ثمَّ قام فمشى إلى الموضع الذي فيه سيدنا عليه السلام فقال: أصلحوا لنا موضعاً فإني أريد أن أغسله فدنوت وقلت له: ما قاله سيدي عليه السلام بسبب الغسل والتكفين والدفن، فقال لي: لست أعرض لذلك، ثم قال: شأنك يا هرثمة.

فلم أزل قائماً حتى رأيت الفسطاط قد ضرب، فوقفت من ظاهره وكل من في الدار دوني، وأنا أسمع التكبير والتهليل والتسبيح، وتردد الأواني وصب الماء وتضوُّع الطيب الذي لم أشم أطيب منه قال: فإذا أنا بالمأمون قد أشرف عليَّ من بعض أعالي داره، فصاح بي: يا هرثمة أليس زعمتم أنَّ الإمام لا يغسله إلا إمام مثله؟ فأين محمد بن علي ابنه عنه؟ وهو بمدينة الرسول وهذا بطوس بخراسان؟

قال: قلت له: يا أمير المؤمنين إنا نقول إن الإمام لا يجوز أن يغسله إلا إمام مثله، فإن تعدى متعد فغسل الإمام لم تبطل إمامة الإمام الذي بعده، بأن غلب على غسل أبيه، ولو ترك أبو الحسن بالمدينة لغسله ابنه محمد ظاهراً ولا يغسله الآن أيضاً إلا هو من حيث يخفى.

ثم قال: فسكت عني ثم ارتفع الفسطاط فإذا بسيدي عليه السلام مدرج في أكفانه فوضعته على نعشه، ثمَّ حملناه، فصلى عليه المأمون وجميع من حضر، ثمَّ جئنا إلى

موضع القبر، فوجدتهم يضربون بالمعاول دون قبر هارون ليجعلوه قبلة لقبره، والمعاول تنبو عنه لا تحفر ذرة من تراب الأرض.

فقال لي: ويحك يا هرثمة أما ترى الأرض كيف تمتنع من حفر قبر له؟ فقلت له: يا أمير المؤمنين إنه قد أمرني أن أضرب معولاً واحداً في قبلة أمير المؤمنين أبيك الرشيد ولا أضرب غيره، فقال: إذا ضربت يا هرثمة ماذا يكون؟ قلت: إنه أخبرني أنه لا يجوز أن يكون قبر أبيك قبلة لقبره، فإن أنا ضربت هذا المعول الواحد نفذ إلى قبر محفور من غير أن تحفره يد، وبان ضريح في وسطه، فقال المأمون: سبحان الله ما أعجب هذا الأمر؟ ولا عجب من أمر أبي الحسن عليه السلام، فاضرب يا هرثمة حتى نرى.

قال هرثمة: فأخذت المعول بيدي فضربت في قبلة هارون فنفذ إلى قبر محفور، وبان ضريح في وسطه والناس ينظرون إليه، فقال: إنزل إليه يا هرثمة فقلت: يا أمير المؤمنين إن سيدي أمرني أن لا أنزل إليه حتى ينفجر من أرض هذا القبر ماء أبيض فيمتلأى منه القبر، حتى يكون الماء على وجه الأرض، ثم يضطرب فيه حوت بطول القبر، فإذا غاب الحوت وغار الماء، وضعته على جانب قبره، وخليت بينه وبين ملحده، قال: فافعل يا هرثمة ما أمرت به.

قال هرثمة: فانتظرت ظهور الماء والحوت، فظهر ثمَّ غاب الحوت وغار الماء والناس ينظرون إليه، ثم جعلت النعش إلى جانب قبره، فغطّي قبره بثوب لم أره ولم أبسطه، ثمَّ أنزل به إلى قبره بغير يدي ولا يد أحد ممن حضر، فأشار المأمون إلى الناس أن هاتوا التراب بأيديكم فاطرحوه فيه، فقلت: لا تفعل يا أمير المؤمنين قال: فقال: ويلك فمن يملؤه؟ فقلت: قد أمرني أن لا يطرح أحد عليه التراب، وأخبرني أنه يمتلىء من ذات نفسه ثم ينطبق ويتربع على وجه الأرض، فأشار إلى الناس أن كفوا.

قال: فرموا ما في أيديهم من التراب، ثمَّ امتلأ القبر وانطبق وتربع على وجه الأرض فانصرف المأمون وانصرفت، ودعاني المأمون وخلا بي ثمَّ قال: أسألك بالله يا هرثمة لما صدقتني عن أبي الحسن عليه السلام بما سمعته منه، فقلت: قد أخبرت يا أمير المؤمنين بما قال لي، فقال: بالله يا هرثمة إلا ما صدقتني عما أخبرك غير الذي قلت.

قلت: يا أمير المؤمنين فعمّا تسألني؟ فقال: يا هرثمة، فهل أسرّ إليك شيئاً غير هذا؟ قلت: نعم، قال: ما هو؟ قلت: خبر العنب والرمان، قال: فأقبل المأمون يتلوّن ألواناً يصفرُّ مرّة، ويحمر أخرى، ويسود أخرى، ثم تمدَّد مغشياً عليه يقول في غشيته: ويل للمأمون من الله، ويل له من رسول الله، ويل له من علي، ويل له من فاطمة، ويل للمأمون من الحسن، ويل للمأمون من الحسين، ويل له من عليّ بن الحسين، ويل له

من محمد بن علي، ويل له من جعفر بن محمد، ويل له من موسى بن جعفر، ويل له من علي بن موسى الرضا هذا والله هو الخسران المبين، يقول هذا القول ويكرّره.

فلما رأيته قد أطال ذلك وليت عنه، وجلست ناحية من نواحي الدار، قال: فجلس ودعاني فدخلت عليه وهو جالس كالسكران فقال: والله ما أنت أعزُّ عليَّ منه ولا جميع من في الأرض والسماء، والله لئن بلغني أنك أعدت (أذعت خ ل) مما سمعت ورأيت شيئاً ليكونن هلاكك فيه.

قال: فقلت يا أمير المؤمنين إن ظهرت على شيء من ذلك مني، فأنت في حل من دمي قال: لا والله أو تعطيني عهداً وميثاقاً على كتمان هذا وترك إعادته، فأخذ علي العهد والميثاق وأكدّه عليَّ قال: فلما وليت عنه صفق بيديه وقال: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨].

والأشهر في تاريخ وفاته عليه السلام أنه في شهر صفر في السنة الثالثة بعد المأتين من الهجرة.

وقيل: في آخر، وقيل: في الرابع عشر منه، وقيل: يوم الثلاثاء السابع عشر منه، وقيل: في سابعه، وقيل: في غرة شهر رمضان، وقيل: في الثالث والعشرين من ذي القعدة.

والأشهر بيننا أنه مضى شهيداً بسم المأمون، وذهب السيد علي بن طاووس والأربلي طاب ثراهما إلى إنكار ذلك والعلم عند الله عزوجل.

قد تم ما أردنا إيراده من بعض ما أصيب به عليه السلام.

والرجاء أن لا تنسونا من الدعاء والله الموفق والمعين هذا ما في نسخة الأصل.

في بيان أحوال الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

في بيان نبذة من أحوال الإمام التاسع، والنور الساطع حجة الله تعالى على العباد مولانا أبي جعفر محمد بن علي الجواد

في ولادة محمد بن علي الجواد عليه السلام

وهما المشهوران من ألقابه وكناه. وله ألقاب أخر: كالتقي، والمختار، والمنتجب، والمرتضى، والقانع، والعالم.

ولد في المدينة المنورة في السنة الخامسة بعد التسعين والمأة من الهجرة إتفاقاً، والأشهر أنه يوم الجمعة خامس عشر شهر رمضان، أو التاسع عشر منه، وروى في اليوم العاشر من رجب.

وأمه: أم ولد.

وقيل: اسمها سبيكة، وقيل: خيزران، وقيل: سكينة، وقيل: مريسة، وكانت من أهل بيت مارية القبطية أم إبراهيم بن رسول الله.

وروى ابن شهرآشوب في المناقب بسنده، عن حكيمة بنت الكاظم عليها السلام قالت: لما حضرت ولادة الخيزران دعاني الرضا عليه السلام وقال: يا حكيمة أحضري ولادتها، وادخلي والقابلة وإياها، وأغلق الباب ووضع مصباحاً، فلما أخذها الطلق طفيء المصباح وبين يديها طست، فاغتممت لطفيء المصباح، فبينا نحن كذلك إذ بدر أبو جعفر عليه السلام في الطست، وإذا عليه شيء رقيق كهيئة الثوب يسطع نور وجهه حتى أضاء البيت، فأبصرناه، فأخذته ووضعته في حجري، ونزعت عنه الغشاء، فجاء الرضا عليه السلام ففتح الباب وقد فرغنا من أمره، فأخذه ووضعه في المهد وقال لي: يا حكيمة إلزمي مهده.

قالت: فلما كان اليوم الثالث رفع بصره إلى السماء، ثم نظر يمنة ويسرة، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله، فقمت ذعرة فزعة فأتيت أبا الحسن عليه السلام فقلت له: لقد سمعت من هذا الصبي عجباً؟ فقال: ما ذاك؟ فأخبرته فقال: يا حكيمة ما ترون من عجائبه أكثر.

وروى عن كليم بن عمران قال: قلت للرضا عليه السلام: ادع الله أن يرزقك ولداً، فقال عليه السلام: إنما أرزق ولداً واحداً وهو يرثني، فلما ولد أبو جعفر عليه السلام قال الرضا عليه السلام لأصحابه: قد ولد لي شبيه موسى بن عمران، فالق البحار، وشبيه عيسى بن مريم قدّست أمٌ ولدته، قد خلقت طاهرة مطهرة، ثم قال الرضا عليه السلام: يقتل غضباً وتبكي عليه أهل السماء، ويغضب الله تعالى على عدوه وظالمه، فلم يلبث إلا يسيراً حتّى يعجل الله به إلى عذابه الأليم وعقابه الشديد، وكان طول ليله يناغيه في المهد.

وكان عمره الشريف في وقت وفاة الرضا عليه السلام: تسع سنين، وقيل: سبع سنين.

وتوقف بعض الشيعة من إمامته لصغر سنه، حتى توجه أكابر الشيعة من العلماء والفقهاء والمتكلمين إلى الحج وتشرفوا بلقائه عليه السلام، فشاهدوا من علومه ومعجزاته وكراماته ما لا يحصى فارتفع الشك.

فقد روي أنه عليه السلام قد سألوه في مجلس واحد ثلاثين ألف مسألة فأجاب عنها عليه السلام وكان عمره عشر سنين.

الإمام الجواد عليه السلام والمأمون

ولما طعن الناس في المأمون واتهموه بقتل الرضا عليه السلام، أراد أن يبرء نفسه، فلما شخص من خراسان، وقدم بغداد كاتب الجواد عليه السلام إلى المدينة يستدعيه في القدوم عليه إلى بغداد معززاً مكرماً، ولما قدم الإمام عليه السلام بغداد، واتفق أن المأمون قبل لقائه خرج إلى الصيد، فاجتاز في طريق والصبيان يلعبون، والجواد واقف وكان عمره أحد عشر سنة، فلما أقبل المأمون إنصرف الصبيان هاربين ووقف الجواد عليه السلام مكانه، فقرب منه المأمون ووقف وقال: يا غلام ما منعك من الهرب كما هرب الصبيان؟ فقال الجواد عليه السلام: يا أمير المؤمنين لم يكن الطريق ضيق فأوسعه بذهابي، ولم تكن لي جريمة فأخشاها، وظني بك حسن أنك لا تضر من لا ذنب له فتعجب من كلامه، وأعجبه وجهه وكلامه.

فقال له: ما اسمك؟ قال: محمد، قال: ابن من؟ قال: ابن علي الرضا عليه السلام

فترحم على أبيه وضمه إلى صدره وقبله، ثم توجه إلى الصيد وكان معه بزاة، فأرسل بازياً على دراجة فغاب البازي غيبة طويلة، ثم عاد من الجو في منقاره سمكة صغيرة، وبها بقايا حياة، فعجب الخليفة من ذاك العجب.

ثم أخذها في يده فلما رجع عاد في طريقه، فلما وصل إلى ذلك المكان وجد الصبيان على حالهم، فلما رأوه انصرفوا وأبو جعفر عليه السلام لم ينصرف واقف مكانه، فلما دنى منه المأمون قال: يا محمد ما في يدي؟

فألهمه الله تعالى أن قال: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى خلق بمشيئته في بحر قدرته سمكاً صغاراً يرتفع مع الماء في الغيم، فتصيدها بزاة الملوك، فيختبرون بها سلالة النبوة، فقال المأمون: أنت ابن الرضا حقاً، وجعل يطيل نظره إليه ولم يزل له مكرماً حتى عزم أن يزوجه ابنته أم الفضل.

تزويج أم الفضل من الإمام الجواد عليه السلام

روى الراوندي قال: لما أراد المأمون أن يزوج ابنته أمَّ الفضل أبا جعفر عليه السلام بلغ ذلك العباسيين، فغلظ عليهم، واستنكروه، وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى مع الرضا عليه السلام من ولاية العهد، فخاضوا في ذلك وكلمه أهل بيته الأدنون فقالوا: ننشدك الله أن لا تقيم على هذا الأمر الذي عزمت عليه من تزويج ابن الرضا، فإنا نخاف أن يخرج به عنا أمراً قد ملكنا الله عزوجل، وينزع منا عزاً قد ألبسناه الله، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم حديثاً وقديماً، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك، من تبعيدهم والتصغير بهم، وقد كنا في وهلة من عملك مع الرضا عليه السلام ما عملت فكفانا الله المهمَّ من ذلك، فالله الله أن تردنا إلى غم قد انحسر عنا، واصرف رأيك عن ابن الرضا واعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره.

فقال لهم المأمون: أمّا ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه، ولو أنصفتم القوم لكانوا أولى بكم، وأمّا ما كان يفعله من كان قبلي، فقد كان قاطعاً للرحم، وأعوذ بالله من ذلك، فوالله ما ندمت على ما كان مني من استخلاف الرضا، وقد سألته أن يقوم بالأمر وأنزعه من نفسي فأبى، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

وأما أبو جعفر فقد اخترته لتبريزه على كافة أهل العلم والفضل، مع صغر سنه، والأعجوبة فيه بذلك، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه، فيعلمون أنّ الرّأي ما رأيت فيه.

قالوا له: إن هذا الفتى وإن راقك منه هديه فإنه صبيٌ لا معرفة له ولا فقه، فأمهله ليتأدَّب ثمَّ اصنع ما تراه بعد ذلك، فقال لهم: ويحكم إني أعرف بهذا الفتى منكم، وإنَّ أهل هذا البيت علمهم من الله تعالى إلهامي، لم تزل أباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حدِّ الكمال، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبين لكم به ما وصفت لكم من حاله.

قالوا: قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانه، فخل بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك من شيء من فقه الشريعة، فإن أصاب في الجواب لم يكن لنا الاعتراض في أمره وظهر للخاصة والعامة سديد رأي أمير المؤمنين فيه، وإن عجز عن ذلك فقد كفينا الخطب في معناه، قال لهم المأمون: شأنكم وذلك متى أردتم.

فخرجوا من عنده واجتمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم، وهو يومئذ قاضي الزمان على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها، ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك، وسألوا المأمون أن يختار لهم يوماً للاجتماع فأجابهم إلى ذلك.

فاجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه وحضر معهم يحيى بن أكثم وأمير المؤمنين، وأمر أن يفرش لأبي جعفر دست ويجعل فيه مسورتان، فخرج أبو جعفر فجلس بين المسورتين وجلس يحيى بن أكثم بين يديه، والمأمون جالس في دست متصل بدست أبي جعفر عليه السلام.

فقال يحيى بن أكثم للمأمون: يأذن لي أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر عن مسألة؟ فقال له المأمون: استأذنه في ذلك، فأقبل يحيى ابن أكثم فقال له: أتأذن لي جعلت فداك في مسألة؟ فقال عليه السلام: سل إن شئت.

فقال يحيى: ما تقول جعلت فداك في محرم قتل صيداً؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: قتله في حل أو حرم؟ محلاً أو محرماً؟ عالماً كان المحرم أو جاهلاً؟ عمداً أو خطأ؟ حراً كان المحرم أو عبداً؟ صغيراً كان أو كبيراً؟ مبتدئاً بالقتل أو معيداً؟ من ذوات الطير كان الصيد أو غيرها؟ من صغار الصيد أم من كبارها؟ مصراً على ما فعل أو نادماً؟ في الليل كان قتله للصيد أم في النهار؟ محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج؟

فتحير يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والانقطاع، وتلجلج حتى عرف المأمون وعرف أهل المجلس عجزه، فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي، ثم نظر إلى أهل بيته فقال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟

ثم بين لهم عليه السلام الجواب على الشقوق أجمعها، فقال المأمون: أعلمتم أن علم أهل هذا البيت إلهامي من الله تعالى.

ثم جرت الخطبة العظيمة، وعقد له المأمون على ابنته أم الفضل، وخرجت الجوائز ووضعت الموائد، وبقي الجواد عليه السلام مدة عند المأمون معززاً مكرماً، وكانت زوجته أم الفضل لا توافقه في أفعالها وأخلاقها وكانت تغار من أم الهادي، لأنه كان عليه السلام يميل لها ويرجحها على أم الفضل وهي لم تزل تشكوه عند أبيها، والمأمون لا يصغي إلى شكايتها ولا يتعرض لأذية الإمام دحضاً ودفعاً لما وقع مع الرضا عليه السلام إذ فيه صلاح دنياه.

فروى السيد بن طاوس عن حكيمة قالت: لما مات ابن الرضا عليه السلام أتيت زوجته بنت المأمون، فوجدتها شديدة الحزن والجزع تقتل نفسها بالبكاء والعويل، فخفت عليها أن تتصدَّع مرارتها.

فبينما نحن في حديثه وكرمه ووصف خلقه، وما أعطاه الله تعالى من الشرف والإخلاص ومنحه من العز والكرامة، قالت بنت المأمون: ألا أخبرك عنه بشيء عجيب وأمر جليل، فوق الوصف والمقدار؟ قلت: وما ذاك؟ قالت: كنت أغار كثيراً وأراقبه أبداً فربما يسمعني الكلام فأشكو ذلك إلى أبي فيقول: يا بنية إحتمليه فإنه بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله.

فبينا أنا جالسة ذات يوم إذ دخلت عليه جارية فسلمت عليَّ فقلت لها: من أنت؟ فقالت: أنا من ولد عمار بن ياسر زوجة أبي جعفر، فدخلني من الغيرة ما لا أقدر على احتماله، وهممت أن أخرج وأسيح في البلاد، وكاد الشيطان يحملني على الإساءة إليها، فكظمت غيظي وأحسنت رفدها وكسوتها.

فلما خرجت من عندي المرأة نهضت ودخلت على أبي، وكان سكراناً فأخبرته فقال: يا غلام عليَّ بالسيف فأتى به، وركب وقال: والله لأقتلنه، فلما رأيت ذلك قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ما صنعت بنفسي وبزوجي وجعلت ألطم حر وجهي، فدخل أبي حجرته وما زال يضربه بالسيف، حتى قطعه قطعاً، ثم خرج من عنده، وخرجت هاربة من خلفه، فلم أرقد ليلتي.

فلما أصبحت أتيت أبي فقلت: أتدري ما صنعت البارحة؟ قال: وما صنعت؟ فأخبرته الخبر وأنك قتلت ابن الرضا، فبرق عينيه وغشي عليه.

ثم أفاق بعد حين وقال: ويلك ما تقولين؟ قلت: نعم والله يا أبت دخلت عليه ولم تزل تضربه بالسيف حتى قتلته، وقطعته قطعاً، فاضطرب من ذلك اضطراباً شديداً،

وقال: عليّ بياسر الخادم، فجاء فنظر إليه المأمون وقال: ويلك ما تقول هذه؟ قال: صدقت يا أمير المؤمنين، فضرب بيده على صدره وخدّه وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون هلكنا والله وعطبنا، وافتضحنا إلى آخر الأبد، ويلك يا ياسر انظر ما الخبر والقصة عنه؟ وعجل عليَّ بالخبر، فإن نفسي تكاد أن تخرج الساعة.

فخرج ياسر وأنا ألطم وجهي فما كان بأسرع من أن رجع ياسر وهو يقول: البشرى يا أمير المؤمنين قال: لك البشرى، قال ياسر: دخلت عليه وهو جالس وعليه قميص ودواج وهو يستاك، فسلمت عليه وقلت: يابن رسول الله، أحبُّ أن تهب لي قميصك هذا أصلي فيه وأتبرَّك به، وإنما أردت أن أنظر إليه وإلى جسده هل به أثر السيف؟ فوالله كأنه العاج الذي مسته صفرة ما به أثر، فبكى المأمون طويلاً وقال: إن هذا لعبرة للأولين والآخرين.

وتقدم إلى ابنتي وقل لها يقول أبوك: والله لئن جئتيني بعد هذا اليوم تشكين منه أو خرجت بغير أذنه لأنتقمنَّ له منك، ثمَّ سر إلى ابن الرضا وأبلغه عني السلام، واحمل إليه عشرين ألف دينار وقدّم إليه والشهريَّ الذي ركبته البارحة.

ثم إن المأمون قصد ابن الرضا، فلما أن طلع قام الإمام عليه السلام، فأخذه المأمون وضمه إلى صدره ورحب به، ونهاه الإمام عن شرب الخمر وتاب على يده عن شربها، وعلمه الدعاء المشهور الذي أنقذه الله تعالى بسببه منه.

وكان المأمون ببركة هذا الدعاء لم يصبه بلاء ما دام حياً، وفتح كثيراً من بلاد المسلمين.

ثم الجواد عليه السلام لما تنفر من معاشرة المأمون استأذنه في الحج فحج بيت الله الحرام، ورجع إلى مدينة جدة صلى الله عليه وآله.

الإمام الجواد عليه السلام والمعتصم

وفي السنة الثامنة عشر بعد المأتين مات المأمون واستولى المعتصم بعده واستقل بالخلافة، ولم يزل يسمع بمعجزات الجواد عليه السلام وكراماته وعلومه حتى عرض له من الحقد والحسد والعداوة ما لا يوصف، ولم يزل يبتغي له الغيلة حتى استدعاه من المدينة إلى بغداد، فلما عزم على المسير إلى بغداد أوصى إلى ولده علي الهادي عليه السلام، وجعله الخليفة بعده ونص عليه بالإمامة بمحضر أكابر الشيعة وثقاة الإمامية، ودفع إليه كتبه وسلاحه وآثار الأنبياء والأوصياء، وودع الأهل والعيال والأولاد وداع مفارق لا

يعود وسار عليه السلام، فورد بغداد في يوم ثامن وعشرين من المحرم في سنه العشرين بعد المأتين.

فروى السيد المرتضى (ره) في عيون المعجزات قال: لما خرج أبو جعفر عليه السلام وزوجته إبنة المأمون حاجاً، وخرج أبو الحسن عليه السلام على ابنه عليه السلام وهو صغير فخلفه في المدينة، وسلم إليه المواريث والسلاح، ونص عليه بمشهد ثقاته وأصحابه، وانصرف إلى العراق ومعه زوجته إبنة المأمون، وكان خرج المأمون إلى بلاد الروم، فمات بالديرون في رجب سنة ثمانية عشرة ومأتين، وذلك في ستّة عشرة سنة من إمامته، وبويع المعتصم في شعبان من سنة ثمانية عشرة ومأتين.

ثم إن المعتصم جعل يعمل الحيلة في قتل أبي جعفر عليه السلام، فأشار إلى ابنة المأمون زوجته أن تسمه لأنه وقف على إنحرافها عنه وشدة غيرتها عليه لتفضيله أم ابنه أبي الحسن الهادي عليها، فأجابته إلى ذلك، وجعلت السم في عنب رازقي ووضعته بين يديه.

فلما أكل منه ندمت وجعلت تبكي فقال عليه السلام: ما بكاؤك؟ والله ليضربنّك الله بعقر لا ينجبر وبلاء لا ينستر.

فماتت بعلّة في أغمض المواضع في جوارحها، وهو الناسور، فأنفقت مالها جميعاً على تلك العلة، حتى احتاجت إلى الاسترفاد.

وروى ابن شهرآشوب أنه لما بويع المعتصم جعل يتفقد أحوال الجواد عليه السلام، فكتب إلى عبد الملك الزيات أن ينفذ إليه الجواد عليه السلام وأم الفضل، فأنفذ الزيات علي بن يقطين إليه، فتجهز وخرج من المدينة إلى بغداد، فلما ورد بغداد، أكرمه وأعظمه، فأنفذ بالتحف إليه وإلى أم الفضل، ثم أنفذ إليه شراب حامض الأترنج تحت ختمه على يدي أشناس: عبده، وقال: قل له: أن أمير المؤمنين ذاقه قبل أحمد بن أبي داود وسعيد بن الخضيب، وجماعة من المعروفين ويأمرك أن تشرب منه بماء الثلج، ووضع له الثلج في الحال فقال عليه السلام: أشربها ليلاً، وكان عليه السلام صائماً فقال: إنها تنفع وقد ذاب الثلج، وأصر على ذلك فشربها عند الإفطار، فكان فيها سم.

فروى العياشي: عن وزان صاحب سر ابن أبي داود قال: رجع ابن أبي داود ذات يوم من عند المعتصم وهو مغموم فقلت له في ذاك؟ قال: لما كان اليوم من هذا الأسود أبي جعفر الجواد بين يدي أمير المؤمنين، قال: قلت: وكيف ذلك؟ قال: إن سارقاً أقر على نفسه بالسرقة، وسأل الخليفة تطهيره، فجمع لذلك الفقهاء وقد أحضر محمد بن علي فسألناه عن القطع في أي موضع من الكرسوع؟

قال: وما الحجة في ذلك؟ قال: قلت: لأن اليد هي الأصابع والكفُّ إلى الكرسوع، لقوله تعالى في التيمم: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡ﴾ [المائدة: ٦] واتفق معي على ذلك جماعة.

وقال آخرون: بل يجب القطع من المرافق، لأن الله تعالى يقول في الوضوء: ﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦] فدل على أن اليد إلى المرافق.

فالتفت المعتصم إلى محمد بن علي وقال: ما تقول أنت يا أبا جعفر؟ فقال عليه السلام: قد تكلم فيه القوم يا أمير المؤمنين، قال: دعني مما تكلموا به! أي شيء عندك؟ قال عليه السلام: أعفني عن هذا يا أمير المؤمنين قال: أقسمت عليك بالله تعالى لما أخبرت بما عندك فيه.

فقال: أما إذا أقسمت عليَّ بالله تعالى إني أقول: أنهم أخطأوا فيه السنة، فإنَّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع، فيترك الكفُّ، فقال: فما الحجة في ذلك؟ قال: قول رسول الله صلى الله عليه وآله: السجود على سبعة أعضاء: الوجه، واليدين، والركبتين، والرجلين، فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرافق لم يبق له يد يسجد عليها، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: ١٨] يعني بهذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها، وما كان لله لم يقطع.

قال: فاعجب المعتصم ذلك وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف.

قال ابن أبي داود: قامت قيامتي وتمنيت أني لم أك حياً قال: ثم صرت إلى المعتصم بعد ثلاث، وقلت: إن نصيحة أمير المؤمنين واجبة وأنا أكلمه بما أعلم أني أدخل النار به، قال: وما هي؟ قلت: إذا جمع أمير المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيته وعلمائهم لأمر وقع من أمور الدين، وسألهم عن الحكم فيه فأخبروه بما عندهم، وقد حضر مجلسه أهل بيته وقواده ووزراؤه وكتَّابه، وقد تسامع الناس بذلك من وراء بابه، ثم يترك أقاويلهم كلهم لقول رجل يقول شطر هذه الأمة بإمامته، ويدعون أنه أولى منه بمقامه، ثم يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء؟!

قال: فتغير لونه وتنبه لما نبهته له، وقال: جزاك الله عن نصيحتك خيراً، قال: فأمر في اليوم الرابع فلاناً من كتاب وزرائه أن يدعو الجواد عليه السلام إلى منزله فدعاه فأبى أن يجيبه، وقال: وقد علمت أني لا أحضر مجالسكم، فقال: إنما أدعوك إلى الطعام، وأحب أن تطأ ثيابي، وتدخل منزلي فأتبرَّك بذلك، فقد أحب فلان بن فلان من وزراء الخليفة لقاءك.

فصار إليه فلما أطعم عليه السلام أحسَّ بالسم، فدعا بدابته فسأله ربُّ المنزل أن يقيم فقال: خروجي من منزلك خير لك، فلم يزل يومه ذلك وليلته يجود بنفسه، ويسري السم في بدنه.

حتى قبض عليه السلام في آخر شهر ذي القعدة الحرام سنة مأتين وعشرين من الهجرة.

وقيل: يوم السبت سادس ذي الحجة.

وقيل: يوم الثلاثاء حادي عشرة من ذي القعدة الحرام، وكان عمره عليه السلام خمساً وعشرين سنة وشهرين وأياماً، ومدة إمامته عليه السلام على المشهور: سبعة عشر سنة وكسراً.

وفي الكافي، عن الهادي عليه السلام: إنه في اليوم الذي توفي فيه الجواد عليه السلام، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون مضى أبو جعفر، فقيل له: وكيف عرفت؟ قال: لأنه تداخلني ذلة لله لم أكن أعرفها.

لعن الله الظالمين لهم من الأولين والآخرين إلى يوم الدين.

في بيان أحوال الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

في بيان نبذة من أحوال الإمام العاشر، والنور الزاهر، والبدر الباهر، ذي الفواضل والأيادي علي بن محمد التقي الهادي عليه السلام

في أحواله عليه السلام

وهو أشهر ألقابه، والنقي، والمرتضى، والعالم، والفقيه، والأمين، والمؤتمن، والطيب، والمتوكل، والعسكري.

وكنيته: أبو الحسن لا غير.

والأشهر أن ولادته عليه السلام في سنة مأتين وإثني عشر، والمشهور أنه في خامس عشر ذي الحجة الحرام.

وقيل: في السابع والعشرين منه، وروي في ثاني رجب.

وقيل: في خامسه وقيل: في ثالث عشرة.

وأمه: أم ولد يقال لها: سمانة.

ونقش خاتمه: «الله ربي وهو عصمتي من خلقه».

وروي عن الصادق عليه السلام: أن الله تعالى إذا أراد أن يخلق الإمام، بعث ملكاً بسبع ورقات من الجنة إلى أبيه، فيتناولها فتصير في صلبه، فإذا واقع إنعقدت النطفة في الرحم من ذلك، فيصير يسمع الكلام في بطن أمه، فإذا سقط من بطن أمه، جعل الله له عموداً من نور يبصر به ما يعمل أهل كل بلد، وكتب الملك على عضده الأيمن: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

وروي في المناقب: أنه عليه السلام أقام مع أبيه عليه السلام ست سنين وخمسة أشهر، وبعده

مدة إمامته: ثلاثة وثلاثين سنة وتسعة أشهر، وأقام عليه السلام مدة في المدينة، ثم حمله المتوكل إلى سر من رأى فأقام بها عشرين سنة، وفي آخر ملك المعتمد إستشهد مسموماً.

وروى صقر الكرخي قال: لما حمل المتوكل سيدنا أبا الحسن العسكري عليه السلام إلى سر من رأى جئت أسأل عن خبره؟ فنظر إليّ الرَّازقي، وكان حاجباً للمتوكل ثم أمرني أن أدخل فدخلت فقال: ما شأنك يا صقر؟ فقلت: خيراً أيها الأستاذ فقال: اقعد، فأخذ فيما تأخر وتقدم، فقلت في نفسي: أخطأت في المجيء.

قال: فلما انفض الناس من حوله قال لي: يا صقر لعلك جئت تسأل عن خبر مولاك؟ فقلت له: ومن مولاي؟ مولاي أمير المؤمنين، فقال لي: اسكت! مولاك هو الحق فلا تحتشمني فإني على مذهبك، فقلت: الحمد لله.

فقال لي: أتحب أن تراه؟ قلت: نعم قال: اجلس حتى يخرج صاحب البريد من عنده.

قال: فجلس، فلما خرج قال لغلام له: خذ بيد صقر وأدخله الحجرة التي فيها العلوي المحبوس، وخلّ بينه وبين الحجرة، قال صقر: فأدخلني الحجرة وأومأ إلى بيت فدخلت، فإذا مولاي جالس على صدر حصير وبحذائه قبر محفور قال: فسلمت فرد عليّ السلام وأمرني بالجلوس، قال صقر: فلما نظرت إلى القبر بكيت، فنظر إليّ وقال: يا صقر لا عليك لن يصلوا إلينا بسوء الآن فقلت: الحمد لله.

ثم قال لي: ودع وأخرج فلا آمن عليك أن تؤخذ.

وروى القطب الراوندي عن ابن أرومة قال: خرجت إلى سر من رأى فدخلت على سعيد الحاجب، وكان قد دفع المتوكل إليه أبا الحسن عليه السلام ليقتله، فقال لي سعيد: أتحب أن تنظر إلى إلهك؟ قلت: سبحان الله الذي لا تدركه الأبصار، قال: هو الذي تزعمون أنه إمامكم! قلت: ما أكره ذلك قال: قد أمرت بقتله، وأنا فاعله غداً، وعنده صاحب البريد، فإذا خرج فادخل إليه فلم ألبث أن خرج صاحب البريد.

فدخلت عليه وإذا بحياله قبر محفور، فلما رأيته بكيت بكاء شديداً فقال: ما يبكيك؟ قلت: ما أراه، قال: لا تبك، فإنه لا يتم لهم ذلك، فسكن ما كان بي، ثم قال عليه السلام: لا يلبث أكثر من يومين، حتى يسفك الله تعالى بدمه ودم صاحبه الذي رأيته، قال: فوالله ما مضى غير يومين حتى قتلا.

وروي أيضاً عن أبي سعيد، عن أبي الفضل العباس بن أحمد الكاتب قال:

كنا في داره بسر من رأى، فجرى ذكر أبي الحسن عليه السلام فقال: يا أبا سعيد إني أحدثك بشيء حدثني به أبي قال: كنا مع المعتز وكان أبي كاتبه فدخلنا الدار، وإذا المتوكل على سريره جالس، فسلم المعتز ووقف، ووقفت خلفه، وكان عهدي به إذا دخل رحب به ويأمره بالجلوس، فأطال القيام، وجعل يرفع رجلاً ويضع أخرى وهو لا يأذن له.

ونظرت إلى وجهه يتغير ساعة بعد ساعة ويقبل على الفتح بن خاقان ويقول: هذا الذي تقول فيه ما تقول؟ وتردد القول، والفتح مقبل عليه يسكنه، ويقول: مكذوب عليه يا أمير المؤمنين وهو يتلظى ويقول: والله لأقتلن هذا المرائي الزنديق وهو يدعي الكذب، ويطعن في دولتي ثم قال: جئني بأربعة من الخزر فجئت بهم ودفع إليهم أربعة أسياف، وأمرهم أن يرطنوا بألسنتهم إذا دخل أبو الحسن، ويقبلوا عليه بالسيوف فيخبطوه، وهو يقول: والله لأحرقنه بعد القتل، وأنا منتصب قائم خلف المعتز من وراء الستر.

فما علمت إلا بأبي الحسن عليه السلام قد دخل، وقد بادر الناس قدامه، فنظرت إليه وإذا به وشفتاه يتحركان، وهو غير مكروب ولا جازع، فلما أن بصر به المتوكل رمى بنفسه من على السرير، وانكبَّ عليه فقبّل بين عينيه ويديه، وسيفه بيده، وهو يقول: يا سيدي يابن رسول الله يا خير خلق الله يابن عمي يا مولاي يا أبا الحسن! وأبو الحسن عليه السلام يقول: أعيذك يا أمير المؤمنين من هذا، فقال: ما جاء بك يا سيدي في هذا الوقت؟ قال: جاءني رسولك فقال: المتوكل يدعوك؟ فقال: كذب ابن الفاعلة إرجع يا سيدي من حيث جئت.

يا فتح! يا عبيدالله! يا معتز شيعوا شيعوا سيدكم وسيدي.

فلما أبصر به الخزر خروا سجداً مذعنين له عليه السلام، فلما خرج أبو الحسن دعاهم المتوكل ثمَّ أمر الترجمان أن يخبره بما يقولون، فقال لهم: لمَ لم تفعلوا ما أمرتم به؟

قالوا: شدّة هيبته ورأينا حوله أكثر من مأة سيف مسلولة، فلم نقدر أن نحرك أيدينا، فمنعنا ذلك عن البطش به، وامتلأت قلوبنا خوفاً ووجلاً.

ثم قال المتوكل للفتح: يا فتح هذا صاحبك، وضحك في وجه الفتح، فقال الفتح: الحمد لله الذي ابيض وجهه، وأنار حجته.

ألم أقل لك يا أمير المؤمنين إنه مكذوب عليه وأنه رجل قد شغلته العبادة عن طلب الملك.

وروى أنه ركب المتوكل يوماً، وأمر كل من كان معه بأن يمشوا بين يديه ولا يركب منهم أحد، وكان من جملتهم أبو الحسن عليه السلام، وكان بديناً، فلما تعب الإمام عليه السلام من المشي جعل يتصبب عرقاً فقال: بعض حجاب المتوكل: إنه لم يقصدك بهذا خاصة، وإنما فعل هذا بوزرائه وكتابه وحجابه فقال عليه السلام: ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥] كما قال: فلما تم اليوم الثالث، وقعت الواقعة ونزلت النازلة بالمتوكل خاصته، ولم يزل الإمام عليه السلام في كرب وبلاء من ظالم إلى ظالم، حتى ولي المعتمد فدس إليه السم فمات مسموماً صلوات الله عليه، فولى غسله وتكفينه وتجهيزه ودفنه، ولده أبو محمد الحسن بن علي، ودفن بداره بسر من رأى، وصارت سر من رأى يوم موته عليه السلام صيحة واحدة.

ألا لعنة الله على الظالمين لهم من الأولين والآخرين إلى يوم الدين وضاعف عليهم العذاب الأليم

في بيان ولادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

في بيان نبذة من أحوال الإمام الحادي عشر، والشافع في المحشر وثمرة فؤاد سيد البشر، ووالد الحجة المنتظر

المكنى: بأبي محمّد الحسن بن علي.

الملقب: بالعسكري، والزكي، والهادي، والرفيق، والتقي.

وأمه: أم ولد يقال لها: سليل، وقيل: حُدَيْث.

كانت من العارفات الصالحات والأشهر في تاريخ ولادته أنها في: سنة الثانية والثلاثين بعد المأتين يوم الجمعة ثامن ربيع الثاني، وقيل: عاشره، وقيل: رابعه، وقيل: في ربيع الأول سنة ثلاثين ومأتين، والمشهور أن موضع ولادته عليه السلام المدينة، وقيل: ولد بسر من رأى.

ونقش خاتمه: أنا الله شهيد.

وروي عن الصادق عليه السلام قال: إذا أراد الله أن يخلق الإمام أرسل قطرة من الماء الذي تحت العرش إلى الأرض، فتسقط تلك على النبات أو الفواكه، فيتناولها الإمام فتنعقد منه النطفة، فإذا انتقلت إلى الرحم بقيت أربعين يوماً، وبعدها يسمع الكلام، فإذا كمل له أربعة أشهر في بطن أمه كتب الملك على عضده الأيمن: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥] فإذا سقط إلى الأرض ألهمه الله تعالى الحكمة، وحلاه بالعلم والوقار، وخلع عليه المهابة، وجعل الله له عموداً من نور يبصر به أعمال العباد ويطلع على سرائرهم.

في بيان شهادته عليه السلام

روى الصدوق وغيره عليهم الرحمة، عن رجل من أهل قم حضر مجلس أحمد بن عبيدالله بن خاقان، وهو عامل السلطان يومئذ على الخراج والضياع بكورة قم، وكان من أنصب خلق الله وأشدهم عداوة لهم.

فجرى ذكر المقيمين من آل أبي طالب بسرَّ من رأى، ومذاهبهم وصلاحهم وأقدارهم عند السلطان فقال أحمد: ما رأيت ولا عرفت بسرَّ من رأى رجلاً من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا، ولا سمعت به في هديه، وسكونه، وعفافه، وكرمه، ونبله، ومنزلته عند أهل بيته، والسلطان، وجميع بني هاشم، وتقديمهم إيّاه على ذوي السنّ منهم والخطر، وكذلك القوّاد، والوزراء، والكتاب، وعوامُّ الناس.

فإني كنت قائماً ذات يوم على رأس أبي وهو يوم مجلسه للناس، إذ دخل عليه حجّابه فقالوا: إن ابن الرضا عليه السلام على الباب، فقال بصوت عال: ائذنوا له، فدخل رجل أسمر أعين حسن القامة، جميل الوجه، جيد البدن، حدث السن، له جلالة وهيبة.

فلما نظر إليه أبي قام فمشى إليه خطوات، ولا أعلم فعل هذا بأحد من بني هاشم، ولا بالقواد، ولا بأولياء العهد.

فلما دنا منه عانقه وقبّل وجهه، ومنكبيه، وأخذ بيده فأجلسه على مصلاه الذي كان عليه، وأنا متعجب مما أرى منه إذ دخل عليه الحجاب فقالوا: الموفق قد جاء.

وكان الموفق إذا جاء تقدم حجابه وخاصة قواده، فقاموا بين مجلس أبي وباب الدار سماطين إلى أن يدخل ويخرج، فلم يزل أبي مقبلاً عليه يحدّثه حتى نظر إلى غلمانه الخاصة فقال حينئذ: إذا شئت فقم جعلني الله فداك يا أبا محمد، وقال لغلمانه: خذوا به خلف السماطين لئلا يراه أمير المؤمنين، فقام أبي وعانقه وقبل وجهه ومضى.

فقلت لحجاب أبي وغلمانه: ويلكم من هذا الذي فعل به هذا الذي فعل؟

فقالوا: هذا رجل من العلوية يقال له: الحسن بن علي يعرف بابن الرضا، فازددت تعجباً، فلم أزل يومي ذلك قلقاً متفكراً في أمره، وأمر أبي، وما رأيت منه حتى كان الليل، وكانت عادته أن يصلي العتمة، ثم يجلس فينظر فيما يحتاج إليه من المؤامرات ثم يرفعه إلى السلطان.

فلما جلس جئت وسلمت وجلست بين يديه فقال: يا أحمد ألك حاجة؟ قلت: نعم يا أبي إن أذنت لي سألتك عنها؟! فقال: قد أذنت لك يا بني فقل ما أحببت: فقلت: يا أبي من الرجل الذي رأيتك الغداة فعلت به ما فعلت من الإكرام والتبجيل، وفديته بنفسك وأبويك؟ فقال: يا بنيَّ ذاك ابن الرضا، ذاك إمام الرافضة. ثم سكت ساعة.

ثم قال: يا بني لو زالت الخلافة من بني العباس ما استحقها أحد من بني هاشم غير هذا، وإنه يستحقها في فضله، وعفافه، وهديه، وصيانة نفسه، وزهده، وعبادته، وجميل أخلاقه، وصلاحه، ولو رأيت أباه لرأيت رجلاً جليلاً خيِّراً فاضلاً.

فازددت قلقاً وتفكّراً وغيظاً على أبي مما سمعت منه فيه، ولم تكن لي همة بعد ذلك إلا السؤال عنه، والبحث عن أمره.

فما سألت عنه أحداً من بني هاشم، والقواد، والكتاب، والقضاة، والفقهاء، وسائر الناس إلا وجدته عندهم غاية الإجلال والإعظام، والمحل الرَّفيع، والقول الجميل، والتقدم له على أهل بيته ومشايخه وغيرهم، وكلٌّ يقول: هو إمام الرافضة فعظم قدره عندي إذ لم أر له ولياً ولا عدواً إلا وهو يحسن القول فيه والثناء عليه.

فقال له بعض أهل المجلس من الأشعريين: يا أبا بكر فما حال أخيه جعفر؟ فقال: ومن جعفر فيسأل عنه أو أن يقرن به؟ إن جعفراً معلن بالفسق، فاجر، شريِّب للخمر، أقلُّ ما رأيت من الرجال وأهتكهم لستره، ومدمن خمار، قليل في نفسه، خفيف.

والله لقد ورد على السلطان وأصحابه في وقت وفاة الحسن بن علي عليه السلام ما تعجَّبت منه وما ظننت أنه يكون.

وذلك أنه لما اعتلَّ ابن الرضا عليه السلام بعث إلى أبي أنه اعتل ابن الرضا، فركب أبي من ساعته مبادراً إلى دار الخلافة، ثم رجع مستعجلاً ومعه خمسة نفر من خدم أمير المؤمنين كلهم من ثقاته وخاصته فيهم نحرير، وأمرهم بلزوم دار الحسن بن علي وتعرُّف خبره وحاله، وبعث إلى نفر من المتطببين وأمرهم بالاختلاف إليه وتعاهده في صباح ومساء.

فلما كان بعد بيومين جاءه من أخبرهم أنه ضعف، فركب حتى بكَّر إليه، ثم أمر المتطببين بلزومه، وبعث إلى قاضي القضاة فأحضره مجلسه، وأمره أن يختار من أصحابه عشرة ممن يوثق به في دينه وأمانته وورعه فأحضرهم، وبعث بهم إلى دار الحسن عليه السلام، وأمرهم بلزومه ليلاً ونهاراً.

فلم يزالوا هناك حتى توفي عليه السلام لأيام مضت من شهر ربيع الأول من سنة ستين ومأتين، فصارت سر من رأى ضجة واحدة «مات ابن الرضا».

وبعث السلطان إلى داره من يفتشها ويفتش حجرها، وختم على جميع ما فيها وطلبوا أثر ولده، وجاؤوا بنساء يعرفن الحبل، فدخلن على جواريه فنظرن إليهنَّ فذكر بعضهنَّ أن جارية هناك بها حمل، فأمر بها فجعلت في حجرة ووكل بها نحرير الخادم وأصحابه، ونسوة معهم ثم أخذوا بعد ذلك في تهيئته، وعطلت الأسواق، وركب أبي وبنو هاشم، والقواد والكتاب وسائر الناس إلى جنازته عليه السلام، فكانت سر من رأى شبيهة بالقيامة يومئذ.

فلما فرغوا من تهيئته، بعث السلطان إلى أبي عيسى بن المتوكل، فأمره بالصلاة عليه، فلما وضعت الجنازة للصلاة، دنا أبو عيسى منها فكشف عن وجهه فعرضه على بني هاشم والعباسية والقوّاد والكتاب والقضاة والفقهاء والموالين، وقال: هذا الحسن بن علي بن محمد مات حتف أنفه على فراشه حضره من خدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان ومن المتطببين فلان وفلان.

ثم غطى وجهه عليه السلام وقام فصلى عليه وكبر خمساً وأمر بحمله، فحمل من وسط داره، ودفن في البيت الذي دفن فيه والده عليه السلام.

فلما دفن وتفرَّق الناس إضطرب السلطان وأصحابه في طلب ولده، وكثر التفتيش في المنازل، والدُّور، وتوقفوا عن قسمة ميراثه، ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية التي توهموا بها الحمل ملازمين لها سنتين، حتى تبين بطلان الحمل فقسم ميراثه بين أمّه وأخيه جعفر، وادَّعت أمُّه وصيّته وثبت ذلك عند القاضي، والسلطان على ذلك يطلب أثر ولده.

فجاء جعفر بعد قسمة الميراث إلى أبي فقال له: اجعل لي مرتبة أبي وأخي وأوصل إليك في كل سنة عشرين ألف دينار، فزبره أبي وأنا أسمعه وقال: يا أحمق إن السلطان جرَّد سيفه وسوطه في الذين زعموا إن أباك وأخاك أئمة ليردَّهم عن ذلك، فلم يقدر عليه، ولم يتهيأ له صرفهم عن ذلك القول، وجهد أن يزيل أباك وأخاك عن تلك المرتبة، فلم يتهيأ له ذلك، فإن كنت عند شيعة أبيك وأخيك إماماً فلا حاجة بك إلى سلطان يرتّبك مراتبهم، ولا غير سلطان، وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها بها.

واستقلّه عند ذلك، واستضعفه وأمر أن يحجب عنه، فلم يأذن له بالدُّخول عليه حتى مات أبي، والأمر على تلك الحال، والسلطان يطلب أثر ولد الحسن بن علي حتى اليوم.

وروى في الإكمال أيضاً، عن أبي الأديان قال: كنت أخدم الحسن بن علي عليه السلام وأحمل كتبه إلى الأمصار، فدخلت عليه في علته التي توفي فيها، فكتب معي كتباً إلى الأمصار وقال: تمضي بها إلى المدائن فإنك تغيب خمسة عشر يوماً، فتدخل سرَّ من رأى يوم الخامس عشر وتسمع الواعية في داري، وتجدني على المغتسل.

قال أبو الأديان: فقلت: فإذا كان ذلك فمن؟ قال: من طالبك بجوابات كتبي، هو القائم بعدي؟ فقلت: زدني، فقال: من يصلي عليَّ فهو القائم بعدي، فقلت: زدني فقال: من أخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي.

ثم منعتني هيبته أن أسأله في الهميان؟ وخرجت بالكتب إلى المدائن وأخذت جواباتها، ودخلت سرَّ من رأى يوم الخامس عشر كما قال لي عليه السلام، فإذا أنا بالواعية في داره، وإذا أنا بجعفر بن علي اخيه على الباب، والشيعة حوله يعزُّونه ويهنُّونه.

فقلت في نفسي: إن يكن هذا الإمام فقد حالت الإمامة، لأني كنت أعرفه يشرب النبيذ، ويقامر في الجوسق، ويلعب بالطنبور، فتقدَّمت وعزيته وهنأته فلم يسألني عن شيء ثم خرج عقيد فقال: يا سيدي قد كفن أخوك فقم للصلاة عليه، فدخل جعفر بن عليّ والشيعة من حوله يقدمهم السمان والحسن بن علي قتيل المعتصم المعروف بسلمة.

فلما صرنا في الدار وإذا نحن بالحسن عليه السلام على نعشه مكفناً، فتقدَّم جعفر بن علي ليصلي على أخيه، فلما هم بالتكبير خرج صبي بوجهه سمرة، بشعره قطط بأسنانه تفلج، فجذب رداء جعفر وقال: يا عم أنا أحق بالصلاة على أبي عليه السلام فتأخر جعفر، وقد اربدَّ في وجهه، فتقدم الصبي فصلى عليه، ودفن إلى جانب قبر أبيه عليه السلام.

ثم قال لي: يا بصريُّ هات جوابات الكتب التي معك، فدفعتها إليه، وقلت في نفسي: هذه إثنتان بقي الهميان، ثم خرجت إلى جعفر بن علي وهو يزبد ويزفر، فقال حاجز الوشا: يا سيدي من الصبي لنقيم عليه الحجة؟ فقال: والله ما رأيته قط ولا أعرفه.

فنحن جلوس إذ قدم نفر من أهل قم، فسألوا عن الحسن بن علي فعرفوا خبره فقالوا: فمن؟ فأشار الناس إلى جعفر بن علي فسلموا عليه وعزوه وهنؤوه، وقالوا: معنا كتب ومال، فتقول: ممن الكتب؟ وكم المال؟ فقام ينفض ثوبه ويقول: يريدون أن نعلم الغيب.

قال: فخرج الخادم فقال: معكم كتب فلان وفلان، وهميان فيه ألف دينار،

وعشرة دنانير منها مطلية فدفعوا الكتب والمال، وقالوا: الذي وجَّه بك لأجل ذلك هو الإمام.

ثم قال: يا بصريّ ومعك همیان فيه كذا وكذا، فأخبر بما فيه فوجهته به إليه، فدخل جعفر على المعتمد وكشفت له ذلك فوجه المعتمد خدمه، فقبضوا على صقيل الجارية وطالبوها بالصبي فأنكرته، وادعت حملاً بها لتغطي على حال الصبي، فسلمت إلى ابن أبي الشوارب القاضي، وبغتهم بعد موت عبيدالله بن يحيى بن خاقان، فجاءة، وخروج صاحب الزنج بالبصرة، فشغلوا بذلك عن الجارية، فخرجت من أيديهم والحمد لله رب العالمين.

فروى الصدوق عليه الرحمة قال: وجدت في بعض الكتب المصنفة أن أبا محمد الحسن بن علي عليه السلام كتب في ليلة الجمعة ثامن ربيع الأول سنة ستين ومأتين كتباً كثيرة بيده الشريفة إلى المدينة.

قال عقيد: فلما أصبح يوم الجمعة دعى عليه السلام بماء وقد أغلي له بالمصطكى، ثم دعى بماء فجاءت به صقيل فجئنا به إليه وبسطنا المنديل في حجره، وأخذ من صقيل الماء فغسل به وجهه وذراعيه مرة مرة، ومسح على رأسه وقدميه مسحاً وصلى صلاة الصبح على فراشه، فلما فرغ من الصلاة أخذ قدح المصطكى ليشرب، فأقبل يرتعد والقدح يضرب ثناياه، فأخذت صقيل القدح من يده ومضى من ساعته.

فروى السيد المرتضى، عن أحمد بن إسحاق القمي قال: دخلت على سيدي أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام فقال لي: يا أحمد ما كان حالكم فيما كان الناس فيه من الشك والارتياب؟ قلت: لما ورد الكتاب بخبر سيدنا ومولده، لم يبق منا رجل ولا امرأة ولا غلام بلغ الفهم إلا قال: بالحق.

قال عليه السلام: أما علمتم أن الأرض لا تخلو من حجة الله.

ثم أمر أبو محمد عليه السلام والدته بالحج في سنة تسع وخمسين ومأتين، وعرَّفها ما يناله في سنة ستين، ثم سلم الإسم الأعظم والمواريث والسلاح إلى القائم، وخرجت أمُّ أبي محمد إلى مكة، وقبض عليه السلام في شهر ربيع الآخر سنة ستين ومأتين من الهجرة، ودفن إلى جانب قبر أبيه عليه السلام.

وروى أن المعتمد هو الذي سمه فمضى عليه السلام مسموماً.

ألا لعنة الله على الظالمين لهم من الأولين والآخرين إلى يوم الدين.

في بيان ولادة الإمام الحجة بن الحسن (عج)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

في بيان نبذة من أحوال الإمام الثاني عشر، والمهدي المظفر نور الأنوار، وحجة الجبار، الغائب عن الأبصار الحاضر في قلوب الأخيار، خليفة الرحمن الحجة بن الحسن صاحب العصر والزمان، عجل الله فرجه وسهل مخرجه، وجعلنا من أنصاره وأعوانه

المشهور أن ولادته عليه السلام في سنة خمس وخمسين، ومأتين من الهجرة.

وقيل: في سنة ثمان وخمسين وأن مولده ليلة الجمعة ليلة النصف من شعبان.

وقيل: في ثامن شعبان، وقد كانت ولادته بسر من رأى بالاتفاق.

وكنيته وإسمه موافقان لكنية النبي وإسمه.

وقد ورد في جملة من الأخبار النهي الصريح عن تسميته باسمه والجمع بين الكنية والاسم، وحمل جملة من الأصحاب النهي على ظاهره وأفتوا بالتحريم.

وألقابه الشريفة: المهدي، والمنتظر، والحجة، وصاحب الأمر، والقائم عجل الله فرجه.

وروى الصدوق وغيره (ره) بأسانيد معتبرة، عن بشر بن سليمان النخاس، وهو من ولد أبي أيوب الأنصاري، أحد موالي أبي الحسن وأبي محمد عليهما السلام بسر من رأى قال: أتاني كافور الخادم، فقال: مولانا أبو الحسن يدعوك إليه فأتيته، فلما جلست بين يديه قال لي: يا بشر إنك من أولاد الأنصار، وهذه الموالاة لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف، وأنتم ثقاتنا أهل البيت، وأنا مزكيك ومشرّفك بفضيلة تسبق بها الشيعة في الموالاة بها بسرّ أُطلعك عليه وأنفذك فيه، فكتب عليه السلام كتاباً لطيفاً بخط ولغة رومية ووضع عليه خاتمه، وأخرج شقّة عليه السلام صفراء فيها مأتان وعشرون ديناراً ووضع عليها خاتمه.

فقال: خذها وتوجه بها إلى بغداد واحضر معبر الفرات ضحوة يوم كذا، فإذا وصلت إلى جانبك زوارق السبايا وترى الجواري فيها، وستجد طوائف المبتاعين من

وكلاء قوّاد بني العباس وشرذمة من فتيان العرب، فإذا رأيت ذلك، فأشرف من البعد على المسمى: بعمرو بن يزيد النخاس عامة نهارك إلى أن تبرز للمبتاعين جارية صفتها: كذا وكذا لابسة حريرتين صفيقتين، تمتنع من العرض ولمس المعترض، والانقياد لمن يحاول لمسها، وتسمع صرخة رومية من وراء ستر رقيق.

فاعلم أنها تقول: واهتك ستراه، فيقول بعض المبتاعين: علي بثلاثمائة دينار فقد زادني العفاف فيها رغبة، فتقول له بالعربية: لو برزت في زي سليمان بن داود على شبه ملكه ما بدت لي فيك رغبة فاشفق على مالك فيقول النخاس: فما الحيلة ولا بد من بيعك؟ فتقول الجارية: وما العجلة ولا بد من اختيار مبتاع يسكن قلبي إليه وإلى وفائه وأمانته.

فعند ذلك قم إلى عمرو بن يزيد وقل له: إن معي كتاب ملطفة لبعض الأشراف كتبه بلغة رومية، وخط رومي، ووصف به كرمه ووفائه ونبله وسخاءه، فناولها الكتاب لتتأمل أخلاق صاحبه فإن مالت إليه ورضيته، فأنا وكيله في إبتياعها منك.

قال بشر بن سليمان: فامتثلت جميع ما حدَّه لي مولاي أبو الحسن عليه السلام في أمر الجارية، فلما نظرت إلى الكتاب بكت بكاء شديداً وقالت للنخاس: بعني من صاحب هذا الكتاب، وحلفت بالمغلظة والمحرجة أنه متى امتنع من بيعها منه قتلت نفسها! فما زلت أشاحه في قيمتها حتى استقر الأمر على ما في الصرة التي أعطانيها مولاي، فدفعت إليه الدنانير وتسلمت الجارية ضاحكة مستبشرة، وانصرفت بها إلى الحجرة التي كنت فيها ببغداد، فما أخذها القرار حتى أخرجت كتاب مولانا عليه السلام من جيبها وهي تلثمه وتضعه على عينيها وخدها.

فقلت متعجباً! تلثمين كتاباً لا تعرفين صاحبه فقالت: أيها العاجز الضعيف المعرفة بقدر أولاد الأنبياء، أعرني سمعك وفرّغ قلبك أنا مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الرُّوم وأمي من ولد الحواريين تنسب إلى وصيّ المسيح شمعون أنبئك بالعجب.

إن جدي قيصر أراد أن يزوجني من ابن أخيه وأنا بنت ثلاثة عشر سنة، فجمع في قصره من نسل الحواريّين والقسّيسين والرهبان ثلاثمائة رجل، ومن ذوي الأخطار منهم سبعمائة رجل، وجمع من أمراء الأجناد وقوّاد العسكر ونقباء الجيوش، وملوك العشائر أربعة آلاف، وأبرز من تحفه عرشاً مصاغاً من أصناف الجواهر ورفعه فوق أربعين مرقاة، فلما صعد ابن أخيه وأحدقت الصلبان وقامت الأساقفة عكفاً ونشرت أسفار الإنجيل، فتساقطت الأصنام من الأعلى ولصقت بالأرض، وتقوضّت أعمدة العرش

فانهارت إلى القرار، وخرَّ الصاعد من العرش مغشياً عليه فتغيرت ألوان الأساقفة وارتعدت فرائصهم.

وقال كبيرهم لجدي: أيها الملك أعفنا من ملاقات هذه النحوس الدالة على زوال هذا الدّين المسيحي، فتطير جدّي من ذلك تطيراً شديداً.

قال للأساقفة: أقيموا هذه الأعمدة والصلبان، وأحضروا أخا هذا المدبر العاهر المنكوس جده لأزوِّجه هذه الصبية فيدفع نحوسة أخيه عنكم بسعوده، ولما فعلوا ذلك حدث بالثاني مثل ما حدث بالأول، فتفرق الناس وقام جدّي مغتماً ودخل منزل النساء وأرخيت الستور، ورأيت تلك الليلة كأن المسيح وشمعون وعدّة من الحواريّين قد اجتمعوا في قصر جدّي ونصبوا فيه منبراً من نور يباري السماء علواً وارتفاعاً في الموضع الذي نصب فيه العرش، ودخل القصر محمد ﷺ ووصيُّه وعدّة من أبنائه.

فتقدم المسيح فاعتنقه فقال له محمد ﷺ: يا روح الله إني جئتك خاطباً من شمعون وصيك فتاته مليكة لابني هذا، وأومأ بيده إلى أبي محمد عليه السلام ابن صاحب هذا الكتاب، فنظر المسيح إلى شمعون وقال له: قد أتاك الشرف فصل رحمك برحم آل محمد ﷺ قال: قد فعلت، فصعدوا ذلك المنبر وخطب محمد ﷺ وزوجني من ابنه، وشهد المسيح عليه السلام، وشهد أبناء محمد عليهم السلام والحواريون.

فلما استيقظت أشفقت أن أقصَّ هذه الرؤيا على أبي وجدّي مخافة القتل، وكنت أسرَّها في نفسي ولا أبديها لهم، فضربت صدري محبة أبي محمد ﷺ حتى امتنعت من الطعام والشراب، فضعفت نفسي ودقّ شخصي فمرضت مرضاً شديداً، فما بقي طبيب في مدائن الروم إلا أحضره وسأله عن دوائي، فلما برح به اليأس قال: يا قرَّة عيني هل يخطر ببالك شهوة فأبلغكها في هذه الدنيا؟ فقلت: يا جدي أرى أبواب الفرج عليَّ مغلقة، فلو كشفت العذاب عمن في سجنك من أسارى المسلمين، وفككت عنهم الأغلال وتصدَّقت عليهم، رجوت أن يهب لي المسيح وأمه عافية، فلما فعل ذلك تجلَّدت في إظهار الصحة من بدني قليلاً، فتناولت يسيراً من الطعام فسَّر بذلك وأقبل بإكرام الأسارى وإعزازهم.

ثم رأيت في المنام أيضاً بعد أربعة عشر ليلة كأن سيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام قد زارتني، ومعها مريم بنت عمران، وألف من وصائف الجنان فتقول لي مريم: هذه سيدة النساء أم زوجك أبي محمد عليه السلام فأتعلق بها وأبكي وأشكو إليها امتناع أبي محمد من زيارتي، فقالت سيدة النساء: إن إبني أبا محمد لا يزورك وأنت مشركة على مذهب النصارى وهذه أختي مريم عليها السلام تبرأ إلى الله تعالى من دينك، فإن أردت رضى الله

والمسيح ومريم وزيارة أبي محمد فقولي: أشهد أن لا إله إلا الله وأن أبي محمداً رسول الله، فلما تكلمت بهذه الكلمة ضمتني إلى صدرها سيدة نساء العالمين، وقالت: الآن توقعي زيارة أبي محمد فانتبهت مشتاقة إلى لقاء أبي محمد عليه السلام وأتوقع لقاءه، فلما كانت الليلة القابلة رأيت أبا محمد عليه السلام وكأني أقول له: جفوتني حبيبي بعد أن أتلفت نفسي معالجة حبك، فقال لي: ما كان تأخّري عنك إلا لشركك وقد أسلمت وأنا زائرك في كلّ ليلة إلى أن يجمع الله تعالى شملنا في العيان، فما قطع عنّي زيارته بعد ذلك إلى الآن.

قال بشر: فقلت لها: فكيف وقعت في الأسارى؟ فقالت: أخبرني أبو محمد عليه السلام ليلة من الليالي أنَّ جدَّك سيسيِّر جيشاً إلى قتال المسلمين يوم كذا وكذا، ثمَّ يتبعهم فعليك باللحاق بهم في زي الخدم متنكرة مع الوصائف، ففعلت ذلك، فوقعت علينا طلايع المسلمين حتى كان من أمري ما رأيت، وما شعر أحد بأني إبنة الملك، ملك الروم إلى هذه الغاية سواك، ولقد سألني الشيخ الذي وقعت إليه في سهم الغنيمة عن إسمي فقلت: نرجس فقال: اسم الجواري قلت: نعم.

قلت: العجب أنك رومية ولسانك عربيٌ؟ قالت: نعم، إن جدي لحبِّه لي جعل إمرأة عربية ترجمانة لي حتى استمر لساني على العربية.

قال بشر: فلما انكفأت بها إلى سر من رأى دخلت على مولاي أبي الحسن عليه السلام فقال: كيف أراك الله عزَّ الإسلام وذلَّ النصرانية وشرف محمد وأهل بيته عليهم السلام؟ فقلت: كيف أصف لك يابن رسول الله ما أنت أعلم به مني؟ ثم قال عليه السلام لها: فإني أحب أن أكرمك، فأيما أحبُّ إليك عشرة آلاف دينار أم بشرى لك بشرف الأبد؟ فقالت: بل البشرى قال عليه السلام: إبشري بولد يملك الدنيا شرقاً وغرباً ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

قالت: ممن؟ قال عليه السلام: من الذي خطبك رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة كذا في شهر كذا سنة كذا بالرومية من المسيح ووصيِّه، قالت: من ابنك أبي محمد؟ فقال عليه السلام: أتعرفينه؟ قالت: وهل خلت ليلة لم يزرني فيها منذ ليلة إسلامي على يد سيدة نساء العالمين، فقال الإمام: يا كافور ادع أختي حكيمة فلما دخلت قال لها: ها هي فاعتنقتها طويلاً وتباشرت بها كثيراً، فقال لها أبو الحسن عليه السلام: خذيها إلى منزلك وعلميها الفرائض والسنن فإنها زوجة أبي محمد وأم القائم.

وروى الصدوق والشيخ والمرتضى وغيرهم (ره) بأسانيد معتبرة، عن محمد بن عبدالله المطهري قال: قصدت حكيمة بنت محمد عليه السلام بعد مضي أبي محمد عليه السلام،

أسألها عن الحجة عليه السلام؟ فقلت: يا سيدتي حدثيني بولادة مولاي وغيبته، قالت: نعم، كانت عندي جارية يقال لها: نرجس، قد دفعها إلي أبو الحسن عليه السلام، فزارني أبو محمد ابن أخي وأقبل يحد النظر إليها، فقلت له: يا سيدي لعلك هويتها فأرسلها إليك؟ فقال: لا يا عمة لكني أتعجبُ منها فقلت: وما أعجبك منها؟ فقال عليه السلام: سيخرج الله تعالى منها ولداً كريماً على الله عز وجل الذي يملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً فقلت: فأرسلها إليك يا سيدي؟ فقال عليه السلام: إستأذني في ذلك أبي، قالت: فلبست ثيابي وأتيت منزل أبي الحسن عليه السلام فسلمت وجلست فبدأني وقال: يا حكيمة ابعثي بنرجس إلى إبني أبي محمد، قالت: فقلت: يا سيدي أنا قصدتك أستأذنك في ذلك، فقال عليه السلام: يا مباركة إنَّ الله تعالى أحب أن يشركك في الأجر، ويجعل لك في الخير نصيباً.

قالت حكيمة: فما لبثت أن رجعت إلى منزلي وزينتها، وجئت بها إلى منزل أبي محمد عليه السلام، وجمعت بينهما، فأقام أياماً ثم مضى إلى والده.

قالت حكيمة: فلما مضى أبو الحسن عليه السلام وجلس مكانه أبو محمد عليه السلام وكنت أزوره كما كنت أزور والده عليه السلام، فجاءتني نرجس يوماً تخلع خفّي وقالت: يا مولاتي ناوليني خفك، فقلت: بل أنت سيدتي ومولاتي، والله لا أدفع لك خفي لتخلعيه بل أخدمك ببصري فسمع أبو محمد عليه السلام فقال: جزاك الله خيراً يا عمة فجلست عنده إلى غروب الشمس، فصحت بالجارية وقلت: ناوليني ثيابي لأنصرف فقال عليه السلام: يا عمتاه لا تبرحي الليلة فإنه سيولد الليلة المولود الكريم على الله عزّ وجلَّ الذي يحيى به الله عز وجل الأرض بعد موتها، قلت: ممن يا سيدي؟ قال: من نرجس، قلت: يا سيدي لا أرى بها إثر حمل، فقال: منها لا من غيرها، قالت: فوثبت فقلبتها ولم أر بها أثر حمل فعدت إليه فأخبرته فتبسم عليه السلام ثم قال لي: إذا كان وقت الفجر يظهر أمر الله، ومثلها مثل أمِّ موسى، وهو نظير موسى عليه السلام من طواغيت زمانه.

ثم قال عليه السلام: إنا معاشر الأوصياء لسنا نحمل في البطون وإنما نحمل في الجنوب، ولا نخرج من الأرحام وإنما نخرج من الفخذ الأيمن، لأننا نور الله الذي لا تدنسه الدانسات.

قالت حكيمة: فلما أن صليت المغرب والعشاء أتيت بالمائدة، فأفطرت أنا ونرجس فبتنا في بيت أنا ونرجس فغفوت غفوة ثم استيقظت، فلم أزل مفكرة فيما وعدني أبو محمد من أمر ولي الله عليه السلام، فقمت قبل الوقت الذي كنت أقوم كل ليلة، وصليت صلاة الليل حتى إذا بلغت الوتر، وثبت نرجس فزعة مرعوبة، وخرجت

وأسبغت الوضوء، ثم عادت فصلت حتى بلغت إلى الوتر، فوقع في قلبي أن الفجر قد قرب، فنظرت فإذا بالفجر الأول قد طلع فدخل في قلبي الشك من وعد أبي محمد عليه السلام، فناداني من حجرته: لا تشكّي يا عمة فكأنك بالأمر الساعة إنشاء الله تعالى.

قالت حكيمة: فاستحييت منه مما وقع في قلبي حتى إذا كان الفجر الصادق، وثبت نرجس فزعة فضممتها إلى صدري وسميت عليها، فصاح أبو محمد عليه السلام قال: إقرئي يا عمة عليها: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] فأقبلت أقرأ عليها كما أمرني فأجابني الجنين من بطنها يقرأ كما أقرأ وسلم عليَّ، ففزعت من ذلك، فصاح بي أبو محمد عليه السلام وقال: لا تعجبي من أمر الله عز وجل، إن الله تبارك وتعالى ينطقنا بالحكمة صغاراً ويجعلنا حجة في أرضه كباراً، فلم يستتمَّ الكلام حتى غيّبت عني نرجس، فلم أرها وكأنه ضرب بيني وبينها حجاب.

فعدوت نحو أبي محمد عليه السلام وأنا صارخة فقال عليه السلام: إرجعي يا عمة فإنك تجدينها في مكانها قالت: فرجعت فلم ألبث أن كشف الحجاب وإذا أنا بها عليها من أثر النور ما غشي بصري، وإذا بالصبي عليه السلام ساجداً على وجهه جاثياً على ركبتيه رافعاً سبابته نحو السماء، وهو يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن أبي أمير المؤمنين»، ثم عد إماماً إماماً إلى أن بلغ إلى نفسه، ثم قال: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، وأتمم لي أمري، وثبت لي وطأتي، واملأ الأرض بي قسطاً وعدلاً» ورأيت نوراً ساطعاً قد ظهر منه وبلغ أفق السماء، ورأيت طيوراً بيضاء تهبط من السماء وتمسح أجنحتها على رأسه ووجهه وسائر جسده ثم تطير.

فناداني أبو محمد عليه السلام وهو يقول: يا عمة هاتي ابني إلي فناولته وإذا هو نظيف مفروغ منه، وعلى ذراعه الأيمن مكتوب: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] فأتيته به فتناوله وأخرج لسانه فمسحه على عينيه ففتحهما ثم أدخله في فيه فحنكه، ثم أدخله في أذنه وأجلسه في راحته اليسرى فاستوى وليّ الله جالساً فمسح يده عليه السلام على رأسه وقال: يا بنيّ انطق بقدرة الله تعالى: فاستعاذ من الشيطان الرجيم واستفتح بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ [القصص: ٥، ٦].

وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى الأئمة واحداً واحداً حتى انتهى إلى أبيه، ثم أتت الطيور ترفرف على رأسه فصاح بطير منها فقال: إحمله ورده إلينا في كل أربعين

يوماً، فتناوله الطائر وطار به في جو السماء واتبعه سائر الطيور، فسمعت أبو محمد يقول: أستودعك الله الذي استودعته أم موسى، فبكت نرجس، فقال لها: أسكتي فإن الرضاع محرم عليه إلا من ثديك وسيعاد إليك كما رد موسى إلى أمه.

قالت حكيمة: فقلت: ما هذا الطائر؟ فقال عليه السلام: هذا روح القدس الموكل بالأئمة عليهم السلام يوفقهم ويسددهم ويزينهم بالعلم.

قالت حكيمة: فلما كان بعد أربعين يوماً ردّ الغلام ووجّه إليَّ ابن أخي عليه السلام فدخلت عليه، فإذا أنا بصبي متحرّك يمشي بين يديه، فقلت: سيدي هذا ابن سنتين؟ فتبسم عليه السلام ثم قال: إن أولاد الأنبياء والأوصياء إذا كانوا أئمة ينشؤون بخلاف ما ينشأ غيرهم، وأما الصبي إذا أتى عليه شهر كان كمن يأتي عليه سنة، وأن الصبي منا ليتكلم في بطن أمه ويقرأ القرآن ويعبد ربه عز وجل، وعند الرضاع تطيعه الملائكة وتنزل عليه صباحاً ومساءً.

قالت حكيمة: فلم أزل أرى ذلك الصبيَّ كل أربعين يوماً إلى أن رأيته رجلاً قبل مضي أبي محمد عليه السلام بأيام قلائل فلم أعرفه فقلت لابن أخي: من هذا الذي تأمرني أن أجلس بين يديه؟ فقال عليه السلام: ابن نرجس خليفتي من بعدي وعن قليل تفقدونني فاسمعي له وأطيعي.

قالت حكيمة: فمضى أبو محمد عليه السلام بأيام قلائل وافترق الناس كما ترى، ووالله إني لأراه صباحاً ومساءاً وأنه ليخبرني عما تسألونني عنه فأخبركم، ووالله إني لأريد أن أسأله عن الشيء فيبدئني به وأنه ليرد عليَّ الأمر فيخرج إليَّ جوابه من ساعته من غير مسألتي، وقد أخبرني البارحة بمجيئك إليَّ أيها السائل وأمرني أن أخبرك بالحقّ.

قال محمد بن عبدالله: فوالله لقد أخبرتني حكيمة بأشياء لم يطلع عليها أحد إلا الله عز وجل، فعلمت أنَّ ذلك صدق وعدل من الله عز وجل.

وروى نسيم خادم أبي محمد قال: دخلت على أبي محمد، وصاحب الزمّان في المهد بعد مولده بعشرة أيام، فعطست فقال لي: يرحمك الله، من مهده، فتعجبت، فقال: ألا أبشرك بالعطاس؟ هو أمان من الموت ثلاثة أيام.

وروى الصدوق، عن أبي جعفر قال عليه السلام: القائم منا منصور بالرعب، مؤيد بالنصر، تطوى له الأرض، وتظهر له الكنوز، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر الله دينه على الدين كله ولو كره المشركين، فلا يبقى على وجه الأرض خراب إلا عمر، وينزل الله روح الله عيسى بن مريم فيصلي خلفه.

قال الراوي: فقلت: يابن رسول الله ومتى يظهر قائمكم؟ قال: إذا تشبه الرجال بالنساء، والنساء الرجال، واكتفى الرِّجال بالرِّجال، والنساء بالنساء، وركب ذوات الفروج السروج، وقبلت شهادات الزور، وردِّت شهادات العدل، واستخف الناس بالزنا والرياء، وأحل الربا، وأتقي الأشرار مخافة ألسنتهم.

وخروج السفياني من الشام، واليماني من اليمن، وخسف بالبيداء، وقتل غلام من آل بيت محمد ﷺ بين الركن والمقام، اسمه: محمد بن الحسن النفس الزكية، وجاءت صيحة من السماء بأن الحق معه ومع شيعته، فعند ذلك توقعوا خروج قائمنا، فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة، واجتمع إليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فأول ما ينطق به هذه الآية: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٨٦] ثم يقول: «أنا بقية الله وخليفته وحجته عليكم» فلا يسلم عليه مسلم إلا قال: السلام عليك، يا بقية الله في الأرض، فإذا اجتمع له العقد وهو عشرة آلاف رجل، فلا يبقى في الأرض معبود دون الله من صنم إلا وقعت فيه نار فاحترق، وذلك بعد غيبة طويلة ليعلم الله تعالى من يطيعه بالغيب ويؤمن به.

وقد ذكروا في علامات ظهوره أموراً كثيرة غير ما ذكرنا على سبيل الاختصار، فمن أراد فليراجعها في محالها المبسوطة، وهذا شيء ذكرناه استعجالاً تيمناً وتبركاً به، وأن يكون الختام مسكاً عجل الله فرجه وسهل مخرجه، وجعلنا من أنصاره وأعوانه إنتهى.

أقول: والله عالم بعواقب الأمور ومصالح العباد.

تم الكتاب بحمده تعالى في يوم ﷺ محرم ﷺ ٣٨٦هـ

الفهرس

الجزء الأول: في واقعة الطف ٣
المقدمة ٣
المجلس الأول (من مقتل الحسين عليه السلام) ٥
إخبار النبي صلى الله عليه وآله بشهادة الحسين عليه السلام ٥
يزيد يأمر الوليد بأخذ البيعة من الحسين عليه السلام ٦
في رؤيا الحسين عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله في المنام ٨
الإمام الحسين عليه السلام يخرج من المدينة ٩
وصية الإمام الحسين عليه السلام إلى محمد بن الحنفية ٩
رسائل أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام ١٢
المجلس الثاني (من مقتل الحسين عليه السلام) ١٤
رسول الله صلى الله عليه وآله يخبر عما يقع مع الإمام الحسين عليه السلام ١٤
الإمام الحسين عليه السلام يرسل مسلم بن عقيل إلى الكوفة ١٥
ابن زياد يتجسس على مسلم ١٨
حبس ابن زياد لهاني بن عروة ١٩
المجلس الثالث (من مقتل الحسين عليه السلام) ٢٢
في إخبار النبي صلى الله عليه وآله بقتل الحسين عليه السلام ٢٢
ابن زياد يرد الناس عن مبايعة مسلم بن عقيل ٢٣
المجلس الرابع (من مقتل الحسين عليه السلام) ٢٩
عدَّة الأخبار عن قتل الإمام الحسين عليه السلام ٢٩
خطبة الإمام الحسين عليه السلام قبل مغادرته لمكة ٣١
الإمام الحسين عليه السلام يتوجه إلى العراق ٣٣
رسالة يزيد بن مسعود إلى الإمام الحسين عليه السلام ٣٥
المجلس الخامس (من مقتل الحسين عليه السلام) ٣٧
في الإمام الحسين عليه السلام يرسل إلى زهير بن القين ٣٧
خبر قتل مسلم يصل إلى الإمام الحسين عليه السلام ٣٩
الحر يعترض الإمام الحسين عليه السلام ٤١
في صد الحر الطريق بالحسين عليه السلام ٤٢
الإمام الحسين عليه السلام يصل كربلاء ٤٤
المجلس السادس (من مقتل الحسين عليه السلام) ٤٦

في عظمة البكاء على الإمام الحسين عليه السلام ٤٦
مجيء عمر بن سعد ٤٨
في إرسال عبيد الله العسكر إلى كربلاء ٤٩
رسالة عبيد الله إلى عمر ابن سعد ٥١
في مناجزة القوم مع الحسين عليه السلام وأصحابه ٥٤
المجلس السابع (من مقتل الحسين عليه السلام) ٥٦
في إخبار النبي صلى الله عليه وآله بقتل الحسين عليه السلام ٥٦
في مكالمة الحسين عليه السلام مع أخته زينب ٥٨
احتجاج الإمام الحسين عليه السلام ٦٠
المجلس الثامن (من مقتل الحسين عليه السلام) ٦٥
كلام الإمام الحسين عليه السلام مع القوم ٦٦
توبة الحر ٦٨
شهادة أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ٦٩
المجلس التاسع (من مقتل الحسين عليه السلام) ٧٧
في مبارزة علي بن الحسين الأكبر عليه السلام مع القوم ٧٨
في شهادة القاسم بن الحسن عليه السلام ٨٠
في مقاتلة العباس عليه السلام ٨٢
مقتل الطفل الرضيع ٨٣
مبارزة الحسين عليه السلام ٨٤
المجلس العاشر ٨٧
شهادة الإمام الحسين عليه السلام ٨٧
في مكالمة زينب مع زين العابدين عليهما السلام ٩٢
الجزء الثاني: قصائد في رثاء أهل البيت عليهم السلام ٩٦
هذه القصائد أنشدت في مراثي أهل البيت عليهم السلام ٩٦
القصيدة الأولى: للمرحوم السيد جعفر الحلي ٩٦
للسيد جعفر الحلي أيضاً رحمه الله ٩٩
لجناب السيد محمد حسين نجل السيد كاظم القزويني ١٠٢
في رثاء الزهراء البتول سلام الله عليها ١٠٢
في رثاء الحسن الزكي عليه السلام ١٠٤
للسيد ميرزا صالح القزويني ١١٢
للشيخ صالح الكوز ١١٤
للسيد إبراهيم الصباطبائي ١١٧
من قصيدة طويلة للسيد عبد المطلب ابن السيد داود الحلي رحمهما الله ١١٩

من قصيدة للأزري رحمه الله ١٢١
في رثاء أبو الفضل العباس عليه السلام ١٢١
من قصيدة للشيخ عبد الحسين بن الشيخ إبراهيم العاملي ١٢٣
في رثاء علي الأكبر ١٢٣
للسيد رضا ابن المرحوم السيد محمد الهندي ١٢٥
وله مستنهضاً صاحب الأمر «عجل الله فرجه» ١٢٥
ورائياً جده الحسين عليه السلام ١٢٥
في وصف وداع زينب عليها السلام ١٣١
للشيخ محمد رضا ابن الشيخ جواد النجفي ١٣١
في رثاء الحسين عليه السلام ١٣١
للشيخ عبد الحسين الحياوي في رثاء الحسين عليه السلام ١٣٣
ومستنهضاً صاحب الأمر عجل الله فرجه ١٣٣
وله في رثاء مسلم بن عقيل عليه السلام ١٣٦
وله أيضاً في رثاء الحسين عليه السلام ١٣٧
للسيد حيدر الحلي رحمه الله ١٤٠
في رثاء الحسين عليه السلام ١٤٠
مما قاله السيد صالح القزويني ١٤٦
للشيخ صالح الكواز ١٤٨
في رثاء سيد الشهداء عليه السلام ١٤٨
قصيدة أخرى لصالح الكواز الحلي ١٥١
لحاجي حسن القيم ١٥٢
للحاج هاشم الكعبي يمدح أمير المؤمنين ويرثي الحسين عليه السلام ١٥٤
للشيخ صالح الكواز ١٥٧
لأبي ذيب ١٥٨
الجزء الثالث: في ولادة ووفاة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام أو وفيات أعلام الحق ١٦٢
في بيان ولادة ووفاة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله ١٦٣
الفصل الأول: في تاريخ ولادته صلى الله عليه وآله وما صدر من العجائب حال الولادة ١٦٣
الفصل الثاني: في بيان وصيته وسائر الوقائع التي اتفقت عند وفاته صلى الله عليه وآله ١٦٨
الفصل الثالث: في بيان وفاته صلى الله عليه وآله وكيفية غسله وتكفينه ودفنه والصلاة عليه ١٧٢
في أحوال سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام ١٧٧
الفصل الأول: في ولادتها وأسمائها ١٧٧
الفصل الثاني: في بعض مناقبها العجيبة ومعجزاتها الغريبة ١٧٨
الفصل الثالث: في كيفية تزويجها بأمير المؤمنين عليه السلام ١٨١

الفصل الرابع: في بيان شهادتها وبكائها وحزنها ١٨٩
في بيان أحوال أمير المؤمنين عليه السلام علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام ١٩٦
في بيان أحوال الإمام الحسن بن علي عليه السلام المجتبى عليه آلاف التحية والثناء ٢١٣
الفصل الأول: في ولادته عليه السلام وبعض أحواله ومناقبه ٢١٣
في فقد الحسنين عليهما السلام ٢١٥
الفصل الثاني: في بيان كيفية شهادته ٢١٧
في بيان أحوال علي بن الحسين (زين العابدين) عليه السلام ٢٢٢
في بيان ولادة الإمام محمد الباقر عليه السلام ٢٢٥
في بيان ولادة الإمام جعفر بن محمد الصادق ووفاته عليه السلام ٢٣٣
في أحوال الإمام الصادق عليه السلام ٢٣٣
في بيان وولادة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ٢٣٧
في بيان أحوال أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام ٢٤٥
في شهادته عليه السلام وما ظهر من معجزات ٢٤٩
في بيان أحوال الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام ٢٥٨
الإمام الجواد عليه السلام والمأمون ٢٥٩
تزويج أم الفضل من الإمام الجواد عليه السلام ٢٦٠
الإمام الجواد عليه السلام والمعتصم ٢٦٣
في بيان أحوال الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام ٢٦٧
في بيان ولادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام ٢٧١
في بيان شهادته عليه السلام ٢٧٢
في بيان ولادة الإمام الحجة بن الحسن (عج) ٢٧٧
في بيان نبذة من أحوال الإمام الثاني عشر، والمهدي المظفر نور الأنوار، وحجة الجبار، الغائب عن الأبصار الحاضر في قلوب الأخيار، خليفة الرحمن الحجة بن الحسن صاحب العصر والزمان، عجل الله فرجه وسهل مخرجه، وجعلنا من أنصاره وأعوانه ٢٧٧
الفهرس ٢٨٥